التدبير الإلهي

في بنيان الكنيسة



إعداد:

أحد رهبان برية القديس مقاريوس

مصطلحات ومعارف كنسية:

- ٣ -

التدبير الإلهي

في

بنيان الكنيسة

نحو دستور دائم للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

بحث وثائقي كنسي
يرجع إلى أقدم مراجع التقليد الكنسي
(الكتاب المقدس والمخطوطات والصلوات الطقسية)
(وكتابات آباء ومعلمي الكنيسة الأبرار وكبار علماء اللاهوت الأرثوذكس)

إعداد: أحد رهبان برية القديس مقاريوس

سلسلة: مصطلحات ومعارف كنسية – الكتاب الثالث

كتاب: **التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة**

نحو دستور دائم للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

بحث وثائقي كنسي يرجع إلى أقدم مراجع التقليد الكنسي

إعداد: أحد رهبان برية القديس مقاريوس

•مؤلف كتاب: دراسات في آباء الكنيسة – صدر ١٩٩٩

•ومؤلف الكتابين الأول والثاني من هذه السلسلة:

١.التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة – صدر ١٩٩٧

٢.السلطان الروحي في الكنيسة – صدر ١٩٩٨

وهما الكتابان المساعدان والمرجعان لهذا الكتاب الثالث.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠١/١٥٦٩٩

رقم الإيداع الدولي: 977-5545-31-5

الطبعة الأولى ديسمبر سنة ٢٠٠١

مطبعة دار نوبار للطباعة

تصميم الغلاف: الفنان عادل لبيب



الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم

"الأسقف الكبير ورئيس الأسقفية والأول في طغمة الكهنوت ورأس الكهنة"

والصخرة التي أقام عليها بنيان الكنيسة

له كل المجد والكرامة في كل جيل وإلى أبد الدهور .



القديس الشهيد والأب والإنجيلي والرسول مار مرقس ناظر الإله كاروز الديار المصرية

" أتيتَ وأنرتَ لنا بإنجيلك وعلمتنا الآب والابن والروح القدس "

ذكصولوجية مارمرقس الإنجيلي

أيقونة القديس مارمرقس من الكنيسة المعلقة بمصر القديمة

بنيان كنيسة المسيح

أيقونة هذا الكتاب تصور بنيان الكنيسة ورأسها وأساسها المسيح المنتصر في السماء والغالب الموت على الأرض. فالكنيسة هي كنيسة المسيح القائم من بين الأموات، الذي انتصر على الموت، أصعب عدو للبشرية، بل أعتى عدو لها لأنه سيبقى هو آخر منْ سيبطله المسيح في الزمان الأخير زمان الانتصار واستعلان مجد الكنيسة والتفاف الكل حول وتحت سيادة الله. لذلك فمهما تألت الكنيسة هنا الآن على الأرض وحزنت وتضايقت، فيبقى لها المجد الذي ستناله والذي سبقها إليه القديسون في السماء.

وفي هذه الأيقونة نرى المسيح – له وحده كل المجد – جالساً فوق الكل على كرسي مجده، وحوله شفيعا الكنيسة الأولان: القديسة العذراء مريم والدة الإله والقديس يوحنا المعمدان، ووراءهما يقف ملاكان حاملَين اعترافات المؤمنين يصعدانها إلى عرش الله في البخور الذي في الشورية التي في يديهما. وحولهما من اليمين واليسار يقف الإنجيليون الأربعة كلٌ يمسك بإنجيله.

وفي الصف الثاني: يصطف آباء الكنيسة وعلماؤها والمدافعون عن الإيمان الذين شهدوا للإيمان بكتاباتهم وعظاتهم وتعليمهم الشعب وبتحمُّلهم الاضطهاد وأحياناً التعذيب والنفي من أجل مجاهرتهم بالتعليم الصحيح: عن اليمين يقف المدافعون عن الإيمان من رؤساء الكهنة، وعن اليسار يقف المدافعون من شعب الله غير المتقلدين الرتبة الكهنوتية.

وفي الصف الثالث: يصطف الشهداء الذين شهدوا للإيمان بالمسيح بدمائهم أي سفكوا حياتهم على اسم المسيح: عن اليمين الشهداء الجنود وعن اليسار من هم من غير الجنود. ويُرى في الوسط أول الشهداء القديس اسطفانوس لابساً تونية الشماسية البيضاء وحاملاً بيده شورية البخور.

وفي الصف الرابع: يقف النساك ولُبَّاس الصليب وآباء الرهبنة الذين شهدوا للإيمان بالمسيح ليس بدمائهم بل باستشهادهم بالإرادة كل يوم بالصوم والجهاد وإنكار الذات. ويتوسطهم القديس أنبا أنطونيوس أب الرهبان وحوله آباء الرهبنة الرؤوس، ويُرى من بينهم القديسون أنبا باخوميوس وأنبا مقار الكبير ورئيس الأساقفة باسيليوس الكبير حاملاً قوانينه الرهبانية.

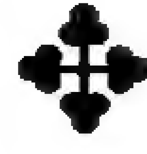
وفي الصف الخامس: يقف الذين تلقِّبهم الكنيسة الأبرار والصدِّيقون مثل الملكة البارة هيلانة والملك البار قسطنطين وغيرهم من أتقياء الشعب المسيحي من الرجال والنساء.

هذا هو بنيان الكنيسة المتراص والذي ظهر لهرماس في الرؤيا التي رآها أن الكنيسة تُبنى من الحجارة الحية أي نفوس المؤمنين المتنوعة مواهبهم، ولما اكتمل البنيان إذا بالبنيان كأنه صخرة واحدة لا يمكنك أن تميز فيه اختلافات المواهب وتعدد النفوس.

وهذا هو موضوع الكتاب الذي بين يديك

أيقونة بنيان الكنيسة





بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

هذا الكتاب

هو خلاصة دراسات وأبحاث حول الكنيسة والخدمة المسيحية نقدمها لكل قارئ يريد أن يعرف ما هي الكنيسة، وما هي الحياة المسيحية وأبعادها، وما هي الخدمة ومبادؤها وقوانينها، وكيف يصير عضواً حياً عاملاً فعَّالاً في كنيسة المسيح جسده المقدس.

وقد أنار لنا الطريق في كل ما كُتب في هذا الكتاب ذلك التراث الرائع للمسيحية الذي بدأ منذ ألفي عام من الزمان وامتد ونما جيلاً بعد جيل، مُضيفاً، ومجدداً، ومُجلياً معاني البشارة الإنجيلية المسيحية بما يمكن تقديمها جديدة في كل جيل، شافيةً ومُجددةً ومُقدِّسةً الطبيعة البشرية التي سقطت في الزمان السحيق في القِدم والتي ما زالت على ضعفها وهشاشتها منذ ذلك الزمان، لا يشفيها سوى الله نفسه، ولا يجددها ويقيمها إلا نعمة الخلاص والفداء بابنه ربنا يسوع المسيح، ولا يحفظها من العودة إلى مهاوي السقوط مرة أخري إلا حفظ وصايا الله القديمة التي هي جديدة لكل جيل وزمان لأنها هي جوهر وقوام حياة الإنسان والضمان لصحته وصمام الأمان الذي يحفظ كيانه من الانهيار والسقوط في هاوية الخطية والشر. لأنه مهما تقدم الإنسان في اختراعاته واكتشافاته، لكنه لم ولن يستطيع أن يغيِّر شيئاً من ضعف الطبيعة البشرية وهشاشتها وميول سقوطها في شتى الخطايا والآثام، ولن يقدر على منع تعرُّضها للموت والفناء، ذلك لأن خالق هذه الطبيعة هو وحده الذي خلقها وهو وحده الذي يقدر أن يجدد خلقتها ويقيمها من عثرتها بل ويرفعها إلى أعالي المجد السماوي بل وإلى النعمة العظيمة التي سمَّاها بطرس الرسول الشركة في الطبيعة الإلهية (٢ بط ١:٤).

إن هدف هذا الكتاب مزدوج:

- للقارئ المؤمن، لكي يعرف كنيسته وموضعه منها كعضو في جسد المسيح ويعرف حقوقه وواجباته، فيؤدي واجبات عضويته ويسعد بحقوقه فيها التي هي عينها حقوقه في المسيح.
- ولكل مسئول، إكليروساً وأراخنة ومقدِّمي الشعب، ليكون لهم حافزاً ومساعداً للتعرف على مناحي الحياة الكنسية كما رسمها وحددها التقليد الكنسي وسجلتها القوانين الكنسية، حتى إذا حلَّ الميعاد لتقنين هذه الحياة يكون هذا الكتاب أحد الإسهامات الساعدة. ونحن جميعاً أمناء على تسليم الأجيال الآتية بعدنا ما تسلَّمناه كما هو من الرسل الأطهار وآباء الكنيسة الأبرار غير منقوص وبلا تشويه أو تبديل..

والمجد لله في كل شيء

المحتويات

الباب الأول

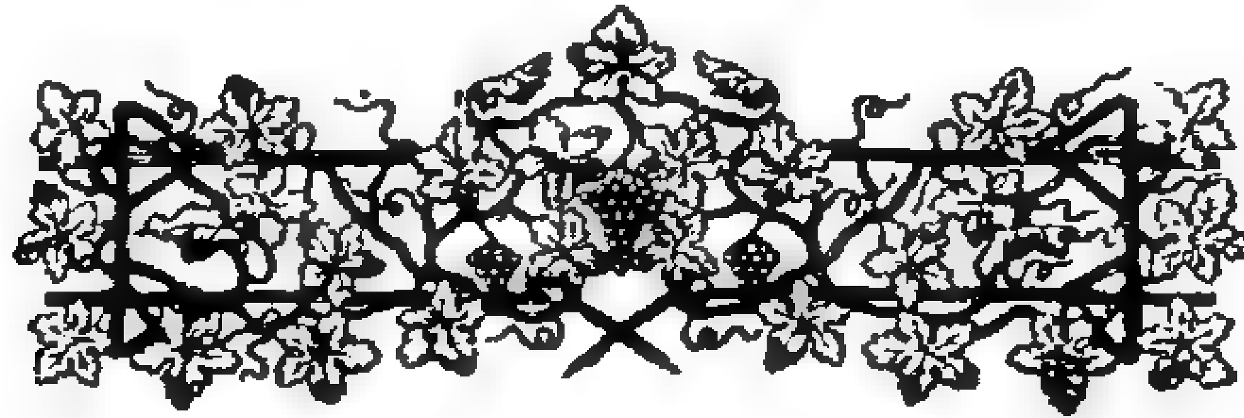
القضاء الكنسي

مقدمة

✠ في هذا القسم من الكتاب نعرض الخطوط العريضة للقضاء الكنسي كما يجب أن يكون، مع تقديم مشروع متكامل لإنشاء المحاكم الكنسية بكل ما فيها: القاضي الكنسي، وهيئة الدفاع، والهيئات والأشخاص المعاونين للقاضي الكنسي، وإجراءات المحاكمة، مع عرض لمراجع القانون الكنسي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

✠ كل هذا لكي نفتح الطريق أمام إصدار تشريع كنسي قبطي يعالج مشاكل الكنيسة معالجة قانونية لا تقل عن بل ترقَى إلى مستوى العدالة المدنية الاجتماعية، بما يرفع الأحكام الكنسية فوق مستوى شُبهة عدم العدالة، ويجعلها موضع احترام وتأييد الهيئات التشريعية والقضائية في البلاد على أعلى المستويات، وبما لا يوقعها في خطر الطعن في ساحات القضاء المدني أو التشكك في مصداقيتها، وأولاً وأهم من كل شئ بما يحفظ السلام والوحدة داخل الكنيسة ويصون حقوق أبناء وخدام الكنيسة في سلامة وكرامة عضويتهم في كنيسة الله، وبالتالي يحفظ السلام الروحي الاجتماعي داخل الوطن.

✠ وما نود أن نوضحه هنا من خطورة الأمر، هو أن الملاحَظ للمراقبين الكنسيين هو أن اتجاهاً غريباً تسلل إلى صفوف الكنيسة رويداً رويداً بتأثير من أسوأ ما حدث في المجتمع المدني المصري المحيط بنا وهو إحلال الشخص محلَّ القانون، وهو الطابع الاجتماعي الذي ساد على المجتمع المدني ردحاً من تاريخ البلاد الحديث (عهد الحكم الشمولي) حتى جاءت نكسة عام ١٩٦٧ حيث تحوَّل نظام الحكم إلى دولة المؤسسات وسيادة القانون. ولهذا فإننا نعرض هذا المشروع في صدر هذا الكتاب لنذكِّر بتقليد الكنيسة القديم في إدارة وتدبير الكنيسة القائمين على المشورة والمشاركة بين أعضاء الكنيسة الجسد الواحد وسيادة القانون الكنسي فوق الأشخاص وحماية طهارة الكنيسة وسلامتها من تحكم الأهواء والانفعالات والأغراض والكرامات الشخصية، ما يعصف بتراث الكنيسة ويعطل رسالتها ويحجب مجد الإنجيل.



الفصل الأول

القوانين الكنسية

١- المعنى العام:

كلمة "قانون" أو **Canon** مشتقة من الكلمة اليونانية "**Kanon Κανων**" وتعني الأداة التي يستخدمها المهندسون والإنشائيون لعمل الخطوط المستقيمة، وهي "المسطرة"، وتعني "القاعدة". وسرعان ما استخدمت على وجه الحصر في المجال الكنسي. فالقوانين الكنسية هي مجموعة من القواعد والأسس للسلوك أو الاعتقاد تضعها الكنيسة. كما يستخدم آباء الكنيسة الأوائل كلمة "قانون" كمرادف لقاعدة الإيمان، أو لبعض الأمور المُلزمة على المسيحيين.[١]

٢- المعنى الكنسي:

ويقرر العالم "**Bickell**" أن على مدى القرون الثلاثة الأولى، نادراً ما كانت كلمة "قانون **Kanon**" تستعمل لقرارات الكنيسة، بل كانت تستخدم للإشارة إلى **قانون الإيمان** عموماً. ويدلل على رأيه بأن صيغة الجمع لكلمة "قانون"، أي "قوانين" لم تستخدم إلا نادراً بواسطة الكُتّاب المسيحيين الأوائل.

ومع حلول القرن الرابع بدأ استخدام كلمة "قانون" للقرارات التنظيمية للكنيسة، نتيجة استخدامها بهذا المعنى في المجمع المسكوني الأول في نيقية (عام٣٢٥م).

أما كلمة "قرار" أو "مرسوم" **decretum**. فبالرغم من أنها كانت تعنى خلال نفس الفترة قراراً مُلزِماً، إلا أنها بدأت تتحدد أكثر فأكثر للمسائل العقائدية، بينما استخدمت كلمة "قانون Κανων" بالتحديد لقوانين النظام في الكنيسة. وفي مجمع نيقية أصبحت التعليمات المختصة بالنظام والتي أصدرها مجمع الأساقفة تأخذ اسم "قوانين". على أنه بعد مجمع نيقية لم تعد التعليمات المختصة بالنظام تأخذ كلمة "قانون" بل "مرسوم" أو "قرار" **Decretum**.

والقانون الكنسي هو مجموعة القوانين والتعليمات التي تبنّتها السلطة الكنسية أو أصدرتها من أجل سياسة وتدبير الكنيسة المسيحية وأعضائها. وكلمة "القانون" المستقاة هنا تشير إلى

---

(1) Irenaeus, *Adv Haer.* I, Ix, Tertullian, De Praescr. 13.

حقيقة أن هناك ثمة عناصر في القانون الكنسي استعارتها الكنيسة من القانون المدني.

وفي القرن الرابع استخدمت الكلمة لوصف التعليمات التي أصدرتها المجامع الكنسية، وهى بهذا تختلف عن كلمة "ناموس" **nomos**، التي كانت تعنى التعليمات الصادرة من السلطات المدنية، لذلك فإن كلمة نومو – كانون **Nomo-Canon** تعنى مجموعات التعليمات التي تشكلها القوانين المستقاة من كلا المصدرين (المدنية والكنسية) حول الشئون الكنسية.

و "**النومو – كانون**" يعني أيضاً "القانون الكنسي"، بالرغم من الاختلاف الطفيف بين التعبيرين: فالنوموكانون يشير على الأخص إلى القانون الذى يحوى التعليمات المستقاة من القانون الروماني، بينما القانون الكنسي يشير إلى كل القوانين التي أصدرتها السلطات الكنسية.

٣- *القانون الكنسي كعلم:*

لقد مرَّ زمن طويل منذ صدرت القوانين الكنسية في مصادرها الرئيسية القديمة. فمنذ قرون طويلة كان المجهود منصبّاً على تجميع قوانين المجامع الكنسية (مسكونية أو مكانية) والرسائل لبعض الباباوات والأساقفة المشهورين، وفي غضون القرن الحادي عشر تم نشر هذه القوانين مصنَّفة تصنيفاً موضوعياً، أي تجميع القوانين المختصة بموضوع واحد مثل كتاب "**المجموع الصفوي لابن العسال**".

ثم نأتي إلى علم القانون الكنسي أي التعريف بالقانون الكنسي بطريقة منهجية منظمة ولا نعثر على مثل هذا المنهج العلمي في التعريف بالقانون الكنسي باللغة العربية. لكن المجهود المتداول على مدى القرون كان عبارة عن تجميع القوانين إما بتصنيف تاريخي أو بتصنيف موضوعي.

على أن أول عقبة تقابل علم القانون الكنسي هو تحديد القوانين التي تعتبر أنها المُلزِمة. وهذا ليس بالأمر الصعب حينما يكون أمام عالم القانون الكنسي نصوصٌ محددة وواضحةٌ من القوانين. وعمل الرجل القانوني الكنسي هو صياغة القانون باستخراجه من هذا الكم الهائل من النصوص، أو بتعميم القرارات أو الأحكام الفردية الواردة في مجموعات القوانين القديمة.

وحين تتحدد القوانين المعتبرة أنها مُلزِمة، فيجب أن تعلَن وتُشرح، وهذا هو العمل الهام الثاني في علم القانون الكنسي. وهو يتضمن إظهار:

١. **المعنى الحقيقي للقانون،**

٢.السبب في إصدار هذا القانون،

٣.مجال امتداد تطبيق هذا القانون،

وهذا العمل يتطلب تطبيق ٣ مناهج تطبيقاً مُحكماً: **الشرح، التاريخ، التطبيق العملي له (فلسفة القانون)**، أو بتعبيرات محددة:

١.**المنهج الشرحي**: لشرح القانون بحسب مصدره وتطور عادات تطبيقه،

٢.**المنهج التاريخي**: لشرح أصوله وعناصره،

٣.**المنهج التطبيقي**: لشرح كيفية تطبيقه في الحاضر.

هذا التطبيق العملي هو ما يسمى بفلسفة التشريع، الذى يجمع، وينسق، وينتفع من القانون ومن التطبيقات السابقة له ما يسمَّى بالسوابق التطبيقية للقانون.

وعلم القانون الكنسي علم شرعي يختلف عن علم القانون الروماني وعلم القانون المدني من حيث أن علم القانون الكنسي يعالج قوانين مجتمع آخر مختلف عن المجتمعات المدنية، فمن حيث أن هذا المجتمع يتبع النظام الروحي وإلى حد ما النظام الفائق للطبيعة، يكون القانون الكنسي منتمياً إلى العلوم المقدسة.

ويأتي علم القانون الكنسي بعد علم اللاهوت الذى يدرس ويشرح ما هو متصل بالوحي، وبالحقائق الواجب الإيمان بها، فهو مؤيَّد بعلم اللاهوت، لكنه بدوره يصيغ القواعد العملية التي يسعى إليها علم اللاهوت، لذلك فعلم القانون الكنسي يسمى "**اللاهوت العملي أو التطبيقي Theologia Practica**".

وعلم القانون الكنسي من حيث أنه متصل تماماً باللاهوت الأدبي (السلوكي الأخلاقي)، إلا أنه يختلف عنه – أي عن اللاهوت الأدبي الذى لا يهتم مباشرة بالأفعال التي يوصى بها القانون الكنسي أو يحرِّمها بل باستقامة الأفعال البشرية على ضوء المصير النهائي للإنسان، بينما القانون الكنسي يحدد القوانين الخارجية المتصلة بالنظام الصحيح للمجتمع الكنسي أكثر من الأعمال التي يحركها ضمير الإنسان الفرد. لذلك فالعلوم التشريعية والتاريخية واللاهوتية هي نافعة جداً للدراسة الشاملة للقانون الكنسي.

خصوصية القانون الكنسي:

إن القانون الكنسي ينفرد بأنه:

أولاً: خاص بالحياة الجديدة في المسيح وهي هبة التجسد الأولى للبشرية.

ثانياً: خاص بالإفراز، بموجب التدبير المسيحي، بين الخير الذي بحسب الإنجيل والشر الذي بحسب منطق العالم.

ثالثاً: القانون الكنسي هو الضابط لإدارة وتدبير الكنيسة ليكونا بحسب الوحدة الروحية للكنيسة جسد المسيح وليس بحسب الأهواء والانفعالات الشخصية للرؤساء والمدبرين.

٤- مصادر القانون الكنسي:

هذه المصادر لها معنى مزدوج:

- إما المصادر التي أتت منها القوانين والتي تعطيها القوة الشرعية،
- وإما تشير إلى المصادر التي توجد فيها هذه القوانين، أي نصوص القوانين نفسها كما توجد في المراجع القانونية.

هذه المصادر تسمى أيضاً **المصادر الرسمية المادية** للقانون الكنسي.

والمصدر الرئيسي المطلق للقانون الكنسي هو الله، الذى تُستعلن مشيئته إما بالقانون الطبيعي الإلهى، أو بالوحي الإلهى. وكلا الاثنين موجودان في الأسفار المقدسة وفي التسليم (المسمَّى "التقليد"). والوحي الإلهى لا يمكن أن يتناقض مع القانون الطبيعي، بل يثبِّته ويجعله أكثر تحديداً. والكنيسة تقبل وتعترف بالاثنين كقوانين إلزامية يمكنها أن تفسرها لا أن تغيرها. إلا أن الكنيسة لا تكتشف القانون الطبيعي بالاستقراء الفلسفي، بل هي تقبله مع القانون الإلهى من الله من خلال الأسفار الموحى بها، بالرغم من أنها لا تخلط ما بين النوعين.

وتحفظ الكنيسة الناموس القديم بالإضافة إلى الوصايا العشر كوصايا مرتبطة تماماً بالناموس الطبيعي مثل بعض موانع الزواج، أما بالنسبة للشرائع الأخرى التي أُعطيت للشعب المختار القديم، فالكنيسة تعتبرها شعائرية طقسية وتعلن أنها أُلغيت بأمر الرب يسوع المسيح. أو أن الرب يسوع المسيح مُعطى الناموس للمجتمع الروحي الجديد الذى أسسه استبدل هذه الشرائع القديمة الشعائرية الطقسية بالقوانين الأساسية التي أعطاها لكنيسته.

هذا الناموس المسيحي موجود في الأناجيل ورسائل الرسل وفي التقليد الحي الذى ينقل الشرائع كما العقائد للأجيال المتعاقبة. وعلى هذا الناموس الإلهى تستند البنود الأساسية لدستور الكنيسة، سواء من جهة رتبة الأسقفية، أو العوامل الأساسية للعبادة الإلهية والأسرار الكنسية، أو عدم انحلال رابطة الزيجة... الخ.

ومرة أخرى نقول إن الكنيسة تبلغ غايتها النهائية وهى مزوَّدة من مؤسسها بسلطان التشريع، فتجعل القوانين متوافقة مع كلا الناموس الطبيعي، والقانون الإلهى.

أولاً: المصادر الرئيسية للقانون:

ومصادر ومراجع هذا الناموس أو القانون الكنسي هو أساساً:

١. المجامع الأسقفية المقدسة:

المجامع الأسقفية المقدسة ولكن في حدود توافقها وعدم تعارضها مع الإنجيل والتقليد الرسولي. فهي المصادر الحية للقانون الكنسي. وتظهر هذه المجامع في هيئة المجامع المسكونية حيث يتحد الأساقفة المجتمعون من كل المسكونة **مع رأس الكنيسة الأوحد الرب يسوع المسيح، تاركين له سلطان الرئاسة عليهم**، وبإلهام الروح القدس يحددون تعليم الكنيسة ويجعلون القوانين التي يصدرونها مُلزمة للكنيسة كلها.

والمجامع المسكونية – وأخصها وأولها مجمع نيقية (سنة ٣٢٥) يحتل مكانة استثنائية في القانون الكنسي. (راجع الفصل الثاني: ***القانون الكنسي بين الإفراط والتفريط***).

٢. التقاليد والعادات المرعية:

كما أن التقاليد والعادات احتلت موضعاً هاماً كمصدر للتشريع ليس بمعنى أن العادات الشعبية أصبحت هي القانون، بل بمعنى أن الممارسة الصحيحة للحياة المسيحية والكنسية قبل صدور القوانين كانت تحمل قوة القانون إلى أن أتى الوقت لتقنين وإضفاء الشرعية على هذه العادة أو تلك. كما حدث في القانون رقم ٦ من مجمع نيقية. حيث اعترف المجمع المسكوني **بالعادات المرعية في كنيسة الإسكندرية أن يكون أسقف الإسكندرية هو المتقدم على أساقفة الكرازة المرقسية، وجعلها قانوناً مُلزماً.**

إلا أنه مع تقدم حركة نشر القوانين وكتابتها تعاظم شأن القوانين المكتوبة والتي سجلت ما أجمعت عليه الكنائس من تقنين العادات المرعية، ومن هنا تضاءل دور العادات والتقاليد كمصدر للقوانين كما كان في عصور الكنيسة الأولى بعد أن تثبتت هذه التقاليد والعادات في القوانين المكتوبة وانتشرت في كافة الكنائس وتم تطبيقها فيها.

على أن هذا لا يعني أن تكرار المخالفة للقانون الكنسي يعطي المخالفة قوة "العادة" التي يمكن تكرارها. وذلك حسب المبدأ الكنسي القائل:

[إن المخالفات لا يجب أن تُرتكب بذريعة أنها سبق وارتكبت في الماضي]، كما قرر ذلك القديس كبريانوس[٢]. فنص هذا المبدأ الكنسي يحكم على مخالفات القانون الكنسي أياً كانت، وسواء كثرت أو قلّت، كالآتي:

[ليس معني أن خطأ حدث في وقت ما، أن يُسمح بأن يتكرر هذا الخطأ فيما بعد]

القديس كبريانوس في الرسالة رقم ٧٢:٢٣

فالمخالفات لا يجب أن تُرتكب تحت ادعاء أنها سبق وارتُكبت في الماضي. لقد كان هذا المبدأ هو الذي يحكم ضمير الكنيسة الحي على مدي الأجيال. فإذا حدث أن المعني الحقيقي للقرارات القديمة للكنيسة نُسي أو تشوه، أو استُبدلت التقاليد الصحيحة بتقاليد أخرى مخالفة، فهذا لم يكن يعني البتة أن يتحول الخطأ المتكرر ليصير عادة فقانوناً، مهما كان المخالف كبيراً أو صغيراً، قديساً أو غير قديس، من كنيستنا القبطية الأرثوذكسية أو من رؤساء الكنائس الأخرى. وهذا ينطبق على مخالفة "**تنصيب**" أسقف سبق وضع اليد عليه من قبل لخدمة محددة، ليصير أسقف المدينة العظمى الاسكندرية (أي بطريركاً).

وهذا هو الموقف المُلزم أمام كل مخالفة في الكنيسة يحتج مؤيدوها بأنها سبق أن ارتُكبت في عصر سابق أو أنها تُرتكب في الكنائس الأخرى. علماً بأن "**عامل الزمن**" لا يستطيع أن يحول الخطأ فيكون صحيحاً ولا المخالفة فتصير هي الوصية والقانون، بسبب تكرار الخطأ والمخالفة، وإلاً لكانت الخطايا قد تحولت بسبب تكرار ارتكابها من البشر ملايين المرات في كل الأزمان إلى أعمال بر أو على الأقل لم تعد خطأ منهياً عنه أو لا يقع تحت دينونة الله!

---

(٢) الرسالة ٧٢:٢٣. راجع: *التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة*، للمؤلف، صفحة ١٩١ وما بعده.

٣. القوانين المدنية (السائدة في المجتمع):

ويمكن أيضاً إدراج القوانين المدنية (السائدة في المجتمع) وعلى الأخص القانون الروماني من بين المصادر الثانوية للقانون الكنسي. ولكن لابد من شرح بدقة دور هذه القوانين وأهميتها.

فأولاً لا يمكن أن يُعتبر القانون المدني العلماني مصدراً - بمعنى الكلمة - من مصادر القانون الكنسي، فالدولة لا اختصاص لها في الشئون الروحية، ولكن يمكن أن يكون لها دور بقبول السلطات الكنسية لبعض التشريعات الخاصة (مثل تشريع الأحوال الشخصية والمجلس الملي والأوقاف...الخ). فنحن نجيز في المقام الأول التشريعات التي تصدر بالاتفاق المتبادل بين الطرفين. وهكذا صارت القوانين والتشريعات المدنية أحد المصادر الثانوية للقانون الكنسي.

ولابد أن نتذكر أن الكنيسة قبلت هذه التشريعات المدنية وكانت تمارس الكثير من المعاملات لإدارتها بطريقة قانونية من نفس الطبيعة التي للممارسات المدنية، فكان طبيعياً أن تطوِّع نفسها في كثير من الممارسات اليومية للتيار القانوني السائد. وقد كانت الكنيسة في القرون الأربعة والخمسة الأولى تستعين وترجع إلى القانون الروماني لتزوِّد تشريعاتها بما ينقصها منه، فكانت تتصرف تبعاً للقانون الروماني حيث يصمت القانون الكنسي. ويتبنى القانون الكنسي من القانون الروماني ما يختص بالالتزامات والعقود والأفعال القانونية، وإلى حد ما من الإجراءات المدنية في التقاضي. لذلك يجب أن تُدخل الكنيسة الآن في نظام قضائها الكنسي إجراءات التقاضي ودرجات المحاكم والفصل بين سلطات وأشخاص: الادعاء، والتحقيق، والتقاضي، كما ورد في التشريعات المدنية المعاصرة حتى يمكن أن تتحقق العدالة داخل المجتمع الكنسي بما لا يقل ولا يتعارض طبعاً مع معايير ومستويات العدالة في المجتمع المدني الذي تعيش فيه الكنيسة.

⌘ **وما يجب أن يعرفه القارئ أن مبادئ القانون الكنسي اعتمدت على القانون الروماني** الذي كان يجعل الوالي الروماني في كل إقليم (الذي هو في الوقت نفسه قائد الحامية الرومانية للإقليم) هو القاضي الأعلى للإقليم. وفي التشريع الكنسي أصبح هو أسقف الإيبارشية الذي يقضي لشعبه ويُصالح المتخاصمين فيما بينهم.

وكان نظام القضاء الروماني الذي اعتمدت عليه الكنيسة في تشريعاتها الكنسية كما يلي:

نظام القضاء الروماني الذي اعتمدت عليه الكنيسة في تشريعاتها الكنسية:[٣]

١. **المدَّعي العام هو أي مواطن روماني. وفي الكنيسة الأرثوذكسية، كل مؤمن مسيحي أرثوذكسي من حقه رفع الدعوى أو تقديم الشكوى ضد أي عضو في الإكليروس دفاعاً عن أي خطأ أو انحراف في العقيدة أو السلوك أو الأداء.** ولا يقتصر هذا الحق في الكنيسة الأرثوذكسية على شخص واحد فقط من رجال الإكليروس كما كان عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في العصور الوسطى المظلمة (الكاردينال ريشيليو الذي كان يطارد ويسوق إلى المحاكمة والإعدام المخالفين للكنيسة حسب ما يرى هذا الكاردينال).

٢. **أي اتهام يجب أن يقوم على أساس دليل أو شهود.** «لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود» (١ تي ٥: ١٩)، «على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة» (متى ١٨: ١٦؛ ٢ كو ١٣: ١).

٣. **يتم الإعلان العام الشعبي بموعد المحاكمة.** وكل المحاكمات تتم علناً حتى تلك التي كانت تفحص تهمة الخيانة العظمى للدولة الرومانية (وهي التهمة التي اتُّهم بها الشهداء المسيحيون الأوائل واعترفوا بإيمانهم أن المسيح ربٌّ ما اعتبره الرومان خيانة عظمى). وفي الكنيسة يجب أن تتم المحاكمة بحضور الشعب الأرثوذكسي المهتم.

٤. **لابد من حضور طرفي المحاكمة:** المدَّعي والمُدَّعَى عليه. ولا يصدر حكم إلا بعد سماع أقوال ودفاع المُدَّعَى عليه (راجع قوانين المحاكمات الكنسية). «ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل» (يوحنا ٧: ٥١)، «ليس للرومانيين عادة أن يسلموا أحداً للموت قبل أن يكون المشكو عليه في مواجهة مع المشتكين فيحصل على فرصة للاحتجاج عن

---

(٣) حسب المراجع الآتية:

- Gibbon, E. *Decline and Fall of the Roman Empire*, Ch. 44: *The Idea of Roman Jurisprudence.*
- Hoadly, George, *A Lecture upon Roman Law Procedure*, Cinncinati, 1877
- Watson (ed.), *The Digest of Justinian* [with Latin text edd. T. Mommsen and P. Krüger], Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1985), 4 vols.
- H. L. Hart, *The concept of Law* (1961).
- R. A. Wormser, *The Story of the Law and the Men Who Made It*, (rev. ed. 1962);
- R. David, Major *Legal Systems in the World Today* (tr. 1968).

الشكوى» (أعمال ٢٥: ١٦).

٥. **كان اعتراف المدَّعى عليه بالتهمة المنسوبة إليه هي الدليل القاطع والأخير** حسب ما نقرأ في أخبار محاكمات الشهداء القديسين. وعند ذلك يتوقف الدفاع ولا يأخذ بأقوال الشهود إلا في حالة إنكار التهمة. مع عدم الأخذ في الاعتبار أي اعتراف بالتهمة يكون نتيجة ضغط، أو تهديد، أو حتى وعد بالصفح مقابل تحرير ورقة بالاعتراف بالتهمة يكون كتبها **المدَّعى عليه** بعيداً عن أعين الهيئة القضائية الكنسية والشعب. (راجع قانون القديس كيرلس الكبير في هذا الشأن – فصل القوانين الكنسية المختصة بالمحاكمات).

٦. كانت مصادر القانون الروماني هي:

١) الأوامر الإمبراطورية.

٢) المدوَّنات الإمبراطورية **Codex** والتي وُضعت فيها القوانين الرومانية منذ بداية الإمبراطورية.

٣) التشريعات التي يصدرها مجلس النبلاء المعروف باسم **Senate**. وهذا ما نراه في محاكمة القديس أثناسيوس الرسولي أمام مجمع صور الأريوسي.

* فقد سُمح للقديس أثناسيوس بالدفاع عن النفس.

* تم إحضار شهود.

هذه المبادئ دخلت التشريعات القانونية الكنسية ودخلت في كل المدوَّنات وقوانين المجامع المسكونية والمكانية واستقرت في القانون الكنسي.

ثانياً: النصوص والمجموعات القانونية:

مجموعات قانونية في الشرق: حتى العصر الذى تمتعت فيه الكنيسة بالسلام (الربع الأول من القرن الرابع)، كانت كتابة المجموعات القانونية المسجلة شحيحة. ولكن وبالرغم من ضياع بعض الوثائق إلا أنه يمكننا العثور على بعض بقايا المخطوطات التي تحوى القانون الكنسي. ومنها مجتمعة يتضح الوحدة في التشريع ما يتناسق مع التطابق في المارسة المؤسسة على دستور الكنيسة وليتورجيتها وأسرارها. ومنها نكتشف أن الإكليروس المنتشر في كل مكان كان يمارس القانون الكنسي بنفس الطريقة وبنفس الأساليب.

وقد اكتشف العلماء تطابقاً في النظام الكنسي المبكر في كل كنيسة من الكنائس الكبرى في الإمبراطورية الرومانية: روما، قرطاجنة، الإسكندرية، أنطاكية، القسطنطينية والكنائس التابعة لها.

وتشكل قرارات الأساقفة المختصة بالنظام في الكنيسة في الأقاليم المختلفة النواة الأولى للقانون الكنسي، وهذه النصوص التي انتشرت بالتدريج من مدينة إلى أخرى على شكل مجموعات قانونية، كانت بمثابة بذار عالمية صارت فيما بعد أساس القانون الكنسي العام.

كما ظهر في الشرق منذ الأيام الأولى للكنيسة وحتى نهاية القرن الخامس، بعض الكتابات المرتبطة بعضها بالبعض والتي كانت تشكل في حقيقتها مقالات مختصرة عن الترتيب الكنسي مثل واجبات الإكليروس والمؤمنين وعلى الأخص في العبادة الليتورجية. ونحن نشير هنا إلى الوثائق المنسوبة للرسل – ما كان شائعاً في الكنائس الشرقية، وهي **"تعليم الرسل الاثني عشر"** أو باسم مختصر **"الديداخي"**، و **"الديداسكاليا (الدسقولية)"** المبنية على "الديداخي"، و **"الدساتير أو المراسيم الرسولية"** وهي امتداد للكتابين السابقين، ثم **"الترتيب الرسولي للكنيسة"**، ثم مجموعة **"قوانين الرسل"**، ثم **"عهد ربنا يسوع المسيح"** ثم **"القوانين بيد كلمنضس"**، وأخيراً **"القوانين الرسولية"**.

ثم في العصور المتأخرة عن عصر الرسل، وتبدأ من القرن الرابع، تأتي **قوانين المجامع المكانية والمسكونية** التي انعقدت في كنائس آسيا الصغرى وأضيفت على قوانين مجمع نيقية (المنعقد سنة ٣٢٥م).

وفي مقاطعة بنطس صدرت قرارات تحوى قوانين للتائبين في مجمع أنقرا ومجمع نيوقيصرية (٣١٤م.) وأنطاكية، وقوانين مجمع مشهور باسم **In encaeniis** (عام ٣٤١م) ويحوى قانوناً أصيلاً عن تنظيم الرتبة المتروبوليتية، ومجمع **"Paphlagonia"** وهو مجمع غنغرا (عام ٣٤٣م) وهو يرد على التمادي في النسك، ومجمع فريجية، والقوانين الـ ٥٩ لمجمع اللاذقية على مسائل ليتورجية ونسكية. وهذه المجموعة كانت ذا اعتبار عظيم حتى أنها قرئت كمجموعة واحدة في مجمع خلقيدونية (سنة٤٥١م).

ثم زيدت هذه المجموعة بقوانين مجمع القسطنطينية المسكوني (عام٣٨١م)، وبقوانين مجمع أفسس المسكوني الثالث (عام٣٤١م)، ثم مجمع خلقيدونية (سنة٤٥١م).

وفي عام ٦٩٢م. أجاز مجمع ترال (أو ترولو)[٤] مائة واثنين قانونين تنظيميين، حيث يعدد القانون رقم ٢ منها عناصر هذه المجموعة القانونية التي ذكرناها سابقاً بالإضافة إلى قوانين مجمع سرديقا ومجمع قرطاجنه سنة ٤١٩، ورسائل قانونية عديدة لكبار الأساقفة السابقين مثل البابا ديونيسيوس الإسكندري، والقديس غريغوريوس صانع العجائب والقديس باسيليوس وغيرهم.

مجموعات النوموكانون Nomo Canon

ثم تأتى المجموعات المعروفة باسم النوموكانون وهى في غاية الأهمية لأنها تضم معاً التشريعات المدنية = **Nomos** مع القوانين الكنيسة = **Canon**. ولذلك سميت بالاسمين معاً **Nomo - Canon**. أي القوانين الكنسية والقوانين الزمنية المدنية معاً. وترجع عملية كتابة هذه المجموعات إلى نهاية القرن السادس، وأُكملت في القرن السابع، وبدئ في ترجمتها للعربية منذ القرن التاسع أو العاشر. وتجد نسخاً منها في مخطوطات بالأديرة القبطية تحت اسم "القوانين" وبعضها محفوظ في المتاحف والمكتبات العالمية في باريس ولندن.

ومن أهم مجموعات النوموكانون:

أ. **مجموعة برلين:** وجامعها مجهول. وقد وصلت إلينا في مخطوط وحيد محفوظ في مكتبة برلين تحت رقم ١٠١٨١ عربي. وهي تجمع أولاً القوانين المنسوبة للرسل بأنواعها، ثم القوانين الصادرة عن المجامع، ثم القوانين المنسوبة لآباء الكنيسة، ثم ما يسمَّى بـ "قوانين الملوك"، ثم قوانين بطاركة الكنيسة القبطية في العصور المتأخرة وآخر بطريرك مذكور قوانينه هو كيرلس بن لَقلَق (١٢٣٥ – ١٢٤٣).

ب. **مجموعة الراهب مقارة:** من دير القديس أنبا يؤنس القصير في بداية القرن الرابع عشر. ومحتوياتها تشبه المجموعة السابقة. وهي محفوظة في ١١ نسخة مخطوطة بعضها كامل وبعضها يحوي أجزاءً منها. ومنها المخطوطة رقم ٢٥١ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس. وهي المرجع الرئيسي الذي رجعنا إليه واقتبسنا منه في هذا الكتاب. وأهمية هذه المجموعة أن مؤلفها المسمى: **"القس الجليل الناسك المعلم مقاره أحد قسوس دير القديس العظيم أبو يحنس القصير ببرية شيهيت"** لم يترك أي مجموعة قوانين إلا وأدرجها في موسوعته القانونية. لذلك

---

(٤) وهو المجمع المُعتبر لدى البيزنطيين المسكوني الخامس– السادس

يوجد بها بعض التكرار من مجموعة قوانين إلى مجموعة أخرى.

ت. مجموعة ثالثة جامعها مجهول: وهي محفوظة في مخطوطة رقم ٢٣٨ و ٢٣٩ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس. ومحتوياتها تشبه المجموعتين السابقتين.

ثالثاً: الصياغة الحديثة لقوانين الكنيسة:

إن المجهود الذى بُذل قديماً تجاه مجموعات قوانين الكنيسة لم يخرج عن نطاق التجميع والمقارنة بين الوثائق المختلفة، دون الصياغة بالمعنى الحديث للكلمة، أي إيجاز القوانين في مجموعات موضوعية وبنصوص مختصرة.

ولكن بدأت الكنائس تصيغ دساتيرها وتُنزل قوانينها على هيئة القوانين الحديثة. وأمامنا أول نموذج لذلك:

أ. قانون **كنيسة أنطاكية للسريان الأرثوذكس** الذي أصدر أول قانون للكنيسة الأنطاكية بالأسلوب الحديث للتقنين عام ١٩٣٣،ثم أدخل عليه مجمع الكنيسة في حمص تعديلات عام ١٩٥٧، ثم صدر القانون الحديث في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٨٧ في ٣٥ مادة[٥] .

ب. القانون الأساسي **لبطريركية أنطاكية للروم الأرثوذكس** في سوريا ولبنان في ٢٨ تموز (يوليو) عام ١٩٧٣ في ٤٧ مادة[٦].

ت. **وفي الغرب** ومنذ أواخر القرن السادس عشر قامت محاولات في هذا السبيل، أي صياغة القوانين في نصوص مختصرة ولكنها لم تحظَ بالموافقة الرسمية من **الكنيسة الرومانية الكاثوليكية**، حتى مجمع الفاتيكان الأول في القرن التاسع عشر حينما حث الأساقفة بابا روما أن يصدر مجموعة كاملة من القوانين المُلزمة بأسلوب يناسب احتياجات العصر. ومنذ ذلك الحين قامت محاولات جادة في هذا السبيل على يد البابا بيوس العاشر (عام ١٩٠٤م) وصدرت عدة وثائق تحوى نصوصاً موجزة للقوانين في بنود محددة. ثم أمر البابا المذكور بعمل صياغة حديثة بالمعنى الحديث للكلمة لكل القانون الكنسي.

وفي السنة الأولى لحبريته أصدر وثيقة تضم صياغة كاملة للقوانين الكنسية وعرضها على كافة

---

(٥) *المجلة البطريركية* السنة ٣٨، الأعداد ١٧١-١٧٣ كانون ثاني وشباط وآذار ١٩٩٨، دمشق.

(٦) عن كتاب *"المفهوم الأرثوذكسي للحق القانوني"*، للأب سمير غلام، منشورات النور ١٩٨٦.

الأساقفة في الأقاليم والبلاد المختلفة وطلب منهم رأيهم واقتراحاتهم. وفي نفس الوقت عيَّن لجنة من المستشارين أوكل إليهم هذا العمل، وعيَّن لجنة أخرى من الكرادلة لدراسة واعتماد النصوص الجديدة، وائتمن الرجال القانونيين في كل دولة لمراجعة هذه النصوص. وتم إنجاز هذا العمل الكبير عام ١٩١٧. وفي ٢٥ يناير عام ١٩٥٩ أعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون قراره بتجديد ذلك القانون الصادر عام ١٩١٧. وتشكلت لهذا الغرض اللجان المختلفة. وفي نفس التاريخ من عام ١٩٨٣ أصدر الفاتيكان الدستور والقوانين الجديدة المعدِّلة لقوانين عام ١٩١٧ وصدرت في ١٧٥٢ مادة بالإضافة إلى بعض القوانين والإجراءات المكملة[٧].

توابع صياغة القوانين:

يأخذ القانون مجراه وأثره ويصير مُلزماً على كل أعضاء الجماعة حالما يُنشر، مع إعطاء الزمن اللازم – أدبياً – ليصير معروفاً من الكل، إلا إذا حدد المشرِّع زمناً محدداً يصير عنده أو بعده مُلزماً وبعده لا أحد يمكنه أن يدَّعى الجهل بالقانون، والمقصود الجهل بالأمر الذى يحتمه القانون وليس بالقانون نفسه.

وكل واحد يتبع المشرِّع مُلزم – بالضمير – بمراعاة القانون. أما التعدي على القانون إما بإلغائه أو بالفعل، فهو مستحق التأديب بالعقوبة المناسبة. وهذه العقوبة تُحدَّد من قبل بواسطة المشرِّع، أو تُترك لتقدير القاضي الذى يفرضها بناءً على معايير وظروف محددة يحددها القانون. والتعدي على القانون الأخلاقي أو على ما يحكم به ضمير الإنسان أنه قانون أخلاقي هو خطية كما في حالة أعضاء الشعب (من يسمَّون بالعلمانيين) وفي هذه الحالة يسمى الجزاء "تأديب كنسي" والمقصود به ترقية المؤمن في درجة حساسيته للخطية وتأهيله في التقدم في حياة البر، أما التعدي على القانون الخارجي الوضعي أي المراسيم الكنسية كما في مخالفات رجال الإكليروس، فيوضع هذا الإنسان تحت حكم العقوبة الكنسية، فإن كانت مشيئة المشرِّع هي فقط أن يفرض عقوبة على المخالف من هذه الطغمة، فالقانون هنا يسمى "قانون عقوبة"، كما في بعض القوانين التي تصدرها الهيئة التشريعية في الدولة. وبعض القوانين الكنسية هي من هذا النوع.

وكما أن المعمودية هي المدخل إلى المجتمع الكنسي، كذلك فكل المعمَّدين خاضعون لقوانين الكنيسة، وعلى الأخص في القوانين المختصة بالزواج.

---

(٧) الترجمة الإنجليزية: ***Code of Canon Law annotated*, Ed. By E. Caparros, M. Thriault, J. Thorn, Wilson & Lafleur Limite, Montral, 1993**

الفصل الثاني

في فلسفة القانون الكنسي

القانون الكنسي بين الإفراط والتفريط

هناك نوعان من المواقف في ممارسة وتطبيق القانون الكنسي:

١- إما التعسف أو التزمت أو التحجر في استخدام القانون الكنسي، إلى حد العبودية له وإساءة استخدامه.

٢- أو التمرد على فكرة القانون الكنسي والرغبة في التحرر منه أو محاولة تجاهله أو تطويعه للآراء الخاصة.

ولكي نناقش كلا الموقفين لنصالحهما مع روح وجوهر القانون الكنسي، فسوف نوضح بعض **المبادئ التي يقوم عليها القانون الكنسي**، وهى مبادئ تختلف اختلافاً جوهرياً عن المبادئ التي تقوم عليها القوانين العلمانية لتنظيم المجتمع أو الدولة أو المؤسسات العلمانية خارج الكنيسة.

ولسهولة واختصار التعبيرات سنرمز للموقف الأول بكلمة "**عبد القانون**"، وللموقف الثاني بكلمة "**عدو القانون**".

أما الموقف الصحيح في التعامل مع القانون وتطبيقه فهو احترام القانون مع الالتزام بروح القانون، التي تُعبِّر عنها المبادئ الثلاثة التالية، وصاحب هذا الموقف هو في هذه الحالة نسميه: "**خادم القانون**".

المبادئ التي يقوم عليها القانون الكنسي

المبدأ الأول:

القانون الكنسي ليس هو مصدر تأسيس الكنيسة.
بل القانون الكنسي يعبِّر عن طبيعة الكنيسة ومهمتها.

أي أن الكنيسة لم تتأسس بموجب قانون كنسي (مثل باقي المؤسسات المدنية) بل بمقتضى تجسد المسيح بالمشورة الأزلية لله الآب والابن والروح القدس.

إن كلا الموقفين: موقف عدو القانون، وموقف عبد القانون، يبدوان موقفين متحيزين. وهما يشتركان معاً في بعض المعالم. فأولاً: هما يشتركان معاً في نفس الفهم الخاطئ للقانون الكنسي، أو في سوء الفهم لماهية قوانين الكنيسة. وسوء الفهم قائم على إساءة فهم أيضاً لطبيعة الكنيسة ومهمتها في للعالم.

فعبد القانون يبدو أنه يختزل الكنيسة إلى مجرد مؤسسة مثل باقي المؤسسات في المجتمع البشرى. فهو يرى الكنيسة كأنها منتدى أو جمعية أو مؤسسة على أي شكل من الأشكال، ويرى في قانون الكنيسة أنه الدستور وبمثابة قانون العقوبات المناسب لهذه المؤسسة، وأن هذه القوانين والواجبات هي دستور أعضاء هذا المنتدى، وهيكل السلطة فيه هم الموظفين المختلفين المنوط بهم تنفيذ القانون. فالشخص هنا يُرى كأنه يحمل بطاقة "عضوية" الكنيسة بمقتضى بيان الديانة في بطاقته الشخصية أو ممارسته أسرار الكنيسة أو دفعه اشتراكه في مالية لجنة الكنيسة... وهكذا.

إن مفهوم "**عبد القانون**" هذا عن الكنيسة شئ مُبالَغ فيه حقاً. فالكنيسة في حقيقتها ليست مجرد منتدى أو مؤسسة أنشئت بموجب قانون الكنيسة. لكنها تتميز عن باقي المؤسسات في المجتمع البشرى، بمؤسسها الإلهى الرب يسوع المسيح الإله المتجسد. والإنسان في الكنيسة مدعو كل حين إلى تثبيت عضويته في الكنيسة بالشركة مع الله، أو الشركة في الطبيعة الإلهية، حتى يكون له التبني بالنعمة ما هو لابن الله بالطبيعة. فالعضوية في الكنيسة ليست مزايا ولا هي حقوقاً أو واجبات بل هي دوام علاقة شخصية بالله، أنها علاقة الحياة الحقيقية، الحياة المستمدة من الحياة الإلهية نفسها، إنها حياة الشركة التي يغذيها الروح القدس، وينقلها للمؤمنين من خلال وسائط النعمة المختلفة: الصلاة، كلمة الله، الأسرار، المحبة... الخ.

إذن، ينبغي أن نحترس من سوء فهم "**عبد القانون**" هذا القائم على سوء فهم لطبيعة الكنيسة وطبيعة علاقة الأعضاء فيها بالرأس والمؤسس والأساس الذى هو المسيح.

ناموس المسيح، مقابل ناموس موسى:

ولكن ماذا عن الموقف الآخر الذى سميناه على سبيل الاختصار "**عدو القانون**"؟ **فعدو القانون** يعتبر القانون الكنسي غريبا عن روح العهد الجديد وعن الحرية في المسيح التي حررنا بها المسيح من الناموس (الناموس هو القانون)، فنحن نعيش تحت الإنجيل فلا قانون علينا.

وكما يقول هؤلاء، فإننا لا نعيش بعد تحت القانون، نحن نعيش تحت العهد الجديد وليس تحت العهد القديم. كثيرا ما تواجه الكنيسة مثل هذا الموقف. ولكن الحقيقة هي أن هذا ليس مفهوم العهد الجديد ولا مفهوم القديس بولس ولا أي رسول أو أحد البشيرين. فحينما تكلم القديس بولس عن الحرية، فهو كان يعنى قبل كل شئ الحرية من العبودية للخطية والموت والشيطان. وبينما كان يرفض أي اتكال على ناموس موسى، وعلى الأخص في شقه الطقسي الذبائحي، نجده يطالب المسيحيين بأن "يتمموا الناموس (أو قانون) المسيح" (غلا٦: ٢).

وما هو ليس واضحا لعدو القانون هو روح قوانين كنيسة العهد الجديد. فإن الكثير من قوانين المسيح برزت أو تفوقت على مثيلاتها في كنيسة العهد القديم، سواء في روحها أو في نصها، بل وتخالفت مع الروح الناموسية لناموس موسى. فمثلا نقرأ في سفر اللاويين أن ناموس موسى استثنى من استحقاق الخدمة الكهنوتية كل من كان ذا عاهة جسدية: «ولكن إلى الحجاب لا يأتي، والى المذبح لا يقترب. لأن فيه عيبا لئلا يدنس مقدسي» (لا٢١: ٢٣). بينما العكس صحيح وواضح في قوانين الكنيسة، فالقانون رقم ٧٧ من قوانين الرسل ينص:

[وليس يمنع أن يصير أسقف أعور ولا أعرج، إذا كان يصلح لهذا الأمر. لأن عيب البدن ليس بعيب، وإنما عيب النفس] (قوانين الرسل على يد إكليمنضس).

مبدأ قانوني: قوة العقوبة الكنسية تتحدد على قدر نية المخطئ ووضعه الروحي العام وقدرة احتماله. ولا مقاطعة للخاطئ الذي لا يتوب:

ويمكن للفاحص المدقق أن يتأمل في كيف تتعامل القوانين الكنسية مع الخاطئ الذى تضع عليه الكنيسة قانون توبة. فإن بنودها ليست مثل بنود معظم قوانين العقوبات الجنائية التي

توقع فيها العقوبات **على قدر جسامة الخطأ**. بالعكس فإن قوانين الكنيسة تأخذ في الاعتبار **نية المخطئ ووضعه الروحي العام وقدرة احتماله**. ثم إن مفهوم قوانين التوبة هو أنها علاجية أساساً أكثر من كونها تكفيرية أو عقابية [1]، فهي بمثابة أدوية للمرض الذى هو الخطية [2]، **وليست مجرد استيفاء حق المجتمع من المخطئ كما في قوانين العقوبات المدنية**. أنظر إلى البروتوكول الذى يرسمه القانون الكنسي لمعاملة الخاطئ والمخطئ في الكنيسة قبل توقيع العقوبة عليه. فهو لا يوقع عليه العقوبة تعسفاً أو غيابياً ويتركه وشأنه أو يقاطعه ويرفض مقابلته وكأن لا شأن للكنيسة به إلا أن تستوفي حق القانون الكنسي منه وعليه.

لا.. على الإطلاق، بل إن المشرع الكنسي وبروح الرعاية الصالحة التي "**تطلب وتخلص ما قد هلك**" ترسم التدبير الذى يسهِّل على المؤمن تأدية توبته على الوجه الصحيح، حتى لا يُبتلع من اليأس من فرط الحزن، أو من الحنق من فرط الغضب. فهو أي القانون الكنسي يرسم كيف يمارس الشمامسة مهمة التعامل مع المخطئ أو الخاطئ إلى أن يعود:

[وأنت (الكلام موجَّه إلى الأسقف) إذا رأيت الذى أخطأ، فاحرد (أي تظاهر أن تغضب) يسيراً، ومُرْه أن يخرج. فإذا خرج، فليكن الشمامسة "غضابى" عليه وليطلبوه، ويأخذوه خارج الكنيسة، وليدخلوا فيسألوك من أجله. لأن المخلص كان يسأل أباه من أجل الذين أخطأوا، كما كتب في إنجيل: "يا أبتِ، اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما الذى صنعوه". حينئذ تأمر أن يدخل، وتفحص ما إذا كان يتوب، أو بالجملة يستحق أن تقبله إليك في الكنيسة، وإذا ما حددت عليه أن يصوم أياماً كما تستحق خطيته... هكذا أتركه وعرِّفه الواجبات التي تجب على الذى أخطأ ليتأدب] **الدسقولية (٤: ٥،٦)**.

[وهكذا يجب أيضاً أن تصنع بالذين يتوبون عن خطاياهم، أي نفصلهم زماناً محددا

---

(١) بحسب تعليم الإنجيل وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية. فإنه بعد ذبيحة الخطية التي قدمها المسيح – له المجد – في جسده على الصليب كفارة وفداءً عن خطايانا، لا تعود هناك حاجة ولا فائدة لأية ذبيحة أو كفارة أو عقوبة أخرى يدفعها الإنسان أو غيره بقصد إيفاء عقوبة الخطية وهي الموت الأبدي. فذبيحة الصليب – بحسب عقيدتنا الأرثوذكسية – واحدة وحيدة، وكافية، لا تضارعها أية ذبيحة من ذبائح العهد القديم المتعددة المتكررة. ولن توفيها أية "عقوبة" [illegible] مهما وصلت إلى حد موت الإنسان الخاطئ. أما العقوبة الكنسية للمخطئ ضد القوانين الكنسية فهي لإعلان جحد الخطأ. وردع المخطئ. وليكون عند الباقين خوف (١ تي ٥: ٢٠)

(٢) الدسقولية وقوانين الرسل تبث أيضا في الأسقف إحساسه بأنه "طبيب" للنفوس أكثر من كونه رئيسا أو آمراً أو متسلطاً وحاكماً – راجع: *التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة*، للمؤلف، صفحة ١٤٤-١٤٥

كمقدار خطيتهم، وبعد هذا إذا تابوا نقبلهم إلينا كما يقبل الآباء أبناءهم إليهم] الدسقولية (٤: ٨).

☩ وحتى الخاطئ الذي لا يتوب وتكثر خطاياه، إقرأ ماذا يقول الرسل للرعاة بخصوصه:

[الذى أخطأ يا أسقف وأخرجته بجُرمه لا تَدَعه خارجاً بل رُدَّه إلى الكنيسة،

والذي ضلَّ اطلبه،

والذي لا يُرجَى خلاصه لكثرة خطاياه لا تدعه يهلك بالكلية.

وإن أمكن الأسقف فليحمل خطية الخاطئ على نفسه ويصيِّرها له هو خاصة ويقول للمذنب: ارجع أنت وأنا أقبل الموت عوضَك مثل سيدي المسيح الذى مات عني وعن الكل.

إن الراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه. والأجير الذى ليس هو راعياً وليست الخراف له إذا رأى الذئب مقبلاً الذى هو ابليس يترك الخراف ويهرب فيخطفهم الذئب. عدّ الخراف واطلب الضال كالرب القائل إنه يدع التسعة والتسعين على الجبل ويمضي يطلب الضال. فإذا وجده يحمله على عاتقه ويدخل به إلى الماشية وهو مسرور]

فعدو القانون، إذن أساء قراءته القوانين الكنيسة، أو هو في الواقع لم يقرأها كلها، أو قد يكون عدم فهمه لروح القوانين هذا جعله لا يلحظ **الخيط الذهبي الروحي الرعوي العلاجي الذى يتغلغل ويربط قوانين الكنيسة من أولها لآخرها**. أو لعله رأى في عبد القانون ما يضاد روح الكنيسة وطبيعتها على حقيقته فاتخذ موقفاً عكسياً وأمعن في المضادة فصار **عدواً للقانون!**

قوانين الكنيسة منسجمة مع غاية الكنيسة ومهمتها في العالم:

إذا كان عبد القانون – كما قلنا – ينظر إلى الكنيسة كأنها مؤسسة فحسب، فيتجاهل، أو هو جاهل فعلاً بغايتها، أو هو يرى هذه الغاية مشوهة لتتناسب نظرته هذه مع سوء فهمه، فإن عدو القانون من الجهة الأخرى – مقتنع بأنه يفهم جيداً غاية الكنيسة ومهمتها الخلاصية في العالم، لكنه حسب ادعائه يجد أن الكنيسة كمؤسسة ذات قوانين وحدود لا تتناسب معها وهى معطِّلة لغايتها ومهمتها في العالم. فهو يرى أن غاية الكنيسة ومهمتها الحقيقية هي أن "**تساعد**" الناس في مشاكلهم المتعددة. (وكلمة "يساعد" مقتبسة من قاموس مصطلحات الخدمة الاجتماعية التي سيطرت على طريقة خدمة الكثيرين في السنين الأخيرة). أما مؤسسة الكنيسة

وقوانينها فإنه يمكن تجاهلها وأحياناً تخطيها ومخالفتها (بألف عذر وحجة) من أجل بلوغ الغاية التي يراها عدو القانون أنها نافعة للكنيسة.

وهنا نأتي إلى السؤال الجوهري:

† ما هي العلاقة بين بنيان الكنيسة القانوني وطقس الكهنوت المقدس وبين واجبها الخلاصي؟ هل بنيان الكنيسة الكهنوتي والقانوني ومعايير السلوك في الكنيسة بلا هدف روحي؟ أو أنه لا علاقة لهما مع واجب الكنيسة في جعل عمل الله حاضرا وسط العالم؟.

إن الكنيسة بحكم معنى كلمة "كنيسة" وهى كلمة سريانية قديمة تعنى ليس مجرد تجمع لبعض الأفراد، ولكنها بحسب دقة اللفظ أنها جماعة مختارة مدعوة أن تجتمع وتلتئم معاً. فالكنيسة مدعوة أن تجتمع وتلتئم معاً. فالكنيسة هي فعلاً تجمُّع وجماعة ومؤسسة، لكنها ذات طبيعة خاصة مختلفة تماماً عن مثيلاتها من تلك التي تحمل نفس الاسم، فقد وصفها الإنجيل وكتابات آباء الكنيسة بأنها فلك نوح لخلاص العالم، والبناء على الصخر، والأم والعذراء والخليقة الجديدة، وأورشليم السماوية.. وفوق كل هذا فهي جسد المسيح ذو الأعضاء الذين دُعوا ليلتئموا ويجتمعوا ويتحدوا بالجسد المقدس الذى رأسه المسيح.

يترتب على ذلك أن الكنيسة ليست ذاتية الحركة أو الحياة. فأي مجتمع يحيا ويتحرك ويوجد بقوة الدفع الذاتي من أعضائه. ولكن الكنيسة تستمد حياتها ووجودها **من مؤسسها الإلهى الرب يسوع المسيح**، وأعضاؤها يتغذون دوماً على الحياة الإلهية النازلة من الرأس على الجسد. فالكنيسة ليست فقط شركة بين أعضائها بعضهم لبعض بل أولا هي **شركة مع الرأس**، وبعد ذلك يمكن أن يكون فيها أيضاً **شركة بين الأعضاء بعضهم مع البعض**، هذه الشركة مع رأس المسيح التي تكمل بالروح القدس، هي التي تحوِّل تجمُّع الأعضاء في الكنيسة إلى أن يكونوا هم الكنيسة، شعب الله، جسد المسيح. ومن هذا النمط تنبع قوانين الكنيسة لتعِّبر عن وتصون طبيعة الكنيسة في حياة أعضائها باعتبار الكنيسة هي جسد المسيح المحيى والمفعم والممتلئ والمالئ بالروح القدس حياة أعضائها.

هذه الصورة ترسمها بوضوح جداً الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، حيث يعالج القديس بولس الرسول مشاكل الكنيسة والسلوك الشخصي اليومي للمؤمنين بجعله اسم وشخص "المسيح" في أفق خلفية الحياة الكنسية بوجه عام. واليك الأمثلة:

- ففي مشاكل "**النزاع**" و "**الخصام**" يسأل القديس بولس: «هل انقسم **المسيح**؟»

- **وفي آداب الحضور داخل الكنيسة أثناء تقديم الإفخارستيا، يسترجع كلمات المسيح**

لتأسيس الشكر (١١: ١٧-٢٦).

- وعن مشاكل القضايا الأخلاقية: «أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟» (٦: ١٥).

- وعن مشاكل الخلط بين الحياة حسب الإنجيل والحياة اللاهية حسب العالم: «لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين» (١٠: ٢١).

- وعن مشاكل الخدمة داخل الكنيسة جسد المسيح:

«وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً، فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين...» (١٢: ٢٧-٢٨).

إن بولس الرسول يمس هنا كل المشاكل التي واجهها في عصره، والتي نسميها نحن الآن مشاكل قانونية، لكن ليس بطريقة القانون "الجافة" التي يستخدمها "عبد القانون"، بل إن القديس بولس يرى أن الجماعة المنظورة التي لها قوانينها لا يمكن أن تفترق عن الحقيقة غير المنظورة التي هي المرجع الحقيقي لهذه القوانين والتي تستمد منها معناها وقوتها. هذه الحقيقة هي "سر المسيح" و"جسد المسيح" و" حياة المسيح فينا".

فإذا تماشينا مع طريقة القديس بولس فسوف نتفادى سوء الفهم الذى وقع فيه عبد القانون وعدو القانون كلاهما على حد سواء، بل سنقترب إلى المعنى الذى كان يحمله "قانون الكنيسة" في الكنيسة الأولى. إن كلمة "قانون" في أصلها اللغوي القديم كانت تعنى المسطرة التي نقيس بها أيضا استقامة الخطوط والأشياء. لذلك فكلمة "قانون" لا تعنى "قاعدة" فحسب بل أيضاً "استقامة" السلوك. فالقانون هو مقياس للاستقامة ولصدق المعتقد وصحة العقيدة وسلامة الأداء والعمل والسلوك. وكما قال القديس بولس معطياً الغبطة والسلام لمن طبقوا القانون على حياتهم وسلوكهم هكذا: «فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله» (غلا٦: ١٦).

فالقانون الكنسي في مفهومه الصحيح يضبط حدود مهمة الكنيسة في العالم ويصون طبيعتها من انحرافات الأعضاء من شعب وإكليروس بسبب ضعفهم البشرى، وهو لا يعطل - بل هو يدفع إلى الأمام - الكنيسة لبلوغ غايتها من أجل توبة الخطاة وخلاص العالم أجمع.

المبدأ الثاني:

ارتباط القوانين الكنسية بالعبادة

مما هو جدير بالملاحظة الطريقة التي تربط بها وثائق الكنيسة الأولى الأمور القانونية بالليتورجيا – أي العبادة الجماعية حول سر الإفخارستيا. فالكنيسة كجماعة ليست منفصلة عن عبادتها وممارساتها السرائرية أي عن أسرار الكنيسة. بل وحتى مناقشة الأمور المالية للكنيسة مثل تقديم الباكورات والعشور والنذور، فإنها تقدَّم في إطار صلوات ليتورجية مناسبة (راجع التقليد الرسولي لهيبوليتس ٢٨).

والدسقولية تتناول بإسهاب ما يمكن وصفه بالقضاء الكنسي أو المحاكم الكنسية بأسلوب الوعظ الروحي الذى يربط الحياة الروحية للمؤمنين بشركة سر الإفخارستيا وهناك مثال على ذلك من كلمات الدسقولية:

(يخاطب أولاً المؤمن إذا كانت بينه وبين آخر خصومة)

[وأنت إذا ذكرت الظلم، وحفظت العداوة، وأردت أن تتحاكم معه لأجل الغضب، فإنك تمنع صلاتك من أن تصل قدام الله.]

(ثم يخاطب الأساقفة باعتبارهم رؤساء الاجتماع الإفخارستي كل واحد في إيبارشيته):

[لأجل هذا، أيها الأساقفة، إذا أردتم أن تحضروا الصلاة، فليكن الشماس واقفاً بجانبكم، وليقل بصوت عظيم: "**لا يترك أحد بينه وبين أخيه لائمة ولا غش ولا رياء**"، **لكي إذا كان في وسط قوم من الحاضرين خصومة**، تنخسهم سريرتهم إذا ما سمعوا (هذا النداء)، فيطلبون إلى الله ويصطلحون مع اخوتهم] – الدسقولية ٩: ٣،٥

وبنفس الطريقة تربط وثيقة "التقليد الرسولي" أحكام السلوك المسيحي بمناقشة لشئون الموعوظين، ثم يبدأ فوراً في الصلوات ومراسيم المعمودية والإفخارستيا. وهكذا وبطريقة فريدة، فإن المطالب الأخلاقية المسيحية توضع في إطار منسق مع سر الفصح المسيحي والمشاركة في جسد المسيح وسر المعمودية.

المبدأ الثالث

" الرجوع" إلى القوانين المسلَّمة من الرسل وليس "وضع" قوانين جديدة.

القانون يفترض وجود قاعدة عامة مطلقة أو معيار قديم قِدَمَ الكنيسة نفسها تسلمناه كجزء من

التقليد ويشير القديس باسيليوس الكبير (القرن الرابع) في رسائله القانونية المعتبرة أحد مراجع القانون الكنسي إلى هذا المعيار القديم بواسطة هذه التعبيرات: "ما تعلمناه من القدماء" و "ما قد تعلمناه" و "ما سلمنا إياه الآباء" (وهذا التسليم هو ما نسميه نحن الآن "التقليد"). ومما لا مراء فيه، أن أي قانون كنسي قد يكون قانوناً قديماً مسلَّماً قد أعيدت صياغته أو تشكل بطريقة تناسب مشكلة معاصرة، ولكنه على أي حال لا يكون قد وُضع كقانون جديد، لا بواسطة القديس باسيليوس ولا من غيره من المشرِّعين الكنسيين. إن التقليد هو مقياس الكنيسة الجامعة. وهو يظل هكذا دائماً. لقد روعي في كل مكان منذ عصر الرسل، وإن كان ثمة قانون قد "وُضع" فقد وضع بواسطة الرسل أنفسهم، وبعد ذلك "وُجد" لدى الذين أتوا بعد عصر الرسل. هذا التأكيد على الصفة التقليدية لقوانين الكنيسة يعود على الوثائق الرسولية الأولى ذات الصبغة القانونية مثل: "**الديداخي**" و "**التقليد الرسولي**" لهيبولتيس (أو أبوليدس – حسب النطق العربي في المخطوطات القديمة) و "**الدسقولية**" و"**قوانين الرسل**" على يد كلمنضس (والمقصود القديس كليمنضس الروماني أسقف روما في القرن الأول والذي خلف القديس بولس والقديس بطرس الرسولين العظيمين على كرسي روما – ويسمى في النطق العربي إقليمس).

وتكتب الدسقولية في مقدمتها هكذا:

[نحن الاثني عشر رسولاً لهذا الوحيد الواحد الابن الذى لله الآب ضابط الكل ربنا ومخلصنا يسوع المسيح لما اجتمعنا معاً إلى أورشليم مدينة الملك العظيم، ومعنا أخونا بولس الإناء المختار ورسول الأمم ويعقوب أخو الرب أسقف هذه المدينة الواحدة أورشليم، وقررنا هذه التعاليم الجامعة، هذه التي حددناها لكل طغمات الكنيسة..الخ].

فالقوانين الرسولية هي الأساس، وما تتابع بعدها كان مبنياً عليها ومفسراً لها، وليس تغييراً لها.

فهذه المعالم التقليدية التي وجدناها في التعبيرات المستخدمة لدى القديس باسيليوس الكبير نجدها مؤكدة أيضاً في الرسائل القانونية لباباوات الإسكندرية الأوائل، من أواخر القرن الثالث وما بعده، وكذلك بابوات روما من أواخر القرن الرابع. فهذه الرسائل – بخلاف القوانين الرسولية – لا تحاول أن تقدم إرشادا كاملاً لحياة الكنيسة وعبادتها، بل هي تتناول بعض المشكلات الخاصة المستجدة، مثل قبول توبة الجاحدين والخطاة إلى شركة الإفخارستيا. وهي في معظمها حينما تتعامل مع المواقف الجديدة، لا تحاول "وضع" قوانين جديدة، بل أيضا

”ترجع“ إلى قوانين الكنيسة الأولى، سواء ما ورد منها في الأسفار المقدسة أو في التقليد.

ونفس هذا الأسلوب نجده متبعاً في أعمال المجامع. فسواء كانت المواجهة مع مشاكل خاصة في حياة الكنيسة، أو مع نزاعات وقضايا، فقد كانت المجامع تتبع القوانين القديمة وتطبقها. فإن المجمع كان يذكر بالتحديد القانون ويبين طريقة تطبيقه في الحالة المعروضة عليه.

+ وكمثل لهذا قانون مجمع نيقية المسكوني الأول، رقم ١٠:

(وهو يختص بكاهن، لم يكتشف الآخرون إلا مؤخراً أنه كان لا يستحق الكهنوت)

[أيما رجل كاهن كان قد جحد (أثناء الاضطهاد)، إما جهلاً منه بحدود الكنيسة أو لتهاون منه وتوان بالدين واستخفافاً لمن صيَّره في ذلك.. فلا يعتبر قطعُه إجحافاً بالقانون.. بل يُقطع إذا عرفت عنه هذه الحالات التي ذكرنا]

هذا القانون يوضح الحذر الذى كان يحيط بالآباء وهم يطبقون القانون، فيحرصون أن يوضحوا أن قطع هذا الكاهن من الكهنوت بعد مدة كبيرة من رسامته لا يجحف بالقانون القديم الذى يمنع ذلك، وذلك نظراً لهذا الظرف الاستثنائي وهو أنه كان من الجاحدين ولم يكن يستحق أصلاً تقديمه لرتبة الكهنوت.

+ وهذا أيضاً مثل آخر على مقاييس عملية جديدة بنيت على القوانين القديمة. كما ورد في القانون رقم ٥ من مجمع نيقية سالف الذكر. فمن المعروف أن الذى يحاكم الكاهن أو عضواً من الشعب هو أسقفه، فإذا حرمه أسقفه فلا يصح لأسقف آخر أن يحله. هذا قانون قديم قدم الرسل أنفسهم.

ولكن ماذا إن كان الأسقف قد حرمه لا عن حق بل عن ”خصام ومنازعة أو عن أية نية غير طيبة في الأسقف الذى حرمه“ ؟

هذا وضع جديد واجه آباء الكنيسة في القرن الرابع ولم يكن موجوداً أيام الرسل، فكيف عالجه الآباء؟ هذا هو القانون (رقم ٥ مجمع نيقية) بالنسبة لأولئك الذين أُفرزوا في الإيبارشيات المختلفة، سواء كانوا من الإكليروس أو الشعب، فليراعَ حكم القانون لدى الأساقفة، الذى يشترط أن المفروزين بواسطة أحد لا يُحلون من أحد آخر. على أنه في هذه الحالة يجب المساءلة عما إذا كان فرزهم عن خصام أو منازعة أو عن أية نية غير طيبة في الأسقف الذى حرمه. وحتى يمكن استقصاء الأمر، تقرر أن في كل مقاطعة يجب أن تنعقد المجامع مرتين في العام، حتى إذا ما اجتمع كل الأساقفة معاً، يمكن فحص مثل هذه المسائل بينهم بإمعان، وهكذا يتبين لهم إن كان

أسقفهم أفرزهم عن غضب فقط أو لأي سبب عادل قد أُفرزوا، إلى أن يبدو أمام اجتماع الأساقفة العام إذا كان من المناسب أن ينطقوا بحكم أخف عليهم.

[ولتنعقد هذه المجامع مرتين في العام: المرة الأولى قبل الصوم الكبير حتى أن التقدمة الطاهرة تقدم لله بعد زوال المرارة، والثانية تعقد في الخريف].

" تقرر... ". إن القانون الكنسي جزء من تشريع كنسي قديم. فمجمع نيقية وهو أول وأكبر المجامع المسكونية (بل يُعتبر أنه المجمع الأساسي الذى تستند إليه كل المجامع المسكونية اللاحقة). وكذلك المجامع الأخرى، هذه المجامع كانت تسمى ما تصدره من معايير "حدود" و "قرارات"، ولم تستخدم كلمة "قانون" إلا للإشارة للقانون الرسولي القديم.

فالرجوع إلى القوانين الرسولية هو المرجع والأساس لوضع معايير جديدة لما يستجد من أوضاع جديدة في الأجيال الجديدة، بالعلم المستنير لعلوم البيعة المقدسة وبالحكمة الرشيدة في إصدار القرارات، والأهم من كل ذلك بالقراءة الصحيحة لقوانين الكنيسة القديمة، والإمساك بالخيوط الذهبية التي تتغلغل في القوانين بما يجعلها تعبر عن طبيعة الكنيسة ومهمتها الإلهية من أجل خلاص العالم وتصونها.

بهذه المبادئ الثلاثة نعتقد أن ممارسة واستعمال القانون الكنسي يمكن أن يفي بالغرض الذى وُضعت القوانين من أجله، وبذلك يمكن أن يستقر السلام والحق في بيعة الله، وتنتفي المنازعات والخصومات التي طالما عطلت الكنيسة عن تكميل دعوتها وتنفيذ مهمتها التي أمرها بها رأسها ورئيسها وصخرة إيمانها، ربنا يسوع المسيح.



الفصل الثالث

المحاكم الكنسية

سلطان القضاء في الكنيسة

١- أصل السلطان الكنسي

حينما أسس المسيح الكنيسة كمجتمع روحي متكامل متميز عن السلطة الزمنية ومستقلة عنها وإن كانت تخضع لها بحكم وجودها في العالم، أعطى لها سلطان التشريع والقضاء والتنفيذ لتمارسه على أعضائها بدون تداخلها مع سلطان المجتمع المدني. ولأنه لا يمكن أن توجد قوانين بدون قوة أو سلطان لتنفيذه، لذلك فإن سلطان تنفيذ قوانين الكنيسة يكمن في سلطان المحبة التي تظهرها الكنيسة تجاه أعضائها وسلطان الطاعة التي يظهرها المؤمنون – طواعية – تجاه الكنيسة. ويظهر هذا الوضع منذ البداية باستقراء كلمات القديس بولس الرسول في (١ كو٦: ١-٨): «أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين ... فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة فأجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة (...) أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضى بين اخوته...». فإن كان الأمر يختص "بأمور هذه الحياة"، فكم بالأحرى ما يختص بالكنيسة ونظامها وتوبة المؤمنين.

والآن، فإن إنزال عقوبة على إنسان مؤمن في الكنيسة (سواء كان من رتبة الإكليروس أو من رتبة الشعب) لابد أن يفترض مسبقا أن هناك دليلا على خطئه، طالما أنه بحسب القانون المدني هناك المبدأ القائل **"المتهم برئ إلى أن تثبت التهمة"**، **"ولا إدانة لأحد إلى أن يثبت خطؤه"**. وعلى هذا فإن الكنيسة وهى تستعمل سلطان التشريع وتنفيذ العقوبة فإنها لابد أن تمارس أيضا وأولا إجراءات القضاء والمحاكمة بحسب العدالة المرعية في المجتمع المدني كما أوصى بذلك كتاب **"الدسقولية"**[١].

وقد استخدمت الكنيسة على مدى التاريخ هذا السلطان بواسطة أساقفتها والمجامع والقضاة الكنسيين. والقديس بولس الرسول يشير إلى إجراءات المحاكمة العادلة حينما يحذر تلميذه

---

(١) الفصل الثامن: ٨٦، *الدسقولية*، إعداد وتعليق دكتور وليم سليمان قلادة، ١٩٨٩، ص. ٥١١

الأسقف تيموثاوس «لا تقبل شكاية على شيخ (بريزفيتيروس أو قس) إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود» (١ تي ٥: ١٩)، أي بحضور شاهدين أو ثلاثة. وفي القرن الثالث نجد أول محاكمة رسمية لرجل من رجال الكنيسة الكبار: بطريرك أنطاكية بولس السموساطي (٢٦٨م.) قبل إنزاله عن درجته وقطعه. ومجمع إلفيرا (سنة ٣٠٠) يهدد بالطرد والقطع كل من يتهم أسقفاً أو كاهناً أو شماساً ويخفق في إثبات التهمة. ويناقش مجمع قرطاجنة (سنة ٣٩٧) التعليمات المختصة باستئناف القضايا. ويصف مجمع قرطاجنة الرابع (عام ٣٩٨) الطريقة التي يمارس بها الأساقفة سلطان القضاء الكنسي. وأخيراً ففي مراسيم الرسل التي تمثل بلا أدنى شك الممارسة القديمة للكنيسة، نجد أننا هنا أمام إجراءات قضاء محددة لممارسة المحاكمات، وطريقة وإجراءات هذه المحاكمات وتفاصيل أخرى.[٢]

٢- التطور التاريخي لهذا السلطان

في القرون الأولى للمسيحية حينما كان المسيحيون مازالوا قليلي العدد، وحينما كان إيمانهم وحياتهم السلوكية الجديدة تحكم حياتهم كتابعين للمسيح بأن يتبعوا وصاياه وأوامره (وأولها أن تكون حياتهم مميزّة ومنيرة أكثر من مواطنيهم غير المؤمنين)، وحينما كان المسيحيون فعلاً قلباً واحداً ونفساً واحدة، فقد كان من المعتاد حينما تقوم مخاصمة أو منازعة بين أحدهم والآخر، أن يقفوا أمام الأسقف ويقبلوا حُكمه. وكان هذا متماشياً مع توضيح بولس الرسول في رسالة كورنثوس الأولى ٥: ١ (الذى ذكرناه من قبل)، الذي يحث المؤمنين ألا يتقاضوا أمام "الظالمين" أي المحاكم المدنية.

وبالرغم من أنه في كثير من الحالات كان الأسقف يقوم بدور الحَكَم المقبول لدى الطرفين أكثر من كونه قاضياً بالمعنى المحدد للكلمة، إلا أنهم لم يكونوا يعقدون محاكمات بمعنى المحاكمة الرسمية. ويزودنا العلامة ترتليانس في دفاعه (Apol. xxxix) بمعلومات عن هذا الأمر بقوله للوثنيين: [الكنيسة اعتادت أن تحذر وتوبخ، إنها مرشد إلهي معَّين من الله، وقراراتها الحكيمة مقبولة من الجميع في حضرة الله]. وهناك أقوال أخرى مشابهة من آباء الكنيسة والمجامع يمكن إيرادها أيضاً. إلا أنه في القرون اللاحقة صارت هناك محاكم كنسية رسمية بالمعنى القانوني للكلمة، ويمكن مراجعة أعمالها في أعمال المجامع وتاريخ الكنيسة.

وبعد القرن الرابع حينما تولى شئون السلطة المدنية مسيحيون، لم تعد هناك الأسباب التي

---

(٢) نفس المرجع السابق.

دفعت القديس بولس أن يحث أو يوصى المؤمنين بتفادي التقاضي أمام المحاكم المدنية في عصره، إذ لم تعد الآن هذه المحاكم المدنية "محاكم الظالمين". وبالتدريج سمحت الكنيسة للمؤمنين أن يسووا خلافاتهم إما أمام المحاكم الكنسية أو المحاكم المدنية. كما أن الأساقفة منذ هذه المرحلة التاريخية الجديدة بدأوا يشاركون السلطات المدنية في سلطان تسوية النزاعات التي تنشأ بين المواطنين. وقد نشر الإمبراطور قسطنطين منشورين قانونيين (سنة ٣٢١، ٣٣١) يسمح فيهما ليس فقط للعلمانيين أن يتقاضوا أمام أساقفتهم، بل قرر أيضاً أن كل القضايا حتى ذلك الوقت والتي من المعتاد فحصها من قِبَل القاضي الإمبراطوري والتي سبق أن حُكم فيها أمام المحاكم الأسقفية، أن تعتُبر أحكامها أحكاماً نهائية.

لكن مع تغيُّر الأوضاع السياسية في الشرق نتيجة الغزو العربي، ثم الغزو العثماني، ثم استقلال دول الشرق وتطبيق النظم الديموقراطية ومن أهم معالمها استقلال القضاء وشموله على كل المواطنين وعدالة أحكامه، أصبحت المحاكم الكنسية مختصة فقط بمخالفات النظام الكنسي من قِبَل الإكليروس. وأصبح لابد من استقرار نظام قضائي كنسي يوازي القضاء المدني. ولأنه إلى الآن لم تنشأ في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مثل هذا النظام كمؤسسة دائمة نتيجة عدم وجود دستور للكنيسة يتضمن ضمن ما يتضمن مبادئ القضاء الكنسي وإنشاء المحاكم الكنسية وتحديد إجراءات التقاضي الكنسي للإكليروس؛

نقدم هذا البحث راجين أن يكون حافزاً للمختصين وكل مَن هو غيور على سلامة الكنيسة وحسن سمعتها في مجال العدالة أن يبدأوا في وضع وإقرار دستور عام للكنيسة ومن بينه نظام مُحكم للقضاء الكنسي.

٣ - درجات المحاكم الكنسية وضرورة تعددها

في كل مجتمع تُصنَّف المحاكم بحسب الطريقتين القديمتين التي يمكن أن تمارس بهما العدالة. فقد يحدث في مجتمع ما أن تمارس العدالة بأن لا تحسم القضية بحكم واحد، بل بموجب عدة أحكام استئناف. فالمحكوم عليه إذا لم يرغب في القبول بالحكم في المحكمة الأولى، فإنه يلجأ إلى استئناف هذا الحكم أمام المحكمة الأعلى درجة، ويمكن لهذا الاستئناف أن يتجدد لعدد من المرات يحددها القانون، فقد يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر من المحاكم التي تُعرض عليها القضية.

وقد يحدث أن يُفصل في دعوى بحكم قضائي واحد حتى في وجود درجات محاكم متعددة، لأن الدعوى بسبب "حجمها" أي بحسب درجة أهميتها يتحدد ما إذا كانت يُفصل فيها لدى

قاضٍ واحد ومحكمة واحدة أو قضاة ومحاكم متعددة.

أو قد يكون هناك نظام مختلط نجد فيه النظامين لإقرار العدالة. وفي الكنيسة يُفضّل هذا النظام المتوسط وهو السائد الآن في الكنائس التي لها نظام كنسي مستقر. فهناك من القضايا ما هو محجوز لحكم المجمع المقدس، ثم البابا كمرجع أخير للحكم النهائي (لذلك لا يليق أن يوجد البابا في موقف الخصم مع أيٍ من أفراد رعيته أو من الإكليروس). ولكن لأن البابا لا يليق أيضاً أن يوجد بنفسه في موقف القاضي، لذلك فقد يوكل هو أيضاً قضاة كنسيين نواباً عنه، فإذا لم يقبل المحكوم عليه بحكم هؤلاء القضاة فقد يسأل مراجعة الحكم من شخص البابا نفسه باعتباره الحضن الأبوي الأخير لكل الإكليروس والمؤمنين.

نظام القضايا العادية:

لكن معظم القضايا الكنسية يجب أن تُعرض على ثلاث درجات من المحاكم الكنسية لا أكثر ولا أقل.

المحكمة الأولى: وهي أمام أسقف الإيبارشية أو من ينوب عنه.

المحكمة الثانية: أمام المجمع المقدس الذي يجب أن يجتمع مرتين في السنة على الأقل للنظر في قضايا الاستئناف من أحكام الأساقفة كما حتم بذلك مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥ م) في قانون (٥). لذلك لابد من تشكيل هيئة مكتب في سكرتارية المجمع المقدس لتلقي الشكاوي وطلبات استئناف القضايا من الإكليروس والشعب لعرضها على المجمع في دورات انعقاده.

المحكمة الثالثة: أمام البابا نفسه أو من ينيبه.

نظام القضايا التي يقف فيها الأسقف مُداناً:

أما القضايا التي يقف فيها أسقف مُداناً فلا يحاكمه إلا المجمع المقدس أو من ينتدبه المجمع من أساقفة كقضاة، كمحكمة أولى.

ثم يكون الاستئناف أمام البابا أو من ينتدبه من أساقفة، ويكون حكمه نهائياً.

أما القضايا التي يقف فيها البابا مُداناً - فهو أمر نادر الحدوث من المحاكم الكنسية الإقليمية وإن كان وارداً حدوثه، فكان يحاكَم أمام مجمع مسكوني أو مكاني يضم أساقفة الكنائس والأراخنة ومقدّمي الشعب والمجالس الملية لتقرير ما يتخذ بشأنه، كما حدث في أيام البابا كيرلس الثالث (القرن الثالث عشر)، وكما حدث في أيام البابا يوساب الثاني (١٩٤٦ - ١٩٥٦).

٤ - بروتوكولات المحاكم الكنسية

البابا والمطارنة والأساقفة بصفتهم يمارسون السلطة القضائية في القضاء الكنسي وينطقون بالأحكام في القضايا المختصة بنظام وطقس وعقيدة الكنيسة.

وقد يكلفون مندوبين كقضاة لسماع القضايا وفحصها. وقد يكون الانتداب لواحد أو لأكثر من واحد من القضاة: وهاتان الحالتان تسميان: حالة القاضي الواحد **In Solidum**، أو حالة القضاة كهيئة **Collegialiter**.

فإن كان المنتدبون هيئة من القضاة **Collegialiter** فسيكون أمامنا هيئة قضاة تتخذ القرارات والأحكام كعمل مشترك. وفي تاريخ الكنيسة – في عصر الهرطقات على الأخص – كانت الأحكام تتخذ من الأساقفة وهم مجتمعون معاً على هيئة مجمع. وفي حالة وجود هيئة قضاة فإنهم يكونون إما ٢ أو ٤ بجانب رئيس المحكمة. وكلما كان عدد القضاة مناسباً كلما كان صدور القرار أسهل وأسرع. وإذا تساوى عدد الأصوات بين مؤيد وغير مؤيد فإن صوت الرئيس يرجح القرار أو يُتخذ القرار الذي يكون في صالح المدَّعى عليه.

وهناك طريقة أخرى تتبع في قانون القضاء الكنسي للكنيسة الرومانية الكاثوليكية حيث يعين الأسقف مندوباً عنه لفحص القضية، على أن لا يتخذ قرار الحكم إلا بعد سماع رأي "المستشارين" ويسمَّون **Assessors**، حيث يجب على هؤلاء المستشارين أن يعلنوا للقاضي كل ما يرونه مؤدياً إلى الحكم العادل. وهذا هو ما ندعو إلى تطبيقه ضماناً لنزاهة الحكم وعدالته وارتفاعه فوق مستوى شبهة التحيز ولا الانحياز.

٥ - القاضي الكنسي

واضح أن القاضي الكنسي يُعتبر في أية محاكمة صاحب الدور الرئيسي، سواء كان منفرداً أو ضمن هيئة قضاة. ويلتزم القاضي الكنسي بتطبيق القانون بين الطرفين المتنازعين:

إما بين المدَّعي وبين الإكليريكي أو العلماني المتعدِّى للقانون،

وإما بين متخاصمين من الإكليروس أو من العلمانيين، وأن يعلن ما هو متوافق مع الحق القانوني الكنسي، وأن يطلب من الأطراف المتنازعة الاحترام والطاعة للقانون والآداب الكنسية.

و القاضي الكنسي بسبب وضعه كخادم عام للحق فإنه يجب أن يكون أهلاً لثقة الجميع، لذلك فيجب أن يراعى الإجراءات القضائية الواجبة، وأن يكون ما يرتئيه من حكم صحيحاً.

وقد أفردنا فصلاً خاصاً لشخصية القاضي الكنسي.

أشخاص لابد من وجودهم بجانب القاضي الكنسي:

يتطلب القانون الكنسي لدى الكنائس المتقدمة في التشريع الكنسي أن يوجد في المحاكم الكنسية أشخاص آخرون حاضرون بجانب القاضي الكنسي، ومنهم على الأقل:

١- الكاتب Notary

٢- المحامي Defender عن الأطراف المتنازعة. ولابد من وقوف محام بجانب المُدَّعى عليه ليصيغ دفاع هذا الأخير بحسب القانون الكنسي ما يؤول به إلى البراءة أو تخفيف الحكم.

وهناك أشخاص آخرون يمكن أن يُدْعَوا بإذن قانوني خاص من القانون من أجل الممارسة السريعة والأفضل للعدالة، مثل:

٣- المستشارون.

وهذا عرض سريع لهؤلاء الأشخاص ومهامهم:

١. كاتب الجلسة (أمين السر) Notary:

وحضوره مهم جداً لأنه مكلَّف بتسجيل كتابةً وبأمانة أعمال ومسار القضية. وهذه الوظيفة هي مجرد وظيفة كاتب ولا سلطان له في اتخاذ أي قرار للمحكمة. وقد يقوم بها شماس أو أرخن. وقد كان لمثل هؤلاء الكتبة دور رائد في عصور الكنيسة الأولى في تسجيل سير الشهداء وأعمال المجامع المقدسة. ويسمى أيضاً "**الكاتب الأول في المحكمة**"، أو "**أمين السر**".

٢- المستشار المساعد Assessor:

وله معنيان، فقد يكون قاضياً ضمن هيئة المحكمة، أو قد يكون مساعداً لرئيس المحكمة في تفسير القانون. وبالمعنى الأخير فإن عمله يقتصر على تقديم المشورة القانونية. وهو يساعد الرئيس في تحصيل معرفة كاملة للقضية. وبموجب هذه المساعدة يسهِّل على القاضي إصدار القرار العادل. ويمكن أن يكون أحد الأراخنة العاملين في السلك القضائي.

الإجراءات الكنسية للتقاضي

أمام المحاكم الكنسية

في الأحوال العادية تكون إجراءات التقاضي كالآتي:

١- يرسل المشتكي (أي شخص من الإكليروس أو من أعضاء الشعب) عريضة يشرح فيها قضيته، في التماس مكتوب يوضح فيه مضمون شكواه ومطلبه. هذا الالتماس يرسَل إما إلى قداسة البابا أو إلى المجمع المقدس إن كان الأمر عاماً يختص بمخالفات كنسية عامة، أو إلى الأسقف المختص إذا كانت الشكوى تختص بأحد الإكليروس في إيبارشيته أو أحد أعضاء الشعب من رعيته.

٢- يفحص متلقي الشكوى (قداسة البابا أو المكتب المختص بالشكاوي بسكرتارية المجمع المقدس) أو (الأسقف المختص) الشكوى ويعطى رأيه فيما إذا كانت تستحق تحويلها إلى القضاء الكنسي أو إصلاح الأمر مع المشتكي. وفي حالة تعذُّر ذلك يحوِّلها إلى القاضي المختص (الأسقف أو البابا أو المجمع المقدس)، أو يتولى أسقف الإيبارشية نفسه القضاء فيها (حسب نوع المخالفة).

٣- يرسل القاضي الكنسي في استدعاء أطراف القضية لفحص الشكوى والتحقيق فيها. ولابد من حضور الأطراف معاً. كما لابد أن يكون الاستدعاء من القاضي نفسه. ويكون الاستدعاء إلى ٣ مرات على الأكثر قبل أن يحكم القاضي - إذا امتنع المستدعَى عن الحضور، بالحكم غيابياً.

٤- المدَّعَى عليه - حينما يستجيب للاستدعاء - يجب أن يقف أمام القاضي، حيث يمكنه أن يقدم "دعوى دفع" ضد المدَّعِي. وفي الموعد الذي يحدده القاضي لنظر القضية يجب على الطرفين: المدَّعِي، والمدَّعَى عليه أن يقفا معاً أمام القاضي.

٥- فإذا اجتمعا أمام القاضي يشرح المدَّعِي بوضوح وبتركيز ما يطلبه من المدَّعَى عليه أو من القاضي إزاء القضية. والمدَّعَى عليه من جانبه إما يقبل ما يدَّعى به عليه المدَّعى أو يرفضه وينكره إما جزئياً أو كلياً.

٦- يحدد القاضي زمناً يقدم فيه الطرفان دفاعهما، ويمكن للقاضي مدُّ هذا الزمن بناء على طلب أحد الأطراف بسبب أنه لم يستطع أن يقدم براهينه. وقد يطلب القاضي الاستماع إلى

شهود أو إجراء تحقيق أو أي إجراء آخر يكشف له أبعاد الحقيقة.

٧- يوازن القاضي بين ما قدّمه الطرفان من بيانات سواء المكتوبة أو الشفوية وما أدلى به الشهود من كلا الطرفين وغير ذلك من إجراءات التعرُّف على الحقيقة، وبعدها يعلن أن باب تقديم الأدلة قد أُغلق ووقت استماع القاضي قد انتهى.

٨- بعد ذلك يرفع القاضي الجلسة ويدرس ويوازن بين طلبات الطرفين وأدلتهما. وفي هذه المرحلة يمكن للقاضي سؤال واستيضاح بعض البيانات من الأطراف، فإن لم يستطع اتخاذ قرار في نفس الجلسة يطلب تكميل أو امتداد الإجراءات بطلب أدلة إضافية. فإن لم تكفى الأدلة يعلن أن المدَّعِي لم ينجح في إثبات ادعائه. ولكن إن وصل إلى قرار نتيجة الإجراءات والأدلة، فلابد - قانوناً - أن يبرئ أو يدين المدَّعَى عليه بالحكم المناسب، بعد أن يستشير المستشارين.

الفصل الرابع

القاضي الكنسي

Judex Ecclesiaticus

القاضي الكنسي هو الذي يحوز سلطة قضائية كنسية، إما بصفته (أي باعتباره أسقفاً) أو بالمعنى المحدد للكلمة إذا كان منتدباً من الأسقف أو البابا أو المجمع المقدس لهذا العمل.

والهيئة الرسمية المفوَّضة من السلطة الكنسية الشرعية لأداء حق العدالة تسمى **"محكمة كنسية"** .(judicium ecclesiasticum, tribunal, auditorium). وكل محكمة يجب أن تتكون من اثنين حلفا القَسَم: **القاضي** الذى يصدر القرار، **وكاتب المحكمة أو أمين سر المحكمة** (scriba, secretarius, scriniarius, notarius, cancellarius)، الذى يقوم بواجب حفظ وتسجيل إجراءات وقرارات المحاكمة.

وكقاعدة عامة، **فإن المحكمة الكنسية** تتشكل من هيئة المحكمة وهم الأعضاء الذين إما يشاركون رئيس المحكمة في إعطاء القرار باعتبارهم قضاة مشاركين أو مجرد مشيرين له كمستشارين ويسمُّون **"مستشارين"**: auditores, assessores, consultores, consiliarii

ومن المفروض بحسب أصول العدالة القضائية المدنية، أن يرتبط بالمحاكم: **المحامون advocates، والوكلاء Procurators والمستشارون القانونيون Syndics وهيئة الدفاع defenders، والمُحضِرون messengers**.... الخ.:

المحامون، هيئة الدفاع والوكلاء: وهم الذين يمارسون عملهم كوكلاء أو كممثلين ومدافعين عن أطراف القضية. ولابد أن تعيِّن المحكمة محامياً للمدَّعى عليه إذا لم يكن له محام وذلك لكي يساعده على تقديم دفاعه بطريقة قانونية صحيحة قد تؤدي في النهاية إلى براءته.

المستشارون القانونيون: وهم هيئة المستشارين للقاضي ويمكن أن يكونوا من الإكليروس الدارسين للقانون الكنسي، أو من الأراخنة المتخصصين في القانون المدني وعلى دراية بالقانون الكنسي، أو المشتغلين في السلك القضائي ويكونون من ذوي السمعة الحسنة في النزاهة وعدالة الأحكام.

كفاءات وشروط القاضي الكنسي:

١ - يجب أن يكون أحد رجال الإكليروس. ولا يُسمح لامرأة أو عضو من الشعب أن يكون قاضياً كنسياً.

٢ - أن يكون ذا معرفة وفهم واسعين بالقانون الكنسي وعلوم اللاهوت عموماً.

٣ - القاضي الكنسي يجب أن يكون ذا سمعة حسنة، وأن لا يكون مفروزاً أو موقوفاً أو تحت حرم كنسي.

٤ - وقبل كل شئ يجب أن يكون غير متحيز، نزيهاً. وأية شبهة تحيُّز تُلصق بالقاضي الكنسي الموكل إليه النظر في قضية ما، أو يكون ذا قرابة دم حتى الدرجة الرابعة لأحد الأطراف، أو إذا كان كاهناً متزوجاً ويكون مرتبطاً بأحد الأطراف بالزواج، أو يسكن في نفس المسكن، أو ذا ودٍ شخصي أو بالعكس يكون على عداوة أو خصومة سابقة نحو أحد الأطراف، فيمكن أن يُرفض (يُردَّ) من أيٍ من الأطراف أو كليهما بدعوى شبهة عدم النزاهة. فإذا أُقيم اعتراض ضد قاض كنسي على أساس التحيز، يجب أن يُقدَّم الاعتراض كتابة وإن أمكن يكون ذلك قبل البدء في الفصل في القضية، وحينئذ فإن المجمع المقدس هو الذي يقبل الاعتراض. فإن كان الاعتراض مقدَّماً ضد مندوب الأسقف فإن القرار يكون في يد الأسقف. فإن رأى المختص أن الاعتراض مقبول وعلى أسس معقولة فإن القاضي يحول القضية إلى قاض آخر أو إلى درجة محكمة أعلى.

فإن كان القاضي الكنسي يفتقر إلى الكفاءات الضرورية ويكون ذلك معروفاً لدى أطراف القضية، فإن قراره يكون باطلا.

٥ - يجب أن يكون القاضي الكنسي مختصاً بما يفحصه من قضايا من جهة الإيبارشية التي يرأسها وخضوع الأطراف له. فمثلاً لا يصح لأسقف أن يحاكم أعضاءً في إيبارشية غيره إلا بتصريح من المجمع المقدس، ولأسباب اضطرارية. وأية إجراءات محاكمة تقام أمام قاض غير مختص تكون باطلة ولاغية.

وأسقف الإيبارشية هو المختص بالمحاكمة الأولى للإكليروس ولأعضاء الشعب التابعين لإيبارشيته.

والمجمع المقدس هو المختص باستئناف أحكام المحاكمة الأولى. وهو المختص بالمحاكمة الأولى للأساقفة.

والبابا هو المختص بفحص الاستئناف على قرار الاستئناف من المحاكمة الثانية للإكليروس والشعب. وهو المختص كذلك باستئناف المحاكمة الأولى للأساقفة.

أما البطاركة الجاثليق التابعون للكرازة المرقسية فالبابا هو المختص بالمحاكمة من الدرجة الأولى.

أما البابا فيُحاكم أمام المجمع المقدس وبناءً على طلب من أغلبية المجمع المقدس والمجلس الملِّي.

- ويجب أن تتحدد المدة التي لا تتعداها إجراءات الفصل في القضية الكنسية بما لا يزيد على سنتين على الأكثر.

- ولا يُسمح بإنزال عقوبة بدون محاكمة عادلة وكاملة وحكم صحيح، أو اتخاذ إجراء احترازي ضد أي مُدَّعى عليه (مثل إيقاف أو إحالة على التقاعد أو نفيه في منزله وغير ذلك) بدون أمر من القاضي الكنسي ولمدة محددة لا تزيد عن أسبوع على أن يكون ذلك تمهيداً للمحاكمة.

- كما حكمت القوانين الكنسية ببطلان استكتابه ورقة قبل أو أثناء محاكمته يقر فيها بأنه مذنب أو بأي اعتراف يؤدي إلى إدانته أو حتى بطلبه الاستعفاء من وظيفته. وقد اعتبر القديس كيرلس الكبير في رسالته إلى دومنوس بطريرك أنطاكية (والتي أُدرجت ضمن قوانين الكنيسة الجامعة في الشرق والغرب) أن مثل هذا الاستكتاب قد وقَّعه المدَّعي عليه مُرغماً بوسائل الإرهاب والتهويل، لذلك لا يُعتبر مضمون هذا الاستكتاب مقبولاً إلاّ إذا أظهر التحقيق والمحاكمة أنه صحيح.[1]

---

(١) قوانين القديس كيرلس الكبير، *كتاب الشرع الكنسي*، ص ٩١٥ و ٩١٦.

الفصل الخامس

مراجع القانون الكنسي المعتمدة

في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

مصادر التشريع لدى الكنيسة القبطية تتلخص في المراجع الآتية:

أولاً - الكتاب المقدس

١- **الكتاب المقدس**، أي الوحي الإلهي كما أُعلن في الأسفار المقدسة بعهديها القديم والجديد، وهو المرجع الأول والأساسي لأي تشريع لاحق ولأي تفسير وشرح للإيمان، ويلاحظ أن الكنيسة القبطية مثلها مثل الكنائس الأرثوذكسية الشرقية تستخدم في ليتورجياتها وكتب صلواتها وطقوسها الترجمة السبعينية للعهد القديم (وليس الترجمة من العبرية المتداولة في الشرق العربي) وتحتوى الترجمة السبعينية على أسفار إضافية لم ترد في الترجمة العبرية، وقد استخدم السيد المسيح والرسل وآباء الكنيسة الشرقية هذه الترجمة السبعينية في بعض اقتباساتهم من العهد القديم.

أولاً: العهد القديم:

وتنقسم أسفار العهد القديم إلى:

أ - **التوراة** وهى خمسة أسفار: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

ب - **الأسفار التاريخية**: يشوع، القضاة، راعوث، الملوك (٤ أسفار)، الأيام (كتابان)، عزرا (كتابان)، أستير.

جـ- **الأسفار الشعرية**: أيوب، المزامير (١٥١مزموراً)، حكمة سليمان (٥ كتب)، الأمثال.

د - **أسفار الأنبياء الستة العشر**: الكبار (المقصود كبر حجم نبواتهم) أربعة: إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال، أسفار الأنبياء الصغار: (المقصود صغر حجم نبواتهم) اثنا عشر: هوشع ويوئيل وعاموص وعوبديا ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاخي.

أما أسفار العهد القديم المعتبرة أنها قانونية من الدرجة الثانية فهي:

١- **تكملة سفر عزرا**: الكتابان الثالث والرابع.

٢ – يهوديت.

٣ – طوبيا.

٤ – تكملة سفر أستير.

٥ – حكمة يشوع بن سيراخ.

٦ – كتابان لباروخ

٧ – تسبحة الثلاثة الفتية، وقصة سوسنة العفيفة، وقصة بعل والتنين وهي ملحقة بسفر دانيال.

٨ – صلاة منسَّى الملك.

٩ – أسفار المكابيين الأربعة.

ثانياً: العهد الجديد:

أما أسفار العهد الجديد فتتضمن الآتي:

١ – **الإنجيل المقدس**: الأربعة البشيرين: متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

٢ – **الإبركسيس** (أي الأعمال) والمقصود أعمال الرسل.

٣ – **البولس** (أي الرسائل التي كتبها القديس بولس وهي موجهة إلى كنائس وأفراد). وعددها ١٤ رسالة.

٤ – **الكاثوليكون** (أي الرسائل الجامعة) وهى سبع رسائل: رسالتان كتبهما القديس بطرس، وثلاث رسائل كتبها القديس يوحنا الرسول، ورسالة كتبها القديس يعقوب الرسول، ورسالة كتبها القديس يهوذا الرسول.

٥ – **سفر رؤيوي** (أي يشتمل على وصف رؤيا سماوية) كتبها القديس يوحنا الرسول.

ثانياً – قوانين الرسل

لقوانين الرسل عدة إصدارات كما يلي:

١. قوانين الرسل (٣٠ قانوناً): وهى القوانين التي ذكرت المخطوطات أن الرسل وضعوها وهم

مجتمعون في علية صهيون بعد الصعود وحلول الروح القدس عليهم وقبل أن يتفرقوا للكرازة في العالم، وأنهم استلموها من الرب. (وهو الكتاب الأول في مخطوطة النوموكانون).

٢. **القوانين التي وضعها الرسل وأرسلوها على يد كلمنضس الروماني** أسقف روما في القرن الأول وهي: إما ٨٢ قانوناً كما عند الملكيين والسريان والنساطرة (وهو الكتاب الثاني في مخطوطة النوموكانون)، أو مجموعتان أولاهما تتضمن ٧١ قانوناً (وهو الكتاب الرابع في مخطوطة النوموكانون) والأخرى تتضمن ٥٦ قانوناً (وهو الكتاب الخامس في مخطوطة النوموكانون)، وهذه الثلاثة متفقة النصوص مختلفة في أرقام القوانين، ولا يختلف بعضها عن بعض إلا في القليل. وهذه الأخيرة (أي الـ ٧١+٥٦ قانوناً=١٢٧) هي المعتمدة لدى الأقباط.

٣. **الدسقولية** (النطق العربي للأصل اليوناني: ديداسكاليا) أي "تعليم"، وهو يحوي تعاليم الرسل. وقيل إنه اجتمع على وضعه الاثنا عشر رسولاً والقديس بولس والقديس يعقوب أسقف أورشليم الأول (وهو الكتاب السادس في مخطوطة النوموكانون). وهو من الكتب الأساسية المستخدمة كمرجع لدى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. وهو يقع في تسعة وثلاثين باباً. وسبق أن نشره المتنيح القمص مرقس داود سنة ١٩٢٤مترجماً عن الإنجليزية المترجم عن مخطوطة قبطية ترجع إلى سنة ١٠٥٠م، ثم نشر الدكتور وليم سليمان قلادة طبعة علمية مقارنة بين مخطوطات عدة عن نص أبو اسحق ابن فضل الله سنة ١٢٩٥عن ترجمة بالقبطية الصعيدية ترجع إلى عام ٩٢٦ م، وذلك عام ١٩٨٩ (نشر دار الثقافة).

٤. **رسالة القديس بطرس الرسول إلى كلمنضس الروماني**، أو قوانين كليمنضس. (وهو الكتاب السابع في مخطوطة النوموكانون).

٥. **الديداخي أو تعليم الرسل الإثني عشر**، ويرجع إلى عام ١٠٠م، ونشر باللغات الحية عن أصل يوناني في مخطوط وحيد اكتُشف عام ١٨٧٣م[(١)]

٦. **قوانين معلمي البيعة**. وعددها ٨٢ وهي مترجمة من القبطية. (وهو الكتاب الحادي والأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٧. **قوانين الآباء الرؤساء أئمة الدين**. وعددها ٢١ قانون. (وهو الكتاب الأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٨. **ترتيب نظام الكهنوت**. (وهو الكتاب الثالث في مخطوطة النوموكانون).

---

(١) راجع شرح وتحليل وتاريخ هذه الوثيقة في كتاب: *دراسات في آباء الكنيسة*، للمؤلف، ١٩٩٩، ص ٩٥- ٩٩.

وقد نقلنا من مخطوطة النوموكانون بعض النصوص من هذه القوانين، واستعنا في بعض الحالات بالترجمة العربية الحديثة في كتاب الشرع الكنسي الصادر في لبنان.

ثالثاً - قوانين المجامع

وتعتبر المجامع بمثابة المجالس التشريعية للكنيسة، وقراراتها يجب أن تكون متوافقة وغير متعارضة مع نصوص أو روح الكتاب المقدس وتقليد الرسل الأطهار وتفسيرات وشروحات آباء الكنيسة الجامعة.

وتنقسم المجامع من جهة شمولها ودرجة قانونية قراراتها إلى:

١ - مجامع مسكونية

أي تضم أساقفة الكنائس (أو مندوبين عنهم) في المسكونة بأسرها أو معظمها، على أن تكون قراراتها مقبولة من الكنيسة كلها إكليروساً وشعباً على أنها الإيمان الصحيح، إذ أنه قد انعقدت مجامع مسكونية لم تعترف بها بعض الكنائس، وذلك بعد منتصف القرن الخامس. وتعترف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بثلاثة مجامع مسكونية:

١ - **مجمع نيقية** سنة ٣٢٥م. وأصدر ٢٠ قانوناً. (وهو الكتاب الرابع عشر في مخطوطة النوموكانون، كذلك الكتاب السابع عشر وهو منقول من النص القبطي).

٢ - **مجمع القسطنطينية** سنة ٣٨١م. وأصدر سبعة قوانين. (وهو الكتاب التاسع عشر في مخطوطة النوموكانون).

٣ - **مجمع أفسس** سنة ٤٣١م. وأصدر ثمانية قوانين. (وهو الكتاب العشرون في مخطوطة النوموكانون).

على أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وإن كانت لا تعترف بمسكونية المجامع المعتبرة لدى الكنائس البيزنطية مسكونية والتي انعقدت بعد مجمع أفسس المسكوني (سنة ٣٨١م)، إلا أنها قد تأخذ ببعض القوانين التنظيمية الواردة في مقررات هذه المجامع على سبيل الاستئناس بما فيها إن كانت تتماشى أو لا تتعارض مع ما سبقها من قوانين، أو إن كانت تعالج معالجة صحيحة موضوعاً تدبيرياً تنظيمياً داخل الكنيسة لم يسبق معالجته من قبل. أما ما ترفضه الكنيسة القبطية تماماً في مثل هذه المجامع فهو إعلاناتها أو بياناتها العقائدية موضع

الخلاف بينها وبين هذه الكنائس.

وتعتبر قوانين المجامع المسكونية المعترف بها قوانين مُلزمة ولا يمكن تغييرها أو تخطّيها إلاّ بمجمع مسكوني على نفس المستوى.

القوانين المنسوبة خطأً لمجمع نيقية:

كذلك هناك مجموعة من القوانين ما يسمَّى: **قوانين نيقية باللغة العربية** وعددها ٨٤ قانوناً زائدة على قوانين مجمع نيقية الصحيحة. (وهو الكتاب الخامس عشر في مخطوطة النوموكانون). وهي منسوبة زوراً للمجمع المسكوني الأول في نيقية (والذي أصدر ٢٠ قانوناً فقط)، وهي تحوي بعض التعليمات الإدارية التي لا تتناقض مع مثيلاتها في قرارات المجامع الأخرى إلا في قانون واحد هو الرابع والأربعون والذي يذكر رئاسة بابا روما الجبرية على سائر الكنائس. وقد وُجدت هذه القوانين في مخطوطة سريانية منسوبة إلى الأسقف السرياني ماروطة أسقف ميافرقين (توفي حوالي عام ٤٢٠م أي أنه لم يحضر مجمع نيقية عام ٣٢٥م). وهذا الأسقف كان واسطة الاتصال بين مسيحيي بلاد الفرس وبقية كنائس الإمبراطورية البيزنطية. ولأنه بسبب العداوة بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية كانت الصلات مقطوعة تماماً بينهما حتى أن أساقفة فارس لم يحضروا مجمع نيقية ولا عرفوا شيئاً عنه، ولهذا السبب طلبوا من الأسقف ماروطة أن يكتب لهم أخباره وقوانينه. وتحوي هذه المخطوطة تاريخ مجمع نيقية وقوانينه العشرين الأصيلة، وأضاف عليها ٧٣ قانوناً آخرين مجهولي المصدر وغالباً جمعها ماروطة من قوانين مجامع مكانية سابقة ولاحقة على تاريخ مجمع نيقية وأدرجها بعد العشرين قانوناً الأصيلة لمجمع نيقية دون أن يضع حداً فاصلاً بين المجموعتين فحسبها الناسخون لهذه المخطوطة أنها ضمن قوانين نيقية. ومن بين هذه المجموعة ما يسمى: **قوانين نيقية للرهبان**. وبها ٣٣ قانون تخص الرهبان والأديرة.

وقد اقتبسنا من مخطوطة النوموكانون (من الكتاب الخامس عشر). بعضاً من هذه القوانين التي لا شائبة فيها كنوع من الاستئناس بها لأنها لا شك تعبِّر عن تنظيمات إدارية متفق عليها في حوالي القرن الرابع أو الخامس (وأطلقنا عليها اسم "قوانين نيقية بالعربية").

٢ - المجامع الإقليمية (وتسمى أيضاً "المكانية")

وهى المجامع التي انعقدت في إقليم ما واقتصرت على أساقفة هذا الإقليم أو عدة أقاليم مجاورة ولكن دون أن تأخذ صفة المسكونية، ولكن قوانينها حازت قبولاً واعترافاً من الكنيسة الجامعة، وهذه المجامع انعقدت قبل مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م. وكانت الكنيسة إبان

الإمبراطورية الرومانية في طور التنظيم أو في مواجهة مشكلات الرعاية بعد إعلان التسامح مع المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية وامتداد المسيحية إلى كافة الأصقاع المعروفة آنذاك.

وهذه المجامع الإقليمية (أو المكانية) هي كالآتي:

١- **مجمع أنقره** سنة ٣١٤م. وعدد قوانينه ٢٥ قانوناً. (وهو الكتاب التاسع في مخطوطة النوموكانون)

٢ - **مجمع نيوقيصرية (أو قيصرية الجديدة) بين سنة٣١٤- ٣٢٥م.** وعدد قوانينه ١٥ قانوناً. (وهو الكتاب العاشر في مخطوطة النوموكانون)

٣ - **مجمع غنغرا** (سنة ما بين ٣٢٥ - ٣٨٠م.) وعدد قوانينه ٢١ قانوناً. (وهو الكتاب الحادي عشر في مخطوطة النوموكانون).

٤- **مجمع أنطاكية** سنة ٣٤١م. وعدد قوانينه ٢٥ قانوناً. (وهو الكتاب الثاني عشر في مخطوطة النوموكانون).

٥- **مجمع سرديقا (أو سرديقية)** سنة ٣٤٣م. وعدد قوانينه ٢١ قانوناً. (وهو الكتاب الثالث والعشرون في مخطوطة النوموكانون).

٦ - **مجمع اللاذقية** (ما بين سنة ٣٤٣ - ٣٨١م.) وعدد قوانينه ٦٠ قانوناً. (وهو الكتاب الثاني والعشرون في مخطوطة النوموكانون).

٧ - **مجمع قرطاجنة** (سنة ٤١٩م.) وعدد قوانينه ١٣٣ وأحياناً ١٤٧. (وهو الكتاب الثالث والثلاثون في مخطوطة النوموكانون). وهي مجموع القوانين التي أُقرّت في تسعة عشر مجمعاً سابقاً عُقدت في قرطاجنة، وسميت قوانينها: "**مجموع الشرع الكنسي الأفريقي canonum ecclesiae Africanae**". وهو غير مجمع مكاني آخر عُقد في قرطاجنة سنة ٢٥٧م. برئاسة القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة (والمسمى بين كنائس شمال أفريقيا باسم البابا)، غير أنه لم يسنّ قوانين معينة بل تم فيه تداول الرأي في معمودية الهراطقة فقط. لكن مداولات هذا المجمع تلقى ضوءاً شديداً على نموذج قيم لطريقة المداولات داخل المجمع ودور "البابا" أو رئيس المجمع في قيادة اجتماعات المجمع وكيفية اتخاذ القرارات، وهذا أوضحناه بجلاء في كتاب "***التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة***" ص ١٧٧- ١٧٨.

رابعاً - قوانين وضعها بعض آباء الكنيسة الجامعة

وهم من آباء الكنيسة الجامعة قبل مجمع خلقيدونية (سنة ٤٥١م)، وقد أخذت الكنائس الشرقية والغربية بها في مراجع دساتيرها وقوانينها واعتبرتها قوانين عامة للكنيسة بأسرها:

١ - **قوانين وضعها البابا ديونيسيوس الإسكندري** (تنيح ٢٦٥م.): ٤ قوانين.

٢ - **قوانين وضعها البابا بطرس الإسكندري الملقب بخاتم الشهداء** (تنيح ٣١١م.): ١٤ قانوناً.

٣ - **قوانين وضعها البابا أثناسيوس الإسكندري** (الملقَّب الرسولي) (٣٢٨-٣٧٣م): ١٠٧ قوانين. (وهو الكتاب الثاني والأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٤ - **القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة الكبادوك** (٣٢٩.- ٣٧٩م.): ١٠٦ قوانين (وفي بعض المراجع ٩٢). (وهو الكتابان الرابع والخامس والعشرون في مخطوطة النوموكانون).

٥ - **البابا تيموثاوس الإسكندري** (تنيح ٣٥٥م.): ١٧ قانوناً.

٦ - **القديس غريغوريوس أسقف نيصا** (٣٥٥ - ٣٩٥م.): ٨ قوانين. (وهو الكتاب الثامن والثلاثون في مخطوطة النوموكانون).

٧ - **البابا الإسكندري ثاوفيلس** (٣٨٤ - ٤١٢م): ١٤ قانوناً.

٨ - **(البابا) هيبوليتس أسقف روما** (الملقب أبوليدس) (١٧٠-٢٣٥م): ٣٨ قانوناً. (وهو الكتاب الرابع والعشرون في مخطوطة النوموكانون).

٩ - **البابا الإسكندري كيرلس الكبير** (٤١٢ - ٤٤٤م.): ١٢ قانوناً.

١٠ - **القديس يوحنا ذهبي الفم بطريرك القسطنطينية** (٣٤٧-٤٠٧م): ١٢ قانوناً. (وهو الكتاب السادس والثلاثون في مخطوطة النوموكانون).

خامساً - قوانين وضعها بابوات كنيسة الإسكندرية

(بعد مجمع خلقيدونية)

وهى مُلزمة للكنيسة القبطية فقط:

١ - **البابا قزمان الثالث** (٩٢٠ - ٩٣٢م.) والذي وضع فصولاً في المواريث وأحكامها. (وهو الكتاب السادس والخمسون في مخطوطة النوموكانون).

٢ - **البابا خريستوذولوس** (١٠٤٧ - ١٠٧٧م). قانون واحد. (وهو الكتاب الخامس والأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٣ - **البابا كيرلس الثاني** (١٠٧٨ - ١٠٩٢م). ٣٤ قانوناً. (وهو الكتاب السادس والأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٤ - **البابا غبريال بن تُريك** (١١٣١ - ١١٤٥م). ٣٢ قانوناً. (وهو الكتاب السابع والأربعون في مخطوطة النوموكانون).

٥ - **البابا كيرلس الثالث** (الملقّب ابن لَقلَق) (١٢٣٥ - ١٢٤٣م). عدة قوانين وأحكام. (الكتب من ٤٩ - ٥٣ من مخطوطة النومو كانون).

٦ - **الأنبا ميخائيل مطران دمياط** (وهو الكتاب ٤٤ في مخطوطة النوموكانون).

سادساً - كتب الصلوات والطقوس الليتورجية

وأولها **الخولاجي المقدس** الذى يحوى صلوات القداسات الثلاثة: الباسيلي والغريغوري والكيرلسى، والتعليمات الخاصة بالتقديس على الكهنة والشمامسة.

ثم **كتب صلوات التكريس**: تكريس البطريرك والأسقف والمطران والقس والإيغومانس والشماس والرهبان والراهبات ورئيسة الراهبات، وهذه الكتب تحوى ترتيبات وإجراءات الرسامة وشروط وكفاءات المتقدم للرسامة في كل درجة من الدرجات. وهذه الكتب تشرح وتفسر بعض القوانين وتدعم بعض التحديدات والتحريمات فيها مثل: صلوات وضع اليد على رأس البابا والأسقف والقس والشماس التي هي عماد وأساس ومحور صلوات التكريس والتي لا غنى عنها في الرسامة لأي درجة منها،

ومثل **الصلوات المختصة بسر الزيجة** حيث تفسرها قوانين الزيجة. وقد ذكر الصفي ابن العسَّال في كتابه المشهور "المجموع الصفوي" عن التعميد ففصَّل أحكامه وأورد القوانين المتعلقة به، ثم قال: "قد وُضع في البيعة القبطية كتاب مفرد للتعميد مفرَّع من القوانين مشتمل على كيفية التعميد وجميع الصلوات المخصوصة به والاعتماد عليه في ذلك، ويجب التحرز العظيم فيها" - صفحة ١٦.

ثم **كتب الصلوات**: (تدشين الكنائس، وعمل الميرون المقدس، وتبريك المنازل الجديدة،

وقداس اللقان، وتقديس زيت مسحة المرضى، وباقي الأسرار الكنسية).

هذه الكتب ترقى إلى مرتبة مراجع القوانين ولابد من الحفاظ على نصوصها كاملة دون حذف أو تعديل أو تشويه (كما حدث للأسف في كتاب صلوات تكريس البطريرك والأساقفة والقسوس إذ تم حذف وتعديل وتشويه بعض الطقوس والصلوات لتتوافق مع الاستحداثات التي حدثت في النصف الأخير من القرن الماضي في اختيار البابا البطريرك من الأساقفة)[٢].

(٢) وذلك ابتداءاً من رسامة البابا مكاريوس الثالث (سنة ١٩٤٤م). علماً بأن أول اختيار للبابا البطريرك من بين الأساقفة كان البابا يؤانس التاسع عشر الذى كان مطراناً للبحيرة ثم اختير عام ١٩٢٨م ليكون بطريركاً ورُسم بخلاف القانون الكنسي أي وُضعت عليه أيادي الأساقفة للمرة الثانية ليكون أسقفاً للإسكندرية، ولم ينتبه هؤلاء الأساقفة آنذاك أنهم يخالفون القانون الكنسي بتحريم وقطع من يشتركون في وضع اليد مرتين في الدرجة الكهنوتية الواحدة (الأسقفية) على المرشّح للأسقفية، ولما احتج علماء وشعب الكنيسة على هذه المخالفة، استدرك المخالفون هذه المخالفة فيما بعد، وذلك في رسامة من بعده وحذفوا من كتاب صلوات وتكريس البطاركة الجزء الخاص بوضع اليد أي "الرسامة"، حتى ينجوا من الحرم والقطع بسبب هذه المخالفة، فوقعوا في مخالفة أخطر وهي تشويه وتحريف الصلوات الكنسية، بالإضافة إلى حرمان المرشح من نعمة الرسامة الكاملة.

الفصل السادس

تجميع القوانين الكنسية واستخدامها

اهتم آباء الكنيسة في العصور المختلفة بتجميع وتصنيف القوانين السابقة عليهم وترتيبها موضوعياً وزمنياً لتكون مرجعاً للآباء المدبرين في الكنيسة.

ومن بين أهم الذين ذكروا بيانات عن هذه الجهود "ابن كبر" (سنة ١٣٢٤م) وذكر أن أنبا مرقس بن زرعة البابا الـ ٧٣ (١١٦٦ – ١١٨٩م) جمع هذه القوانين، وأنبا غبريال بن تُريك (البابا الـ ٧٠ سنة ١١٣١ – سنة ١١٤٥م)، وأنبا ميخائيل مطران دمياط (عام ١١٨٨م). ولكن أكثرهم وأهمهم من جهة طريقة عرض هذه القوانين الصفي ابن العسال (سنة ١٢٣٢) وسَمّى كتابه: **"المجموع الصفوي"**. ومن أهم المجموعات تلك المسماة **"النوموكانون"** ما جمعه القس مقاره، وذلك في نسخة قديمة بالمكتبة الوطنية بباريس يرجع تاريخها إلى سنة ١٠٦٩ للشهداء – ١٣٥٣م، وهي الوثيقة الأساسية لهذا الكتاب، وقد ورد في صدرها أنها:

[نُسخت باهتمام الأب القس الجليل المكرَّم بطرس بدير ستنا السيدة المعروف بالبتنوني وقد قام بتجميعها أصلاً القس مقاره بدير القديس أنبا يؤانس القصير ببرية شيهيت]

ويقول القس مقاره الراهب بدير أنبا يؤانس القصير في مقدمة مجموعته:

[نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ مجموع قوانين ما رتبه الآباء القديسون الرسل وسائر خلفائهم من الآباء البطاركة والأساقفة المجتمعين بكل صقع من سائر أقطار المسكونة. ومن .... من الآباء البطاركة المفردين بكل كرسي من رومية ومصر، والمعلمين أئمة الدين. مما اهتم بجمع هذا الكتاب المقدس القس الجليل الناسك المعلم مقاره أحد قسوس دير القديس العظيم أبو يحنس القصير ببرية شيهيت (....) من عدة كتب مما وجده في البرية وفى مصر وغيرهما. وذلك أنه تعب في جمعه غاية التعب وأقام سنين عدة يجمع فيه، ثم نُقل في هذه النسخة على (....) فنسأل ربنا يسوع المسيح أن يعيننا على تكميل وصاياه و......... يفتح عيون قلوبنا لنفهم ما قال لنا على ألسن عبيده بصلوات سائر الآباء المذكورين في هذا الكتاب المقدس آمين].

أما بعد:

الخطوة الحضارية المطلوبة في القرن الواحد والعشرين :

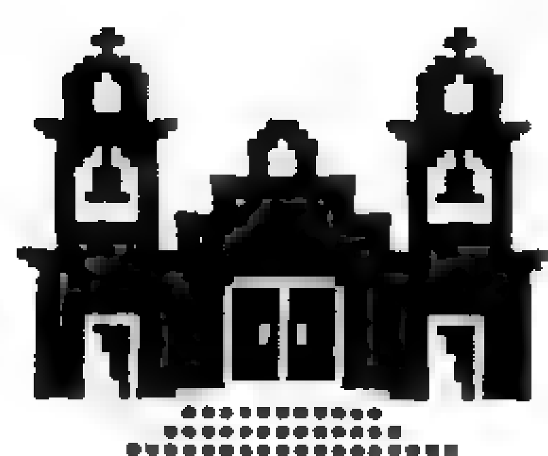
والآن لابد من خطوة حضارية يقوم بها رجال القانون الكنسي – سواء من الإكليروس أو أراخنة ومقدمي الشعب – بإنزال هذه المجموعات القانونية الكنسية على هيئة بنود قانونية Codex بالمنهج القانوني الحديث. وقد سبقتنا كنائس أخرى مثل: كنيسة روما، كنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس، كنيسة أنطاكية للسريان الأرثوذكس، والكنائس البيزنطية الأرثوذكسية الأخرى سواء في الشرق أو في المهجر، في إصدار قانون شامل مفصَّل ودستور واضح لكل نواحي الحياة والخدمة في الكنيسة.

ويحاول هذا الكتاب أن يفتح الطريق أمام، ويدعو كلَّ مَنْ له باع في مجال التقنين الكنسي، لتكوين تشريع كنسي قانوني تقوم به لجنة تضم نخبة من رجال التشريع والقانون والكنسيين المتخصصين في القانون الكنسي، لتضع دستوراً دائماً وتقنيناً منظماً يعالج كل نواحي حياة الكنيسة في العصر الحالي وما بعده على أن يُعرض عملهم للمناقشة والحوار على الشعب القبطي والعلماء والباحثين فيه للاستفادة من آرائهم وملاحظاتهم ليخرج العمل على أكمل وجه وأدق مضاهاة وتناسق مع تقليد الكنيسة القبطية الصحيح. ويا حبذا لو يُسجَّل ضمن تشريعات الدولة ضماناً لجدية العمل ومتابعة لصحة ودوام تنفيذه على مدى الأجيال.

وذلك لمجد الله وسلامة الكنيسة

الباب الثاني

الكنيسة شعب الله



الفصل الأول

الكنيسة شعب الله

يظن البعض أن الكنيسة تتكون فقط وعلى وجه الحصر من البابا والأساقفة والكهنة. وهذا ظن غير صحيح لأن الكنيسة هي "شعب الله" بمن فيه من إكليروس وشعب اللذين يكوِّنان معاً الكنيسة. علماً بأن الشعب يُشكل الغالبية العظمى من أعضاء الكنيسة.

والمؤمنون لا يوجدون ويعملون في فراغ. بل هم منتمون كل واحد للآخر ويكوِّنون الكنيسة في كل إيبارشية أو في كل دائرة رعوية. بالإضافة إلى ذلك، فإن كل دائرة رعوية (أي شعب كل كنيسة في مدينة ما أو حي) يرتبطون بباقي الدوائر الرعوية في كل إيبارشية، وكل إيبارشية ترتبط بكل إيبارشية أخرى في نطاق إقليم الكرازة الواحدة، ولكن كل شعب كنيسة ما في أي حي أو مدينة أو قرية إذا ما اجتمعوا حول مذبح الكنيسة وتناولوا من جسد المسيح ودمه الأقدسين فهم يكوِّنون ويعلنون الكنيسة جسد المسيح في هذا الموضع بسبب اتحادهم بجسد المسيح الحي.

والكنائس الرسولية في العالم (ومن يتبعها) تشكِّل معاً الكنيسة الواحدة الجامعة في المسكونة بأسرها. ووحدتها معاً إذا اكتملت تجعل من الكنيسة الواحدة الجامعة أروع صورة لشخص المسيح الشامل الجامع الحاضن للبشرية كلها. ليت الرب ينعم على كنيسته في المسكونة بأسرها بالوحدة الحقيقية التي من خلالها يظهر المسيح الواحد، وتتقوى الكرازة باسم المسيح الواحد كما صلى المسيح – له المجد – ليلة آلامه إلى الآب لكي يحقق هذه الوحدة من أجل امتداد الإيمان بالمسيح: « **ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني** » (يوحنا ١٧: ٢٠ – ٢١).

وعضوية المؤمنين المسيحيين في الكنيسة متساوية تماماً وقائمة على نوالهم سر المعمودية، التي فيها يتطعم كل معمَّد في جسد المسيح السري وينال عضوية في شعب الله ويتهيأ لنوال مواهب الروح القدس من خلال سر الميرون المقدس. وهذا التوضيح والتحديد بأن المؤمن المعمَّد ثابت في جسد المسيح يعني أنه قد أصبح شريكاً في إرسالية الرب نفسه في المواهب والوظائف الثلاث التي للمسيح كله: **نبياً وكاهناً وملكاً**. فالمسيح الذى يحمل هذه الصفات الثلاث بمقتضى تجسده ينضح بها على كل عضو يدخل جديداً إلى عضوية جسده ورعوية شعب الله الجديد. ومن هذا

المنطلق فالمؤمن مدعوٌّ أن يكون قدوة ونوراً وشاهداً للمسيح طيلة أيام حياته، حتى إذا دُعي لحمل نير الكهنوت السرائري المكرَّس يكون مهيئاً وواعياً لأصل دعوته هذه.

وفى هذا الإطار يقوم التعاون وتنشأ الشركة بين الإكليروس والشعب في إتمام الخدمة الرسولية للكنيسة كل واحد في موضعه وفي رتبته كما سيظهر فيما بعد. فحاملو الكهنوت السرائري يستأمنون بعض أعضاء شعب الله في واجبات وخدمات ودعوات محددة ليعاونوهم في رعاية شعب الله، وأعضاء شعب الله الخادمون مع الإكليروس يضعون أنفسهم تحت التوجيه الكامل للإكليروس في تعاون وشركة وألفة.

وسواء الخدمة الكهنوتية أو خدمة أعضاء الشعب فهما مؤسستان على علاقة الخادم بالكنيسة، ولا يؤدى أيٌّ من الرتبتين خدمته مستقلاً عن الآخر حيث أن بنيان الكنيسة قائم على مبدأ: **الشركة والمشاركة بين الإكليروس والشعب**. وهذه الشركة والمشاركة تضم كل عضو في الشعب. ومن خلال خدمة الإكليروس وخدمة الشعب تحقق الكنيسة دعوة المسيح لتلمذة تلاميذ من كل الأمم ليكونوا شهوداً وكارزين بموت المسيح وقيامته. وبهذا يكون المسيح هو نفسه أصل وباعث كل خدمة في كنيسته: سواء خدمة الكهنوت السرائري أو خدمة الشعب.

العلمانيون والإكليروس هم من نفس رتبة "البنوة لله" التي لشعب الله

تعودنا أن نفكر في "الرسامة" على أنها علامة مميزة خاصة للإكليروس. فهناك "المرسومون" وهناك "العلمانيون" أي المسيحيون غير المرسومين.

هنا أيضاً، الأرثوذكسية تختلف عن الكاثوليكية والبروتستانتية في فهمها للإكليروس. فإن كانت الرسامة تعني أولاً انسكاب مواهب الروح القدس، فكل مسيحي منا قد **نال نعمة رتبة التبني بالروح القدس** في سر المعمودية بالماء والروح ثم نال موهبة وختم الروح القدس من أجل تثبيت وتكميل دعوتنا كمسيحيين وكأعضاء في الكنيسة جسد المسيح، إذ أنهم سبق أن نالوا في المعمودية نعمة أن يكونوا "**أعضاء مكرمة في الكنيسة الجامعة**"[(١)].

فكل "علماني" هو في الواقع اللاهوتي "**مرسوم**" أو "**موسوم**"، أي نال "وَسْم" الروح القدس، أي نال سر المسحة المقدسة المسماة في صلوات الكنيسة الطقسية "وَسْم"، ويصلي **القديس كيرلس الكبير عمود الدين** في قداسه المعروف باسم القداس الكيرلسي قائلاً:

---

(١) صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٣٦

[يا الله الذي سبق فوسمنا للبنوة بيسوع المسيح ربنا كمسرة إرادتك]

أي – بحد تعبير القديس كيرلس أيضاً في قداسه – [أننا قد نلنا "رتبة البنوة"]. وكلمة "رتبة" أتت ترجمة لكلمة "أكسيوما ΑΞΙΩΜΑ" وهي الكلمة التي تُستخدم لوصف الرتبة RANK، وهو ما ورد في قانون رقم ٥ من قوانين مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥م) وقانون رقم ٦ من قوانين مجمع القسطنطينية المسكوني (سنة ٣٨١م) لوصف أعضاء شعب الله بأنهم "طغمة – النطق العربي للكلمة اليونانية ΤΑΓΜΑ" والتي تعني في المعنى العام: "رتبة" و"قسم" أو في الجيش الروماني: "فرقة من ألوية وفرق الجيش"، أو في القوات السمائية: "قسم من أقسام القوات السمائية". وفي المعنى الكنسي تصف هذه الكلمة رتب وأقسام أعضاء الكنيسة الجامعة، وهكذا أَسمتهم الكتابات السمائية "طغمة اللاؤس – شعب الله" جنباً إلى جنب مع "طغمة الإكليروس"[(٢)] . ونحن نقصد من وراء ذكر هذه الكلمات اليونانية ومعانيها أن نبين اللغة التي تكلم بها آباء الكنيسة في تقليدهم الكنسي عن شعب الكنيسة كقسم وجزء مميز لا يتجزأ من بنيان كنيسة الله وليس مجرد "علمانيين" لهم أشغالهم المدنية العالمية وكما يدَّعي البعض عليهم خطأ أنه "لا حقَّ لهم في الإهتمام بشئون الكنيسة والإطمئنان على إيمانها ونظامها وسلامتها بل عليهم أن يتركوا ذلك للإكليروس". ولكن على عكس هذا الادِّعاء فالاهتمام بسلامة الكنيسة منوط بالشعب حسب أمر الدسقولية – تعاليم الرسل:

[لأن خرافي وكباشي خليقة عاقلة وليست غير عاقلة (أي ليست بكماء). فلا يقول عضو شعب الله إني خروف ولست براعٍ وليس لي عمل.] – الدسقولية: ٤: ٣

وهو يتكلم هنا عن مسئولية الشعب عن سلامة الرعاية والحذر من الأسقف الشرير فلا يتبعه.

إذن فالمسيحي وُسم أو رُسم لكي يصبح "لائيكوس" أي "عضو في شعب الله"، نائلاً رتبة البنوة لله بالنعمة، وذلك بنواله سر المسحة المقدسة. ولهذا وُجد سرَّان وليس سراً واحداً للدخول إلى الكنيسة، لأنه في المعمودية نسترجع في أنفسنا طبيعتنا الإنسانية التي فسدت ونالت إمكانية وحتمية الموت بالخطية الجدية، أما في سر المسحة فنحن ننال السلطان والقوة الفاعلة الإيجابية والنعمة أن نصير في عضوية شعب الله الجديد، وبالتالي أن نعيش ونتصرف كمسيحيين، وأن نبني معاً كنيسة الله، ونصير مسئولين كلنا عن حياة الكنيسة. ففي سر المعمودية المقدسة) يصلي الكاهن لله أن يجعل المعمَّد:

---

(2) Lamp, *A Patristic Greek Lexicon*, p 1370-1

"خروفاً في القطيع المقدس للمسيح
عضواً مكرماً في الكنيسة الجامعة
إناءاً طاهراً
ابناً للنور
وارثاً للملكوت
حتى إذا جاهد كوصايا المسيح، وحرس خاتم الروح القدس من أي سارق، وحفظ اللباس غير المضمحل، يفوز بطوباوية أصفيائك بالمسيح يسوع ربنا"[٣]

يسمى بولس الرسول المسيحيين "رعية مع القديسين وأهل بيت الله"، «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه أنتم مبنيون معاً مسكناً لله في الروح..» (أف٢ : ١)

وما يؤكد هذا المفهوم معنى الليتورجية، فهي تعني "خدمة الشعب وهم متحدون، شركاء، مجتمعون معاً في نفس المكان، متحدون معاً في رفع قرابينهم، في صلح وسلام بعضهم مع البعض، وذلك للاحتفال بسر الإفخارستيا". وكل الصلوات التي يصليها الكاهن إنما تكون بصيغة المتكلم الجمع: "نحن"، "نسأل ونطلب"، "نقدم"، "نشكرك"، "نمجدك"، "ندخل"، "نصعد"، "ننال"، بل إن الكاهن في صلاة الحِل من الخطايا، يقف في موقف الصلاة والتوسل إلى الله الذي "له وحده سلطان مغفرة الخطايا" (مت٩ : ٦) يسأل الله من أجل الشعب ومن أجل نفسه: "حاللنا وحالل سائر شعبك"، وهو نفسه ينضم في الطلبة إلى "سائر شعبك" فيذكر نفسه قائلاً: "وضعفي" لكي ينال هو أيضاً الحِلَّ من الله عن خطاياه.

فعضو شعب الله الذي يُطلق عليه – خطأً – كلمة "العلماني" هو الشريك الأساسي مع الكاهن في ممارسة أهم طقس في الكنيسة أي سر الإفخارستيا، لأن هذا السر هو عمل وخدمة الشعب أي الكنيسة كلها. فالكاهن – باعتباره رافع قرابين الشعب "اللاؤس" كله والمتحدث عنهم أمام الله – يقدم لله صلوات الكنيسة، إذ الشعب اللاؤس هم الذين أعطاهم القانون الكنسي الحق في اختيار خادم المذبح بحرية ليُقام كاهناً (أسقفاً أو قساً)، لكي يحفظ داخل كنيسته أو إيبارشيته التي أُقيم عليها الإيمان الرسولي والعقيدة الآبائية والتعليم الأرثوذكسي،

(٣) صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٣٦

ولكي يرفع قرابينهم أمام الله، وليوصل لهم مواهب ونِعَـم الله. لذلك فإن كلمة "آمين" التي يصرخ بها الشعب بعد كل صلاة يصليها الكاهن تعني الموافقة والاتفاق والمشاركة في القداس، وبدون وجود شعب في الكنيسة لا يستطيع الكاهن وحده أن يقيم القداس الإلهي. **يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:**

[الإفخارستيا هي شركة للكل. فهي لا تُقام بالكاهن وحده بل بالشعب مع الكاهن، لأنه يبدأ قداس الإفخارستيا بقوله: ("فلنشكر الرب")، فقط بعد أن يعطيه الشعب الموافقة بإعلانهم بأنه: "مستحق ومستوجب"]

(عظة على ٢كو ١٨ : ٣)

وهذه هي سمة التقليد الليتورجي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأي، والتي تختلف عن قانون الصلاة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التي يمكن أن يُقام فيها القداس الإلهي بواسطة الكاهن وحده في غياب الشعب والشماس. كما يقول كتاب الخولاجي المقدس: [من المعلوم أن الصلوات الكنائسية مشتركة بين ثلاثة لا يمكن الإستغناء عن حضور أحدهم. وهم الكاهن والشماس والشعب.] (٤)

- **فنحن جميعاً نشترك في حياة واحدة، جسد واحد له حياة واحدة. والرتبة مصدرها النعمة Charisma وليس القدرة. والجسد يتضمن تنوع واختلاف الأعضاء في الجسد الواحد. وليس الاختلاف هو بين الأعلى والأدنى ولا بين حامل السلطان وغير الحامله. لأن النعمة تُعطَى حسب تدبير الروح القدس وليس حسب قدرات الإنسان.**

١ - حقوق وواجبات الشعب

وكما أن لكل دولة قوانينها ودستورها، هكذا الكنيسة لها قوانينها ودستورها. وتحوى القوانين والدستور حقوقاً وواجبات لأعضاء الكنيسة وخدامها. فهي لا تحدد فقط حقوق المؤمن المسيحي بل وتحدد واجباته أيضاً.

حقوق المؤمن:

والحق الأول للمؤمن المسيحي هو المساواة الأساسية في العضوية في جسد المسيح بمقتضى

---

(٤) القمص عبد المسيح صليب، *كتاب الخولاجي المقدس*، مطبعة عين شمس، ١٦١٨ للشهداء ١٩٠٢ ميلادية، ص ٤

معموديته وتثبيته بسرّي المعمودية والميرون المقدس، كما أوضحنا أعلاه.

كما أن لكل عضو من المؤمنين الحق وعليه الواجب والحرية في التعاون والمشاركة في بنيان الكنيسة.

كذلك لكل مؤمن الحق في اختيار أب اعترافه ومرشده الروحي. وكذلك حقه في تلقّي إرشاداته ونصائحه بالمجان (أي نصائح وإرشادات أب اعترافه وراعيه) من أجل خلاص نفسه وخيره الروحي.

ولكل مؤمن الحق في تعريف المؤمنين الآخرين بآرائه المختصة بخدمة الكنيسة.

ومن حق كل مؤمن أن يتلقى خدمات الكنيسة وأسرارها والتربية الروحية والتعليم الروحي في الكنيسة مجاناً منذ ولادته وحتى الممات.

من حق كل مؤمن تكوين وإدارة الجمعيات الخيرية والدينية التي تسهم في خدمة أهداف الدعوة المسيحية ولكن بما لا يتعارض مع ترتيبات الخدمة في الكنيسة.

من حق المؤمن المسيحي أن تكون له حياته الروحية والمدنية الخاصة وسمعته وشهرته في المجتمع الكنسي أو المجتمع المدني. لذلك فإن له الحق في أن يدافع عن نفسه ويوضح موقفه ضد أي اتهام توجهه إليه السلطة الكنسية ما يمس صحة وكرامة عضويته ونشاطه في خدمة الكنيسة وشرعيتها، وأن يلقى محاكمة عادلة بحسب القوانين الكنسية المرعية منذ القدم ما يتوافق وما لا يتعارض مع معايير ومبادئ العدالة في دوائر القضاء المدني في الزمن المعاصر والمجتمع الكائنة فيه الكنيسة ولا يقل عنها بأي حال.

وكما أن للمؤمن حقوقاً بموجب عضويته في جسد المسيح، كذلك فعليه واجبات:

واجبات المؤمن:

من واجب المؤمن أن يحافظ على وحدته مع جسد المسيح، ويحافظ على وحدة الكنيسة التي يدخل في دائرة رعويتها، وكذلك على وحدة الكنيسة عموماً، ولا يأتي أي عمل يؤدى إلى انقسامها أو الإساءة إليها.

من واجب المؤمن أن يطيع معلمي الكنيسة وكهنتها ورؤسائها في حدود الأمور الخاصة بحياته الروحية ونظام الكنيسة وعقائدها. ولكن لا يدخل في هذا الواجب مواقفه السياسية

والوطنية وما يمنحه له الدستور والقانون المدني العام من حقوق وما يفرضه عليه من واجبات.

من واجب المؤمن أن يشترك في الإنفاق على معيشة الخدام المكرسين في الكنيسة من إكليروس وشعب وذلك بقدر إمكانياته. علي أن يخصص ما لا يقل عن عُشر إيراداته وأرباحه لخدمة احتياجات الكنيسة بما فيها أيضاً إعالة المحتاجين والفقراء والمسجونين وغيرهم ما يعلن عنه راعي الإيبارشية أو الكنيسة التي يدخل المؤمن في رعويتها.

من واجب المؤمن أن يسلك حياة وسيرة تتسم بالقداسة، بل وأن يكون داعياً إلى القداسة والحياة الفاضلة، وأن يكون مواظباً على الأسرار الكنسية بقدر طاقته.

من واجب المؤمن أن يكون داعية سلام وعدالة اجتماعية وأن يساعد المحتاجين ويعضد الكنيسة وخدامها في خدمتهم الروحية.

من واجب المؤمن أن يشترك في الدعوة المسيحية بحسب المواهب المعطاة له وبحسب الظروف التي يضعه فيها الله في المجتمع.

من واجب المؤمن أن يؤدى واجبه نحو أسرته ونحو وطنه ونحو المجتمع الذى يعيش فيه بحسب مبادئ الإنجيل وتعليم الكنيسة، ويكون قدوة حسنة يشهد لمبادئ الإنجيل في كل هذه الدوائر التي يعمل فيها.

أنواع الأشخاص الذين يدخلون ضمن الكنيسة:

هناك الشخص الطبيعي العادي، وهو الشخص المفرد ذو الاسم واللقب والوجود المادي في المجتمع.

وهناك الشخص الاعتباري، أي المؤسسات والهيئات والجمعيات والجماعات، ويدخل فيها الأديرة وبيوت التكريس، وما يتفرع من هذه من مؤسسات مثل الملاجئ أو المستشفيات أو بيوت رعاية المسنين وغيرهم ودور النشر والصحافة وغيرها.

وتنقسم هذه الشخصيات الاعتبارية إلى قسمين:

شخصية اعتبارية عامة تتبع الكنيسة مثل الأديرة للرهبان والراهبات.

شخصية اعتبارية خاصة: منها ما هو مسجل ومُشهر قانوناً بأسماء الذين كوّنوها بموجب قوانين الدولة مثل الجمعيات الأهلية والصحف والمجلات والمطبوعات المسيحية.

ومنها ما هو غير مسجل أو مُشهَر بحسب قوانين الدولة ولكنه أخذ صفة الشخصية المعترف بها عرفاً في الكنيسة مثل مدارس الأحد. ومركز خدمة هذه المدارس وعملها داخل الكنائس في مواعيد محددة، ويشرف على هذه المدارس اللجنة العليا لمدارس الأحد ويرأسها قداسة البابا الإسكندري.

ومنها ما هو قائم بمبادرات فردية مثل بيوت التكريس البتولي للشباب وللشابات، وبعض اللقاءات والجماعات التي تنعقد وتخدم، سواء بشكل قانوني مدني مسجل أو بدونه، ولكنها تؤدى خدمات جليلة في مجال التعليم المسيحي والمعاونة في خدمات إغاثة المحتاجين والفقراء وغيرها دون مظهر خارجي رسمي.

إن كل هذه الهيئات يجب أن تحظى بمباركة الكنيسة طالما أنها تعمل من أجل مجد الله والمسيح. وإذا حظيت بهذه المباركة فسيتشجع أفرادها في العمل وفي الاندماج ضمن خطة الكنيسة في الإيبارشية أو في الدائرة الرعوية في المدينة أو في الحي. والحضن الأبوي للأسقف أو الكاهن يستطيع أن يحتضن كل هذه المجموعات والهيئات حتى ولو لم يكن له الإشراف الكامل عليها بل لأعضاء هذه الجماعات، ولابد ستعود خدماتها بالفائدة على الكنيسة في النهاية.

ويمكن أن يخصص في كل إيبارشية **أحد الإيغومانسيين** ممن يتحلى بصفات خاصة من الفكر المتسع والقلب المفتوح والحضن المريح، الذى يستطيع أن يكون هو حلقة الصلة بين هذه الجماعات والأفراد وبين راعي الكنيسة في الإيبارشية ومؤسساتها العاملة بعيداً عن أية سياسات أو تدابير كنسية رسمية، ويكون قادراً أن يستوعب عمل هذه الجماعات ويؤالفها مع الكنيسة الخادمة في الإيبارشية أو الدائرة الرعوية للكنائس.

نكتب هذه الملاحظة لأنه يوجد حالياً في مجال حقل الكنيسة عشرات من مثل هذه الهيئات والجماعات الأخيرة (القائمة على المبادرات الفردية) وهى لا تحظى بانتباه الكنيسة في المواضع المختلفة التي تخدم فيها. بل ربما تواجه أحياناً بالشك والريبة أو التجاهل أو الرفض أو حتى المهاجمة أو المصادرة من قِبَل رئاسة الكنيسة. ولكن كلما ارتقى فكر المسئول فوق روح الانحصار واتسع حضنه، كلما استطاع أن يضم ويجمع ويشجع ويُفرخ ثماراً وبركات كثيرة للكنيسة ولخلاص نفوس المؤمنين. علماً بأننا نقصد هنا الهيئات والجماعات التي يكوِّنها أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكذلك الأفراد الذين يقومون ببعض الخدمات الروحية.

إن هذا الدور المطلوب من الكنيسة أن تقوم به تجاه هذه الهيئات والجماعات والأفراد يمثل إدراكها لمسئوليتها عن الخدمة التي يقوم بها أفراد من شعب الله بدافع غيرة مباركة وقصد

وغاية تتفق في النهاية مع مقاصد وغايات الهيئات الرسمية في الكنيسة، وإن لم يكونوا منخرطين في صفوف الخدام الرسميين أو شبه الرسميين في الكنيسة أو يحظون بالتقرب من رئاسة الكنيسة في الإيبارشية.

٢ - الوالدان والتعليم المسيحي

من منطلق الإيمان بأن البيت المسيحي أو الأسرة المسيحية هو الذى يقع عليه العبء الأول في تربية أطفالهما التربية المسيحية الحقة، فإن الوالدين مسئولان ولهما الحق وعليهما الواجب أن يعلِّما أبناءهما وبناتهما التعليم المسيحي.

إن الحياة الزوجية هي دعوة خاصة في الكنيسة، مقدسة وطاهرة. ويلازم هذه الدعوة واجب تنشئة الأطفال وبنيان حياة شعب الله من خلال شهادة الزوجين للوحدة الكائنة بين المسيح وكنيسته بوحدتهما هما بعضهما مع البعض (أفسس٥: ٢٢-٣٣)، وأيضاً من خلال وفائهما والتزامهما بإقامة أسرة مسيحية التي يُنظر إليها على أنها كنيسة البيت.

والأبوان يُعتبران من طغمة أو رتبة شعب الله أصلاً حتى ولو كان الأب من الكهنة المرسومين ذوى الأبناء. والوالدان بهذه الصفة مكلفَّان بالالتزام العام بحمل رسالة المسيح التي هي مسئولية كل المسيحيين بحسب الدعوة التي دُعِي إليها كل واحد وكل واحدة وبحسب الوضع الذى وضعه أو وضعها الله فيه في المجتمع. وهكذا فبحسب وضعهما الذى وضعه الله فيه في الحياة (كأبوين ووالدين لأبنائهما) فإنهما مسئولان عن تعليم أطفالهما أولاً بقدوتهما الشخصية، وبشهادتهما بحياتهما كزوجين كي يحوِّلا العالم إلى تمجيد اسم المسيح الذى دُعي عليهما.

وفى إطار هذه الحياة الزوجية والحياة الأسرية، فالكنيسة تؤكد دائماً على حق الوالدين وواجبهما أن يربيا أطفالهما كأعضاء في الكنيسة وكمواطنين في بلادهم. فإذا وجد الوالدان المسيحيان نفسيهما في دولة تشرف إشرافاً كاملاً على التعليم في المدارس أو تحتكر هذا التعليم، فهنا يتواجه الأبوان مع مسئوليتهما الخطيرة وهى تربية وتنشئة وتعليم أطفالهما التعليم والتربية المسيحيين، وعليهما أن يقررا كيف يؤديان واجبهما ويطالبان بحقهما في التربية المسيحية في المدرسة.

وهنا يقع الواجب على الكنيسة ممثلة في مؤسساتها:

أن تهتم اهتماماً شديداً بخدمة مدارس الأحد في الكنائس لكي تعوض - ما أمكن - التقصير

في التعليم الديني في المدارس وتكمل المجهود الذى يبذله الوالدان في البيت.

وإن أمكن أن تفتح الكنيسة مدارس للتعليم المدني يتوفر فيها العنصر الروحي في تربية الطفل، كما كانت مدارس الأقباط في القرن العشرين منتشرة في كل المحافظات وما زالت خدماتها إلى الآن تملأ صفحات كتب التاريخ وإن كان قد اندثر معظمها أو تضاءلت رسالتها الأولى.

ومن أهم واجبات الوالدين في تنشئة وتربية أطفالهما على الإيمان المسيحي:

١- إتمام معمودية وليدهما فور ولادته وعدم التأخر في ذلك عن ٤٠ يوماً.

٢ - تهيئة وتربية أطفالهما لممارسة العبادة المسيحية الأرثوذكسية: الصلاة، ممارسة سر التوبة، حسن الاستعداد لسر الإفخارستيا، الاندماج في الحياة الليتورجية في الكنيسة.

٣ - تقديم القدوة العملية لأطفالهما وبالتالي تسليمهم مبادئ الفضيلة المسيحية القائمة على: الإيمان، المحبة، الصدق، الإيثار، خدمة المحتاجين، الحشمة في الملابس وعلى الأخص بالنسبة للنساء والاقتصاد في الزينة والتحلي بالمجوهرات، ترشيد استخدام أدوات الترفيه والإعلام داخل البيت من تليفزيون إلى المذياع إلى الإنترنت وغيرها. وقدوة الوالدين ورقابتهما وتوعية أطفالهما لها الدور الأول والأهم في هذا المضمار.

٤ - الحرص على تهيئة الشباب من أطفالهم لتكوين الأسرة المسيحية وهذا لا يتأتى إلا بتربية الشباب التربية المسيحية السليمة القائمة على الحياة الطاهرة وحسن اختيار الأصدقاء ونقاوة الاحتفالات والرحلات التي تقوم بها الأسرة والبعد عن مظاهر الترفيه والتنزه الزائدة التي لا تؤدى إلا إلى تردِّى الشباب في اختيارات فاشلة لشريكة الحياة. ومسئولية الوالدين هنا تقوم على القدوة أولاً في حسن العلاقات بينهما وترسيخ المحبة والثقة والشركة بينهما في التفكير والتدبير للمنزل، وأمانة الزوجة وطاعتها وتوقيرها لزوجها ويقابل ذلك قيام الزوج بدوره في البيت كأب البيت وكرجل العائلة الذى يُكثر من وجوده وسط أولاده ومع زوجته مما يشيع في البيت كل دواعي السلام والانضباط والأمان وتكامل دفء المحبة مع رسوخ المبادئ المسيحية وسط كل أفراد الأسرة.

وإن تشجيع الوالدين لأطفالهما في كل سني عمرهم من الطفولة إلى الشباب على المداومة والمواظبة على حضور فصول مدارس الأحد واجتماعات الشباب في الكنيسة لهو من أهم الواجبات التي تؤول إلى تدعيم دورهما داخل البيت في تربية أطفالهما.

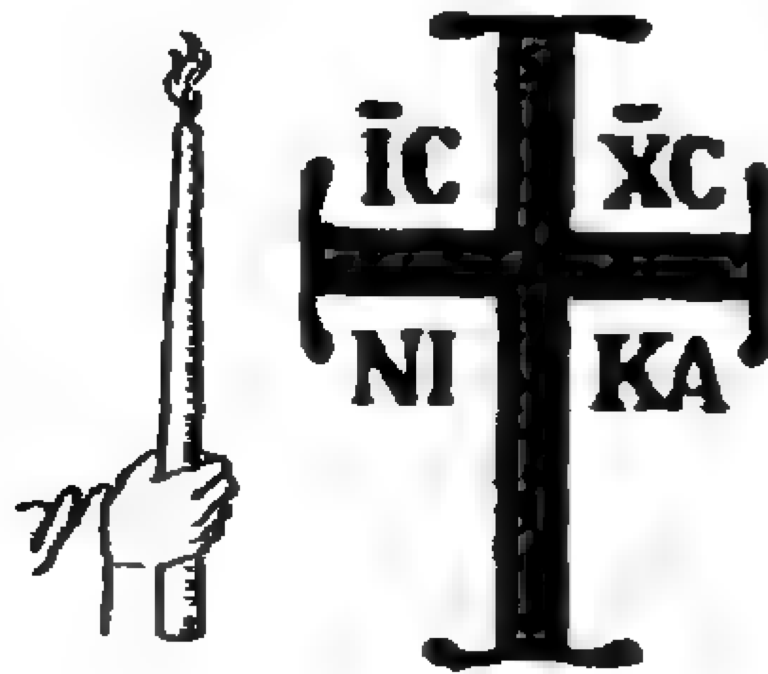
كما أن حرصهما على تزويد أطفالهما بالمطبوعات المسيحية المناسبة لأعمارهم من كتب ومجلات متخصصة للأطفال إلى أيقونات المسيح والعذراء والقديسين إلى الرموز المسيحية التي يعلقونها على صدورهم أو في أيديهم أو في غرفهم الخاصة... الخ كل هذه العوامل المساعدة تدعم أيضاً خدمتهما المباركة لتنشئة وتربية أطفالهما التربية المسيحية السليمة.

٣. خدمة التعليم التي يقوم بها أعضاء شعب الله

من بين أهم تعاليم الكنيسة أن الأطفال بعد معموديتهم لابد من تلقيهم نصيبهم من التعليم المسيحي. فإذا ما شبُّوا يكونون واعين – بقدر الإمكان – بمعظم بنود إيمانهم المسيحي وعقيدتهم الأرثوذكسية. لذلك يمكن للشباب المثقف روحياً وكنسياً أن يُدعى من المسئولين في مدارس الأحد أو الكنيسة لكي يقوموا بدور كرازي تعليمي للأطفال أو لأقرانهم من الشباب سواء في المدينة أو في القرى المحيطة حيث يصعب العثور على مَنْ يعلِّم القرويين مبادئ الإيمان المسيحي. كما يقوم بعض المتقدمين من أعضاء الشعب وبناءً على تكليف من الأب الكاهن أو الأب الأسقف بالوعظ أثناء القداس الإلهي أو في الاجتماعات الروحية التي تعقدها الكنيسة لشعبها في أوقات أخرى غير وقت إقامة القداس الإلهي.

على أنه يشترط فيمن يُكلَّف بخدمة التعليم في اجتماعات الوعظ أو في مدارس الأحد تمكُّنه من التعليم المسيحي الأرثوذكسي وقدرته على تفادى التعاليم المستحدثة التي يروِّج لها أصحاب الطوائف غير الأرثوذكسية في كتبهم أو اجتماعاتهم. وهذا يستلزم أن يكون مدرس مدارس الأحد أو الواعظ دارساً لإيمانه المسيحي والتعليم الأرثوذكسي على أيدي معلمين ثقاة ذوى سمعة حسنة في التعليم الأرثوذكسي.

لذلك أصبح واجباً على الكنيسة تهيئة الفصول والمعاهد اللازمة لإعداد خدام مدارس الأحد والوعاظ والكارزين بالتعليم الأرثوذكسي الصحيح حسب معايير التعليم الإنجيلي وعقيدة وشروحات الآباء.



الفصل الثاني

المسيحية والإنسان المسيحي

ما هي المسيحية؟

المسيحية هي عطية الله للبشرية في العهد الجديد. أتت لتكمل إعلان الله عن نفسه في العهد القديم، أتت لتعلن أن "الله محبة". فبعد أن استُعلن الله في العهد القديم إله الناموس الذى من يخطئ في واحدة من بنوده فيكون قد أجرم في الكل وبهذا يكون مستوجباً للموت، فإنه في المسيح يسوع استُعلن الله مُصالِحاً العالم كله – وليس اليهود فقط – لنفسه معطياً برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون (رومية ٣: ٢١ – ٢٦).

وكذلك أتت المسيحية لتكسر المبادئ الفلسفية التي سادت في عالم الأمم غير اليهودي والتي كانت تؤكد على الكون الخارجي وتؤلهه. فأتت المسيحية لتنقل التأكيد من الخارج إلى الداخل، من الآلهة المنفردة غير المهتمة بالبشر إلى الإله الشخصي الذى يتعامل مع النفس الإنسانية ويطلب كمالها وخلاصها الأبدي. ومع مجيء المسيحية صار يتواجه الإنسان البشرى وجهاً لوجه ليس مع قوى غامضة مطلقة لاشخصية بل مع شخص حي هو الله المثلث الأقانيم من خلال الابن كلمة الله المتجسد.

لقد أعطت المسيحية للفرد البشرى الإحساس بأن بداخله، ككائن مفرد وبعيداً عن العبودية للقبيلة والبشر، أعمق أسرار الحياة. فما هو فائق للطبيعة هو موجود بداخله فلم يعد مطلوباً من الإنسان أن يضحي بنفسه لصالح قوة غامضة لاشخصية ليبلغ مصيره. بل أصبح عليه أن يبحث داخل عمق أعماقه، فيتواجه ويتحد بهذا "الآخر" الذى هو مصدر حياته وشخصيته. لقد أصبح في إمكانه أن يبلغ إلى ما يسمى بـ "التأليه" الكامل أي التقديس الكامل في الجسد والنفس. فالجسد لم يعد مُستثنًى من هذا المصير، والمادة ليست شريرة، فهي أيضاً مخلوقة بيد الله وتحوى في داخلها قوى روحية معينة.

وبهذا الفهم للحياة الإنسانية التي أصبحت تبادلاً شخصياً مكثفاً بين الفرد البشرى والله، بين الخليقة البشرية والنور الأسمى، أصبح الإنسان ليس كائناً مصيره الموت والدفن في عالم مائت، بل مخلوقاً على صورة الله، ويحوز في داخله السمة الروحية جنباً إلى جنب مع السمات الجسدية والنفسية. والسمة الروحية تفوق تلك النفسية والجسدية والقوانين التي تحكمها. إنه

ساكن الأبدية وأعلى من القَدَر والحظ والحتمية المميتة.

هذا الإعلان الجديد عن الله أتى إلينا في شخص ربنا يسوع المسيح الذى وُلد من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس، وهو الابن الأزلي وكلمة الله الذى صار إنساناً.

وإذ جمع المسيح في نفسه البشرية واللاهوتية، قدَّس في نفسه البشرية وبرَّرها وأقامها من الموت وأصعدها إلى السماوات وأجلسها عن يمين أبيه في السماوات. وهكذا أصبح للبشر السلطان أن يولدوا جديداً من هذه البشرية المؤلَّهة في شخص المسيح لينالوا خلقة جديدة وحياة جديدة لها كل ما لهذه الطبيعة التي في المسيح من بر وطهارة وقداسة وحياة أبدية.

من هو المسيحي:

المسيحي هو من آمن بالمسيح واعتمد لموته وقيامته من بين الأموات، فوُلد جديداً من الطبيعة الجديدة التي قدسها المسيح، وبهذا أصبح مسيحياً، أي:

١ - **مولوداً للحياة الجديدة** التي أتى بها المسيح بتجسده، وهذه الولادة الجديدة تتم من الماء والروح أي من خلال سرِّ المعمودية.

٢ - **منتمياً للمسيح وتابعاً له**: وذلك بالحياة والعمل والقول والفكر (القديس غريغوريوس النيصي - كتاب "الكمال").

٣ - **له سمات المسيحيين كما** يوضحها القديس مقاريوس (في عظته الخامسة):

✠ إن عالم المسيحيين هو من نوع خاص، سواء في أسلوب حياتهم أو تفكيرهم أو حديثهم أو أفعالهم.

✠ **ما يميز ذهن المسيحيين وعقلهم هو أنهم دائماً متمركزون حول السمائيات.** فهم ينظرون إلى السمائيات لأنهم يشاركون في الروح القدس، لأنهم وُلدوا من فوق من الله وهم أولاد الله بالحق والسلطان. ومن خلال أتعاب كثيرة وعرق غزير تألموا لزمن طويل حتى بلغوا حياة الهدوء والسكون والسلام.

✠ **أفكارهم يتغلغل فيها سلام المسيح ومحبة الروح.**

✠ ومن خلال تجديد الذهن واختبار السلام الباطني ومحبة الرب وعشق السمائيات، **يتميز المسيحيون عن أهل هذا العالم بالخليقة الجديدة التي نالوها في المسيح.**

✞ **وبهذا يقتنى المسيحيون مجداً وجمالاً وغنى سماوياً غير موصوف ينالونه بالعمل الشاق والعرق ويحصلون عليه، ويتحللون من كل ارتباطات غير شريفة بالأرضيات.**

✞ **ولأن المسيحيين لهم طريقتهم في الحياة والطعام والملبس ويفضلون وسائل للتمتع مختلفة عما يستعمله نظراؤهم من أهل العالم ولهم طريقتهم في الحوار، ولأن ذهنيتهم تختلف عن الآخرين؛ لذلك فهم يتميزون عن باقي الناس، وهذا بسبب الروح القدس الذى في نفوسهم.**

رسالة المسيحي نحو العالم:

ولكن هذا لا يعنى أن يعطى المسيحي ظهره للعالم ولمجالات الجهاد الإنساني من أجل الحق والعلم والترقية الاجتماعية، فالمسيحي لا يترك الرسالة التي ينبغي أن يقوم بها وتقوم بها الكنيسة للشهادة للحق ولتقديس الأجيال من أبناء العالم من غير المؤمنين والملحدين. فلكي يؤدى المسيحي رسـالته ومهمته، أو لكي يساعد الكنيسة أن تقوم بـدورها، عليه أن يحاول جاهداً أن يوفق بين محبته لله وبين المحبة الصحيحة للعالم كما "أحب الله العـالم" (يوحنا٣: ١٦)، وذلك يتم بأن يعرف – وهو يستخدم العالم – كيف يقدِّمه لله، باعتبار هذا العالم أصلاً هو عطية من الله أُعطيت له لكي يستخدمه لمجد الله. وهذا ما يعمله المسيحي في الكنيسة، إذ يقدم لله مما ناله من الله أصلاً، يقدمه كقربان وكبذل، لكي يتحول بالأسرار إلى عطية روحانية من الله له، تهبه الحياة الأبدية. بهذا يتجلى العالم ويُظهر ما أراده الله من خلقته: أن يكون محلاً ومسكناً لملكوت الله وربوبيته وهذا هو ملكوت الله. وبهذا فالمسيحي هو رسول ملكوت الله في العالم، وهو في بيته وفى مكتبه وفى مشروعاته ومهنته ووظيفته التي يقوم بها مثل باقي المواطنين في هذا العالم، لكنه يعمل كل هذا باعتباره رسول ملكوت الله: ملكوت المحبة والسلام والأمانة والصدق والعفة والطهارة وكل الفضائل المسيحية.

المسيحي والكنيسة:

والمسيحي لا يحيا حياته المسيحية منفرداً، بل يجتمع مع الجماعة، حيث يجتمع المسيحيون معاً كجسد واحد هو جسد المسيح. يجتمعون معاً بدعوة من الله، لكي يتقدسوا بتقديم ذواتهم وعالمهم وكل مالهم لله، قرباناً مقبولاً في قربان تقدمة المسيح ذاته للآب على الصليب.

والكنيسة وهى تجتمع معاً تكون مُلبِّية دعوة الله للمسيحيين من أماكن سكناهم وأعمالهم ليلتئموا معاً مقدِّمين أنفسهم أولاً وعالمهم بعد ذلك قرباناً لله. وإذ ينالون من الله **"خبز الحياة"** وعصير المحبة **"عصير الكرمة"** اللذين للحياة الأبدية، يخرجون إلى عالمهم ثانية ليبثُّوا فيه

الحياة الأبدية، باعتبارهم جسداً واحداً وخميرة حيَّة للحياة الأبدية، يعيشون كإخوة، يستمدون وجودهم من نفس "الرَحَم" الواحد الذى هو "جسد المسيح" الحي، وينشرون المحبة والسلام والأمانة والصدق بين الجميع. لذلك تُدعى الكنيسة "الشعب المختار الجديد"، "إسرائيل الجديد" ولكن برسالة جديدة، أن تعلن للعالم محبة الله وعهده مع البشر في شخص يسوع المسيح. ويقوم اتحادهم معاً لا على أسس أرضية جسدية: قَبَلية أو عِرقية أو سياسية، بل على "العهد الجديد" المعقود بين الله والبشر المختوم والمؤمَّن عليه بدم المسيح وذبيحته التي رُفعت على الصليب.

ولكي يجدد المسيحي ويداوم عضويته في هذا الشعب وهذا الجسد، ولكي يظل عضواً في جسد المسيح الحي، فعليه أن يقبل أولاً هذا "العهد الجديد"، وذلك يتم أولاً في سر المعمودية ثم بالتناول المتواتر من الجسد والدم الأقدسين في سر الإفخارستيا، فيتناول في وقت واحد: عربون حياته الأبدية، وتجديد عضويته في جسد المسيح السرائري أو السري، أي القائم على والمستمد من سر الإفخارستيا، وينال سلطان الكرازة والبشارة والشهادة للعالم خارج الكنيسة بمحبة الله التي تمثلت في موت المسيح على الصليب فداءاً للبشرية.

شهادة المسيحي خارج الكنيسة:

لذلك يخرج المسيحي من الكنيسة بعد تناوله من سر الإفخارستيا ليبدأ خدمته وشهادته للعالم عن محبة الله في المسيح وبرّ الله في المسيح المعلَنين لكل العالم وذلك عن طريق محبته للآخرين. وذلك يتمثل في الممارسات الآتية:

١. **اتساع قلبه وفكره تجاه الجميع، سواء كانوا أقرباءَه أو غرباء عنه، ممن يعتنقون إيمانه المسيحي أو إيماناً آخر**، تجاه بنى وطنه أو تجاه العالم أجمع، حسب الوضع الذى يضعه فيه الله. فقد يكون مواطناً في قرية أو مدينة، أو قد يكون مسئولاً عاماً في منظمات وهيئات دولية، وفى كلتا الحالتين يشهد للمسيح بأمانته في العمل وحكمته الروحية وسداد تفكيره واستعداده دائماً للبذل من أجل الآخرين.

٢. **يتميز المسيحي بقربه وتفاعله وجدانياً مع كل مَنْ هو محتاج إلى محبته وخدمته** سواء كان فقيراً أو مهمَّشاً في المجتمع أو مظلوماً أو مطروداً أو عاجزاً أو مريضاً متألماً. وهو في هذا لا يحس بتفضُّل القادر تجاه غير القادر أو اكتفاء الغنى تجاه المحروم، بل هو يفعل ذلك كي يؤدى خدمته لشخص المسيح الذى وحَّد نفسه مع هذه الفئات المحرومة وجعل خدمتهم بمثابة خدمة يقدمها للمسيح نفسه كقول المسيح نفسه: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر

فبي فعلتم" (متى ٢٥: ٤).

٣. **الأسرة المسيحية هي منطلق الإنسان المسيحي في خدمته للمجتمع**، وهى العمل الذى يمارس فيه المسيحي محبته وبذله ويتدرب عليهما وينمو فيهما: فالرجل يحب زوجته باعتبارها جسده أي نفسه وكيانه فيحفظها ويصونها ويعاملها بكل محبة مبتعداً عن كل عنف وإيذاء لها، والزوجة تحترم وتوقر زوجها عن طريق طاعته وإرضائه وخدمته، طاعة وخدمة خالصة للمسيح وفى المسيح. والاثنان يشتركان في تربية أبنائهما وبناتهما أولاً بالقدوة الحسنة والتأديب في الرب وتيسير أجواء المحبة والهدوء والسلام داخل البيت، والأبناء يتلقون تربية والديهم لهم في الرب بالطاعة والاحترام ويردون على محبتهما لهم بالمحبة والرعاية الواجبة في سني شيخوخة والديهم وعجزهما.

٤. **الصلاة هي ينبوع قوة المسيحي، وهى طريق ملجأه الدائم نحو الله، والصلاة هي هيكل عبادته**: أولاً في القلب بالصلاة الدائمة المستمرة، ثم مجتمعاً مع أسرته في البيت أمام مذبح العبادة العائلية اليومية سواء مع الأسرة أو مع الأقرباء أو مع الضيوف والزوار، حيث يؤدون صلواتهم معاً، ويقرأون كلمة الله معاً، ويتداولون في شئون حياتهم تحت بصر وسمع الله بالروح القدس الساكن فيهم، وتحت أجنحة الصلاة يحتمون، ومن كنز محبة الله يتلقون المعونة الإلهية في حينها، وبوعود الله يترجّون دائماً النجاح والسلام والشفاء وسهولة الحياة وقداسة المباشرات والمعاملات الزوجية والاجتماعية، داخل البيت وخارجه.

٥. **الممارسة الدائمة والأمينة للواجبات الوطنية تجاه الوطن أينما كان هذا الوطن**، بمنتهى الموضوعية والأمانة وصراحة المحبة والتزام الحق السياسي الوطني كما يتلقاه المسيحي أو يبلغه بالقراءة والدراسة والمشاركة في المنتديات والمجتمعات والتشكيلات الوطنية المتاحة، بغض النظر عن أي انتماء ديني أو عقائدي أو إثني (عِرقي). فالمواطَنة تعلو فوق كل حدود تضعها الذات الأنانية أو الذهنية المتحجرة أو النفسية المتحصّنة وراء أي تعصب أو كراهية أو تحيز.

٦. **فالمسيحية تعطى المسيحي أكبر دفع من المحبة الخالصة للمجتمع والقدرة على طلب المصلحة العامة والتزام القانون وخدمة المجتمع الوطني** بكل فئاته وبكل تشعباته، مفضلاً ذلك على مصلحته الشخصية، ونزعة استقلاليته وتحرره، وتحيُّزه لبنى دينه أو مذهبه أو أسرته أو قريته أو دائرة عمله ومجال انشغاله.

٧. **الإنسان المسيحي والإنسانة المسيحية يتميزان بمُثُلهما الأخلاقية الشخصية والاجتماعية وبقيمهما الحياتية المستمدة من الإنجيل ومثال المسيح والعذراء القديسة والقديسين**

والقديسات. وأول قيمة من القيم الأخلاقية هي المعاملة بينهما، وعلى الأخص في سني الشباب. وهنا نود أن نعرض لنمط التعامل المسيحي بين الشاب والشابة الذى يقوم على الاحترام المتبادل لشخص الآخر، والتسامي على أي نوع من الاستثارة أو العلاقة الخارجة عن حدود المعاملات البريئة ما تفشى في هذه الأيام. ونوعّي هنا كل شاب وشابة أن يحذر وأن تحذر من أي طريق يؤدى إلى المساس بحُرمة طهارة جسديهما والتلاعب بغرائزهما الجنسية المختصة بالنسل والتناسل. فإن أقدس ما وضعه الله في الطبيعة البشرية هو سر الزواج الذى فيه يشترك الإنسان مع الله في الخلقة من خلال المحبة والبذل والاتحاد الزيجي الذى يتكلل بسر حلول الروح القدس وتقديسه للحياة الزيجية.

ومن أخطر ما يثير الشاب والشابة في علاقاتهما معاً تزييف معنى "الجمال" كوسيلة للتجاذب بين الطرفين. فالجمال هو القيمة الباطنية الروحية التي وضعها الله في خليقته "ورأى الله ما صنعه فإذا هو حسن (جميل)" (تك ١ :٣١). الجمال هو النافذة التي منها نطل على كمال الخالق، وقداسة المخلوق. ولأن الإحساس بالجمال المتبادل بين الطرفين هو المدخل إلى تحقيق التلاقي المؤدى إلى تكميل سر الزيجة، وثبات أساسات الأسرة، لذلك فقد أحاطه الله بأكبر قدر من التغطية والسرية والروحانية. فأي تشويه اصطناعي للجمال الطبيعي الفطري للرجل والمرأة عن طريق التمادي في الكشف الجسدي وللتجمل بكثرة المساحيق على الوجه أو استخدام الروائح النفاذة، لا يمكن إلا أن يؤدى إن آجلاً أو عاجلاً إلى خداع متبادل بين الطرفين، ما يسبب تحوُّل نظرتهما من الجمال الباطني أي القداسة، إلى الجمال الظاهري الفارغ من مضمون الجمال الحقيقي وفى غياب القداسة. لذلك فحينما ندعو إلى الحياء في العلاقات بين الطرفين وإلى الاحتشام في الملابس والاقتصاد في التزيُّن والتجمل الخارجي، فنحن ندعو الشباب إلى التزام الصدق والأمانة والإخلاص في العلاقات. وهذا يضمن صحة ودوام الأُلفة وثبات التوافق بين الطرفين فيما بعد على مدى العمر المديد، وتحاشي الخداع المظهري الكذاب الذى ينتهي أخيراً بالتفكك الأسرى والطلاق وما يتبعها من مآسي ومشاكل للمجتمع كله. لذلك نعود ونكرر الدعوة إلى التزام تقاليدنا القبطية الرائعة في العلاقات بين الشاب والشابة. فالشاب يلتزم الجدية والاحترام والاتزان في علاقاته مع الجنس الآخر والحرص على ألا يخدش - بأية وسيلة - طهارة قلب وجسد أو حياء الجنس الآخر. والشابة المسيحية ليتها تعود مرة أخرى إلى زي الحشمة والتجمُّل لا بزينة الجسد المُبالَغ فيها بل بزينة الروح الوديع الهادئ وجمال القداسة الباطنية الأكثر روعة من أي روح غريبة عن المسيحية وعن حضارتنا القبطية التقليدية.

رتبة شعب الله ومقام المؤمنين في الكنيسة:

هذا هو الحديث الذى توجهه الدسقولية إلى شعب الله:

١٥:١٥ [فإن الذين يعتمدون الآن يُدهنون أو توضع اليد عليهم، لا ليصيروا كهنة، ولكن ليصيروا مسيحيين من قِبَل المسيح "مملكة وكهنوتاً وأمة مقدسة"، كنيسة الله، عموداً ثابتاً للعريس، الذين لم يكونوا شعباً في ذلك الزمان، وأما الآن فقد أحبهم الله واختارهم]

١:٦ [أسمعوا هذا أيها الشعب، كنيسة الله المختارة. إن الشعب الأول كان يُدعى شعب الله، والأمة المقدسة. وأنتم كنيسة الله المقدسة التي كتبت في السماوات مملكة وكهنوت للأمة المقدسة، شعب بار، العروس المزينة للإله، الكنيسة العظيمة، الكنيسة الأمينة.]

وصايا لشعب الله

مقدمة:١١ [احرصوا يا أبناء الله أن تصنعوا كل شئ يأتي بكم إلى صوت الله. وارضوا الرب إلهكم في كل شئ. لأنه إن سعى واحد إلى الخطية وصنع ما يتضاد مع إرادة الله فهذا يُعدُّ كالوثني.]

مقدمة:١٢ [ابعدوا عنكم كل غضب، ومحبة النصيب الأكبر. لأن كل شهوة هكذا بهذا الشبه هي من الشرير ...]

١:٩ - ٤ [فإذا أردت أن تصير مسيحياً، اسلك في ناموس الرب.. وحل رباطات الظلم، لأن المخلِّص أعطاك السلطان أن تغفر لأخيك الخطايا التي أخطأ بها إليك إلى سبعين مرة سبع مرات أي أربعمائة وتسعين مرة. وأنت إذا ذكرت الظلم، وحفظت العداوة، وأردت أن تتقاضى معه لأجل الغضب؛ فإنك تمنع صلاتك من أن تصعد قدام الله.. ولكن بالأحرى إذا تقدمت وغفرتَ لأخيك الأربعمائة وتسعين مرة، فداوم على عدم الغضب، وطلب الصلاح له بالأكثر من أجل خلاص ذاتك. وإذا لم يعمل هو هكذا بك، أسرع أنت ولأجل الله اغفر لأخيك لكي تصير ابناً لأبيك الذى في السماوات. فإذا صليت يسمعك كصديق له] - الدسقولية

باسيليوس ١٠٦ [قبل كل شئ تحب الرب إلهك من كل قلبك، ليس بشفتيك وحدهما ولسانك.

تحب قريبك مثل نفسك لكي تكمل الناموس. لا تظن بهذه الكلمة ضعفاً، فإني أنا الذي أقيمه لك بتمام.

هل تظن أن الرجل الذي يشتهي زوجة صاحبه هو يحبه؟ أو الإنسان الذي يكذب على صاحبه ويغتصب ماله أو يظلمه أو يجدف عليه أوَ يعيِّره أو يكون له مرابياً أو يصنع به سوءاً هو يحبه. إذ كان من يحب صاحبه لا يصنع به شيئاً من هذا فحسناً قيل إن الذي يحب صاحبه قد أكمل الناموس.

اسمع الآن طريق الموت لئلا تسلك فيه وتقول محتجاً إنهم لم يخبروك به:

لا تزن، لأنه قيل إن الإنسان الذي يزني بجسده لا يخلص، وأيضاً إن الذي يلتصق بزانية يكون قد صيَّر عضو المسيح عضواً للزنا.

لا تكن محباً للنصيب الكبير، فإنه شُبِّه بعبادة

الأوثان.

لا تأخذ بوجوه الناس، فإن المراءاة سميت من الله كالاستهزاء.

لا تظلم، فقد قيل عن الظالم إن الظالم باغض نفسه وحده.

لا تحسد ولا تحزَن، فإنه قيل إن الموضع الذي يكون فيه الحسد والحزَن فإن هناك يكون أيضاً كل شئ سوء.

لا تبغض أخاك، فإنه قيل عن من يبغض أخاه إنه قاتل الإنسان.

لا تسكر بخمر بالأكثر، لأن النبيذ غير عزيز والسكر عار.

لا تزدرِ بصاحبك أنه فقير وأنت غني، فإنه قد كُتب إن منْ هزأ بفقير فإنه يُسخط الذي خلقه.

لا تكذب، فقد قيل إن الرب يُهلك كل من ينطق بالكذب.

لا تسرق ولا تشتهِ ما ليس لك لتغتصبه، فإنك سمعت أن الغاصبين لا يرثون ملكوت الله.

لا تفرح بهلاك عدوك، فقد قيل إن الذي يفرح بهلاك عدوه فإن الشر لا يزول عنه.

لا تلعن، فقد قيل إن السكن في البرية أُميَزَ من السكن مع اللَعَّان.

لا تحلف باسم الرب على شئ فارغ لاسيما كذباً، لئلا تسمع أيضاً ما هو مكتوب إن الذي يجحدني قدام الناس فإني أجحده قدام أبي الذي في السماوات.

لا تكن غير شكور، لا تكن غير صبور لئلا تكون متشبهاً بإبليس.

لا تقل كلمة سوء. فقد قيل هزءاً وكلام سوء لا يُنعت اسمه فيكم، فإن كل كلمة سوء يقولها الإنسان فإنه سيعطى عنها جواباً.

إذا غضبت فلا تأثم بغضبك، لئلا تربح عداوة مع صاحبك. والذي يعادى صاحبه باطلا إلى أن تغيب الشمس لأجل أشياء أرضية ولاسيما وهو يتناول من السرائر المقدسة ليس هو بمسيحي.

طريق الموت وطريق الحياة:

ها هي الكلمة: «الآن قد وضع الله بين أيدينا طريق الموت، فمن سلك فيها فإنه يموت. واسمع الآن أيضاً طريق الحياة ولتسلكوا فيها لكي تحيوا»:

أول كل شئ، الإيمان والفضيلتان الأُخريان متصلتان به وهما الرجاء والمحبة، وبعد ذلك الفهم بتواضع، كما هو مكتوب: إنه يعطي نعمة للمتواضعين، وأيضاً: نحب بعضنا بعضاً مثلما أحبنا الرب، فنكون قلباً واحداً، ونطلب الطهارة التي تصعد بنا إلى السماء ولنهرب من المجد الفارغ.

الدعوة النبوية لشعب الله، أو رسالة المسيحي وسط العالم لتخليص النفوس:

المسيح هو "النبي" العظيم للعهد الجديد الذي وعد الله به الشعب القديم على فم موسى النبي: "يقيم لك الرب نبياً من وسطك من اخوتك مثلي. له تسمعون" (تثنية ١٨:١٥). وإلى أن يُستعلن المسيح في مجده في مجيئه الثاني، فهو يُتمّ كل يوم دعوته النبوية وسط العالم من خلال شعب الله (إكليروساً وشعباً).

وتقدم الدسقولية (تعاليم الرسل) هذا التعليم

إلى الكنيسة:

[كونوا، إذاً، يا رجال شعب الله، مسالمين بعضكم للبعض، وجاهدوا كمثل حمامة حكيمة أن تملأوا الكنيسة، فتُغيِّروا وتروِّضوا مَنْ هم متوحشون، وتُحضرونهم إلى وسطكم. وهذه هي المكافأة العظيمة التي وعد بها الله، أن من يخلِّص هؤلاء من النار ويُدخلهم إلى الكنيسة، فإنه يثبت ويُحسب من بين الأمناء].

أي أن الدعوة النبوية لشعب الله هي نشر السلام على الأرض، ودعوة الناس إلى حياة الخلاص والتوبة وإلى التخلي عن نزعة الوحشية في الطبيعة البشرية العتيقة، وإلى التحلي بطبيعة الوداعة كمثل الحمامة.

الصدقة:

الدسقولية ٢٧ [من ليس له شئ فليَصُم وليجعل نصف قوته للقديسين].

الصلاة في كل وقت:

باسيليوس [لتكن الصلاة عندنا في كل وقت ككلام الرسول: "صلِّ بغير فتور"، وقال أيضاً "ارفعوا أيديكم طاهرة"، لئلا يُقال لنا أيضاً: "إنكم إذا رفعتم أيديكم إليَّ فإني أردُّ وجهي عنكم".

لنصلِّ بأفعالنا التي نفعلها كي يسهِّل الرب سُبُلنا. لنصلِّ حتى يدبر الرب أمورنا. لنصلِّ حين نأكل ليبارك الله الرب فينا وفي خبزنا، وإذا فرغنا مما نأكل ليبارك الله في طعامنا ويثبته في قلوبنا ويعدَّ لنا ما يجب أن نأكله] – ٢٨

مواعيد الصلوات:

١. [لنصلِّ في الساعة الثالثة لأن في تلك الساعة صُلب مخلصنا.

٢. لنصلِّ في الساعة السادسة لأن في تلك الساعة كانت الظلمة.

٣. لنصلِّ في الساعة التاسعة لأن في تلك الساعة أسلم الكلمة روحه في يد أبيه الله... ولأن في تلك الساعة صار لنا الخلاص والحياة.

٤. لنصلِّ عند غروب الشمس لأنه تمام اليوم. لنصلِّ وقت أن ننام ليحفظنا الله في الليل. لنصلِّ نصف الليل لأن في ذلك الوقت الملائكة يخدمون الله.

٥. لنصلِّ وقت صياح الديك [الفجر] لأن في ذلك الوقت قام الرب من بين الأموات.

٦. لنصلِّ باكراً إذا قمنا من نومنا ومن فراشنا.

ولنعلِّم أولادنا أن يصلوا هذه الصلوات بكل عفاف وبقلب طاهر] – باسيليوس ٢٨.

الصلاة والصوم

[الصلاة والصوم طردا الشياطين، ولاسيما إذا اقترنت بها أعمال الرحمة] – قانون ٢

الصوم وقانونه:

باسيليوس [الصوم الأرثوذكسي الذي لقانون الكنيسة أن نصوم إلى الساعة التاسعة من النهار (الثالثة بعد الظهر)].

وكل واحد يجب عليه أن يتحفظ في كل الأربعين يوماً وأسبوع البصخة، لأن غفراننا وخلاصنا فيه. وهو شئ خارج عن الزيجة أن يلتصق واحد بفراشه في الأربعين يوماً كلها حتى للذين تزوجوا في هذه السنة] ٣٠.

المفهوم الروحي للصوم

[الصوم وحده ليس هو عن الخبز والماء بل

الصوم المقبول أمام الرب هو القلب الطاهر. وقيل عن آخرين يصومون "إنكم تصومون بدينونة" وأيضاً "إن صومكم لا أقبله. قوم صاموا وقتلوا باراً". إذا كنت تصوم عن الخبز والماء وتأكل أخاك وتشرب دمه بظلم، بتحريك لسانك وبالسعي به فماذا نربح إذا صمنا؟ فإن كان الجسد جائعاً وعطشاناً والنفس تأكل الأعراض والقلب نجساً باللذات والفكر فما هو الربح الذي لصومك. اعرفوا هذا أيها المتأدبين المحبين للعالم] – ٣٠

حفظ صوم الأربعاء والجمعة والصوم الأربعيني:

أبوليدس ٣٨ [في أيام الصوم التي قُنِّنت: الأربعاء والجمعة والأربعين. والذي يزيد على ذلك فإنه ينال أجراً. ومن خالف هذا من غير مرض أو شدة أو ضرورة، فهو خارج عن القانون وهو مخالف لله الذي صام عنا] – القانون ٢٠ .

حفظ أسبوع الفصح بوقار:

أبوليدس –٣٨ [في أسبوع الفصح الذي لليهود يجب أن نتجنب الفرح. والأسبوع الذي لفصح اليهود فليتحفظ فيه كل الشعب بحفظ كثير ليصوموا فيه عن كل شهوة حتى أي كلمة لا يقولونها بفرح بل بحزن عارفين أن رب الكل الغير متألم قد تألم عنا فيه، لكي نصبر للآلام التي نستحقها لأجل آثامنا. ونحن أيضاً نشارك الآلام التي قبلها عنَّا، لنشاركه في ملكوته. والطعام الذي في البصخة – خبز وملح وحده وماء. فإن كان واحد مريضاً أو في مدينة وليس يعرف فيها مسيحي ولا يعرف زمان البصخة أو لأجل مرض آخر، فليصوموا بعد الخمسين ويصنعوا البصخة بأدب لتظهر نيتهم أنهم لم يتوانوا بغير خوف، ولكن ليس معنى هذا أنه مصرح لهم أن يصنعوا البصخة وحدهم فيضعوا أساساً آخر غير الذي وُضع] – ٢٢.

ضرورة عدم الأكل أو الشرب قبل التناول

أبوليدس –٣٨ [لا يذُق أحد من المؤمنين شيئاً إلا بعد أن يتناول من السرائر المقدسة لاسيما في أيام الصوم] قانون ٢٨.

وصايا لسلوك النساء المسيحيات:

أبوليدس الـ ٣٨ [لا تدع شعرها محلولاً أي يكون ضفائر عليها في بيت الله، ولا تجعل دوايب على رأسها، إذا أرادت أن تتناول من الأسرار المقدسة.

لا تعطى أولادها للدايات (المُربيات) بل تربيهم هي وحدها كاسم الزيجة، ولا تتوانى عن خدمة بيتها...

هي تذكُر الله في كل وقت، وتهتم بالفقراء القريبين منها.

ولا يكونن أدوات ضحك ولا يتكلمن أبداً في الكنيسة لأن بيت الله ليس هو موضع كلام بل موضع صلاة بخوف. والذي يتكلم في الكنيسة يخرج ولا يقرب في تلك المرة من الأسرار.

إذا مضت إلى بيت الله من قبل أن تتطهر (بعد الولادة) فتصلى مع الموعوظين الذين لم يُقبلوا بعد.

والعذارى النساء إذا أتى وقت درجة نسائهن فليغطين رؤوسهن مثل النساء الكبار ببلاليلهن ليس بقماش خفيف] القانون ١٧.

أبوليدس ٣٨ [المرأة التي تلد فلتقم خارجاً عن الموضع المقدس (الهيكل) أربعين يوماً إن كان الذي ولدته ذكراً، وإن كانت أنثى ثمانين يوماً. وإذا

دخلت الكنيسة تصلى مع الموعوظين] – القانون ١٨

باسيليوس ١٠٦ [يجب للنساء أن يتزيَّن بالتواضع ككلام الرسول، ولايتزيَّن بذهب ولا بفضة ولا بزينة ما خلا الجمال الحقيقي...

ولتكن طائعة لبعلها كالوصية مثل النساء الأُوليات، ولا تتزين إلا بالزينة التي زيَّنها بها الخالق.

امرأة تلبس ذهباً وهي ماضية إلى الكنيسة أو تلبس حلياً أو تتعطر بعطر غالي الثمن هذه تكون عثرة] – ٢٦

تحريم الاستعانة بالمنجمين والعرافين

[باسيليوس الـ١٠٦ – قانون ٣٤ و ٣٥] من يستسلم إلى أنبياء البخت والمنجمين لأي غرض من الأغراض تُفرض عليه عقوبة القاتل.

حضور الكنيسة حيثما كان فيها صلاة:

أبوليدس – ٣٨ [إذا كان في بيعة الله عظة على كلام الله، فليسرع كل واحد ويستمع إليه. وليعلموا أن هذا امتياز لهم أن يسمعوا كلام الله أكثر من كل افتخار هذا العالم، وليعتبروا أنها خسارة عظيمة لهم إذا عاقتهم ضرورة أن يسمعوا كلام الله، بل ليتفرغوا للكنيسة مرات كثيرة ويتقووا، ويُخرجوا الحقد الذي للعدو. وحتى إذا كان واحد يعرف القراءة، فإنه يربح بالأكثر إذا سمع ما لم يكن يعرفه لأن الرب يكون في الموضع الذي يُذكر فيه اسم الربوبية، وتحل الروح في المجتمعين، ويُنْعَم على الكل. فلأجل هذا فليجعل كل واحد همته أن يمضي إلى الكنيسة في كل الأيام التي تكون فيها الصلوات] – قانون ٢٦.

آداب الحضور للكنيسة[1]:

[ولا يخرج أحد من الكنيسة بغير ضرورة من بعد قراءة الإنجيل المقدس إلا بعد رفع القربان وبركة الكاهن والتسريح].

[ومن ضحك في القداس إن كان كاهناً فعقوبته أسبوع (حرمان من التناول). وإن كان علمانياً فليخرج في تلك المرة ولا يتناول من الأسرار].

[ولا يتكلم أحد إطلاقاً في الكنيسة لأن بيت الله ليس موضع كلام بل موضع صلاة بخوف. والذي يتكلم في الكنيسة يخرج ولا يتقرب في ذلك اليوم من الأسرار].

[يجب أن تقفوا في الكنيسة بهدوء وعفاف ويقظة لسماع كلام الرب بانتصاب عظيم، كل واحد في رتبته كاستحقاقه مثالاً للسمائيين:

الأساقفة في صدر الهيكل كالمدبرين،

والقسوس بعدهم كالمعلمين،

والأرشيدياكون إلى جانبه (جانب الأسقف)،

والشمامسة بعد القسوس كالخدام.

وسائر الشعب بعدهم: الشباب في موضع وحدهم إن كان ثمة موضع يسعهم.

والصبيان يقفون عند آبائهم. وكذلك النساء في موضع وحدهن: (المتزوجات ناحية، والبنات ناحية، وإذا لم يكن للبنات موضع فليقفن خلف النساء. وأما العذارى والراهبات والأرامل (كرتبة في الكنيسة) فليتقدمن الجميع من النساء في

(١) من قوانين القديس باسيليوس، وقوانين الرسل، والدسقولية.

وقوفهن وصلواتهن].

[وإذا تكاملت الصلوات كلها فليعترف القسوس بالثالوث. وليَصِح الشعب جميعه بقول الاعتراف. وليقل القس من فم أول الشمامسة هذا النداء:

نداء قبل التناول:

[من كان طاهراً فليدنُ من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر فلا يدنُ منها لئلا يحترق بنار اللاهوت. ومن كان له عثرة مع صاحبه، ومن كان فيه فكر زنا ... فلا يدنُ]

ضرورة غسل اليدين قبل الصلاة:

أبوليدس - ٣٨ [كل مسيحي يغسل يديه في كل وقت يأتي فيه ليصلي. والمرتبط بالزيجة حتى ولو حينما يقوم من عند زوجته ليصلي، لأن الزيجة غير نجسة ولا تحتاج إلى حميم بماء من بعد الولادة الثانية (المعمودية) ما خلا غسل اليدين لا غير، لأن الروح القدس يوشم جسد المؤمن ويطهره جميعه..] قانون ٢٧.

من لا يقبل تأديب الكنيسة:

قرطاجنة ١٠- [لأجل أن أناساً كثيرين جهالاً عتاة منحرفين عن فعل الخير ولم يتفق أن قبلوا تأديب الأساقفة ولا تعليماً ينتفعون به ولا يهوون تعليم كلام الله الذى جاء به الآباء، بل متهاونون، وهم في أنفسهم باغضون العفة، قالت الجماعة: إنه أيُّ مَنْ كانت هذه سيرته وهو غير حافظ للخير ولا سالك طريق الاستقامة، فلا يُقبل البتة].

الباب الثالث

بحث كنسي روحي حول

الزواج المسيحي والأسرة

والمواجهة المسيحية للطلاق

١ . نظم الزواج في مراحله التاريخية والقانونية.

٢ . الأسرة ومكانتها في المجتمع المسيحي.

٣ . الطلاق والمواجهة المسيحية له.

الفصل الأول

نظم الزواج في مراحله التاريخية والقانونية

الكنيسة لكونها تجمع شعب الله حول جسد المسيح ودمه الأقدسين لتتناول منه لتصير جسداً واحداً وروحاً واحداً، تصير بالحقيقة هي الكنيسة جسد المسيح، وليس مجرد تنظيم اجتماعي أو شعبي مثل باقي التنظيمات البشرية. لذلك فالمسيح نفسه هو الذي يقود الاجتماع الإفخارستي الذي يتحول في النهاية إلى جسد المسيح السري.

ففي هذا الإطار يُعتبر الزواج المسيحي سراً كنسياً طالما يجرى في إطار الخدمة الليتورجية وينتهي بالاتحاد بجسد المسيح ودمه في سر الإفخارستيا.

ويختلف الزواج المسيحي عن الزواج في اليهودية وعنه في المجتمع الروماني الوثني الذي عاش فيه المسيحيون الأوائل.

أولاً: الزواج في اليهودية

في الفكر اليهودي كما يتضح من أسفار العهد القديم، نرى أن هدف الزواج هو الإنجاب. وبركة الله للرجل التي لا غنى له عنها كانت في استمرار النسل. وقد أثمرت طاعة إبراهيم لله بالوعد بالنسل الكثير له. هذا الوعد المعطَى لإبراهيم يوضح لماذا كان رجال العهد القديم ينظرون إلى قلة النسل على أنها لعنة، وعلى الأخص على النساء.

هذه النظرة الواضحة جداً في العهد القديم لارتباط الزواج بالنسل والنسل بالبركة، مرتبطة أساساً بحقيقة أن اليهودية في مراحلها المبكرة لم يكن فيها إشارة واضحة إلى وجود حياة بعد الموت. وكان أتقى اليهود يأملون في وجود غير مكتمَل بعد الموت في مكان اسمه بالعبرية "شيئول" (الذي يترجم بـ "الجحيم"). لذلك يسأل المرنم الله المعونة ضد أعدائه الذين يطلبون قتله، متسائلاً هل في الجحيم من يعترف لك وفي الموت من يُسبِّحُك؟ (مز٨٨: ١٠).

إن الله هو "إله أحياء" (مت٢٢: ٣٢) وليس "إله أموات"، لذلك فقد كان فهم الوعد لإبراهيم يتضمن أن الحياة يمكن أن تدوم في النسل، وبالتالي فالاهتمام كان مركَّزاً على ولادة الأولاد.

وإن كان الزواج في اليهودية (سواء الزواج الواحد أو المتعدد) هو الوضع الطبيعي، إلا أن

المعاشرة غير الزوجية كانت مباحة وأحيانا كان يوصى بها لتأمين استمرار النسل (تك١٦: ١-٣). وفي سفر التكوين ٣٨: ٨ نجد إلزاما على الإنسان أن يقيم نسلا لأخيه الميت عن طريق الزواج من أرملته، وكان هذا الإجراء بمثابة تأمين لاستحياء جزئي لذلك الإنسان الميت بولادة أطفال من زوجته. وهذا الوضع هو الذي علق عليه المسيح في العهد الجديد كما سنرى فيما بعد.

أما الزواج بزوجة واحدة على أساس المحبة الأبدية بين الزوج والزوجة فكان مجرد مثل أعلى. وفي سفر نشيد الأنشاد كما في قصة الأبوين الأولين نلحظ ذلك الحب الزيجي المفرد والذي يمثل الحب الزيجي السري بين الله وشعبه. ولكن الزيجة الواحدة لم تكن التزاما دينيا على الإطلاق.

ثانيا: الزواج في المسيحية

أما الزواج في المسيحية كما نلحظه في أسفار العهد الجديد فقد تغير تغيرا جذريا فلا يوجد في العهد الجديد نص واحد يشير إلى أن النسل هو مبرر الزواج أو هدفه. فولادة الأولاد تؤدى إلى "الخلاص" للنساء فقط إن ثبتن في "الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" (١تى٢: ١٥).

وفي مواجهة مستويات العهد القديم عن الزواج، تظهر:

مستويات العهد الجديد:

١. كل الأناجيل الثلاثة (ذات النظرة الواحدة) أي (متى٢٢: ٢٣-٣٢؛ مر١٢: ١٨-٢٧؛ لو ٢٠: ٢٧-٣٧) تعلن اتجاه الرب يسوع ضد عادة الزواج من أرملة الأخ.

٢. ويلاحظ أن إجابة المسيح كانت منصبة على عقيدة القيامة والخلود مما يبدد القلق الذي يساور يهودي العهد القديم تجاه الحياة الأبدية والتي كان يواجهها بزيادة النسل. فحينما سأله الصدوقيون عن أنه لا قيامة بذكرهم الأخوة السبعة الذين ماتوا ولم تنجب الزوجة نسلا أجاب الرب: "لأنه في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء".

٣. وقد يفهم البعض ضمنا أن المسيح يقصد من هذا النص أن الزواج عمل أرضي وأن كيانه ينحل بالموت. هذا الفهم غير صحيح وقد أخذت به الكنيسة الغربية ردحا من الزمن. ولكن هذا الفهم يتعارض مع تعليم القديس بولس الرسول وتعاليم الآباء. فالعلامة كلمنضس الإسكندري يفسر هذه القصة هكذا: [الرب لم يكن يرذل الزواج ولكنه كان يبعد أذهانهم عن انتظار أن يكون في القيامة أية شهوات جسدية]. وقد كان رد المسيح منحصرا في معنى سؤالهم، فقد كانوا لا يفهمون القيامة إلا على أنها استعادة للحياة الجسدية بما فيها المغزى اليهودي للزواج على أنه

الإنجاب. وقول المسيح "يكونون كملائكة الله في السماء" يقصد به نفي أي تصور مادي للقيامة، ولكنه لا يقصد إعلان أي معنى محدد للزواج.

تعليم المسيح بتحريم الطلاق:

١. يوضح بأكثر إيجابية معنى الزواج المسيحي وقد كان ذلك ضداً لما ورد في سفر التثنية عن الطلاق (تث٢٤: ١). قد ورد هذا التحريم في (متى٥: ٣٢؛١٩: ٩؛مر١٠: ١١؛ لو١٦: ١٨). فالحقيقة الواضحة هي أن الزواج المسيحي لا يمكن فَصْمه. فالوحدة بين الزوج والزوجة هي هدف بحد ذاته. إنه اتحاد أبدى بين شخصيتين ذات إرادة حرة خالدتين، فلا يمكن كسره بسبب اهتمامات مثل الإنجاب أو استمرار الحياة (عادة زواج أرملة الأخ).

٢. إن عدم فصم الزواج ليس مطلبا قانونياً. فإن قول المسيح "إلا لعلة الزنا"(متى٥: ٣٢) يعنى أن قانون الملكوت ليس فرضا على الناس. فالزواج المسيحي لابد من قبوله بحرية، ولكن قد يرفضه الإنسان أخيراً (بالزنا). إن الإنجيل عموماً لا يختزل الحرية الإنسانية بوصايا وتعليمات قانونية فهو يهب الإنسان العطية: صورة الله-الكمال - غير المستطاع لدى الناس. والزواج بواحدة فقط ظهر للناس أولاً أنه مستحيل. لكن الحقيقة الغائبة هي أن المحبة أعلى من الممكن وتتحدى المستحيل. إن المحبة هي "عطية كاملة" (ايو٤: ١٨) يمكن اختبارها فقط بالممارسة ولكن كل هذا لا يمكن مقارنته بالزنا. ففي حالة الزنا فقد صارت "العطية" مرفوضة، والزواج في الرب لم يعد موجوداً. فالأمر ليس قانوناً ولكنها مأساة. إنها مأساة الحرية في كل زمان ومكان حينما يُساء استعمالها، وهنا تكمن "الخطية".

الزواج الثاني:

حينما يتكلم القديس بولس الرسول عن الأرامل، فهو يفترض أصلاً أن الزواج لم ينفصم بالموت، فالمحبة لا تسقط أبداً (١كو٣: ٨). ورؤية القديس بولس عن الزواج مختلفة عن الاتجاه اليهودي الرابي. فالقديس بولس يفضل التبتل على الزواج. وفي رسالة أفسس (٥: ٢٥-٣٣) يرسم صورة التعليم عن الزواج كصورة للاتحاد بين المسيح والكنيسة.

وقد صار هذا التعليم هو أساس العلم اللاهوتي المختص بالزواج في الكنيسة الأرثوذكسية. أما رأى القديس بولس في "الزواج الثاني" فهو لم يعلنه إلا في حالة الأرامل ويؤيده في ذلك التقليد القانوني السرائري للكنيسة: "إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج اصلح من التحرق" (١كو٧: ٩). **إذن، فزواج الأرامل الثاني هو وضع استثنائي من واقع الضرورة يُسمح به فقط كوضع أصلح من التحرق وليس أكثر.**

ثالثاً: الزواج في الكنيسة الأولى (في القانون الروماني):

إن الزواج في الإمبراطورية الرومانية لم يكن معتبراً أنه واسطة لتكوين نسل، بل كاتفاق بين طرفين ذوى إرادة حرة. وهناك مبدأ روماني مشهور "يحدد أن الزواج ليس في المعاشرة الجنسية، بل في الإيجاب والرضا والقبول (عنصري العقد القانوني)." حتى أن القانون الروماني كان يعتبر أن مجرد المعاشرة مع امرأة حرة الإرادة هو بمثابة زواج قانوني، وهذا لا يسرى على المرأة العبدة التي لا يمكن أن تقدم رضاها بإرادة حرة، وعلى ذلك فإن معاشرتها لا يمكن أن تسمى زواجاً. فجوهر الزواج في القانون الروماني يكمن في الرضا الذي بدوره يعطى المعنى والجوهر القانوني للزواج باعتباره اتفاقا أو عقدا ولأن العقد في القانون الروماني - كان يستلزم طرفين فقط ولا يحتاج إلى ثالث ليدعم شرعية هذا الاتفاق، لذلك فقد سهلت الدولة أمر تسجيل هذه العقود. وكان هذا التسجيل يتضمن التأكد من صحة شروط الزواج لتسهيل التقاضي فيما بعد. وكمثل الشريعة الموسوية، فقد أتاح القانون الروماني إمكانية فصم عقد الزواج (أي الطلاق) بإرادة الطرفين.

أما الكنيسة المسيحية سواء في زمن الاضطهاد أو أثناء تحالفها مع الدولة الرومانية بعد دخولها في الإيمان المسيحي، فقد قبلت إجراءات القوانين الروماني المنظمة للزواج. وحتى بعد أن صارت المسيحية هي دين الدولة الرسمي ، ظلت المصطلحات القانونية القديمة مثل "عقد" مستمرة ومقبولة في القوانين الكنسية. هذا واضح في كتابات الآباء الأوائل ويقول اثيناغوراس في احتجاجه (القرن الثاني): [**كل واحد منا يعتبر أن المرأة التي تزوجها بحسب قوانينكم ، هي خاصة له**].

وهذا يعنى أن الكنيسة المسيحية لم ترفض قوانين الزواج الطبيعي الذي يمارسه كل الناس، **لكنها زادت عليه** - أي على الزواج الطبيعي - **وكللته** بأن أدخلته إلى ملكوت الله ليتحول إلى شركة ووحدة في المسيح وبرجاء في الدهر الآتي. وهذا "التحويل" أو "**الإكليل**" هو الذي يعطى الزواج المسيحي صفة السر الكنسي، مثله في هذا مثل باقي الأسرار الكنسية التي تحول ما هو طبيعي ليصير أداة لحلول نعمة الروح القدس وتقديس البشر (مثل الماء في سر المعمودية والزيت في سر الميرون والخبز والخمر في سر الإفخارستيا وهكذا).

الزواج والإفخارستيا:

✦ **ولكن لماذا لم تعترض الكنيسة على المراسيم المدنية؟**

إن الزواج المسيحي يُعتبر مسيحياً **ليس بسبب الطريقة التي تم بها بل بسبب أن الزوجين**

مسيحيان: وهما مسيحيان ليس لأن اسميهما مسيحيان، بل لأن كل مسيحي هو جسد للمسيح وهيكل لله، والزوجان يصيران جسدا واحدا بعضويتهما في جسد المسيح السري بالإفخارستيا، مما يجعل اتحادهما مختوما بالروح القدس الذي فيهما بسر الإفخارستيا الذي جعلهما عضوين مقدسين في جسد المسيح، وهكذا يعتبر زواجهما مسيحيا.

والعلاقة بين الزيجة والإفخارستيا تظهر واضحة في عرس قانا الجليل فالماء يصير خمرا، أي الحياة الطبيعية العتيقة تتحول إلى حياة جديدة، وكما علم آباء الكنيسة فإن سر الإفخارستيا هو الذي يجعل الزواج مسيحيا: [**الزواج يتثبت بالإفخارستيا، ويختم بالبركة، ويسجل في السماء بواسطة الملائكة**] – العلامة ترتليانس.

وكان المؤمنان المتزوجان في العصر الروماني وبعد إجراء المراسيم المدنية للزواج يذهبان إلى الكنيسة ويتناولان من سر الإفخارستيا وينالان بركة الأسقف على مشهد من الكنيسة كلها، فيصير اتفاقهما البشرى اتحادا أبديا في المسيح.

ويقول القديس إغناطيوس الأسقف الأنطاكي الشهير في القرن الثاني: [**الذين ينوون الزواج يجب أن يتحدوا بمشيئة الأسقف حتى يصير الزواج بحسب الرب وليس بحسب الشهوة البشرية**].

✦ **وهكذا تختم الإفخارستيا على الاتفاق البشرى للزواج ليصير اتحادا في المسيح.**

وقد كانت صلوات سر الزيجة تتم في الكنيسة أثناء الخدمة الليتورجية العامة يوم الأحد، مثلها في هذا مثل صلوات رسامات الرتب الكهنوتية، والتي يحضرها كل الشعب، وتتم في وقت محدد (بعد صلاة نصف الليل)، ثم تختم في النهاية بتناول العروسين من الأسرار المقدسة.

وكان العروسان يزفان في الكنيسة على مشهد من الشعب كله. إن زواج عروسين هو أمر تحتفل به الكنيسة كلها (في موضع ما)، إذ هو أمر يهم الكنيسة كلها وليس فقط أقارب وأصدقاء العروسين.

وكان يجرى في ذات الليتورجية الواحدة الاحتفال بزيجات اخرى متعددة إن وجدت.

أما الاحتفال الذي يجرى الآن منفصلا عن الخدمة الليتورجية المقدسة (القداس الإلهي) والذي يسمى "حفل الإكليل" ويحدد له موعد خاص بعيدا عن الخدمة الليتورجية العامة ويحضره فقط أقارب ومعارف العروسين، ويحدث فيه للأسف من التشويش والمظاهر التي لا

تليق ببيت الله، فقد أضاع من أذهان المؤمنين للأسف - الوضع الحقيقي لسر الزواج وتسبب في انعزال الزيجات وبالتالي الكيانات الأسرية عن اهتمام الكنيسة ككل، أي صارت الزيجات شأناً خاصاً للعروسين وأقاربهما فقط، مما أفقدها بركة شركة الكنيسة وتركها نهباً للمشاكل والمآسي الخاصة التي كان يمكن أن تذوب وتحل في إطار اهتمام الكنيسة كلها.

الفصل الثاني

الأسرة ومكانها في المجتمع المسيحي

الأسرة المسيحية ليست مجرد مؤسسة اجتماعية نافعة، أو مجرد ضرورة طبيعية من أجل بقاء الحياة واستمرارها، بل هي جزء لا يتجزأ من الشخصية الإنسانية المخلوقة على صورة الله. وتكوين الأسرة هو العنصر الأساسي في صورة الله في الإنسان، لأن الله ليس واحداً بمفرده بل هو الواحد في الثالوث، أي الواحد في شركة. وهكذا تنعكس هذه الوحدانية للآب والابن والروح القدس على الطبيعة الإنسانية في الأسرة.

ففي الأسرة تظهر الذات البشرية التي في كل إنسان متحدة مع الآخر بالحب. ومن هنا يمكننا أن نكتشف المعنى الحقيقي للجماعة الإنسانية. فالأسرة ترتبط أساساً في سرِّ الحب، فهي تتكون بالزواج الذى هو في أساسه نتاج سر الحب. وتبقى الأسرة هكذا كقاعدة مستمرة للحب، بتضحية الإنسان ذاتَه وبذل ذاتِه للآخرين خارجاً عن نفسه.

والإنسان منذ نعومة أظفاره ينمو داخل الأسرة وهو يتلقى إعلانات الحب الأولى من نموذج البذل والمحبة اللذين يراهما ويحسهما وينشأ في دفئهما تحت مظلة أبويه، أولاً فيما يراه من البذل والمحبة تجاه بعضهما البعض وثانياً محبتهما تجاه أبنائهما، وثالثا تجاه الآخرين (أي الوطن والمجتمع والكنيسة). واختبارات الحب هذه تتحول في الطفل رويداً رويداً إلى تدريب وممارسة، ما يسمح له في الوقت المناسب أن ينقل هذه الشعلة، بأن يذوب هو نفسه بدوره ليكوّن بيتاً أُسرياً جديداً.

هذه هي الدورة المثلى الطبيعية للحياة البشرية على الأرض. لكن ما يعكر هذا الصرح البشرى الإلهى، وكل صرح مقدس أيضا، هو الخطية. فالخطية إذا احتلت الأسرة فإنها تؤثر على سلامة الأسرة جميعاً. وتكمن الخطية أساساً في الانغلاق على النفس دون الانفتاح على خدمة الله ومحبة القريب. وهذا يؤدى بدوره إلى ما نراه يحدث في داخل أُسر كثيرة من حالات عدم المبالاة والكسل والهروب من المسئوليات ورفض الالتزامات تجاه الأسرة، والتي تؤدى في غالب الأحوال إلى تفكك الأسرة وضياع الأجيال الناشئة.

ثم تتوالى بعد ذلك ونتيجة لذلك سلسلة الخطايا المتتابعة التي تُرتكب ضد المحبة – عماد وأساس الزواج والأسرة: عدم الصبر، الغضب، المشاجرة، التعذيب، التمرد...الخ.

دور الكنيسة في الرعاية والتعليم والافتقاد المستمر:

وهنا يبرز دور الكنيسة الذى يتمثل في الرعاية والتعليم والافتقاد المستمر من أجل موالاة بث الوعي الروحي ورفع المثل العليا الروحية في البذل والخدمة والصفح والمسامحة والبساطة أمام كل أفراد الأسرة، أي كل ما يساعد على محاصرة أساس الخطية وجذرها السام: أي محبة الذات والفردية. إن الكاهن مُقام أولاً من أجل الرعاية. والأسرة هي المحل الأول الذى يمارس فيه الراعي عمله بين الأفراد ومع النفس الإنسانية لأن النمو الروحي وعلاج النفس لا يتمان والإنسان منعزل منفرد، بل وهو في شركة مع الجماعة الإنسانية. وأقرب وألصق، بل وأنسب جماعة يمارس فيها الإنسان مسيحيته هي الأسرة. لذلك، فدور الكنيسة داخل الأسرة أساسي وحيوي من أجل تكميل وتعضيد وحدة الزيجة وسلامة الأسرة.

فيا ليت الكنيسة تكرس جُلَّ اهتمامها لرعاية النفوس من خلال الأسرة، وتتعهد الزيجات منذ انعقادها. ويا ليت تكثر زيارات الافتقاد إما من قِبَل الكاهن، وإما بتكوين خلايا أسرية متشابكة سواء في البناية السكنية الواحدة أو في الحي أو في المدينة تتبادل الزيارات العائلية وفيها يتمجد اسم الله بالصلاة والقراءة في الأسفار المقدسة وتبادل الأحاديث التي تبنى النفس، ويا ليت تعقد الاجتماعات والندوات وحلقات الحوار داخل الكنائس في شتى المناسبات من أجل التوعية بمعاني الزواج المسيحي وبأسس تدعيم الأسرة المسيحية. إن هذا وذاك لاشك سيوفر للأسرة في داخلها جو المحبة والبذل والتكافل، وسيوفر عليها متاعب جمة ومشاكل ومآسي كثيرة. كما ستتدعم الكنيسة في النهاية بخلايا مقدسة متماسكة من الأسر المسيحية النشطة بالروح والحياة بكلمة الله والصلاة مما يجعل من الكنيسة في مجموعها – بحق – هي "أهل بيت الله".

من أين تأتي سلطة الوالدَيْن ومكانتهما في البيت المسيحي؟

منذ بداية خطوبتهما يتعهد الخطيبان بأن لا يُرضيا ارتباطهما هما الاثنين فقط، بل أن يضحيا من أجل الآخرين. لذلك ، وبعد الزواج، فبقدر ما يرتفعان فوق مستوى إشباع الذات ومحبتهما بعضهما للبعض كزوجين، بقدر ما ينالان من أطفالهما المحبة والاحترام والطاعة. لأن سر الزواج كما هو أساساً ارتفاع فوق "الانفراد" وهو أيضا ارتفاع فوق "الازدواج"، فالزواج هو "انضمام" الاثنين معاً من أجل تأسيس جماعة مفتوحة على خدمة الله وخدمة القريب. ذلك لأن الحب الزيجي هو انعكاس للحب الإلهى الثالوثي المنفتح على البشرية جمعاء، وهو لذلك مستعد دائماً للبذل والتضحية من أجل الغير، ساعياً دائماً ومجاهداً لأن يرتفع إلى قمة الحب متغاضياً

عن ضعفات الطبيعة وعثراتها.

من هنا تنشأ سلطة الوالدَين المعنوية تجاه الأبناء، المستمدة من سلطان البذل والمحبة والتضحية، تجاه الأبناء أولاً، وتجاه الآخرين أيضا (الوطن والمجتمع والكنيسة).

أعداء الأسرة:

هناك أعداء من الداخل، وأعداء من الخارج.

١ – الأعداء من الداخل:

إن اقتصار الوالدين على ذاتهما حينما يرفضان البذل والتضحية من أجل الآخرين (خارجاً عن وحدتهما) أو حينما يملُون من حمل همِّ الحياة المشتركة، أو يهربون من تحمل الآلام والأتعاب التي تتطلبها تربية الأولاد وتستلزمها حياة الشركة، هذا هو أخطر عدو يهدد الأسرة من الداخل.

كذلك الخوف من المسئولية تجاه تربية الأطفال، إذ يخاف الوالدان أحياناً من مهمة تسليم أطفالهما مفهوم الحياة الصحيح واختبارات الدين وعقائده. وهذا يعتبر في الواقع رفضاً للالتزام الذى يفرضه علينا إيماننا بالله وهروباً من حمل الصليب. وقد يبرر الوالدان هذه السلبية "بالديمقراطية" أي ترك الحرية لأطفالهما ليختاروا نوع الحياة التي يعيشونها حتى ولو رفضوا حياة الفضيلة. والرد على ذلك أن الأسرة ليست نادياً يتساوى فيه الأعضاء ويترفعون عن وضع الرئيس والمرؤوس. لأن في الأسرة يقوم الوالدان بتسليم هبة الحياة والوجود الأولى للطفل، وبالتالي تسليمه وإعطائه كل شئ، والأبناء يستلمون ويأخذون منهما مبادئ الحياة الأولى. هذا هو قانون الحياة الطبيعية. إنه واجب وليس اختياراً. ففي البداية لابد أن يسلم الوالدان لأبنائهما أسرار الحياة ومبادئ الإيمان المسيحي والسلوك بحسب الإنجيل، وهذه هي الشرارة الأولى، وبعدها يتولى الأبناء كلما كبروا أن يزيدوها اشتعالاً واضطراماً بمحض حريتهم وعلى قدر ما يعطيهم الله من نعمة، وبحسب ما يرونه من قدوة ومثال في والديهم ومعلميهم في الكنيسة والمجتمع، وعلى قدر ما يجتهدون في التعمق في مسالك الحياة اليومية.

٢ – أعداء الأسرة من الخارج:

وأولها دكتاتورية النظم والسياسات ومواد الإعلام الضارة، التي تحاول أن تفرض على الأسرة أيديولوجياتها (في الدول ذات النظام الشمولي أو في الدول المتمدينة الحرة)، أو تفرض عقائدها

وتقاليدها (في المجتمعات المخالفة في الدين أو المذهب). لذلك فالأسرة تصبح هنا هي المكان الحتمي والطبيعي الذى تتكون فيه الشخصية المسيحية، وهى المكان الذى يتحقق فيه نمو هذه الشخصية المؤمنة حينما يكون هناك اضطهاد للإيمان (كما كان في الدول الشيوعية). وهذا هو سر نمو المسيحية المتزايد جداً خلال عصور الاضطهاد الروماني في القرنين الثاني والثالث: "الأسرة المسيحية المتماسكة" و"البيت المسيحي المقدس": [بيوت صلاة، بيوت طهارة، بيوت بركة] كما تصليها الكنيسة.

وعكس ذلك حينما يرفض الوالدان الالتزام الاجتماعي للوطن والمجتمع أو الالتزام الروحي تجاه الكنيسة ويخضعان هما والأسرة للفردية والانغلاقية عن الآخرين. وهنا لابد أن تكون الأسرة مدرسة للخدمة والمحبة تجاه الآخرين خارج نطاق الأسرة والأقارب، وفي هذا إيفاء لمتطلبات الإيمان ".. حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الإيمان" (غلا٦: ١٠).

وباختصار،

فمقابل هذين الخطرين: تسرب الأيديولوجيات والتقاليد الخارجية للمجتمع إلى داخل الأسرة، وانغلاق الأسرة عن عمل الخير للجميع؛ لابد أن تعطى الأسرة للطفل التوازن العاطفي الروحي بين فرادة واستقلال الشخصية المسيحية الروحية وبين الانفتاح على الآخرين بعمل الخير والمحبة للآخرين.

الفصل الثالث

الطلاق - والمواجهة المسيحية له

الطلاق ظاهرة اجتماعية بغيضة منذ القديم. ففي العهد القديم حيث سمحت الشريعة اليهودية بالطلاق، أعلن الوحي الإلهى أن الله يبغض الطلاق (ملاخى٢: ١٦). لذلك فلم يكن أمراً مفاجئاً أن يعلن المسيح في عظته على الجبل تحريمه للطلاق:

«وقيل من طلَّق امرأته فليُعطِها كتاب طلاق؛ وأما أنا فأقول لكم إن من طلَّق امرأته إلاٍ لعلة الزنا يجعلها تزنى، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى» (متى٥: ٣١)؛ «كل من يطلّق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى، وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى» (لوقا١٦ : ١٨).

ثم أكد المسيح تحريمه للطلاق بصورة واضحة حينما سأله الفريسيون، لا عن شرعية الطلاق، ولكن عن أسباب الطلاق:

"فأجاب وقال لهم ، أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً؛ إذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا له: فلماذا أوصى موسى أن يعطَى كتاب طلاق فتطلَّق؟ قال لهم: إن موسى من أجلِ قساوة قلوبكم أَذِن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزنى، والذي يتزوج بمطلقة يزنى. فقال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطى لهم" (متى١٩: ٣-١١) .

ونفس هذا الحديث ورد في إنجيل مرقس (١٠: ٢-١٢).

وسنشرح بعض كلمات المسيح وتعبيراته ومعناها:

"من البدء":

شريعة الزواج منذ بدء الخليقة هي هكذا: زوج واحد لزوجة واحدة، والزواج اتحاد أبدى

بين الاثنين "فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان". هذه هي دعوة الزواج "من البدء"، وللقديس كيرلس الإسكندري تعبير جميل أن الله من البدء خلقهما ذكراً وأنثى "كياناً واحداً مشتركاً". فعليهما أن يحققا ويشتركا في حياة الله الواحد الثالوث، حياة الانفتاح الكامل، الشركة الشخصية، المشاركة الكاملة، الحياة الباطنية المتبادلة، والسُكنَى المشتركة".

هذه الدعوة الإلهية "من البدء" للزواج الواحد الأحد، استمرت بعد السقوط. ففي حياة الشركة بين الزوجين هناك " آثار من الفردوس" حسب تعبير القديس يوحنا ذهبي الفم [حينما يتحد الزوجان بعضهما بالبعض، فهذا من آثار الفردوس] - **القديس يوحنا ذهبي الفم** (عظة ضد الطلاق-٢٠).

فحتى بعد خروج الإنسان الأول من الفردوس، فإذا تبادل الرجل والمرأة استيعاب شخصيتهما وفرديتهما، فإن الزواج يصبح بالنسبة لهما تسامياً على الضرورة الطبيعية من خلال المحبة الباذلة. فالزواج ليس مجرد علاج للشهوة، فهو ليس تصريحاً أو تقنيناً لها. وحينما يحاول آباء الكنيسة مثل القديس يوحنا ذهبي الفم، ترتيب أولويات أغراض الزواج، فهو يعطى الأولوية للجانب الذاتي الشخصي، أي الشركة الزيجية نفسها، قبل الغرض من الزواج أي النسل:

[هناك سببان لماذا تأسس الزواج: أولاً لنصير عفيفين، ثم بعد ذلك ليعطينا أطفالاً. ولكن من بين هذين السببين يأتي في المقدمة الغرض الأول، وعلى الأخص بعد أن ملأ الجنس البشرى الأرض كلها. ففي البدء كان النسل مرغوباً فيه، حتى يترك كل واحد ذكرى لحياته بالنسل، إذ لم يكن هناك آنئذ أي رجاء في قيامة من الموت بل كان الموت يملك على الجميع الذين ظنوا أنهم سيفنون تماماً بعد هذه الحياة. لذلك أعطاهم الله تعزية في الأبناء.

ولكن الآن وقد صارت القيامة حقيقة واقعة، ولم نعد نتكلم عن موت بل عن عبورٍ نحو الحياة الأفضل من هذه الحياة الحاضرة، لذلك فقد صارت الرغبة في النسل غرضاً ثانياً] **القديس يوحنا ذهبي الفم** - عظة على الزواج: ١٩.

وقد أظهر الآباء في شرحهم لنص رسالة تيموثاوس (٢: ١٥) "المرأة ستخلص بولادة الأولاد إن ثَبَتْن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"، أن ولادة الأولاد أصبحت فرصة لبذل الذات عن حرية.

وفى هذا الإطار الروحي الملكوتي فإن حديث المسيح عن تحريم الطلاق يجعل وحدة الزيجة ودوامها هما سمة الزواج بحسب التدبير الإلهى لأن الذين يؤمنون بالقيامة يتجاوز الزواج عندهم

حتى حتمية الموت نفسه. ويصف المُدافع المسيحي في القرن الثاني أثيناغوراس ما كان سائداً في إحساس الكنيسة المسيحية في عصره:

[من يحرر نفسه من زوجته حتى لو ماتت، فهو زانٍ مقنَّع، لأنه تعدَّى على يد الله الخالقة، إذ من البدء لم يخلق إلا رجلاً واحداً وامرأة واحِدة]– الدفاع ٣٣

"... إلا لعلة الزنا ..."

إلا أن الكنيسة المسيحية – والشرقية على وجه أخص – تعتبر أن نص إنجيل متى١٩: ٨–٩: «إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني» ، هذا النص مكمل لنص نفس الإنجيل ١٩: ١٤ «من البدء خلقهما ذكراً وأنثى». فالشريعة القديمة وإن كانت تسمح لليهود بالطلاق، إلا أنه «من البدء لم يكن هكذا». ولهذا النص سابقة في العهد القديم (إرميا٣: ١): «إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها بعد، ألا تتنجس تلك المرأة نجاسة». وفي سفر الأمثال ٢٢:١١– بحسب الترجمة السبعينية: «من يحتفظ بزوجة زانية فهو أحمق وآثم»

ويخرج القديس باسيليوس الكبير في قوانينه من هذه النصوص بنتيجة هامة وهى أن الرجل – ليس فقط يمكنه – بل هذا واجب عليه أن يطلق امرأته المذنبة بالزنا (قانون ٩، ٢١). فنص إنجيل القديس متى المختص بالطلاق هو ضرورة وليس استثناءً من تحريم الطلاق. فالزنا هو الضد للزيجة كما رسمها الله "من البدء" اتحاداً أبدياً في المحبة بين رجل واحد وامرأة واحِدة. وهو يسرى على الرجل كما على المرأة، لأن الشركة المقدسة في الزواج كما أسسها الله لا يمكن حلها من جانب البشر إلا بسبب الخطية، وخطية الزنا هي الوحيدة التي تحلها، لأن الزنا هو العكس المباشر للزواج.

لقد كان الطلاق مباحاً في الشريعة الرومانية – قبل اعتناق الإمبراطورية للإيمان المسيحي – وذلك باتفاق إرادة الطرفين. وبعد عصر قسطنطين سمح التشريع المدني البيزنطي بالطلاق لأسباب متعددة، ثم خفض الإمبراطور جوستنيان (٤٨٢ – ٥٦٥) أسباب الطلاق وأبقى على علة الزنا.

لكن المسيحيين في هذه العصور المبكرة للمسيحية التزموا بشريعة الإنجيل حتى ولو حكم

القاضي المدني بخلاف ذلك، ولم يسمحوا للمعايير المسيحية للزيجة كما كانت "من البدء" أن تخبو من حياتهم وممارستهم للزيجة فقد كانوا يجحدون كل صور الطلاق غير الموافقة لإيمانهم، كما يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي إن الطلاق [**مخالف لقوانيننا، حتى ولو حكم القاضي الروماني بخلاف ذلك**] **القديس غريغوريوس اللاهوتي** – الرسالة رقم ٤٤. وكان سندهم في هذا هو كلام المسيح المتضمن الوعد بالقوة التي يمنحها لكل من وضع في قلبه الأمانة لوصايا الإنجيل: «... **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم .. من استطاع أن يقبل فليقبل**» (متى١٩: ١١و١٢).

"... بلا سبب شرعي ..."

أما بعد أن تنحل الزيجة الواحدة لسبب خطية الزنا، فإن الطلاق بدون زواج ثان هو المثل الأعلى الذى يرفعه الإنجيل أمام المسيحيين.

ولكن الكنيسة المسيحية وهى تؤمن بأبدية الزواج لم تنس أن القديس بولس الرسول سمح – دون أن يشجع – الأرامل الحدثات أن يتزوجن ثانية في حالة الاضطرار «**ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجن**» (١كو٤: ٩). فالقديس بولس الرسول والكنيسة المسيحية من بعده اعتبرت الزواج الثاني تنازلاً إلى مستوى الضعف البشرى أو الضرورة الطبيعية، وليس هو الزواج كما تأسس من البدء أيقونة بشرية للشركة الكاملة والعهد الأبدي بين الله وشعبه، وبين المسيح وكنيسته. لذلك، ليس في الكنيسة القبطية طقس خاص للزواج الثاني.

ويقول القديس إبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٥ –٤٠٣) [الزيجة الأولى هي في توافق تام مع الشريعة، بينما الزيجة الثانية مسموح بها عن تنازل، أما الثالثة فمذمومة. ومن يزيد على ذلك فهو ذو ميول حيوانية!] المقالة ٣٧.

لذلك فالزيجات الثانية والثالثة – وإن سُمح بها عن اضطرار وبموجب إجراءات كنسية مُشددة – تأخذ طابع التوبة. (وكان يُعطَى عنها للزوجين قانون توبة سنة واحدة أو سنتان للزيجة الثانية، والى ٥ سنين للثالثة بحسب قوانين القديس باسيليوس).

هذا عن الزيجات بسبب موت الزوج أو الزوجة.

ولكن ماذا عن زواج المطلَّقين والمطلَّقات؟

إن وصف المسيح للمطلَّقين إذا تزوجوا واضح وصريح في نص إنجيل متى١٩: ٩ (والأناجيل الموازية). وقد أوضح القديس بولس الرسول رفضه للطلاق لغير علة الزنا ناصحاً الزوجة أن

"تصالح رجلها ولا تتزوج ثانية وكذا الرجل طبعاً".

«وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب (أي أن هذه وصية المسيح نفسه) أن لا تفارق المرأة رجلها، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته» (١كو٧: ١٠و١١).

من أجل الضعف البشري وحده:

☐ لكن الواقع المتردي لحالة المؤمنين على مدى التاريخ جعل رجال الكنيسة يقفون أمام مشكلة الزواج الثاني للمطلقين والمطلقات موقف التردد وعدم الإجماع على رأى موحد. فهناك من النصوص الآبائية والقانونية ما يحرِّم بتاتاً الزواج الثاني لمثل هؤلاء، وهى في معظمها ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى للمسيحية: مثل كتاب الراعي لهرماس، والقديس يوستينوس الشهيد والعلامة كلمنضس الإسكندري وغيرهم، وهو موقف يتماشى مع طهارة وارتفاع مستوى الحياة المسيحية للمسيحيين كما كانت سائدة في بداية تاريخ المسيحية والتي قررها المؤرخون والكتاب المعاصرون للقرن الثاني والقرن الثالث الميلادي – وثنيين ومسيحيين – كما يقول العالم الوثني بليني الأصغر ابن الإمبراطور تراجان (١١١ – ١١٢م) :[... يتعهدون ليس فقط ألا يرتكبوا أية جريمة، بل وعلى ألا يرتكبوا أية سرقة أو عمل لصوصية أو زنا، وأن يفوا بوعودهم، وأن يردوا الوديعة عندما يطلبها صاحبها]. وترتليانس المعلم المسيحي (١٦٠– ٢٢٠م.) يفخر بأنه لم يجد مسيحياً حكم عليه بسبب شئ آخر غير الاضطهاد بسبب دينه، ويخاطب مينوتيوس فيلكس الوثنيين قائلاً: **[إن سجونكم تغصُّ بالمجرمين، لكنهم كلهم من الوثنيين ليس مسيحي واحد هناك إلا إذا كان مرتداً].**

☐ ولكن هناك رأي يقوله القديس باسيليوس في قوانينه: **[إننا نحسب الزيجة الثانية عاراً على الكنيسة، ولكننا لا نحكم حكماً جازماً ضد مَنْ يعقدها فهي أفضل من الزنا في الخفاء]** – القانون ٥٠ (٨ ، قيصرية الجديدة ٣)

دور الكنيسة الرعائي

من أجل الوقاية قبل العقاب:

كانت الكنيسة تعتبر نفسها مسئولة أمام الله حتى عن المطلَّقين والمطلَّقات مهما تراوحت

درجات خطئهم في واقعة الطلاق، باعتبارهم ما يزالون من الرعية "كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع٢٠: ٢٨)، والتي هي مسئولة عن رعايتهم أمام الله.

وما نريد أن نؤكده في نهاية هذا البحث أن رسالة الكنيسة أسمى وأشمل وأخطر. فالكنيسة هي الحاضنة لأولادها وبناتها منذ ولادتهم في جرن المعمودية، وقد صارت مسئولة عن رعايتهم منذ ذلك الحين، وقبل زواجهم، ثم أثناء عقد سر الزيجة لهم، ثم بعد الزواج. لذلك نعود ونكرر ما دعونا إليه في الفصل الثاني من هذا البحث إلى إعلاء وإعطاء الأولوية والأهمية القصوى لمهمة الرعاية فوق وقبل كل المسئوليات، بتكثيف عمليات الرعاية والافتقاد الروحيين للأسرة المسيحية سواء بواسطة الراعي شخصياً، أو بتكليف منه للعائلات المسيحية التقية المحيطة، لتكون عضداً وسنداً وامتداداً لرعاية الراعي لكل أسر المنطقة أو الدائرة الرعوية للكنيسة. بحيث لا تتوقف الرعاية عند حد إجراء سر الزيجة، ثم إذا حدثت الواقعة فلا يستطيع أحد ملاحقة المشكلة والحد من تفاقمها إلى أن تصل إلى قاضي محكمة الأحوال الشخصية. بل إن كل الهيئات الكنسية (مجالس الكنائس والمجالس الملية ومدارس الأحد) وكذلك الأسر المسيحية التقية يجب أن تتكاتف وتعمل معاً من أجل إحاطة الأسر المسيحية بالرعاية والتوجيه والتدعيم الروحي.

ثم نعود أيضاً ونرجو من المسئولين عن التعليم اللاهوتي بضرورة إعداد الراعي المسيحي إعداداً لاهوتياً روحياً اجتماعياً صحيحاً بالدراسات الأكاديمية على كل المستويات الدينية والعلمية اللازمة التي تتيح له أن يكون مرشداً نافعاً وواعياً بمشاكل الأسرة في هذا العصر الذى تشابكت فيه عوامل عديدة تحتاج إلى رؤية علمية واقعية يمكن للكنيسة معها معايشة مشاكل وظروف الرعية، ليمكنها بعد ذلك وبقوة عمل روح الله في الخدام الارتفاع بالرعية برفق وبحكمة إلى مستويات الحياة المسيحية، مُجنِّبين إياهم التهاوي في مزالق الشهوة والخصام والمشاحنات والانقسام، وأخيراً الطلاق.

إن الأمر يحتاج أولا إلى كاهن ممتلئ بالروح حقاً ورجل صلاة، حكيماً حليماً عارفاً بأسرار النفس الإنسانية، متعلماً لطرق الولوج داخلها لعلاجها وشفائها، باذلاً نفسه بالمحبة والتضحية والصلاة، مقدماً نفسه هو وكل مصاف إكليروسِ الكنيسة قدوة ومثالاً للرعية في المحبة والتآلف والوئام والتسامح والتعاون ليكون كلامه مسنودا بالحياة العملية وبرهانه مؤيداً بالروح القدس والقوة (١كو٢: ٤).

في محبة الرجال لنسائهم، وخضوع النساء لأزواجهن:

[قال بولس في رسالة أفسس: «والنساء فليخضعن لأزواجهن كالخضوع لربنا لأن الرجل رأس المرأة. ويجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كحبهم لأجسادهم. وكل واحد منكم فليحب امرأته كنفسه والمرأة فلتَهَب رجلها» (أف ٥:٢٢- ٢٣؛ ٢٨، ٣٣).]

فاتحة الدسقولية [يا أبناء الله، الرجل فليحتمل زوجته ولا يكن متكبراً ولا مرائياً بل رحوماً مستقيماً ليسرع إلى رضى زوجته. ولا يتزين لتشتهيه أخرى لئلا يضطرها لمثل فعله.]

تربية الأبناء وتزويجهم حسناً:

من أهم واجبات عضو شعب الله أن يدبر (يربى) بيته حسناً وله أولاد في الخضوع بكل وقار (١تى٣: ٤). وتوصي الدسقولية الآباء والأمهات في الكتاب الرابع: ١١: ٤-٥:

[وأنتم أيها الآباء أدبوا أبناءكم بالرب..

ولا تخف أن تنهرهم وتؤدبهم بهيبة لأنكم لا تقتلونهم إذا أدبتموهم ولكن بالأحرى تُنجُونهم..

أدبوا أولادكم بكلمة الرب .. علموهم أيضاً كتبنا المقدسة، وسلموهم كل كتب الله،

ولا تتركوهم يدخلون إلى مواضع الشرب (السكر)..

ولا تتركوهم مع الذين يساوونهم في السن، لئلا يرجعوا إلى الفساد ويقعوا في الشر..

.. وفي الزمان المحدد الذى للزواج زوِّجوهم بنساء هادئات، لكي تطرحوا عنهم بالأكثر حرارة السن]

الدسقولية ص٦٠٧، ٦٠٧.

الزواج الثاني والزواج الثالث:

باسيليوس ١٠٦ [إذا مات أحد الزوجين، فمحالل للآخر أن يتزوج. وهذا المثال الواحد يكون لمن ماتت زوجته] - قانون ١٠.

ويقول القديس إبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٥ -٤٠٣) [الزيجة الأولى هي في توافق تام مع الشريعة، بينما الزيجة الثانية مسموح بها عن تنازل، أما الثالثة فمذمومة. ومن يزيد على ذلك فهو ذو ميول حيوانية!] المقالة ٣٧.

[وعن الزيجة الثالثة: لم يأمر المجمع أن يُنفي من تزوج الزيجة الثالثة (بعد موت الطرف الآخر) بل قالوا إنها مثل إناء غير طاهر في الكنيسة] قانون ١١.

لذلك فالزيجات الثانية والثالثة - إن سمُح بها عن اضطرار وبموجب إجراءات كنسية مُشددة - تأخذ طابع التوبة. (وكان يُعطَى عنها للزوجين قانون توبة سنة واحدة أو سنتان للزيجة الثانية، والى ٥ سنين للثالثة بحسب قوانين القديس باسيليوس).

الباب الرابع

الرهبنة القبطية

مُقدِّمة

شغلت شئون الرهبنة والرهبان أذهان الكثيرين على مدى السنوات القليلة الماضية وبالرغم من خصوصية الحياة الرهبانية الديرية، إلا أن أخبارها قفزت إلى صفحات الجرائد والمجلات العامة والسياسية بطريقة غير لائقة بل ومسيئة ومشوِّهة لحقيقة الرهبنة وسمو دعوتها في المسيحية. ذلك أن أسباب هذا الانشغال كانت في معظمها للأسف مثيرة للجدل ومؤدية إلى تفاعلات ونتائج مزعجة.

ومن أجل تصحيح بعض المفاهيم والممارسات الخاطئة نريد أن نتذاكر في هذا الباب سوياً بعض الحقائق الأساسية عن الرهبنة في وضعها الصحيح.



الفصل الأول

الرهبنة القبطية

المبادئ والتقاليد

معالم الرهبنة في تاريخها القديم

ما يعرفه الجميع ويجمع عليه المؤرخون الكنسيون، هو أن الرهبنة أدت دوراً حيوياً وأساسياً في حياة الكنيسة منذ عصرها الذهبي في منتصف القرن الرابع. وقد ظهرت الرهبنة إلى الوجود في مصر كمؤسسة دائمة في المسيحية في بداية هذا القرن الرابع، ومنذ ذلك الوقت امتدت وانتشرت في سائر أنحاء العالم المسيحي. وليس مصادفة أن تمتد الرهبنة وتتطور بعد حادثة تجديد فكر الإمبراطور قسطنطين وإعلانه التسامح مع كل الأديان، والتعاطف مع المسيحية بوجه خاص في إمبراطوريته، مما أدى إلى توقف اضطهاد المسيحيين ورفع المسيحية إلى المركز الأول من حياة الدولة.

وهذا العنصر الأخير، أي توقف اضطهاد المسيحيين واستشهادهم بالدم، كان هو المبرر الأول للرهبنة ومحرك ظهورها الأساسي، حيث أراد الرهبان بمحض مشيئتهم أن يكونوا شهداء كل يوم ولكن بدون سفك دم، فعوض الاستشهاد بالدم الذى كان يؤديه المسيحي مرة واحدة في حياته وهى لحظة الاستشهاد، مارس الرهبان الإماتة اليومية لشهوات النفس والصراع المتواصل ضد غوايات الخطية.

كما أنه بعد تغير موقف الدولة تجاه المسيحية من الاضطهاد إلى التسامح بل إلى المحاباة، برز خطر داهم هدد المسيحية في أساسها وهو أن ينسى الناس أن ملكوت الله ليس من هذا العالم، إذ أتى وقت ظن فيه البعض أن ملكوت الله هو هذه المملكة الأرضية التي تحابى الدين، غير مدركين أن كل ما على الأرض إنما هو رمز وصورة للحقيقة المجردة الحقيقية في الدهر الآتي، أي ملكوت الله.

وهذا سبب آخر لبزوغ الرهبنة، فقد خرج الرهبان من هذا المجتمع الذى بدأ يفقد حرارة الإيمان إلى الصحارى لكي يمارسوا ويشهدوا للحياة المسيحية الأصيلة التي لا تركن إلى سلطان

دنيوي في هذا العالم ولا تأبه بأمجاده وكراماته الدنيوية الزائفة، والتي بدأت تنهال على الكنيسة ورجالها من الدولة. فخرجوا متجردين من كل متاع ومتع الدنيا وعاشوا في فقر اختياري وتكريس كامل للحياة مع الله.

ما هي الأنماط التي أخذتها الرهبنة منذ القديم

لقد أخذت الرهبنة ثلاثة أنماط رئيسية ظهرت أول ما ظهرت في مصر حوالي عام ٣٥٠م. وكلها ظلت سائدة – ولكن بدرجات متفاوتة – حتى عصرنا الحاضر.

١ – فهناك أولا **المتوحدون** الذين يسكنون منفردين في مغائر أو أكواخ أو حتى في قبور أو بين أغصان الشجر. وأول نموذج للمتوحدين **القديس أنطونيوس الكبير** (٢٥١ – ٣٥٦م).

٢ – ثم بعد ذلك ظهر النمط الثاني وهو **الحياة المجمعية أو حياة الشركة**، حيث يسكن الرهبان معاً تحت قانون واحد عام في دير يجمعهم معاً. وكان رائد حياة الشركة الديرية: **القديس باخوميوس** الملقب بأب الشركة (٢٩٠ – ٣٤٦م)، وله قوانين شاملة صارمة للحياة الرهبانية.

٣ – ثم ظهر النمط الثالث من الحياة الرهبانية وهو شركة المتوحدين، وكان طريقاً وسطاً بين الرهبنة التوحدية والرهبنة المجمعية المشتركة، حيث تتجمع مساكن لمجموعات صغيرة من المتوحدين يعيشون معا تحت إرشاد أب "شيخ". وكان ذلك في منطقتي نتريا والأسقيط (غرب الدلتا في الصحراء الغربية) تحت قيادة آباء مشهورين مثل **القديس آمون** مؤسس الرهبنة في نتريا، **والقديسين مكاريوس الكبير ومكاريوس الإسكندري** في الإسقيط (وادي النطرون) وغيرهم.

ما هو نوع الحياة التي يحياها الراهب؟

الصلاة في حياة الراهب

في الكنيسة الأرثوذكسية عموماً، يتحدد نوع الحياة التي يحياها الراهب بأنها هي أولاً حياة صلاة. ومن خلال هذه الحياة يستطيع الراهب (بل هو مُطالَب بحياة الصلاة) أن يخدم بها وهو في ديره الآخرين الذين في العالم. ومن هنا يأتي تقدير الكنيسة إكليروساً وشعباً للرهبنة والرهبان، من حيث أن صلواتهم هي التي تسند الكنيسة وتعضدها وتحفظها في أوقات المحن

والاضطرابات، كما ترسم أمامهم المُثُل المسيحية في أيام السلام.

والشخصية الرئيسية التي تؤثر في الحياة الديرية وترعى هذه الحياة، هي شخصية "**الأب**" أو "الشيخ" أو ما نسميه "الأب الروحي" أيضا. والأب الروحي هو راهب يتميز بأنه أكثر الرهبان الذى نال موهبة الإفراز والتمييز الروحي، ما يجعله يحظى باختيارهم ليكون مرشدهم وأباهم الروحي.

ويسعى هذا الأب الروحي في إرشاده للرهبان إلى استخدام كافة الوسائل المناسبة التي تساعد الرهبان على النمو في حياتهم النسكية وإتمام دعوتهم الرهبانية بلوغاً للهدف الذى دخلوا الرهبنة من أجله، وهو أن ينالوا الخلاص كل واحد لنفسه أولاً ثم يساهموا في تدعيم حياة الشركة المجمعية معاً.

العمل وسيلة لا غاية

ومن بين الوسائل الأساسية في تربية الراهب التربية الروحية النسكية: "**العمل**"، الذى كان إلزاماً على كل راهب أن يقوم به. وقد أخذ العمل أشكالاً عدة. مثل العمل اليدوي والزراعة وبعض الحِرَف الصغيرة (في عصر الرهبنة الأول). ثم تطور في العصر الحديث إلى استصلاح وزراعة المساحات الشاسعة من الصحارى والقيام بالصناعات الملازمة لذلك (في القرن العشرين). ولكن يظل "العمل"، مهما كانت صوره، أداة في يد الأب الروحي للدير ليتعلم أثناءه الرهبان ويتدربوا على بلوغ كمال الحياة المسيحية من بذل للذات، والإيثار أي تقديم الآخرين في أعمال المحبة والاتضاع والطاعة والاحتمال والمسامحة والمغفرة للآخرين وغيرها من الفضائل الروحية ما يبلغ به الراهب الغاية العظمى والسامية ألا وهى خلاص النفس.

التعثر في حياة الراهب

ولا يمكن – والحال هكذا – أن يتحول العمل في الرهبنة عن طبيعة كونه وسيلة لغاية عظمى وليس غاية في حد ذاته، ولا إلى وسيلة لغاية أخرى غير خلاص النفس، كمثل اكتناز الأموال أو اقتناء الأراضي والممتلكات والمتاع أو لأي غرض آخر يتنافى أو يتعارض مع النذر الرهباني المثلث: الفقر – الطاعة – العفة. فإذا حدث خلل في مُثُل الرهبنة هذه ارتبكت الحياة الرهبانية وحدث التعثر والعثرة في حياة الراهب ومسيرته مما يؤدى به إلى تنكب طريق الخلاص، بالإضافة إلى ما يمكن أن يحدث في أية جماعة أو مؤسسة تغيب فيها الأهداف عن أنظار أعضائها، أو تتبادل الغاية والوسيلة مواقعهما، فتصير الوسيلة غاية، وتضيع الغاية العظمى:

خلاص النفس في خضم تشوش وضياع معالم الطريق الرهباني. والنتيجة الطبيعية حدوث الأزمات المفاجئة التي تزعج الكنيسة والشعب المسيحي بين الحين والآخر.

وفى النهاية تتعطل حياة الصلاة التي تكرس لها الرهبان، التي كانت ومازالت هي سند الكنيسة المجَاهدة وسط المدينة وعضد خدامها المجاهدين وسط الرعية. وهكذا تفقد الكنيسة بالتالي الركن الأساسي والعصب الحيوي لطبيعتها الروحية.

ظهور القوانين الرهبانية التي تنظم العلاقات بين الغاية العظمى للرهبنة والوسائل المؤدية إليها

ومن أجل هذا بدأت القوانين الرهبانية تظهر وتتضح، إما من خلال أحاديث ورسائل الآباء الكبار مثل رسائل القديس أنطونيوس الكبير والقديس آمون، أو بترجمتها إلى نصوص وبنود قانونية مثل قوانين القديس باخوميوس وقوانين القديس باسيليوس أو تعاليم الآباء مثل القديس بفنوتيوس وغيره.

ونرجو أن نعود لنعرض أمثلة لهذه القوانين وتطبيقاتها.

وأخيراً نأتي إلى حال الرهبنة في مصر اليوم:

حالة الرهبنة في مصر اليوم

لقد مرت الرهبنة في مصر بعصور متتالية تعاقب فيها الازدهار والانحدار، والقوة والضعف، والنمو والضمور، حتى وصلنا إلى منتصف القرن العشرين. ومع النهضة العامة التي بدأ ظهورها في الكنيسة إبان تلك الحقبة، بدأت الرهبنة تستعيد حيويتها بمجموعة صغيرة باثنين من الشباب الجامعي، تقدما لسلوك هذا الطريق المقدس عام ١٩٤٧. وكان ذلك على يد القمص مينا المتوحد (البابا كيرلس السادس)، وبالذات في دير الأنبا صموئيل في برية القلمون. ومنذ عام ١٩٥٦ بدأت(١) نهضة رهبانية في هذا الدير أيضاً بمجموعة رهبان تتلمذوا على يد أحد الرائدين الأولين ومن بعد هذه البداية الصغيرة بسنوات كثيرة وفي ظروف متنوعة، انتشرت مجموعات أخرى في أديرة أخرى قديمة، وتزايد عدد الأديرة التي اعتمدت ودبت فيها الحياة الرهبانية من

(١) ما زالت آثار هذه الفترة القصيرة قائمة في شكل جناحين من القلالي التي بنيت آنذاك في هذا الدير.

جديد فيما تكاثر الرهبان.[2]

ولكن مع هذه الكثرة والتزايد، نتساءل:

☩ **ما هو حال الحياة الرهبانية في أصالتها وجديتها وهل تواصل التقليد الرهباني فيها كما عاشه الآباء القدامى وسلموها لأبنائهم جيلا بعد جيل؟**

إننا نطرح هذا السؤال للاستنارة والاستفادة من جانب المسئولين وكل محب للرهبنة يهتم بتقدمها واستمرار رسالتها في الكنيسة.

☩ **ما هو الثمر الذى أفرزته الحركة الرهبانية في النصف الثاني من القرن العشرين من** شخصيات روحية آبائية قادرة أن تتلمذ أجيالا جديدة من الرهبان وتمتد بالنهضة الرهبانية إلى القرن الواحد والعشرين؟

☩ **ما هي القوانين التي تحكم الحياة الرهبانية في الأديرة والتي يجب أن يلتزم بها كل من** يلتحق بالأديرة القبطية؟ (آخر قانون صدر لضبط الحياة الرهبانية كان عام ١٩٢٨[3] أصدره المجمع الإكليريكي المقدس ووقّع عليه مطارنة وأساقفة الكرازة المرقسية ورؤساء الأديرة) .

ألا يمكن أن يصدر الآن قانون أكثر شمولاً ليواكب التطوير الإيجابي الذى حدث في الرهبنة خلال السبعين سنة الماضية؟

☩ **ما هو دور "العمل" داخل أديرتنا بالنسبة إلى غاية خلاص النفس التي دخل الراهب إلى** الدير من أجل تحقيقها؟ وما مدى انضباط العمل ليظل وسيلة فقط ولا ينحرف عن وظيفته؟

☩ **هل تحكم كل دير لائحة داخلية** (بجانب القانون العام للرهبنة المرجو صدوره) تنظم شروط التحاق الرهبان في هذا الدير، وتضبط انتظام الحياة الرهبانية، وترعى أصالتها مما يحول دون إفراز أي دير لأي راهب قد يسئ إلى الرهبنة القبطية بتصرفاته؟

☩ **هل هناك من الضوابط ما يمنع غير الجادين من دخول الأديرة أي الداخلين لغرض غير** غرض خلاص النفس والتزام الحياة الرهبانية حتى النهاية؟ كمثل نوال الرتب الكهنوتية، أو طمعا في اقتناء درجة عليا في الكهنوت أو لأسباب سيكولوجية نفسية كمثل حب الظهور ونوال التكريم من الناس وممارسة السلطة على الناس أو أي منفعة مادية أو معنوية أخرى؟

---

(٢) راجع بحث *"الرهبنة القبطية في المائة عاماً المنصرمة"*، مجلة مدارس الأحد، نوفمبر وديسمبر ٢٠٠٠

(٣) راجع *خلاصة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية* مطبوع بالمطبعة المرقسية بالدرب الواسع نمرة ٣٠ بمصر سنة ١٩٢٠ وذلك الفصل السادس من هذا الباب.

☩

وإذا التحق من هو جدير فعلاً بالدير، فهل سيجد هناك من خدمة الرعاية والأبوة الروحية الصادقة والأمينة والإرشاد الروحي السليم ما يجنبه الزلل والزلق في اهتمامات وانشغالات تبعده عن الطريق الرهباني؟

☩

وهل لكل دير أب روحي كفء مقيم في الدير يستطيع أن يقود الرهبان في طريق تكميل حياتهم الرهبانية إلى النهاية على أصول التقليد الرهباني القبطي الآبائي الصحيح بكل فروعه؟

☩

وما هي المعايير التي على أساسها يُختَار راهب من بين الرهبان لأداء خدمة رعوية في المدينة، أو لتولى منصب رعائي كنسي وكيف لا يجب أن يتوسع في هذه الاختيارات حتى لا تستنزف الطاقات الروحية للرهبنة القبطية؟ وما هي التعاليم والدراسات التي تلقى على الرهبان إبان فترة تكوينهم واختبارهم وسنيهم الرهبانية الأولى مما يوسع مداركهم وآفاقهم عن الدعوة الرهبانية التي يعيشونها، وعن الإيمان والحياة المسيحية عموماً، أم يُترك للراهب أن ينال من المعرفة أو لا ينالها بحسب ما يرى هو؟

هذه مجرد أسئلة وغيرها الكثير ليتها تكون موضع اهتمام المسئولين والمحبين للرهبنة لحفظ الأمانة للتقليد الرهباني وتسليمه نقياً للأجيال القادمة.

الرهبان القدامى والجدد:

باسيليوس – ١٣ [ليكن القديمِ في الدير كالأخ المؤنس المؤيد للمعلم لمن دخل جديدا] – قانون ٦

سلوك الرهبان:

[ولا يجب أن يأخذ لأحد وديعة، لئلا يجلب على الدير صداعاً واهتماماً. وهذا جميعه بغير حرم.

ويكون الرهبان مدمنين للصلاة، غير مفارقين بعضهم بعضاً، ويلزموا الوقار، ولا يأنف بعضهم من خدمة بعض كأليشع النبي الذي لم يأنف من خدمة إيلياس.

وإذا جلس رئيس الدير على المائدة ونظر راهباً شرهاً فليؤدبه لئلا يقتدي به غيره أو يدينه ولئلا يدينه غيره من العلمانيين].قانون٦

باسيليوس – ١٣ [كل أخ يغتاب أخاه وينم عليه فليخرج من الدير، ولا يُترك إذا عرف ذلك منه. كل راهب صحيح الجسم ولا يعمل فليُطعم أقل من الرهبان ويوبّخ لأنه ناقص الخدمة.

وكل راهب عاص لا يسمع ولا يطيع فليخرج من الدير ولا يُترك فيه ساعة ولا يُقبل له توبة.

وكل راهب يزني فليصُمْ سنة كاملة عن خطيته.

وكل راهب يؤذى الرهبان ويطرح الشر بينهم فليخرج من بينهم من الدير.

وإن كان أكثر أهل الدير فلاحين فليُطعموا في اليوم مرتين في ستة ساعات وبالعشاء. وإن لم يكونوا فلاحين، فدفعه واحدة في تسع ساعات من النهار.

ولينام كلهم على التراب والحصير لا على فروة وما شاكلها.

ومن خالف هذا فالسينودس يحرمه. وأما رئيس الدير والمرضى من الاخوة فإن أحبوا أن يناموا على الأسرَّة فذلك لهم.

ولا ينزعوا ثيابهم عند النوم ولا يحلوا مناطقهم. ولا ينام اثنان على وسادة واحدة، ويكونوا مستعدين للصلاة والسهر كمن يستعد للقتال.

ويصلوا في اليوم سبع مرات] قانون ٦

فحص المشاكل بين الرهبان:

قوانين البابا كيرلس بن لَقلَق [ولا يُقبل قول بعض الرهبان في بعض إلا بعد الفحص الشديد والعمل بقول الأكثرين المزكّين].

بواب الدير:

باسيليوس – ١٣ [ويكون بواب الدير ليِّن القول مترفقاً عاقلاً محباً للغرباء والأقرباء، متضعاً غير منازع لأحد في شئ، ولا يشتم مَنْ يبغضه ولا يسبُّه، بل يكون عاقلاً حكيماً، مُكرماً للغنى والفقير، ويسرع لإجابة كل من عامل الرهبان في صلاح الدير. ويكرم كل أحد على قدر ما يجب]. قانون ٦

رئيس الدير:

باسيليوس – ١٣ [لا يرأس على الدير إلا مَنْ رُبىّ فيه وعُرف بحسن السيرة واقتدر على موعظة

الجهال والضعفاء الرأي. هذا يُختار للقيام على الرئاسة بنفاد واجتهاد، وإذا عُرف بهذه الخصال فليرأس]. قانون ٥

باسيليوس – ١٣ [ليخضع رأس الدير للأسقف (الأديرة كانت تتبع أسقف الإيبارشية الذي يقع الدير في نطاقها) وكذلك للخوري إبسكوبوس، ولا يبيع من مُستغله شيئاً بل ينظر إلى أحد الرهبان ممن له نفاد وحركة (أي نشيط مثابر) فيُصيرهُ على هذه الخدمة.] قانون ٦

عيب اتجار الراهب:

نيقية العربية ٣١ [وإذا كان العلمانيون إذا اتجروا كان رديئاً فكم عيب يكون على الراهب إذا اتجر].

خروج الراهب من الدير:

باسيليوس – ١٣ [لا يرخص لراهب أن يخرج بغير إذن رئيس الدير]

عدم السماح للراهب بالسكن في غير ديره:

البابا غبريال بن تُريك [لا يُمكّن الراهب من السكن في غير ديره ولا الخروج منه، إلاّ ليؤدي عملاً أو لأمر ضروري أو لخدمة كنيسته. وأما مَنْ يسكن بين العالم بغير سبب، فلا يُمكّن من ذلك، ولا يتناول إلى أن يعود إلى ديره].

عدم سماح للأسقف برهبان يسكنون في إيبارشيته:

البابا كيرلس الثاني : [يجب أن لا يمكّن أحد من الأساقفة أحداً من الرهبان من السكن في شئ من بلاد كرسيه إلا أن يكون في دير مرسوم بذلك، أو كان مرسوماً لخدمة بيعة. وما سوى ذلك، فلا يمكنّه من المقام إلا أن يكون له حاجة يعرفها الأسقف. فيمكنّه من المقام أياماً يسيرة إلى أن يقضى حاجته ويعود إلى ديره. فإذا أقام بعد ذلك، فليمنعه الأسقف ويمنع من خلطته إلى أن يعود إلى ديره].

عدم قبول راهب ترك ديره في إيبارشية أو كنيسة بدون خطاب:

قرطاجنة ٧٨ – [أيما راهب خرج من ديره فليس لأحد من الأساقفة ولا من رؤساء الأديرة أن يقبله في كنيسته إلاّ بعد علمهم الأمر والسبب الذى أخرجه من ديره. فإن كان معه رسالة من رئيس الدير (الأول) بأن ذلك برضاه وأمره يُقبل، وإلا يُمنع هو والذي قَبله كائناً من كان. ولا يُدعى كاهناً، وإن كان قد عُيّن رئيس دير، يُخرج من رئاسته ويُقطع من رتبته].

تعليق: هذا الأمر ينطبق على قيام أسقف برسامة راهب مفصول أو هارب من ديره كاهناً أو تعيينه رئيس دير. راجع كتاب *الشرع الكنسي* – القانون ٨٠ من قوانين مجمع قرطاجنة ص ٧١١

لايتدخل العلمانيون في الحكم بين الرهبان :

قوانين كيرلس بن لَقلَق [ولا يُستناب في الحكم بين الرهبان قوم من العلمانيين للحكم بينهم بل رؤساء الأديرة أو من يقوم مقامهم من المؤمنين خاصة المعتبَرين العارفين].

عدم إخراج الرهبان من أديرتهم :

قوانين كيرلس بن لَقلَق [ولايُخرج الرهبان من أديرتهم ولا رؤساؤها من رئاستهم إلا بموجب مبرر ثابت].

الفصل الثاني

الراهب والرهبنة

من هو الراهب؟

في أول صفحة من كتاب بستان الرهبان، وفي أول قول لأول الرهبان: **القديس أنطونيوس الكبير** نقرأ هذا القول الذى هو حكمة نادرة :

– [قال القديس أنطونيوس: رأس الحكمة مخافة الله. كما أن الضوء إذا دخل إلى بيت مظلم طرد ظلمته وأناره، هكذا خوف الله إذا دخل قلب الإنسان طرد عنه الجهل وعلّمه كل الفضائل والحِكمة] – كتاب بستان الرهبان، الجزء الأول[1] – صفحة ٥

فالراهب هو من يرهب الله أي يخافه خوف المحبة والوقار والحرص على إرضائه بتنفيذ وصاياه، لذلك دُعي "راهب" أي "مُتّقي الرب"، وكانت هناك فئة في شعب الله قديماً تسمى "متّقى الرب" وهم الذين كانوا يحرصون على تنفيذ وصايا الله وناموسه كما نقرأ كلمات أحدهم في المزمور ١١٨ (١١٩ في الترجمة البيروتية)، هؤلاء كانوا يعيشون في خوف الله: "من هو الإنسان الخائف الرب؟ يرشده في طريق رضاه. نفسه في الخيرات تثبت، ونسله يرث الأرض. الرب عزٌّ لخائفيه، اسم الرب لأتقيائه، ولهم يعلن عهده" (مزمور ٢٤ أو٢٥ بيروتية) : ١٢ – ١٤).

أما الاسم اليوناني لكلمة "راهب" فهو **Monachos**، أي من يعيش منفرداً. وبهذا المعنى يصف مار إسحق السرياني الراهب بقوله :

– [الراهب هو إنسان قد ترك العالم كلية، وكذلك بلده وأقاربه، وانتقل إلى الأديرة والبراري، ليجلس في الهدوء ويعمل بيده ويقيت نفسه، ويعبد الله ليلا ونهاراً.

أما عمله فهو: الصوم، والسهر، والصلوات، والسجود، وتلاوة المزامير وقراءة

(١) طبعة دار النسخ والتحرير القبطية الأرثوذكسية، ١٩٥١ الجزء الأول، ١٩٥٢ الجزء الثاني، ١٩٥٣ الجزء الثالث

الكتب.

أما فضائله فهي : التجرد، والبُعد عن كل شَرَه وشهوة، الرحمة، خدمة الغرباء، الطاعة لسيدنا (يسوع المسيح) بحفظ وصاياه، الخضوع للآباء، الاتضاع، المحبة للرهبان، السكوت والصمت، خدمة الضعفاء في ديره، عمل اليدين، حفظ الحواس، العفة، الاحتراس من تشتت الأفكار، الصبر، عدم الغضب، الصفح عمَّن يضيرُه أو يحزنه، نبذ الشهوات، الدوام في الصلوات القلبية، تضرع القلب، بسط اليدين نحو السماء. وباختصار: النسك والتوبة ومحبة الأعمال مع بغضة الذات أي رفض الشهوات].

ويحذر مار اسحق من يلبس زي الرهبنة ولا تكون له أعمال الرهبنة :

[وكل راهب لا يمارس كل ذلك في ذاته، فهو لا يزال في رتبة ومنزلة العلمانيين. طوبى للذين يحفظون ويعملون.

لا تفتخر بالاسم بل اجتهد في الأعمال. لأن العمل هو الذى يبرر ولو كان بلا شكل ولا اسم]. بستان الرهبان – صفحة ٤٠

وهذا التحذير القاطع يضع أمام ناظرَي كل إنسان جوهر الرهبنة وليس زيَّها ولا اسمها، وأتعابها وليس مظهرها الخارجي.

ويقول القديس كليمادوس :

[الراهب هو الذى يستعد ليصير مثل الملائكة بدون همٍّ، ويشق عنه ثوب العالم. لا تظن أن معاشرات القديسين وحدها أو السُكنى في مواضع الصدِّيقين فقط تنفعك، ارفض جميع هذه الخرافات، لأنه لا تؤخذ أجرة المجاهدين لتُعطَى للكسلان لأن الأخ لا يفدى أخاه فداءً، إذ يقول : "إنك تجازي كل واحد حسب عمله"].

ويتساءل مار اسحق:

[وإن كنت تسأل وتقول : إلى أين؟ ولأي حدٍّ أجاهد؟ فإني أقول لك : إلى درجة الموت جاهد من أجل الله. جاهد نفسك في صلاة الليل وزِدْها مزاميراً، لأن رجاءً عظيماً ومعونة في الجهاد من أجل الله ينتظرانك]

– إذن، الجهاد الرهباني مستمر حتى الممات. وليس هناك استثناء، وكل القديسين جاهدوا

وجاهدوا وصبروا وتيقظوا لرهبانيتهم واحترسوا من ضعف بشريتهم حتى ساعة الموت.

الأديرة مكان ممارسة الرهبنة والحياة في مخافة الله :

الدير هو مكان سُكنى الرهبان الآتين لقصد الرهبنة، والرؤساء والمدبرون والمسئولون عن الدير ليس لهم همٌّ ولا عمل إلا أن يوفروا للراهب منذ دخوله الدير وإلى يوم الممات فرص ممارسته لحياة الرهبنة حسب طقس الآباء القديسين. وقد حفلت الكتابات الرهبانية القديمة والحديثة بكل التعاليم والوصايا والتوجيهات للراهب الذى يريد أن يكمل حياته في مخافة الله ورضاه حتى الممات. كما حفلت قوانين الرهبنة بتوجيهات للمدبرين والرؤساء عن كيف يحمون ويحفظون أولادهم الرهبان في قداسة الحياة الرهبانية ويصدُّوا عنهم كل ما يعثرهم ويبعدهم عن الحياة الرهبانية المسلّمة من الآباء.

فما يعطى الفرصة للراهب أن يحقق رهبانيته ويقضيها بسلام وكمال طيلة أيام حياته هو "الدير" الذى يوفر للراهب هذه الحياة بحرص المسئولين عنه والآباء الذين يدبرونه على صَوْن قداسة الدير والحفاظ على جو الرهبنة داخله وتدبير حياة الرهبان بالحكمة والبصيرة النفاذة التي تستطيع أن تقي الراهب من عثرات الردَّة إلى حياة "العالم" أي إلى "الحياة العلمانية" السابقة، بل أن تشجعه بالأحرى على النمو والتقدم في طريق البر والجهاد طيلة أيام حياته وإلى يوم الممات. لذلك وبعد قيام المسئولين عن الدير بكل هذا، فإذا تعثر الراهب نتيجة عدم تنفيذه قوانين الرهبنة، فحينئذ لايكون على الدير ملامة ولابد أن يراجعه المسئولون على ذلك.

يقول القديس أنطونيوس لمدبري الأديرة:

[أدِّب بخوف الله ولا تشفق. لا تأخذ بوجه كبير ولا صغير بل اقطع بكلام الحق باستقامة] - بستان الرهبان جزء ١، ص ٧

قوانين الرهبنة:

ومن بين أهم القوانين الرهبانية ما ورد في قوانين القديس باخوميوس أب الشركة (٢٩٠-٣٤٦)، ما يلي:

١. المبتدئ يتعلم الممارسات الروحية :

+ [إذا تقدم أحد ليلتحق بالدير، يجب أن يُختبر أولاً وتفُحص سيرته بدقة لئلا يكون قد

صنع شيئاً رديئاً وبسببه يريد أن يدخل الدير. ويتم اختباره للتأكد من قدرته على ترك حياته العلمانية السابقة] (يقصد الأقارب والممتلكات. ويُضاف إلى هذا الآن التأكد من عدم دخوله الدير طمعاً في مناصب كنسية وعده بها أحد أو أضمر هو ذلك في نفسه)

+ [فإذا ما رأوه معتدلاً في كل شئ، فإنه يتم تعليمه آداب الرهبنة وما يجب أن يتصرف به في الكنيسة وفي المكان الذى سيقيم فيه، وما يجب أن يسلكَ فيه بخصوص الأكل ووصايا الدير وكيفية التصرف في كل عمل].

+ [وبعد أن يتعلم هذه الوصايا، يمكن قبوله وسط الإخوة الرهبان، ويلبس ملابس المبتدئين، ويكون له مكان مخصص يقيم فيه. ويُعهد إلى أحد الرهبان القدامى بتعليم المبتدئين آداب الرهبنة وقوانينها. ولابد من استمرار تعهد الراهب بالتعليم والوعظ والتذكير المستمر مع تعاهد الرهبان بالتعليم والإرشاد والتحذير].

وبدون ذلك، فيمكن أن يحدث أي شئ ضد النزاهة والحياة المستقيمة للرهبنة.

٢. العمل وقوانينه في الحياة الديرية :

العمل عنصر هام وأداة ضرورية في الحياة الرهبانية للتربية الروحية ولترقية وللسمو بطاقات الراهب الروحية. ومن بين قوانين القديس باخوميوس في هذا الشأن ما يلي:

+ [لا يجلس أحد متكاسلاً بلا عمل في وسط الجماعة، لأنه لا يوجد أي عذر لإنسان لا يعمل].

+ [لا يُجبر إخوة على عمل يزيد عن طاقتهم. بل إن العمل المعتدل يشجع الكل، حتى يسود السلام والنصرة للكل، وحتى يسهل طاعة الكل للشيوخ في جلوسهم أو وقوفهم أو سيرهم، وحتى يتبارى كل واحد مع الآخر في السلوك بتواضع].

+ [فلنحفظ أنفسنا من الكسل في كل شئ. وقبل كل شئ يجب أن نحمل في أنفسنا ثمار الروح القدس، وبعد ذلك نحمل ثمار العمل الجسدي].

+ [وأما بخصوص الإنسان الكسلان في العمل الظاهر (العمل الجسدي) فيجب أن يعمل بكل قلبه لكي ينجز ويتعلم شغل يديه ليأخذ طعامه وملبسه وكل احتياجاته الجسدية إذا كان قادراً على العمل. وأما إذا كان غير قادر على العمل بسبب مرضه وضعفه، فيجب على الآخرين أن يشتغلوا وينفقوا عليه حتى يعدّوا له طعامه].

الاهتمام بالعمل الروحي وسط العمل الجسدي:

+ [نحن الذين ورثنا قانون الشركة على الأرض يجب أن نرث الفرح الذى يكون لنا في ملكوت السماوات. وحين نعمل العمل الجسدي، فإننا يجب أن نحفظ الجسد بلا خطية ويجب أن نهتم أيضاً بحفظ الروح حتى لا تهلك، لأنها أهم من قوت الجسد وذلك حتى لا تكون الروح مطرودة خارج الملكوت بسبب الاحتياجات الجسدية التي سوف تنتهي وتُباد].

+ **العمل يتم في شركة:** [كل عمل مطلوب منا أن نؤديه وفقاً لقانون الشركة يجب أن يكون بيقظة وحكمة وتقوى كأننا رجل واحد حتى يبارك الله في خبزنا فنأكله بفرح وسرور في الروح القدس، وحتى تستقر البركة مع الخبز، ويبقى بلا انتهاء، وحتى يبارك الرب كل عمل نمارسه].

تعليق: العمل في الدير مشترك وليس فردياً، فلا يصح ترك الرهبان يعملون لحسابهم الخاص أو يستأثرون بأراضٍ وممتلكات ومشاريعَ خاصة ولو كانت داخل الدير.

+ **وليس لمصلحة إنسان أو لاكتساب شيء:** [يجب أن نشعر أننا لا نعمل لمصلحة إنسان أو لاكتساب شئ، ولكن من أجل الله الذى أعد لنا هذا المكان لنعمل فيه، وأننا نعمل لأجل المنفعة الروحية، سواء كنا آباءً مسئولين عن الجماعة أو مجرد مسئولين عن أي شئ أو كنا مجرد أفراد أُمرنا أن نفعل أي شئ، فليفعل كل أحد عمله بيقظة كاملة مضاعفة سبعة أضعاف وبكل نشاط وشجاعة ليلاً ونهاراً].

تعليق: **إن شهوة التملك والاكتناز وإزادة الأرباح والتوسع في المشاريع ليست من الرهبنة في شئ. وهي ضربة شيطانية تدر وراءها كل ما يمكن أن يُعثر الراهب والناس.**

الصلاة القلبية الدائمة أثناء العمل:

الصلاة القلبية أثناء العمل هي العلامة التي يتعرف بها الله على عبيده فيحفظهم ويبارك أعمالهم ويجعلها للبركة ولنموهم الروحي:

+ [وفي كل وقت وأثناء العمل يجب أن نمارس الصلاة القلبية بكل نشاط وأن نمارس أيضاً صلوات المجمع والصلوات السبع الأخرى (الأجبية)، يجب أن نمارسها أيضاً في أوقاتها وفقاً لقانون الشركة بكل توبة ودموع، وأن نطلب من صلاح الله أن يجود علينا بمراحمه ونعمته حتى يوقظنا لكي يجددنا في محبته، وأن يقودنا في ضعفنا، ولا يسمح لنا أن نسقط بتهاون في هوة الإهمال وأن يملأنا من مخافته حتى تشرق نهاراً وليلاً في قلوبنا كنار مشتعلة حتى نتحرر من

الظلمة الخارجية هناك البكاء وصرير الأسنان (مت ٨ : ١٢)، ويكون لنا نصيب لنرث "ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن وما لم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يحبونه" (١كو ٢: ٩)، وأن يعطينا أيضاً بركة القديسين في هذا العالم في كل شئ نمارسه في الحقول أو القرى، وأن يبارك خبزنا وماءنا].

المسئولون يحددون حدود العمل :

لذلك، على المسئولين والمدبرين تقع مسئولية تدبير شئون العمل بما يجعله للبركة ويصونه من العثرة:

+ [يجب على المسئولين أن يحددوا الوقت الذى يبدأون فيه العمل والوقت الذى يرجعون فيه. وإذا استدعى الأمر أن يكون هناك ضرورة للعمل وقت الظهر أو وقت الليل، فيجب ألا يكون هناك أي تذمر، ويجب ألاّ نهمل وقت الاجتماع في المجمع والخدمات الإلهية ومواعيد تناول الطعام في حجرة المائدة.

توبيخ أحد الرهبان اشتغل أكثر من المطلوب طلباً للمجد الذاتي:

+ [أحد الرهبان افتخر بكثرة عمله أكثر مما كُلِّف به وظن أن القديس باخوميوس سيمدحه، ولكن القديس باخوميوس وبَّخه قائلاً:

[هذا الأخ أعطى كل تعبه من الصباح للمساء للشيطان ولم يتبقَّ أي شئ من عمله لتعزية الروح].

تعليق: من قوانين العمل للرهبان يتضح أن العمل هو أداة ووسيلة للتربية الروحية وفرصة للصلاة الدائمة وسبب للتعزية الروحية. لكنه لا يكون بأي حال سبباً يدفع الرهبان إلى الانزلاق في خضم الأعمال الاقتصادية المصاحبة أو الناتجة عن العمل. ومن المستحسن والمفيد أن المدبرين للعمل في الدير يحددون حدود التعامل مع الأشغال المختلفة فيوكلوا تصريف نتاج العمل مثلاً إلى مقاولين ومتعهدين من العالم ما لا يستدعى الأمر نزول الرهبان المتواتر إلى العالم والانشغال فيما لا يختص برسالتهم الأساسية وهى الصلاة.

٣. كيفية ممارسة الراهب التجرد والفقر الاختياري:

تركز قوانين القديس باخوميوس على نذر الفقر الاختياري للراهب:

+ [لا يمتلك الراهب أي شئ ولا يُترك في قلايته إلا ملابسه وأدوات العمل ما يكفيه ويكفى

عمله].

+ [أدوات البذخ والكماليات لا توجد في قلاية الراهب. ولا يأخذ أي أخ أي شئ من أقاربه الجسديين].

+ [لا يكون أي اختلاف في مظهر الرهبان، بل يكون للكل نفس الملبس والمظهر ولا يكون لأي أحد أي زينة أو بهرجة خاصة].

إن تدقيق الراهب ومدبري الأديرة في مقتنيات الراهب داخل قلايته وخارجها لأمر على أكبر قدر من الأهمية، لأن من هذه العثرة تدخل شرور ومفاسد كثيرة للرهبنة.

٤. كيفية ممارسة الراهب الطاعة :

الطاعة أحد النذور الثلاثة للراهب وهي أساس كل تقدم روحي للراهب:

+ [أعمال الرهبان خارج قلاياتهم، وممارساتهم مع بعضهم ومع الغير، تكون بإذن المسئول].

+ [التخاطب مع من هم خارج الدير في غير الأعمال المنوط بالراهب أداءها تكون عن طريق الأب المسئول].

+ [إذا سمع الراهب صوت جرس الدير الخاص بالكنيسة (القداس الإلهى) أو العمل أو الاجتماع ففي الحال يترك قلايته ويذهب لحضور الاجتماع، وفي الصلاة الجماعية والتسابيح داخل الكنيسة وقراءة وتلاوة المزامير أثناء أسبوع الآلام].

+ قال أبا زينون:

[إن رهباناً كثيرين تركوا آباءهم وأمهاتهم واخوتهم وعائلاتهم وأقاربهم وخدمهم وأصدقاءهم ومعارفهم وممتلكاتهم وكل شئ من أجل خلاص نفوسهم. وكانوا في أول حياتهم الرهبانية يسلكون حياة تستحق المديح والإعجاب ولكنهم انتهوا إلى حياة تستحق اللوم والعقاب. وقال: إن هذا حدث لأنهم لم يعطوا أنفسهم تماماً لحياة الطاعة والحياة التي بلا هم.]

+ [إن تطبيق قانون الطاعة على كل الرهبان بلا استثناء وبلا محاباة لهو أمر حتمي. وكما قال القديس أب زينون فإن معظم عثرات الراهب تأتى من عدم إعطائه نفسه تماماً لحياة الطاعة. والأمر منوط بالمدبرين والرؤساء في الأديرة ليباشروا قوانين الطاعة على الرهبان حفظاً لجهادهم ولضمان كمال خلاصهم].

الفصل الثالث

الراهب والعلمانيون

لقد حددت قوانين الرهبنة طريقة وحدود تعامل الراهب مع العلمانيين. فأول ما حددت:

طريقة استقبال الراهب للضيوف والأقارب

مراعية في ذلك حفظ الراهب من الاندماج المفسد في العالم والعلاقات غير السليمة وغير الضرورية لحياته الرهبانية.

– ولكن ما السبب في إقامة بيوت للضيافة في الأديرة قديماً؟ فأولاً لم تكن الأديرة أماكن للزيارة أو التنزه أو الرحلات كما هو حادث الآن. بل كان هؤلاء الزوار يتجشمون الصعاب في الوصول للأديرة لعدم وجود طرق معبَّدة، أما أغراض زيارتهم فكانت تنحصر إما في زيارة أقاربهم من الرهبان أو لطرح مشكلة أو حاجة روحية مُلحَّة على الأب الكبير للدير (وليس على أي راهب).

+ [لذلك أُقيم في كل دير من أديرة القديس باخوميوس **مكان بعيد عن سكنى الرهبان** لاستقبال هؤلاء العلمانيين بمن فيهم النساء، ويؤكد القانون الحكمة في هذا البعد: "حتى لا يتأذى أي أحد (من الرهبان أو العلمانيين) من افتراء يمكن أن يحدث". وهذا كله مع تأكيد قوانين الضيافة على الاهتمام باستضافة الضيوف [بكل حفاوة واجتهاد مع حرص الأب البواب المنوط به خدمة هؤلاء الضيوف على مراعاة خوف الله وعلى الأخص بالنسبة للنساء]. ولهذا كان اختيار بواب الدير يخضع لمعايير في منتهى الدقة والصرامة والمراجعة من المسئول عن الدير بين الحين والآخر.

+ [ويكون المكان المُعد لاستقبال الضيوف والأقارب مجهزاً بالأدوات والمعدات والأواني]. حتى لا يستدعي الأمر الدخول إلى الدير.

مشاركة العلمانيين للرهبان في القداس:

+ لم تعرف الرهبنة على مدى تاريخها ولم تسمح قوانين الرهبنة على الإطلاق باختلاط العلمانيين بالرهبان في صلواتهم داخل كنيسة الرهبان بالدير (إلا في الظروف الاستثنائية التي يحددها رئيس الدير وفي أضيق الحدود). ذلك لأن الصلاة الرهبانية هي صلاة الشركة ولها

نظمها وقوانينها التي تخص الرهبان.

هل تسمح القوانين الرهبانية للرهبان

بأداء خدمات الأسرار الكنسية للعلمانيين؟

+ لا لم تسمح القوانين الرهبانية للرهبان بأدائها. مثل:

سر الإفخارستيا:

فقد حتم أحد القوانين عدم السماح بمناولة الكهنة الرهبان للعلمانيين في الأديرة:

+ [***نُعلمكم أيها الكهنة أن الرجال والنساء المؤمنين الذين يأتون إلى بعض الديارات التي للرهبان حتى يتقربوا (يتناولوا) فيها فلا يجب للكاهن الراهب أن يقرِّبهم.***][٢]

ويعطي القانون السبب الطقسي الروحي في ذلك:

[***أن الكاهن لا يناول من لا يعرفه منهم حتى يعرف من أين هم وسيرتهم وأمانتهم وإن كانوا معترفين ويستحقون أخذ الأسرار المقدسة فيُناولهم. ومن عرف أن عليه تبعة (مسئولية) شرعية أو اشتهرت عنه خطية وجب إبعاده من القربان. فإن تجاسر (الراهب الكاهن) وقرَّبه فيلزمه (يستحق) قانونه.***]

إن الذي يتأذى من عادة التناول الجماعي في الأديرة للأفراد والجماعات والرحلات كلا الرعاية والرهبنة معاً. فالرعاية التي هدفها تهيئة المؤمنين للتناول باستحقاق من الأسرار المقدسة تتعثر مهمتها بجعل التناول (في الأديرة) عادة شعبية بلا أي مفهوم روحي، حيث ينقلب معنى ومفهوم سر الإفخارستيا من كونه يستمد فاعليته وقوته من حضور جسد الرب ودمه الأقدسين على المذبح[٣]، ومن استعداد المتناول للتقرُّب منهما بخوف ورعدة، واجتماع شعب الكنيسة معاً وعلى رأسهم كاهنهم، حيث يُستعلن المسيح في ملء حضوره، لتنقلب فيصير مركز الاهتمام هو مكان تناول السر (هذا الدير أو ذاك) وأحياناً يكون شخص الراهب

---

(٢) أورده نيافة الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها في كتابه: *"الطب الروحاني"*، صدر سنة ١٩٩٩(وهو من أفضل ما كُتب في هذا العلم)، ص.٩٩

(٣) إن قوة الأسرار واحدة. هذا ما يوضحه القانون المختص بسر المعمودية من قوانين القديس غريغوريوس: [ومَنْ أمكنه العماد في اليوم والوصول إلى هذا الخير فلا يؤخره إلى الغد، ولا ينتظر به حضور الوالدين ولا الأصدقاء، ولا يؤخره بسبب ملبوس يتباهى به ولا يتوقف فيه على تعميد بواسطة مطران أو أسقف أو قسيس ملائكي السيرة (أي على كاهن راهب) فقوة المعمودية واحدة متساوية] – من قوانين القديس غريغوريوس – مخطوطة النوموكانون

الذي يقوم بالتقديس. أي لم يعد التناول عبادة روحية وممارسة مقدسة تستدعي التدقيق في متطلباتها ليصحَّ نداء الكاهن: [القُدسات للقديسين]. **أما الرهبنة فتتأذى هي الأخرى لأن** الدير لم يعد الموضع الذي تتحقق فيه شركة الحياة الرهبانية لرهبان الدير التي تتكلل بتناولهم معاً من سر الإفخارستيا بعد تأكد إيغومانس الدير أو الأب الروحي من استحقاق رهبانه للتناول حسب الأصول الطقسية المشار إليها، بل يتحول اهتمام الرهبان عن الهدف الأساسي وهو شركتهم بعضهم مع بعض، بخلاف ظهور مشاكل أخرى.

سر الكهنوت، وسر الاعتراف

ثم إن سر الكهنوت يُمنح للرهبان لخدمة الاحتياجات الطقسية للمجمع الرهباني داخل الدير فقط. فالقس المرسوم في الدير يتخصص في أداء الصلوات الطقسية للرهبان فقط ، وقد يُعطى له الإذن بسماع اعترافات المبتدئين والرهبان المرسومين حديثاً. لذلك ليس للراهب - إطلاقاً - أن يسمع **اعترافات العلمانيين** لا في الدير ولا في العالم، **وعلى الأخص الفتيات والسيدات اللواتي لهن طقس خاص لسماع الاعترافات وإعطاء الإرشاد الروحي لهن في الكنائس داخل الإيبارشيات**[٤] ، حسب تعليمات سر الاعتراف المنوط إجراؤه بكاهن الكنيسة في المدينة (وبمعاونة زوجة الكاهن أو الخادمات التقيات في بعض هذه الحالات) ضمن مسئولياته التي يحددها له القانون الكنسي.

سر المعمودية

كذلك سر المعمودية كان قاصراً في الأديرة قديماً على معمودية المتقدمين للرهبنة من الوثنيين أو غير المعمَّدين. فممارسته للعلمانيين هي من اختصاص أسقف وكهنة الإيبارشيات التابع لها المعمَّد وإشبينه، حيث يجب أن يتحقق الكاهن من عدة أمور من وعن والديه وإشبينه، كما يسجِّل المعمَّد في سجلات الإيبارشية للرجوع إليها فيما بعد.

سر الزيجة المقدسة

+ وكذلك أداء طقوس سر الزيجة المقدسة لأفراد الشعب فليس للرهبان ممارسته للعلمانيين سواء داخل الدير أو خارجه. وهذا تقليد قديم معروف ومتداول والحكمة منه لا تغيب عن إدراك

---

(٤) راجع في هذا الصدد رأي نيافة الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها في كتابه: *"الطب الروحاني"*: [لا يجوز اعتراف العلمانيين مطلقاً على الرهبان]- صفحة ١٥٠ . وراجع الفصل الخاص: *"التقاليد القانونية لممارسة سر الاعتراف"* في هذا الكتاب.

أحد. وما هو حادث اليوم من قيام الرهبان في العالم بإجراء طقوس سر الزيجة في كنائس المدن وأحياناً داخل الأديرة هو استحداث مُعثر لشعب الكنيسة وللرهبنة على حد سواء، ولم يتسرب إلى الكنيسة إلا منذ عشرات السنين فقط. ولابد أن يتوقف هذا، والمشاكل والعثرات الحادثة تحتم هذه.

سر مسحة المرضى

+ وينطبق هذا الأمر أيضاً على سر مسحة المرضى. فشفاء المرضى من العلمانيين ليس من أعمال الرهبان. لأن الشفاء الروحي والسلامة الروحية للراهب (وليس شفاء أجساد الآخرين) هما الغرض الذي ترك الراهب من أجله العالم. والقديس باخوميوس نفسه حينما كان يقدَّم له مريض (باعتباره الأب الأكبر للأديرة. ولم يكن يُقدَّم المرضى وأصحاب الحاجات الروحية الأخرى لأي راهب آخر إلا للأب الكبير أو لمن ينتدبه هو لذلك) ليصلي من أجله، لم يكن يُشفى في كثير من الحالات وقيل عنه: إنه كان يمدح جداً شفاء الروح أكثر من شفاء الجسد بقوله: [لا تظنوا أن الشفاء الحقيقي هو للجسد، بل للروح].

+ وعموماً، فإن الراهب لا يصح أن يشغل نفسه بأعمال الرعاية التي يتخصص لها في المدن الكهنة المتزوجون حسب القانون الكنسي. فقد منع مجمع نيقية المسكوني رسامة كهنة متبتلين لرعاية الشعب في المدن بالإيبارشيات وحتم أن يكونوا متزوجين كما يتضح من خطاب القديس بفنوتيوس المصري في المجمع.[٥] وله قول شائع: [يجب ألا نضع على الإكليريكيين مثل هذا النير الثقيل (أي عزوبية الكهنة) فإن الزواج مكرَّم ومضجعه بلا دنس]

هل يجوز للرهبان أداء زيارات الافتقاد للأسر في بيوهم؟

+ ونفس الأمر ينطبق على زيارات الافتقاد للأسر في بيوتهم، فهي خدمة يختص بها كهنة الإيبارشيات المتزوجون وزوجاتهم وليس الرهبان، الذين ليس من طقس رهبنتهم افتقاد الأسر أو مبيتهم خارج أديرتهم في مساكن العلمانيين بل في مقار أديرتهم في المدينة وبشروط محددة. ولا يصح كسر التقليد الذي أرساه مجمع نيقية المسكوني في هذا الصدد. وقد حرَّم ذلك حديثاً قانون المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. وحتى المطارنة والأساقفة (وهم من الرهبان) لهم طقسهم وقانونهم الخاص في الخدمة في العالم بما لا يُفقدهم نقاوة رهبنتهم[٦].

---

(٥) راجع كتاب *الشرع الكنسي*، ص ١٠٩، ١١٠.

(٦) من قوانين البابا كيرلس الثالث في سبب عدم خروج المطران أو الأسقف من قلايته لزيارة بيوت العلمانيين:

وليس للمطران أو الأسقف أن يتوجه إلى بيت علماني بالمرة لئلا يلحقه ضعف في طبيعته ويخرج عن الحق والعدل في الحكم

(بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية)

+ إن هذه التحديدات التي تضعها قوانين الرهبنة هي لصالح الرعاية والرهبنة كليهما على حد سواء. وتعدِّيها يُسفر بلا شك عن أذى فادح ومشاكل لكلا الشعب والرهبان وأيضاً لتدبير الرعاية في الإيبارشيات على حد سواء أيضاً.

+ وقد كانت الدرجات الكهنوتية بعيدة كل البعد عن المجامع الرهبانية. وكان القديس باخوميوس يجلب كهنة متزوجين من الإيبارشيات المحيطة بأديرته ليقوموا بأداء القداس الإلهى للرهبان. وقد رفض ما كان ينويه القديس أثناسيوس الرسولي من رسامته كاهناً باعتباره الأب الأكبر للأديرة في الصعيد، وهرب واختفى من لقاء البابا حين توجه لزيارته في الصعيد. وقد احترم البابا أثناسيوس رغبته هذه ولم يرسمه كاهناً ومدحه أمام الرهبان على موقفه هذا وقال لهم:

[عظيم هو أبوكم! قولوا له: لقد هربت من ذاك الذى يقود إلى الغيرة والحسد والتطاحن، فاختبأت عنا، لأنك اخترت لنفسك ما هو أفضل وهو الاحتماء في الرب يسوع. وبما أنك هربت من المجد الباطل والعظمة الزائلة فإنني أطلب من الله أن يحفظك من كليهما. وقولوا له إن هذا الأمر الذى هربت من أجله لن يحدث].

(بقية الحاشية من الصفحة السابقة) ————————

ويراعي الوجوه والمحاباة عند إتيان هذا العلماني إليه في أي أمر.

وإنما من يحضر لقلاية المطران أو الأسقف فليكن على قبول البركة فقط أو مَنْ يدعوه إلى منزله فيكون لهذه الغاية أيضاً حيث أنه من خلفاء آبائنا الرسلِ الأطهار.

وقد أمر المسيح له المجد رسله الأطهار الذين منهم المطران والأسقف قائلاً: "لاتنتقلوا من بيت إلى بيت. وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم، أخرجوا منها وانفضوا الغبار الذى لصق بأرجلكم من مدينتهم. الحق أقول لكم إن سدوم وعمورة ستكون لها راحة أكثر من ذلك البيت أو تلك المدينة".

فقد ظهر من أقوال المخلِّص له المجد بأن المطران أو الأسقف لا يمكنه أن يعبر إلى بيت علمانى إلا ويعلِّم فيه من تعاليم آبائنا الرسل التي هى تعاليم من أرسلهم وهو المسيح. وإن تأخر عن التعليم وسكت فليس هو بأسقف أو مطران. وإن تكلم بتعليم ولم يُقبَل كلامه فيصير لسدوم وعمورة راحة أكثر من هذا البيت. فيكون إذاً دخول المطران أو الأسقف في ذلك البيت علة لهلاكه. فلذا لا يجب عليه العبور إليه إلا إذا دُعي لأمر ضرورى لخلاص نفس من الهلاك الجهنمى ويكون متأكداً منه قبل توجهه ويعود بالتالى في الحال.

ويحذر البابا كيرلس كل مطران أو أسقف عن قبول الرشوة كهدية مما يؤتى به إليه. لأن الرشوة تعمى عيون الحكماء. وملعون من يهبها.] — عن مخطوطة النوموكانون

الفصل الرابع

الرهبان والخدمة

أولاً، لابد أن نعرف موقع الرهبنة من رسالة الكنيسة. فالرهبنة موهبة مثلما أن الخدمة موهبة. والراهب يتدرب وينمو في حياته الرهبانية ليس لكي يتأهل للخدمة العلنية في المدينة كراعٍ أو مفتقد أو أب اعتراف للعلمانيين، بل لكي يخلص وينال إكليله في الحياة الأبدية. ولكنه وهو يوفي حق دعوته وموهبته هذه بأمانة وإخلاص يخدم الكنيسة جسد المسيح أجلَّ خدمة حتى وهو في وحدته ودعوته.

فخدمة الكنيسة ليست كلها وعظاً وتعليماً وكلاماً وجرياً وافتقاداً. فالناس لا ينتفعون من الوعظ والكلام بدون عمل وقدوة، بل الكنيسة تحتاج إلى نفوس منسكبة في الصلاة وبذل الذات والعمل الروحي الخفي الذي يجلب قوة الروح القدس على الخدام في المدينة والمفتقدين في الشوارع والأزقة والوعاظ على المنابر ليتوب الناس ويُنخسوا في قلوبهم ويقبلوا الإيمان الحي بالمسيح. ولو تحول كل الرهبان إلى وعاظ ومعلمين ومفتقدين فلابد سيقيم الروح القدس مرة أخرى مصلِّين ومنسكبين على ذبائح نفوسهم ومُسبِّحين لله يحمون أسوار الكنيسة بقدوتهم وحياتهم المستترة في المسيح المُخفاة في سر!

فالدعوة الرهبانية في الصحراء هي سند وعضد للكنيسة الخادمة في العالم. وسر قيام الكنيسة وسلامتها في وجه أعاصير الاضطهادات والهرطقات والغزوات على مدى ألفي عام كان في تماسك الرهبنة وسلامة بنيانها وحرص رهبانها على طهارة حياتهم ونقاوة رهبنتهم. وبسبب تيقن آباء كنيستنا القدامى من هذه الحقيقة، حافظوا على أجواء الهدوء والسكون في الأديرة وعلى خفية وخصوصية الحياة الرهبانية لساكنيها فلم يقتربوا منها إلا ليتباركوا من نساكها ولكن لم يحاولوا زعزعة أسسها وأعمدتها الراسخة، بل بالحري زادوا من ترسيخها.

ولكن كما أن للرهبنة قوانينها بخصوص تحديد علاقة الرهبان بالعلمانيين كذلك **للخدمة قوانينها في الخدمة داخل الكنيسة في المدن والإيبارشيات.** فالأمر ليس متروكاً للأفراد لينزلوا للخدمة حسبما يتراءى لهم، على طريقة أهل العالم: "من يجد في نفسه الكفاءة فليتقدم!"

فمن أهم وأول قوانين الخدمة:

١. أنها تكون بناءً على دعوة من الله لا من ذات نفس الإنسان.

٢. أنها تكون بتدبير المسئولين الكنسيين في الإيبارشيات حتى تكون متوافقة مع التنسيق العام للخدمة عموماً.

٣. أن يكون المدعو للخدمة مؤهَّلاً لأداء الخدمة التي دُعي إليها. وذلك بالدراسة اللاهوتية والخبرة الروحية والاجتماعية والعلمية لكل خدمة بحسب متطلباتها.

٤. أن لا يقوم أحد بخدمة بعيداً عن عين ومراجعة ومراقبة المسئولين الكنسيين.

لذلك أُقيمت المعاهد والمدارس الإكليريكية ووُضعت القوانين الكنسية المنظِّمة للخدمة الكنسية والمحدِّدة للمخالفات وعقوباتها الكنسية. وليس الأمر بهذه السهولة والعشوائية التي تدفع راهباً إلى ممارسة ما يقول إنه خدمة يقوم بها من تلقاء نفسه وبمعايير وأساليب وضعها هو بنفسه لنفسه! فالخدمة في الكنيسة مقنَّنة وكل تجاوز لقوانينها أو تساهل فيها له نتائجه الضارة والمؤذية والتي عانينا بعضاً منها أخيراً.

ولكن ما هي معايير استخدام رهبان للخدمة؟

ولكن قد يُكلَّف راهب بالخدمة في المدينة من قِبَل المسئولين الكنسيين (وتحت الضرورة القصوى). فهل يصلح الراهب لأي نوع من أنواع الخدمة؟

لا طبعاً! فالراهب ليس لأنه يلبس الملابس السوداء ويطلق لحيته ويُنادَى بلقب «أبونا» فهو يصلح للخدمة. ولكن إذا استدعي الأمر تكليف راهب للعمل في الخدمة خارج ديره بدعوة المسئولين له، فلذلك معايير وشروط حتى لا يؤذي أو يُفقد ثمار جهاده الرهباني فيؤذي بالتالي الخدمة التي دُعي إلى إتمامها.

وأول تحديد: هو أن يُختار من بين شيوخ الرهبان (لا من شبابهم) حيث يكون قد تعمَّق في نسكه وصار حكيماً في تدابيره، وقد ذهبت عنه حدة الشباب وأعمال الطفولة (بحسب تعبيرات القوانين الكنسية) وأصبح قادراً على الحفاظ على زيت فضائله وملء حياته دون تعثر، فيستطيع أن يداوم على إثراء الخدمة ورسالة الكنيسة بثباته الروحي.

وثانياً: أن يكون على دراية ومعرفة وعلم بما سيقوم به من نوع الخدمة المدعو لها وهذا يحتم تعليمه اللاهوتي وغير اللاهوتي بما يتناسب مع نوع هذه الخدمة.

وثالثاً: أن توفِّر له الكنيسة وسط العالم الحياة اللائقة بطهارة حياته الرهبانية حتى لا يفقد نقاوة رهبنته التي استُدعي من منسكه ليخدم بها فتتأذى الخدمة من جراء ذلك.

ورابعاً: أن لا يُكلَّف بخدمة تتعارض مع نذر بتوليته فأعمال الرعاية وسط الشعب والنساء

لا تتناسب أبداً مع دعوة الراهب ولا مع إمكانياته النفسية والروحية، وكما حتم مجمع نيقية أن خدمة الشعب يُكلَّف بها كهنة متزوجون. وحتى الأساقفة (وهم من الرهبان) لهم طقسهم وقانونهم الخاص في الخدمة في العالم بما لا يُفقدهم نقاوة رهبنتهم[1]. وقد ثبتت مصداقية هذا البند من التجارب الأخيرة بأوضح برهان.

وأخيراً، إن سلامة ووحدة الكنيسة ونجاح رسالتها تتحقق بأن «الدعوة التي دُعي فيها كل واحد فليلبث فيها»، «وكما قسم الله لكل واحد كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك» (كورنثوس الأولى ٧، ١٧: ٢٠).

*****

فليبارك الله أديرتنا ويحفظ رهبانها دائماً ذخراً للكنيسة وقدوة في الزهد والطهارة ومنارة للعلم ونوراً للعالم. آمين



(١) أنظر: من قوانين البابا كيرلس الثالث في سبب عدم خروج المطران أو الأسقف من قلايته لزيارة بيوت العلمانيين، الهامش رقم ٦ من الفصل السابق: *الراهب والرهبنة*.

الفصل الخامس

الأب الروحي

هناك نمطان للتعاقب الرسولي في حياة الكنيسة:

أولاً: **التعاقب المنظور الرسمي للكهنوت**، أي تعاقب الأساقفة حاملي الإيمان الرسولي في مختلف المدن كما يصفهم القديس إيرينيئوس في أواخر القرن الثاني.

وبجانب هذا التعاقب الكهنوتي الرسمي، فهناك:

ثانياً: **التعاقب الروحي المخفي داخل أصحاب مواهب الروح** الذين أوتوا حكمة روحية لتدبير نمو النفوس في الروح. هؤلاء هم الآباء والأمهات الروحيين الذين يسلمون في كل جيل الحياة الروحية الرسولية ويرعون نموها في حياة الرهبان والراهبات. وهم بهذا يمثلون سلسلة ذهبية ممتدة من عصر الرسل إلى الآن.

وقد يُوجد هذان النمطان من التعاقب الرسولي معاً في شخص واحد، فقد يكون أسقف أباً روحياً حكيماً في إرشاد النفوس في طريق الجهاد والنمو الروحيين، مثل القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة الكبادوك في أواخر القرن الرابع.

والنوع الأول من التعاقب الرسولي له مواضعه داخل المدن العظمى مثل روما والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم (قديماً) ثم القسطنطينية وموسكو وغيرها من الكراسي الرسولية التي استجدت وانتمت إلى هذا الرسول أو ذاك.

أما النوع الثاني من التعاقب الرسولي فله مواضعه أيضاً التي اختلفت من جيل إلى جيل ثم استقرت في البراري والأديرة في الصحارى والجبال: نتريا والأسقيط وطبانسين في القرن الرابع، وغزة في القرن السادس، وفي العصر الحديث: ساروف وأوبتينو في روسيا في القرن التاسع عشر.

إن كلا النمطين أساسيان في تكميل عمل الروح القدس في الكنيسة جسد المسيح. ومن خلال تبادل التعاون والتكامل بين النمطين تكتمل مسيرة المؤمنين وتنمو الشهادة للمسيح بالحياة المقدسة والمواهب المتنوعة.

الفرق بين "الأب" و "الرئيس" أو "المدبر":

ومركز العمل في النمط الثاني هو الأب الروحي، (مثلما أن مركز الثقل في النوع الأول هو

الأسقف). وقد أشار إلى هذا النمط الثاني القديس بولس الرسول حينما أبلغ أهل مدينة كورنثوس: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأني أنا ولدتُكم في المسيح يسوع بالإنجيل» (اكو٤: ١٥). وفي هذه الكلمات يؤكد القديس بولس على الفرق بين "المرشد" أو "المربِّي**Paedagogos**" بالمعنى العام، وبين "الأب". فالكورنثيون عندهم "مرشدون – مربُّون" كثيرون أي "معلمون" و "مدبرون"، لكن لهم أب واحد فقط هو الذي سبق أن "ولدهم" إلى الحياة الجديدة التي في يسوع المسيح، وبالتالي صار هو "الأب" الروحي لهم، فهو الذي بشَّرهم بهذه الحياة الجديدة وأتى بهم وأدخلهم إلى ملء حياة الروح. طبعاً، لم يكن القديس بولس الرسول يمارس أبوته الروحية كما كان يمارسها الآباء الروحيون في الشركة الرهبانية في القرن الرابع كمدبِّرين لنمو حياة أبنائهم وتلاميذهم، لكن هناك ثمة تقابل وتوازٍ بين الاثنين: فالقديس بولس كان يحس بمسئولية دائمة عن الذين "ولدهم في المسيح" أو "أدخلهم في الإيمان جديداً" من جهة جهادهم وثباتهم في الإيمان.

صورة الأمومة في "الأب" الروحي:

وينتقل القديس بولس من تشبيه نفسه بالأب إلى صورة "**الأمومة**"، وذلك في رسالته إلى الغلاطيين: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غلا٤: ١٩)، وأيضاً «... كنا مترفقين في وسطكم كما تربِّي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانِّين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا» (ا تس ٢: ٧،٨).

ومن هاتين الصورتين عن الأمومة الروحية تتضح مسئولية القديس بولس كأب لأولاده أنها لا تنتهي عند تجديدهم ودخولهم الإيمان بالمسيح، بل تستمر في الاعتناء بهم والجهاد من أجلهم حتى «يتصور المسيح فيهم»، أي حتى يقتنوا الروح القدس في باطنهم الذي يصوِّر المسيح فيهم فيعلمهم ويرشدهم. وهو يسلك للوصول إلى هذا الهدف كالمرضعة التي تعتني بإرشاد أولادها ليس بالكلام فقط والوعظ، بل وبالحياة والقدوة أيضاً «ويحمل أثقالهم» أي مشاركتهم في ضعفهم وآلامهم وأحزانهم وحتى أفراحهم: «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟» (٢كو ١١: ٢٩).

فهو يوحِّد نفسه بهم في ضعفاتهم لكي يقدر أن يُقيلهم من عثراتهم ويعزِّيهم في آلامهم ويرفعهم في أفراحهم إلى مستوى الفرح الروحي. وهذا هو عين ما يفعله الأب الروحي لأبنائه الروحيين، حينما يحس بمسئوليته عن نموهم الروحي وعن إقامتهم من عثراتهم وضعفاتهم.

ويتضح نموذج "الأب الروحي" بأقوى وأوضح صورة في حياة القديس أنطونيوس أب الرهبنة وبادئ نشاطها في العالم أجمع. وتحفل سير آباء البرية بنماذج الأبوة الروحية وكيفية ممارستها.

والأب الروحي يرشد الآخرين ليس بفرض القوانين عليهم بل بمشاركة حياته معهم. فقد أخبر راهب الأبا بيمن: "بعض الاخوة أتوا ليعيشوا معي هل تريدني أن أعطيهم أوامر؟"، فرد عليه الشيخ:"لا" فسأله: "ولكنهم هم أنفسهم يلحُّون أن أعطيهم أوامر". فكرر الأبا بيمن كلامه: "لا، كن قدوة لهم لا مُشرِّعاً". ونفس التوجيه سرده أبا اسحق قس القلالي. فحينما كان شاباً عاش مع أبا كرونيوس ثم مع أبا تادرس الفرمي، ولم يُشر عليه أيٌّ منهما بشيء ليعمله. فلما اشتكى أبا اسحق للرهبان فذهبوا إلى الأبا تادرس وقالوا له، ردَّ عليهم في الحال: "إن أراد فلينظر ماذا أفعل ويفعل مثلي"[(١)]

ويلاحظ من هذين الخبرين أن الأب الروحي يعضد أولاده ليس فقط بالكلام والمشورة بل وأيضاً بنموذج وقدوة حياته: «كل ما ترونه أفعله، فافعلوا مثلي».

وتحتل العلاقة الشخصية بين الأب الروحي وأولاده في الرهبنة القبطية الأرثوذكسية مقاماً عظيماً، وعلى الأخص في عصرنا الحاضر حيث ازدهرت الرهبنة في أديرتنا القبطية وأصبحت قبلة الشباب القبطي التقي والمثقف بثقافات العصر، مما استدعى وجود الآباء الشيوخ الروحيين الذين يجمعون بين موهبة القيادة والأبوة الروحية وبين اتساع القلب والفكر، ما كان لدى آباء الرهبنة الأوائل مثل القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير في القرن الرابع اللذين ازدهرت الرهبنة على أيديهما وانتشرت حتى وصلت إلى بلاد الغرب.

وتشير أقوال الآباء الأوائل للرهبنة وكذلك سيرهم وكتاباتهم مثلما ورد في كتاب "بستان الرهبان" و "البارادیسوس" وما يسمى بـ: الأبوفثجماتا باترام – "Apophthegmata Patrum" وغيرها ما أصبح الآن متوفراً في المكتبات العامة باللغات الحية، وبعضها تُرجم إلى العربية. نقول تشير هذه المؤلفات بالتفصيل كيف يؤدى الأب الروحي واجبه ومهامه على المستوى العملي. ولكن ليس من السهل أن نعثر في هذه المؤلفات عن ما هو جوهر الأبوة الروحية. ذلك لأن الأبوة الروحية للرهبان أو للمؤمنين هي موهبة روحية فائقة قلَّ من حازها ومن أتقنها في عصرنا الحاضر بعد قرون طويلة من غيابها عن الكنيسة القبطية بسبب الظروف الصعبة التي قاست فيها الرهبنة على الأخص من هجران وضعف وتشتت مع ضياع المصادر الرئيسية لأصول الرهبنة

(1) *AP*, alphabetical collection, Poemen 174; tr. Ward, *Sayings 191*

وسير الآباء. ولكن ظهور هذه المؤلفات أصبح يمثل نعمة وافتقاداً إلهياً للكنيسة وللرهبنة، ولم يبقَ علينا إلا أن نكون النفوس التي تسير على دروب الآباء القديسين لنشهد لملكوت الله كما شهدوا وعبروا.

ومن بين أهم النصوص المتوفرة لدينا عن أصول الأبوة الروحية الفصل الأخير من كتاب *"سلم الصعود الإلهي"* للقديس يوحنا الدرجي أو (كليماكوس) أو (السُلَّمي)، وهو الفصل المعنون "إلى الراعي"، ويُعتبر أيضاً بمثابة الدرجة الأولى بعد الثلاثين درجة التي قُسِّم إليها الكتاب، ولكن هذا الفصل لا يحوى منهجاً منظماً لشخصية الأب الروحي. لكننا يمكن أن نستنبط منه ومن كتابات رهبانية أخرى بعض معالم وصفات الأب الروحي ما يمكن أن يفيد قراء هذا الكتاب، لعله يكون باعثاً لمن وهبه الله هذه النعمة ليوفي الأبوة الروحية حقها الواجب.

إننا يمكن أن ننظر إلى الأب الروحي من خمس زوايا هامة أو صفات أساسية هي: **طبيب النفوس، مرشد الطريق، شفيع الخطاة والضعفاء، وسيط بين الله والأبناء، كفيل أمام الله عن أبنائه.**

١- الأب الروحي كطبيب النفوس

هذا هو النموذج الأول السائد في الرهبنة الأولى للأب الروحي، كما يُرى في أقوال الآباء وكتاب *سلم السماء*. ويصف القديس أثناسيوس الرسولي مُعاصره القديس أنطونيوس بأنه "الطبيب الذي وهبه الله لمصر"[٢].

ويستخدم القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس يوحنا ذهبي الفم لغة مشابهة في وصف العمل الرعوي الموكل للأسقف والكاهن. كما تشير بعض المجامع الكنسية إلى الخاطئ باعتباره "الإنسان المريض"، وحالة الخاطئ باعتبارها "المرض"، بينما أب الاعتراف هو الذي يمنح "الشفاء" من "المرض" (مجمع ترال – قانون ١٠٢).

وهذه النظرة الروحية الطبية إلى الخطية والخطاة ترتكز على المفهوم اللاهوتي الشرقي لسقوط الإنسان الأول ومعناه ونتائجه الذي يتركز على أن الطبيعة البشرية قد ورثت من آدم **"مرض"** الخطية لا "ذنب" الخطية، أما أب الاعتراف فهو الذي يعطى أو يصف **"الشفاء" "للمريض"** وليس يوقع "العقوبة" على "المذنب". وهذا هو نفس الاتجاه لدى القديس يوحنا السلمي (أو

(2) Vit. Ant. 87

الدرجي) في مقالته الأخيرة الموجهة للراعي في كتابه *"سلم السماء"*. فالأب الروحي هو **"طبيب"** يعتني بالإنسان "المريض"، والذي يستخدم الرباطات ومشرط الجراحة، والسوائل المطهرة والمراهم والمكاوي والمنوِّمات (أدوات الطب في القرن السادس)، أما قانون التوبة الذي يصفه للمريض فهو ليس "عقوبة" بل دواء شافٍ، وحتى الكيُّ الذي يمارسه فيكون [**بطريقة ممتلئة محبة لأنه وسيلة لاقتياد "المريض" للتوبة**].

والطبيب الروحي يستطيع أن يفيد المريض في حالة واحدة فقط حينما يكون المريض مُخْلصاً: [يكشف جَرْحه بصدق كامل]. وغنى عن التعريف أن كل آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لا ينظرون أبداً إلى أب الاعتراف أو الأب الروحي على أنه قاضٍ يحكم بالقصاص ويفرض العقوبات. بل هو، على العكس، مُعالج وشافٍ روحي. فالصورة روحيةٍ علاجية شفائية وليست قضائية، والاعتراف يشبَّه بالتوجه إلى المستشفي وليس إلى المحكمة، وقانون التوبة ليس عقوبة بل منشطاً لمساعدة المريض على شفائه.

والابن الروحي حينما "يعترف" أمام أبيه الروحي فهو يعلن له ليس فقط **"خطاياه"**، بل وأيضاً **"أفكاره"** التي يمكن أن تقوده إلى الخطية في فعلها، وعلى الأخص تلك الأفكار التي قد تبدو بريئة وغير مُضرة أو مؤذية. لذلك، فالمعالجة الشفائية التي يقوم بها "الشيخ" تشمل ليس الخطايا وحدها بل وكل الحياة الباطنية للمريض، فالمعالجة هي للوقاية وليس فقط للعلاج.

٢- الأب الروحي كمرشد

من الواضح أن الأب الروحي يشفي بكلماته، وبنصائحه، وبإرشاده. وكان التلميذ أو الزائر يسأل "الأبَّا" قائلاً: "قُلْ لي كلمة"، أو "قل لنا كلمة كيف نخلص؟". لذلك كانت كلمة الأب الروحي ذات قوة وهي تقتاد إلى الخلاص والتجديد. ويصف القديس يوحنا السُلَّمي الأب الروحي بأنه معلم (وهي درجة كنسية: ديداسكالوس **Didaskalos**) الذي يشفي من خلال كلامه.

إلا أنه – أي القديس يوحنا السلمي – يلاحظ أن الشيخ قد يصيبه أحياناً "الحياء" ويجد نفسه في مواجهة مع عجزه أن يضع إرشاده في كلمات، وفي هذه الحالة ينصح القديس بأن يكتب الأب إرشاداته بدلاً من قولها، وكما يشفي الأب الروحي بكلامه، فقد يمكنه أن يشفي أيضاً بسكوته، أي بمجرد حضوره وسط أولاده ورؤيتهم له. وفي سيرة القديس أنطونيوس، لاحظ القديس أن راهباً يتردد عليه دون أن يسأله شيئاً، فلما سأله القديس أنطونيوس، أجاب:

يكفيني أن أنظر إليك يا أبي. لكن القديس يوحنا الدرجي يحذر الأب الروحي من خطر الاستمرار أو المغالاة في السكوت، لأن مهمة الأب والشيخ أن يتكلم.

٣- الأب الروحي كشفيع

(من كلمة "بريسفيتيروس Presbyteros")

الأب الروحي يشفي. ولكن ذلك لا يكون بكلام الإرشاد فقط، بل وبالإضافة إلى ذلك - وهذا ضروري جداً - بصلاته وشفاعته عن أبنائه. وفي أقوال الآباء نقرأ أن الزائر لا يسأل الشيخ القديس فقط "قُل لي كلمة"، بل وأيضاً "صلِّ عني". وحينما أُعثرت الأميرة الزائرة من إجابة القديس أرسانيوس لها، طيَّب البطريرك ثاوفيلس (البابا الـ ٢٣) من روعها بقوله لها: "... وأما عن نفسك فهو يصلي دائماً وغير ناسٍ تعبك وسفرك".

وصلاة الأب الروحي الشفاعية عن أولاده هي سند رئيسي في إجابات القديسَيْن برصنوفيوس ويوحنا: "الليل والنهار أنا أصلي عنكم بلا فتور إلى الله". والقديس يوحنا كليماكوس في توجيهه للراعي يقول له:

[الراعي هو أولاً مَنْ له السلطان أن يبحث عن الخروف الروحي الضال ويردُّه إلى الطريق الصحيح، وذلك بصراحته وغيرته وصلواته]

والراهب - كما يقول القديس يوحنا في موضع آخر - عنده "مرساة الخلاص"، أي "الحماية التي يظلله بها أبوه الروحي من خلال صلواته". والراهب المطيع، حتى وإن أقام أمواتاً، فإنه يعتبر أن ذلك كان بشفاعة أبيه الروحي التي جعلته يقدر على هذا العمل".

٤- الأب الروحي كوسيط مصالحة بين الابن الروحي والله

واستطراداً لهذا المفهوم أن الأب الروحي شفيع، فإن القديس يوحنا كليماكوس يدعوه أيضاً "الوسيط" أو "الواسطة": فهو ليس فقط مَنْ يصلي عن أبنائه، بل إنه من خلال شفاعته هذه هو يصالحهم مرة أخرى مع الله. وهكذا يشبِّه القديس يوحنا الأب الروحي بموسى النبي، مسمياً إياه "موسى الجديد" الذي يتوسط لدى الله من أجلنا ضد "عماليق، غير المنظورين (الذين حاربوا إسرائيل بعد خروجهم من مصر - كما ورد في سفر الخروج ١٧ : ١١ -١٣).

[كل واحد منا يريد أن يغادر مصر ويهرب من فرعون لابد سيحتاج إلى موسى آخر، كوسيط مع الله، وإن كان تحت يد الله، ليقف نيابة عنا بين العمل والتأمل ويرفع يديه إلى الله، حتى ونحن تحت إرشاده يمكن أن نعبر بحر الخطايا وننزع عنا عماليق الشهوات] – الدرجة الأولى.

ويحرص القديس يوحنا السلمي أن يقول إنه "وسيط مع الله" وإن كان "تحت يد الله". وهو بهذا التعبير لا يفقد رؤية الحقيقة الإنجيلية بالمعنى الدقيق أن هناك وسيطاً واحداً بين الله والناس يسوع المسيح الإله الإنسان (١ تي٢: ٥). فإن توسط الأب الروحي يأتي في المرتبة الثانية بالنسبة للمسيح ويعتمد عليه.

ويطور القديس يوحنا مبدأ التوسط هذا في الفصل الأخير: "إلى الراعي" في نهاية كتابه *"سلم الفردوس"* : "فالرئيس أو الأب الروحي" هو بمثابة صديق الملك، فلأنه قد صار له دخول حر إلى الحضرة الملكية، فهو يستطيع أن يتشفع بجرأة من أجل الآخرين:

[كمثل الذين يرون وجه الملك ويجعلونه صديقاً لهم فيقدرون إن أرادوا أن يصالحوا أياً من عبيد الملك – وأيضاً الغرباء وحتى الأعداء ويجعلهم يتمتعون بمجده، هكذا أيضاً مع القديسين]– إلى الراعي: ٣

ومن هذا القول يستطرد القديس يوحنا السلمي فيخرج بنتيجة أن الخطية ضد الأب الروحي أثقل من الخطية الموجهة ضد الله بالمعنى الآتي:

[لا تستغرب بما سأقوله لك... قد يمكن أن تخطئ إلى الله أكثر أماناً من أن تخطئ ضد أبيك الروحي. لأنه إن كان الله يغضب علينا فإن مرشدنا يقدر أن يصالحنا معه، ولكن إن غضب مرشدنا ضدنا، فلن يكون مصالح ليتشفع عنا] – الدرجة ٤

وتشفُّع الأب الروحي يعمل في اتجاهين اثنين: **اتجاه نحو الله**، إذ بتشفُّعه يحضُر أولاده أمام العرش السماوي، **واتجاه نحو الإنسان**، إذ هو يمثل الله ويحضُره أمام أولاده، فإن تعاليمه لها نفس قيمة كلمة الله. كما قال راهب من الإسكندرية للقديس يوحنا السلمي أثناء زيارة هذا الأخير لمصر: [إني أعتقد أن الراعي هو صورة المسيح، وأن الوصية التي يوصيني بها معلمي آخذها لا كأنها منه بل من الله] – الدرجة ٤.

ومن حيث أن الأب الروحي هو الوسيط الذي له حظوة أن يدخل إلى الحضرة الملكية وبالتالي له القدرة أن يقدِّم آخرين إلى الملك العظيم، لذلك فلا يجسرنَّ أحد أن يتقلد خدمة الأبوة الروحية بنفسه إن لم يكن حائزاً على الخبرة الشخصية مع الله.

هذا هو المؤهل الأساسي والضروري للأب الروحي: قدرة الاستلهام المباشر بالروح القدس. يقول الأب موسى إلى تلميذه زكريا: "صدقني يا ابني زكريا إني أبصرت روح الله حالاً عليك، لذلك وجدت نفسي مسوقاً من نعمة الله أن أسألك" (وكان الأب موسى يسأله "ماذا أصنع لأخلص" – بستان الرهبان جزء أول صفحة ٦٢). ونفس الأمر حدث مع القديس برصنوفيوس: فحينما كان يُدعى ليعطى إرشاداً كان يصلى سراً: "يا رب، ما تشاؤه من أجل خلاص نفس هذا الإنسان أَسِرّ به إليَّ وأنا أقوله له، حتى أتكلم بكلامك وليس بكلامي".

والأهمية القصوى للاختبار المباشر والشخصي هو ما يؤكد عليه القديس يوحنا الدرجي في بداية رسالته *"إلى الراعي"*:

[المعلم الصادق هو الذي تلقى من الله مباشرة "لوح" المعرفة الروحية المنقوش بإصبع الله، أي بفعل الاستنارة، والذي ما بعده احتياج إلى كتب أخرى. إنه ليس لائقاً لمعلم أن ينسخ كتابات معلمين آخرين، كما أنه لا يليق بفنان أن ينقل لوحات فنان آخر]

الرسالة إلى الراعي

لا يمكن لأحد أن يكون شيخاً حقيقياً (أي أباً روحياً) نقلاً عن آخرين، بل الشيخ الحقيقي هو الذي يتكلم مما رأى وأحس به في نفسه. فإن كان يريد أن يكون أداة مُصالحة عن آخرين، فلابد أن يكون هو أولاً قد تصالح مع الله".

٥- الأب الروحي كفيل أو أشبين

الأب الروحي مُداوٍ، ومعلم، ورجل صلاة.

الأب الروحي ككفيل هو كل هذا، لكنه أكثر من هذا. إنه كفيل وضامن وعرّاب وأشبين، أي هو مَنْ يأخذ على عاتقه سلامة وخلاص وأمان أولاده. وقد أُطلق هذا اللقب على المسيح باعتباره فادي نفوسنا، وعلى الأشبين وقت المعمودية، أو على المعلم الروحي الذي يقدم أخاً للرهبنة كما في بعض الأنظمة الرهبانية في الغرب. فالأب الروحي باعتباره الوسيط والشفيع على مثال المسيح، ليس فقط يصلى عن أبنائه، لكنه يأخذ "على عنقه" (أي على عاتقه) ثقل آثامهم وذنوبهم، وبتعبير القديس بولس الرسول "حامل أثقال الاخوة": «احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غلاطية٦: ٢).

وحمل أثقال الاخوة اختبار نجده في سِيَر الآباء: "حيث يقول الأب لوط لأخ لم يقدر أن يجد

راحة في ضميره: "اعترف بخطيئتك لي وأنا سأحملها". وقد توافقت هذه الكلمة مع ما كتبه القديس برصنوفيوس إلى واحد من أبنائه:

[إقتداءً بيسوع لقد بسطت جناحيَّ عليك حتى هذا اليوم، وأنا حامل أثقالك وتعدياتك... لقد رأيت وسترت كل شئ كما يرى الله ويستر خطايانا... انظر، ها أنا أعطيك وصية لخلاصك، فإن حفظتها فسأحمل على نفسي حكم دينونتك وبنعمة المسيح لن أتخلى عنك لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي... لقد أخذت عنك الثقل والوِزْر والدَّين، وانظر ها أنت قد صرت إنساناً جديداً نقياً من كل ذنب].

وفي أكثر من موضع يطبِّق القديس يوحنا السُلَّمي هذه الصفة "كفيل" على الأب الروحي. إنها مهمة "الشيخ" أن "يحمل أثقال الابن الذي تحت طاعته". فيقول: [ليكن أباك مَنْ يرضى ويستطيع أن يتعب معك في رفع حمل خطاياك عنك] – الدرجة ٣: ١٥. وكلمات القديس بولس الرسول هي أساس هذه الوصية: «احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غلاطية ٦: ٢).

وفي قول للقديس برصنوفيوس يؤيده القديس يوحنا كليماكوس أن حمل الأثقال هذا يمتد إلى ما بعد الحياة الحاضرة أي إلى حياة الدهر الآتي. ففي الدينونة الأخيرة سيجاوب "الشيخ" عن خطايا تلاميذه، وهكذا يمكن للتلميذ المطيع لأبيه أن يواجه لحظة الموت دون قلق [لأن الذي أسلَم إليه الراهب روحه حباً بالله سوف يجيب عنه بشأنها كلها] – درجة ٤: ٣.

وما أراد القديس يوحنا أن يقوله بناءً على ذلك – وإن كان لم يقله صراحة – هو أن يحترس كل من يظن في نفسه أنه يقدر أن يحمل على عاتقه خدمة الأبوة الروحية، لئلا نحمِّل أنفسنا أثقل مما كنا نظنه!

لذلك، فالأب الروحي باعتباره ممثلاً للمسيح هو أكثر من كونه صورة أو أيقونة للمسيح الراعي الصالح، الذي يحمل الخروف الضال على منكبيه ويضع حياته من أجل رعيته. فهو "كراع صالح" على مثال "الراعي الصالح" الأوحد الرب يسوع المسيح، يمارس المحبة الباذلة المضحية:

[المحبة هي التي تُظهر مَنْ هو الراعي الحقيقي، لأنه من قِبَل المحبة صُلب الراعي الصالح. الكفالة هي بالمعنى الحرفي وضع الإنسان نفسه من أجل نفس قريبه في كل الأمور] – رسالة إلى الراعي ٥: ١٢

فبدون حمل أثقال الآخرين وبذل الذات لا يمكن لأي واحد أن يكون كفيلاً أو أباً روحياً. وفي

كتاب "*سلم السماء*" يُظهر القديس يوحنا الصورة الواقعية العملية للكفالة. فهو يذكر هذه القصة:

[كان راهب ظل عشرين سنة مضطرباً بأفكار تجديف لا يمكن النطق بها، وبالرغم من كل مجهوداته بالصوم والسهر لم يقدر أن ينال راحة. ومرة كتب ألمه هذا على قطعة ورق وأعطاها للأب الشيخ القديس وهو يسجد أمامه مطانية على الأرض غير متجاسر أن يرفع نظره إليه، وبعد أن قرأ الأب الشيخ الورقة. ابتسم، وأقام الراهب وقال له "يا ابني، ضع يدك على رقبتي.. ولتصر هذه الخطية على رقبتي.. ومن الآن فصاعدا تجاهلها". وفي الحال تحرر الأخ من أفكار التجديف] (الدرجة ٢٣).

أخيراً يرفع القديس برصنوفيوس هذه الصلاة:

أيها السيد، إما أن تُدخل أبنائي معي إلى ملكوتك أو «امحُني من كتابك».

إذن،

إن كانت هذه الصفات الخمس مطلوبة فيمن يتقلد الأبوة الروحية: أن يكون **طبيباً، ومرشداً، وشفيعاً، ووسيطاً، وكفيلاً** فقد نجرؤ أن نتساءل مع القديس بولس الرسول: «من هو كفء لهذه الأمور؟» (٢كو٢: ١٦). وكل الآباء القديسين يتفقون في هذا التساؤل. فالقديس غريغوريوس اللاهوتي يقول بأنه [لا شيء أصعب من توجيه الآخرين فهذا هو فن الفنون وعلم العلوم] (المقالة ٢: ١٦).

والجواب على هذا هو أنه لا أحد يجرؤ أن يتقلد بنفسه هذه الخدمة، ما لم يكن ذلك اضطراراً نتيجة محبة آخرين. وحينئذ لا تكون الخطوة الأولى منه، بل بدعوة خاصة من الله. وهذه تكون بأنواع وطرق كثيرة، إما من اختيار واضح من الأب القديم قبل نياحته، أو بإلحاح من تلاميذه، أو بسؤال المجمع على أحد المتوحدين أو الحبساء، وفي هذه الحالة لا يعطيهم إجابة لطلبهم بل يطلب منهم بإخلاص التوجُّه لآخرين أفضل منه، وقد تأتي اللحظة التي يقبل فيها سؤال السائلين نتيجة إلهام من المشيئة الإلهية فيكف عن ردّهم على أعقابهم. وفي هذه الحالة الأخيرة يكون التلاميذ هم الذين كشفوا عن دعوة الله له لهذه الخدمة. وهذا ما حدث مثلاً للقديس أنطونيوس وآباء آخرين.

ختاماً – إنه:

على قدر صدق الدعوة الإلهية وإخلاص الأب المدعو ومثابرته، تتحقق مشيئة الله في خدمة

الأبوة الروحية للرهبان.

وعلى قدر دوام إخلاص وأمانة الأب الروحي لخدمته على مدى السنين والأعوام وعدم تزعزعه أو تشتته عن غاية خدمته وعن متطلباتها إلى أغراض أخرى مخالفة،

وعلى قدر طاعة الأبناء والتلاميذ وأمانتهم وإخلاصهم لأبيهم الروحي،

على قدر ما يكون الدير برهبانه وأبيهم الروحي نوراً ومنارة وسط الكنيسة.

الفصل السادس

الأم الروحية

يوناني ΑΜΜΑΣ

قبطي Uᴀʏ. Amma

هذا هو النداء الذى كان يُنادَى به النساء الروحيات أو "الأمهات الروحيات"، ومثل لقب "أبّا" أي "أب روحي"، فإن كلمة" أمّا" تشير أيضاً إلى اللواتي لديهن القوة الروحية والقدرة لممارسة الأمومة الروحية، وليس فقط إلى "الأم الرئيسة" أي رئيسة الدير. وفي تاريخ رهبنة النساء توجد نساء قديسات كنَّ طيلة حياتهن يخفين الروحانية العالية التي تسمح لهن بمعاونة الأخريات في الطريق إلى الله. وفي مناسبات نادرة سمحت العناية الإلهية بكشف عظمة الفضيلة والموهبة اللتين نالتهما هؤلاء القديسات. ومن أمثلة هؤلاء: **القديسة مريم المصرية** التي منحها القديس زوسيما لقب "**الأم الروحية**" وطلب بركتها، لأنه تأكد وكان عنده البرهان الأكيد على قداستها[(1)]. حتى أنه دعاها **Mea Mater** أي "أمي"[(2)]، وذلك عن حق لأنه كان مديوناً لها بنعمة عظيمة. والقديس ثيئوذور العمودي عبَّر عن ذلك بنفسه وهو يكتب عن نساء وراهبات اعتبرهن قديسات. وكمثل ما كتبه للشريفة الرومانية "إيريني":

[المسيح انتصر فيكِ ومن خلالك، أيتها المرأة المشهورة، رفيقة الشهيدات، وأخيراً، يا أمي. ففي فكرى أنا أدعوكِ بهذا الاسم وكشريكة لي في الجهاد أقرب إليَّ من أقربائي بالجسد، لأنه هكذا يجمع الروح معاً المولودين منه][(3)].

ولكن أولئك النساء اللواتي نلن وظيفة الأمومة إما كعادة أو عن وظيفة، كُنَّ أمهات روحيات أو إيغومانسات (مدبرات) أو رئيسات لجماعات رهبانية نسائية، فهؤلاء اعتُبرن "**أمهات أديرتهن**"، كما كان القديس باخوميوس **الأب لأديرته للرهبان**.

والراهبات اللواتي يعشن عند الأم الروحية كُنَّ حقاً بناتها وعلى الأخص إن كانت هي التي

---

(1) Sophronius, *Vita Sanctae Mariae Aegyptiacae*, meretricis, x; PL 73: 678 (Cs 106: 42-44).

(2) Ibid 680 D.

(3) *Epistolarum* Liber II , 48; PG 99: 1297 A.

قبلَتْهُن في الدير، مثل الراهبة التي تتحدث عنها "**سيرة ثيؤنوسيا**"[٤] [التي تركت العالم والآن هي تخدم الله مع اللواتي ولدتهن للمسيح]. إنها يجب أن [تدبر رعية الله التي أؤتمنت عليها بطريقة مقدسة، كأمٍ روحية **meter pnevmatike** معطية بحياتها مثلاً وقدوة بكل ما تأمر به، دون أن تطلب شيئاً من أية واحدة منهن ما هو فوق قدرتها، مقدمة المحبة بالتساوي للكل، دون تفضيل واحدة على أخرى بسبب قرابتها العائلية لها][٥]. وفي هذه الجماعات الباخومية لم تكن الأبوة الروحية ولا الأمومة الروحية ولا تدبير الرهبان أو الراهبات يتم بطريقة إدارية أو تسلطية، ولا كانت الرئاسة تلغى إحساس ومعنى الأُخُوَّة التي تعبرٍّ عنها كلمة "أخ" أو "أخت" التي كانت تُطلق على الراهبات والرهبان. فالجماعات الرهبانية كانت تسمى **adelphes** أي "أَخَوية". كما تحفل سير الرهبان والراهبات وكتاب بستان الرهبان بهذا اللقب. وبهذه الروح كانت الأم الروحية تدبر الراهبات بالأساليب الروحية. كما يوجه القديس ثيئوذور العمودي أم إحدى الأديرة:

[الأخوات اللواتي يتَّخِذْنكِ رئيسة لهن، يجب أن يُظهرن محبتهن لكِ وكل واحدة للأخرى وأنتِ يجب أن تقبلي انفتاح القلب هذا.

فلتعظي هذه ولتشجعي تلك وتُحذِّري الأخرى، وبكلمة واحدة صِفِي الدواء الملائم لكل واحدة. لا تتركي الضجر يغلبك في هذا. الرب يسندك. وما علينا إلا أن نبدأ، وهو الذى يعلِّم المعرفة] – **سيرة تادرس العمودي**

وقد منح القديس تادرس (ثيئوذور) الإيغومانسة (أي المدبرِّة) **إفروسيني** نفس الحقوق والالتزامات التي له من جهة كشف الراهبات أفكارهن لها. وكانت هذه عادة، وإن لم تكن قانوناً. فمثلهن مثل الرهبان، فإن الراهبات يحتجن إلى التوجيه الروحي، ولهذا الغرض يذهبن إلى أمهن. أما بالنسبة لسر الاعتراف فهذا طبعاً يمارَس على يد كاهن مشرطن يعيِّنه الأسقف. وفي سير القديسات الرئيسات (أو الإيغومانُسات كما كنَّ يسمَّين)، فكانت ممارسة كشف الأفكار بهذه الطريقة إجراءً شائعاً في كل مكان.

ولكن السؤال: ما إذا كان في إمكان الأم الرئيسة أن تسمح لأخريات أن يساعدنها في هذه الوظيفة "كشف الأفكار"؟ فلم يكن يُثار هذا السؤال، بسبب أن أديرة الراهبات عموماً كانت تحوى عدداً محدداً من الراهبات يحدده دستور محدد ولا يمكن تخطيه: فمثلاً يضم الدير

---

(4) *Usener*, **P. 41, 9-12.**

(5) S.Theodoros Studia, ***Epistolarum*** **Liber II. 118; PG 99: 1389 D.**

الواحد ٢٤ راهبة، أو ثلاثين، أو أربعين على الأكثر، كما كانت تقول الأميرة إيريني[٦].

وتعطينا سيرة أم قديسة أخرى تسمَّت أيضاً باسم "إيريني" وكانت إيغومانسة دير راهبات بالقسطنطينية في القرن التاسع، تعطينا معلومات محددة عن الطريقة التي كانت تمارس بها خدمة التوجيه الروحي للأخوات.

فيذكر كاتب السيرة بوضوح أن القديسة كانت تتغذى على "سِيَر الآباء" إلى حد أنها لم تكن تتكلم إلا اقتباساً منها. ولم تكن تسمح لنفسها بعمل شئ لا يتوافق مع التقليد الرهباني. وقبل اختيارها إيغومانسة، [لم يكن بخافٍ عليها أن مجرد تذكُر الأخطاء الماضية هو شَرَك ينصبه الماكر اللعين (الشيطان)، إذ أن عين ذهنها قد تنقَّت]. وفي الحال كشفت مثل هذه الأفكار لمرشدها ومدبِّر حياتها، ومن خلال "كشف الأفكار" وجدت أنها تحررت من مثل هذا الفخ وأنها صارت قادرة على الاستمرار في تكريس نفسها للرياضات النسكية التي كانت قد بدأتها[٧].

[وإذ أُقيمت "إيغومانسة" للدير أي مدبِّرة الدير بمباركة البطريرك القسطنطيني آنذاك ميثوديوس، شغلت القلاية المخصصة للرئيسات، ومن خلف بابها المغلق عليها كانت تصلي لذاك الذى يرى في الخفاء، متوسلة إلى الله أن يعينها في تدبير الأخوات. لقد غسلت الأرض بدموعها، سائلة الله أن يهبها المعونة القوية من فوق. وكانت تقول هذه الصلاة:

"أنت يا رب هو الراعي الصالح، وأنت قلت لتلاميذك إنه يوجد معلم واحد هو المسيح. أنت باب الحظيرة وتقود الخراف إلى الخلاص الأبدي. أنت الرب والمعلم. فإن كنت مرشدنا، فهلمَّ لمعونة خادمتك وقطيعك الصغير الحاضر الآن أمامك. احفظنا دائماً في مواجهة مكر المحتال والذئب غير المنظور. أنت تعرف ضعفنا وتعرف أننا لا نقدر على النجاح في أي شئ بدون المعونة التي تأتي من لدنك"]

حينئذ ألقت الرئيسة الجديدة عظة لنفسها، تعبرّ بدقة عن رؤية صاحبة السيرة لواجبات الأم الروحية:

[يا إيريني، أيتها المسكينة الضعيفة، هل تدركين الحمْل الثقيل الذى وضعه المسيح على كتفيك؟ النفوس التي من أجلها صار الله إنساناً وسفك دمه عنها قد ائتمنك الآن

---

(6) *Typikon*, Ch. V 1,5 , PP. 159 - 60.

(٧) سيرتها، بند ١٤، صفحة ٦٠٧ F.

عليها. لقد سمعتِ هذا القول: الكون كله لا يُقارَن بنفس واحدة. فإن كان كل واحد سيُعطى حساباً عن كل كلمة بطالة يوم الدينونة، فلا شك أنه لا يخفى عليك كم ينبغي أن تتألم مَنْ وُضعت في مسئوليتها هذه النفوس لو ضاعت نفس واحدة منها، ما لم تبذل كل ما في وسعها لتخلِّصها؟ لذلك لابد أن تجتهدي أن تصلى أكثر، وتتحملي الصوم أكثر، وتحملي ضعفات أخواتك أكثر، تحمَّلي كل شئ بأريحية ومحبة. لا تَدَعى إخفاقاتك اللاإرادية تكون سبباً لسقوط وعثرة أى من أخواتك. وبدون مجاملة حذار أن تتحقق كلمات المسيح هذه فيكِ: «إن كان أعمى يقود أعمى فكلاهما يسقطان في حفرة»]

أما العظة التي ألقتها بعد ذلك على الراهبات فهي تخص الحياة الرهبانية بوجه عام. إلا أن تصريحاً أتي في عظتها جدير بالتسجيل، فإن إيريني تعرف أنها لن تكون ذات تأثير إذا اعتُبرت معلِّمة، من حيث أن بناتها - كما قالت هي - هن جميعاً متعلِّمات من الله نفسه. إلا أنها، وقد وُضعت في هذه الخدمة بمقتضى حُكم الله غير المدَرك، تقول لهن: "أرجوكن ألا تنظرن إليَّ كمعلِّمة في مدرسة، بل كمشيرة، وكأخت التزمت بإرادتها أن تؤدى واجباتها تجاهكن. وكما يقول الرسول أقول أنا: 'ويل لي إن كنت لا أعطيكم النصيحة النافعة لكُنَّ' فتحمَّلن كلماتي - أنا غير المستحقة - لأنها تُقال لكُنَّ عن محبة". ثم تستمر في العظة دون أن تشير إلى "كشف الأفكار"، ولكن ليس لأن الايغومانسة الجديدة لم تكن مشغولة بهذا الأمر، ولكن لأنها كانت تحس بإدراك ذكى **بأن الثقة لا يمكن أن يكتسبها الرئيس بالأمر**، وعلى الأخص إذا كانت النفوس التي تخدمها ذات طبيعة حساسة.[٨] أما الأم المباركة إيريني فقد فضَّلت أن تتصرف تجاه هذا الأمر الهام "كشف الأفكار" بالوقوف أمام الله نفسه أولاً. فبالرغم من إحساسها بالواجب تجاه هذا الأمر، إلا أنها تمنطقت "بأحشاء الأمومة" أكثر. فنقرأ من بين السطور كيف أنها لم تتجرأ بفرض هذا المطلب على راهباتها منذ البداية، إذ أدركت صعوبة "انفتاح القلب أو كشف الضمير". لذلك قالت لنفسها في ثقة وإيمان في الله: "إن أعطاني الرب هذه النعمة: "موهبة الإفراز" **Diakritikos** التي بها أعرف خفيات أخواتي، فسيمكنني أن أصحح اللواتي ينحرفن عن الطريق، وأشجع اللواتي يتقدمن في الطريق لكي يركضن أكثر وبهمة في طريق الفضيلة". وقد تحققت بوضوح من عظم هذه الموهبة، لكنها لم ترضَ أن تنحرف فتطلب هذه الموهبة بإلحاح أو بدموع وبمطانيات، والسبب في ذلك أنها كانت تعرف جيداً أن "هذه الموهبة هي الثانية من بين المواهب التي يقسمها الروح لبنيان الكنيسة، إذا قورنت بموهبة

---

(٨) وذلك على عكس ما تصرف به أب روحي عاش في نفس الجيل هو القديس تادرس (ثيئوذور) العمودي الذى كان أكثر فظاظة تجاه رهبانه حينما قال لهم: "الله يعرفكم، وأنا لابد أن أعرفكم أيضاً" كنوع من حث رهبانه على كشف أفكارهم له.

الإيمان. كما يقول الرسول بولس: «لقد وضع الله في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء»".

ونالت إيريني ما لم تلحّ في طلبه. وتقول سيرة هذه الطوباوية، إنه بالرغم من ندرة الذين يقتنون موهبة "الإفراز" في تاريخ الرهبنة، فإن موهبة "النبوة" أو كما تترجم أحياناً "الرؤية الثانية" Pro- Phetia حينما نالتها الأم إيريني كانت دائماً تخصص وقتها وعنايتها لتوجيه بناتها:

[فبعد صلاة باكر، وبعد أنت تكون قد أمضت معظم ليلتها في الصلاة ثم منحت جسدها نصيبه من الراحة، كما كانت عادتها، كانت تدخل إلى الكنيسة وتدعو إليها كل أخت من أخواتها بالاسم. ثم تُجلسها بجانبها، ثم بطريقة طبيعية بسيطة تقود الحوار إلى هدف أن تكشف الأخت بمحض رغبتها ما خفي في حياتها. لقد كانت تثير ضمير الأخت بحذق روحي لتتحسس حركات النفس الداخلية وأفكارها الباطنية. وهكذا كانت تقودهن إلى الاعتراف بالأخطاء وبالتوبة عنها، ثم تعطيهن التصحيح الكامل النافع لكل واحدة منهن. وقد اشتهرت الأم إيريني بين الأخوات بصفاء رؤيتها الباطنية هذه، وحتى الذين هم من خارج الدير تقاطرن عليها ليختبروا فيها بصيرتها الروحية الباطنية وينتفعن من دروسها لهم.]

الرؤية الباطنية وليس رؤي خارجية مدَّعاة:

لم تذكر سيرة هذه الأم الروحية أي شئ عن معجزات أو رؤى خارجية باهرة رأتها هذه الأم، لكن ذكرت السيرة عن رؤيتها الباطنية وبصيرتها الروحية الداخلية التي هي أرفع وأسمى وأنفع من أي رؤى خارجية أو أعمال خارقة مدّعاة لدى مَن يشغل وظيفة الأم الروحية أو الأب الروحي ، فالبصيرة الداخلية نافعة جداً لقيادة مسيرة النفوس في طريق الحياة المسيحية ولتحاشى مزالق خداع الشياطين ومنحدرات حِيَل النفس الكفيلة بإهلاك وضياع المؤمنين إن لم ينتبهوا أو ينبههم أب روحي أو أم روحية ذات رؤية داخلية روحية نفاذة مثل هذه الأم التي عاشت في القسطنطينية في القرن التاسع.

سير الآباء وأقوالهم في تدبير الراهبات:

وكمثل الأم إيريني، كذلك الراهبات، كان زادهن الروحي يستقينه من الكتاب المقدس، وسير الآباء، وأقوال الآباء حيث كن يجدن فيها أقوال الأمهات القديسات الأماثل: القديسة ثيؤنورة، والقديسة الأم سارة، والقديسة الأم سنكليتيكا على نفس درجة الأهمية لأقوال الآباء القديسين أنطونيوس وأرسانيوس وبيمن. وفي ذلك الوقت لم يكن هناك كتب خاصة

بالقديسات من النساء، إلى أن اكتشف أب في القرن الثالث عشر اسمه "إشعياء" حوالي عام ١٢٠٠ مجموعة من سير الأمهات القديسات، فصنَّف "ما لم يعمله أحد منذ قرون" كتاباً يجمع من كتاب "**أقوال الآباء**" ما ورد على لسان الأمهات القديسات، وذلك من أجل منفعة راهبة ذات نسب شريف، اسمها **ثيؤذورا**، ابنة الإمبراطور البيزنطي اسحق الثاني آنجيلوس. ومازال هذا المؤلَّف موجوداً في أصله غير المُرَاجع باللغة اليونانية(٩) لكنه طُبع ثلاث مرات في ترجمة باللغة الروسية بواسطة ثيئوفان الناسك(١٠). وقد قصد الأب إشعياء هذا أن يقدم لابنته المُحبة لله **ثيؤذورا**، لا تعليماً مستحدثاً أو معدَّلاً للراهبات من النساء بل كتاباً في سير الأمهات يسمى **Meterikon** ناسباً أقوال الآباء للأمهات دون أن يخفف منها أو يغيرِّها لتناسب "الجنس الأضعف".

ودون أن يقلل إشعياء من المطالب النسكية، أراد أن يعلِّم ابنته في الإيمان أنه ليس الرجال فقط بل والنساء أيضاً يقدرن أن يمارسن أقسى أنواع النسك وأصعب الفضائل، والفضل يرجع لقوة طبيعتهن" (كما ورد في الطبعة الروسية عام ١٩٠٨).

وهذا المبدأ يذكِّرنا بأن آباء البرية الأوائل لم يضعن أي تفريق بين النساك من الجنسين، إلا في بعض الأمور الطفيفة التي تحتاج إلى موهبة "الإفراز" **diakrisis** والتي يجب **أن يحكم فيها امرأة وليس رجلاً**، بشرط أن تكون "**روحانية**" تستحق لقب "أمَّا" **Amma** أو Uaᵞ

وفي بعض سير الأمهات نجد لمحات عن "**أم راهبة**" لم تكن إيغومانسة أي رئيسة دير أو أماً روحية لراهبات. ففي إحدى السير:

[في كل مرة كانت الشابة **إفبراكسيا تُجرَّب** أثناء نومها (أي ترى أحلاماً رديئة)، كانت تخبر أختاً لها اسمها "**جوليا**" التي كانت متفوقة في الفضيلة وذات محبة كبيرة لها وكانت تساعدها في أعمالها، ولا تتأخر في إعطائها النصيحة النافعة كما يرشدها الله. فكانت هذه الأخت جوليا ترسل المبتدئة إفبراكسيا إلى الأم الرئيسة لتأخذ منها الحلول النافعة لها. وتضيف السيرة بأن الأم الرئيسة هذه كانت تفوق الآخرين في فضيلتها، وتلقبها السيرة "**الطبيبة الصالحة، والمدبِّرة القديسة، الممتلئة محبة لبناتها**". هذه المحبة قادت الأم أن تقول هذا التوبيخ لإفبراكسيا الفاضلة: "لماذا، يا

---

(9) ***Codex of the Monastery of Xenophon*; see S. Lambros, Catalogue of the Greek Manuscript on Mount Athos (Cambridge, 1895) Vol. I: p. 64.**

(10) Moscow 1891, 1908.

ابنتي، تخفين نشاطاتك عني؟". أما هذه النشاطات فكانت تتمثل في أعمال محبة كانت تقدمها إلى امرأة ممسوسة بالأرواح. إلا أن هذه الأم الرئيسة (التي نسي كاتب السيرة أن يذكر اسمها) فقد كانت تستنير بالله مباشرة. وكانت تلقَّب بأنها "**المستنيرة بالله**" Theophotistos. فهذه الموهبة التي لدى الأم وهى **البصيرة الروحية الفائقة** لم تكن حائلاً أمام كتمان بعض الأخوات ذِكر كل شئ لها. فالنعمة مرتبطة بكشف الأفكار، حتى يمكن للأم بما لها من بصيرة روحية نفاذة أن تكشف مواطن الداء من وراء ظاهر كشف الأفكار، وبهذا تكون قادرة على إعطاء العلاج الناجع الذى يشفى النفس في مواطن الداء.]

أما الشيء الوحيد الذى لا يمكن للأم الروحية أن تفعله فهو إعطاء الحِلّ من الخطايا. لذلك، فهناك ثمة حاجة إلى "**أب روحي**" ليمارس سر التوبة.

لكن ما مدى سلطان هذا الأب الروحي بالنسبة لاختصاصات الأم الروحية؟

هذا موضوع غير سهل تحديده، ولكن من قراءة سير وأحوال أمهات الأديرة الباخومية نستطيع أن نستنبط شيئاً ما عن هذه العلاقة.

فتقول سيرة القديس أنبا باخوميوس: [حينما لاحظ القديس باخوميوس أن عدد الراهبات قد تزايد نوعاً ما، عيَّن شيخاً اسمه أبا بطرس ليكون أباً لهن، رجل كلامه مملَّح بالنعمة لكي يكرس نفسه للحديث إليهن مراراً من الأسفار المقدسة من أجل خلاص نفوسهن]. إذن، فقد كان دوره قبل كل شئ تعليمياً، كمبشِّر ومعلم. كما كان الأب بطرس مسئولاً عن التموين، مثل المواد الخام للعمل اليومي الذى تصنعه الراهبات. وكانت أديرة الراهبات تتبع بتدقيق قوانين وتقاليد أديرة الرهبان، وفيها كان للأم الروحية نفس امتيازات والتزامات "**الأب الروحي**" عند الرهبان.

وليس في تاريخ القديس باخوميوس ما يثبت أن أبوة الأب بطرس والأب إيبونيخس وسائر الآباء "الرهبان المقدسين الجليلين" كانوا يُغمطون حق أمومة "مريم" أخت القديس باخوميوس أو الأمهات اللواتي تعاقبن بعدها. فحتى بالرغم من تسميته "أب الأخوات". فإنه من قبل تعيينه لهذه الخدمة فإن أخت القديس باخوميوس كان اسمها: "أم العذارى". وتقول السيرة إنه [نتيجة لهذا، فإن الكثيرات ممن سمعن عنها (مريم. أخت باخوميوس). أتين ليسكنَّ معها، وبشجاعة أدَّين النسك مع المرأة التي ظلت أمهن ورئيستهن الفاضلة إلى يوم مماتها].

كذلك جاء في سير الآباء عن الأب إيلياس والأب دوروثيئوس اللذين خصصا أنفسهما لدير

كبير للعذارى في أتريب، بصعيد مصر، ولكنهما لم يكونا الأبوين الروحيين لهؤلاء العذارى، فإن دورهما اللذين أدياه بتلقائية نابعة من محبتهما، تمثل في إشاعة أو إعادة السلام بين ٣٠٠ ناسكة كن يسكنَّ في هذا الدير، وكان هذا بفضل أريحية الأب إيلياس. فحينما كان يسمع لهن بصبر، فلم يكن ذلك عن سماع اعتراف بل كوسيط بينهن، [فلأنهن أتين من بيئات متنوعة لذلك كُنَّ يتشاجرن بعضهن مع البعض] [١١] .

ثم خلف إيلياس رفيقَه دوروثيئوسَ، رجلٌ مختبر شاخ في حياة نشطة جديرة بالثناء. وإذ لم يستطع البقاء في الدير نفسه (بنفس طريقة سلفه الذى كان متوشحاً بموهبة إنجيلية)، أغلق على نفسه في طابق علوي له نافذة تطل على دير الناسكات، كان يفتحها ويغلقها كلما أراد. وكان يجلس باستمرار عند النافذة مناشداً الراهبات أن يكففن عن الشجار بين بعضهن البعض. وهكذا استمرت حياته في هذه العلية. ولم يكن في إمكان أحد أن يتسلق إلى حيث يكون، إذ لم يكن يوجد سلم بينه وبينهن [١٢] .

المساواة بين الجنسين:

هناك حقيقة أخرى تجدر الإشارة إليها، وهى مظهر المساواة بين كلا الجنسين في الأمور الروحية. فتحريم التعليم في الكنيسة على النساء (كما في ١تى ٢: ١٢، ١كو ١٤: ٣٤)، يقابله رغبة القديس بولس أن تكون النساء «معلِّمات الصلاح» (تيطس ٢: ٣)، **فهو لم يمنعهن – بحسب تعليم الآباء – من نشر الصلاح والتعاليم الروحية**. وسيرة القديسة سنكليتيكا الموازية لسيرة القديس أنطونيوس تثبت ذلك. كما أن كتاب أقوال الآباء يتضمن بجانب أقوال الآباء أقوال الأمهات في نفس الترتيب الهجائي بحسب أسمائهم وأسمائهن.

وفي قوانين القديس باسيليوس بعض التعليمات المثيرة للاهتمام والتي تشير إلى رغبة القديس باسيليوس في إظهار عدم إضعاف دور الأم الروحية.

ففي السؤال رقم ١١٠: [حينما تعترف أخت راهبة على كاهن فهل من الضروري أن تكون الأم الرئيسة (يسميها القديس باسيليوس هنا **Presbytera** – أي شيخة بالمعنى الرهباني وليس الكنسي)]؟

الإجابة: [إنه أكثر مناسبة وأكثر تعقلاً لو أن الرئيسة نفسها هي التي تعلن للكاهن خطأ

---

(11) ***Historia Lausiaca*, ch.29**
(12) Ibid. Ch. 30

الأخت ثم هو الذى عليه أن يقترح بحكمة وحذق قانون التوبة، وطريقة إصلاحها][13]

وهذا يعنى أن الأخت كانت قد سبق واعترفت بخطئها للأم الرئيسة، أما الكاهن فدوره جوهري في تكميل سر التوبة والاعتراف بإعطاء الحِلّ.

أما السؤال الثاني فإجابته تتميز بالاختصار والوضوح:

[حينما يأمر الكاهن بشيء تفعله واحدة من الأخوات بدون معرفة الأم الرئيسة فهل لهذه الأخيرة مبرِّر أن تشتكى؟]

الإجابة: [تشتكي وبشدة، *Kai sphodra*]!

لكن الأمر تغير في رهبنة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. فإن توجيه النفوس أصبح أمراً صعباً على الأم الرئيسة في المؤسسات الرهبانية لدى الأنبا شنوده: [رئيسة الراهبات ليست على قدم المساواة مع الأب، فهي تعتمد عليه وعلى الأخص في تطبيق قانون التأديبات. فهي لا تستطيع أن تتصرف بسلطتها إلا في التأديبات الجسمانية... فقد طلب شنوده أن يكون على علم بكل الأمور ذات الأهمية. ولم تسترح الأخوات لهذا الوضع. ولم يستطع الأنبا شنوده أن ينال ما يريده بأن يعلم كل شئ. فكثير من الأمور أُخفيت عنه حتى من الشيخ مندوبه وسط الأخوات.] وبهذا الوضع الغريب بين الطرفين ضاع السلام والمحبة من النفوس.

أما الاتجاه الخاص بالقديس باسيليوس الذى فيه كان يقلِّص من التمادي في تدخل الأب في شئون الراهبات فكان ذا قيمة كبيرة. ولكن في الوقت نفسه لا أحد ينكر باحتياج كل واحد إلى أب روحي له، وأب روحي لا غير. وأكثر من يحتاج إلى أب روحي هو الرئيس أو الرئيسة. فإن أدت الأم الرئيسة واجباتها بقلب فاترٍ فيكون ذلك بسبب تهوينها من خطورة التزاماتها، كمثل الأم المدبِّرة التي يتكلم عنها كتاب "المُرُج الروحي"، والتي ظنت أنها في حلٍّ من ترك أخت ممسوسة بروح شرير لحالها. إلا أن هذه الأم كان لها شقيق أسقف، وتستطرد القصة:

[وفي يوم بينما كان هذا الشقيق (الأسقف) يزورها في الدير، لاحظ هذه الراهبة المريضة المسكينة، فسأل أخته: "هل يرضيك أن أختك تتعذب من الشيطان هكذا وتتصرف هكذا بغير لياقة؟ ألا تعرفين أنك كإيغومانسة للدير تتحملين المسئولية عن كل أخت من الأخوات؟". فقالت له: "وماذا كان يمكنني أن أفعل في مواجهة الشيطان؟" فرد عليها الأسقف: "وماذا كنتِ تفعلين هنا طيلة هذه السنين؟". وبعد قوله هذا صلى

(13) *Regulae Breirus Tractatae*, interr.cx, P. G31: 1157 A

على الراهبة المريضة، وطهَّر الأخت من الشيطان] [١٤] .

إذا أحست الأم الرئيسة بمسئوليتها مع عدم كفاءتها، فإنها تكون أول من تطلب مرشداً، ومشيراً، ومعيناً لها. دون أن يُفرض عليها.

وهكذا توجهت القديسة أوسابيا إكسيني بهذه الصلاة إلى الله:

[يا الله، يا من أنت حاضر في كل مكان وترانا تائهين، لا ترذلنا، ولا تتخلى عنا، نحن الذين تركنا أهلنا وعشيرتنا من أجلك، واخترنا الحياة بعيداً عن بيوتنا. ليتك ترسل لنا "مخلِّصاً" ومرشداً أميناً، كما أرسلت مرة القديس بولس لتكلا، حتى يتسنى لنا نحن التعساء والمذلولين أن نتبع طريقك دون تعثر]

واستجاب الرب لصلاتها، إذ أرسل لها كاهناً اسمه "بولس" فسألته أن يكون "أباً" لها بالروح، فتعتمد عليه في عنايته واهتمامه بهم. فهل كانت أوسابيا هذه قد قرأت عظة عن التوبة ليوحنا الصوَّام (انتقل سنة ٥٩٥م)؟ عموماً لقد وضعت نصيحته في هذه العظة موضع التنفيذ وهى التي وردت ضمن نصائحه للعذارى: "اطلبي بولس، كما فعلت تكلا، لتسمعي منه ما يقوله لكِ"، "أنصتي إلى مشوراته الصالحة أكثر من والديك حسب الجسد، فهو والدك حسب الروح الذى كان عنده الاهتمام والمحبة للضعفاء: «من يضعف وأنا لا أضعف»؟ إذ هكذا كان القديس بولس الرسول نموذجاً للأب الروحي، في اهتمامه بالقديسة تكلا.

قوانين الرهبنة النسائية:

لم يكن لأديرة الراهبات قديماً قوانين خاصة بهن. فالقديس باخوميوس أرسل للراهبات قوانين الرهبان ليحفظها ليس فقط ظهراً عن قلب بل ولتقنين حياتهن على هداها. وهكذا تبعت جماعات الأخوات بدقة قوانين وتقاليد أديرة الرجال، وفي هذه القوانين كانت التزامات وحقوق "الأم" بين الراهبات هي نفسها التزامات وحقوق "الأب" بين الرهبان. وبالرغم من أن قوانين رهبنة الرجال وُضعت بواسطة رجال وكانت تفترض أن الشجاعة والفضيلة (الشجاعة اسمها باليونانية **Andreia** من "الرجولة" والفضيلة **Arete**) هما من صفات الرجال، إلا أن هذين الاسمين أصبحا لدى رهبنة النساء فعلاً واقعاً وليسا مجرد اسم يدل على الرجولة. لذلك فحيثما تُذكر سيرة أية من القديسات الناسكات يُذكر عنها أنها تغلبت على "ضعف النساء" وصارت "قديسة" بشجاعة الرجال!

---

(14) ***Patrum Spirituale*, ch. 128, PG 87: 2992 c**

وفي صلاة إيريني الشريفة النسب نجد صلاة طويلة موجهة إلى القديسة العذراء مريم "المباركة بين النساء" و "العذراء بلا عيب، والأم" عن الدير الذى شيدته، "وذلك لكي تحمى هذا القطيع المكرس لعظمتها من كل كمائن العدو، ولكي تجعل من أنوثة هذا القطيع في هذه الأخوية رجولة في الفضيلة ، ولتحمى دائماً هذا القطيع الجميل بيدها القوية، حتى لا تجد الحية القديمة مرة أخرى "حواء" تهمس في أذنيها بأكاذيبها ومغالطاتها المميتة.

وفي سيرة **القديسة إيلارية** التي حلقت شعر رأسها إلى فروة الرأس وتزَّيت بزي الرجال وصارت كأنها "خصي"، جاهدت جهاد الرجال حتى اندهش الجميع من قدرة هذا "الخصي" على مكابدة أتعاب الرهبنة هكذا. والسر يكمن في داخل القديسة مريم - كما يشرحه **القديس غريغوريوس النيصي** - بجعل جهادات النسك وحياة العذراوية اللتين في مريم الطاهرة حينما ظهر ملء اللاهوت في المسيح بنعمة العذراوية، محببتان وينبغي أن يتحققا في كل نفس تبقى عذراء. الرب لا يأتي إلينا في حضور جسدي حيث - كما يقول القديس بولس -"إننا لم نعد نعرف المسيح بعد حسب الجسد"، بل هو يسكن في النفس روحياً، وحضوره يلازمه حضور الآب أيضاً كما يذكر الإنجيل (يوحنا ١٤ : ٢)[١٥]

فكل نفس، بصرف النظر عن الجنس، هي مخطوبة للمسيح، بحسب تعليم الآباء والعلاّمة أوريجانس على الأخص[١٦]. وبالرغم من أنه ليس هناك فرق في الجنس لا لاهوتيا ولا سيكولوجياً، إلا أنه من الواضح أن هذا الرمز الزيجي لعلاقة النفس بالمسيح ينطبق بالأكثر وبواقعية أكثر على جنس النساء المكرسات لله.

الأم إفروسيني:

ومن بين الرسائل ذات النفع لرئيسات أديرة الراهبات والأمهات الروحيات، مجموعة الرسائل للقديس ثيئوذور العمودي إلى "**الإيغومانسة إفروسينى**". وإفروسينى هذه خلفت في رئاسة الدير أمها الروحية إيريني (ذات البصيرة الروحية الداخلية) التي ذكرنا طرفاً من سيرتها سابقاً. وكان القديس ثيئوذور قد وعد الأم إيريني أنه سيساعد ابنتها. ولم يستطع ثيئودور أن يحنث بوعده [طالما كان ممكناً لإنسان خاطئ مثلى أن يكون نافعاً في شئ]. وهذا بعض ما ذكره لنا عن دور الأم المتقدمة وسط الأخوات:

---

(14) Gregory of Nyssa, *De Virginitate*, ed. W. Jaeger, p. 254, 24 ff; cfr. p. 306, 21 - 307, 7.

(15) *In canticum canticorum*, Prologus, PG 14: 62; Comment. in Matthaeum, tomos xvii. 21; PG 13: 1340.

[وجِّهي انتباهك لقيادة الأخوات، ومدبِّرة إياهن في الرب، بكل احتمال ومشاركة في المشاعر.

اطلبى تكميل الواجبات، ولكن لا تلحِّي في ذلك بشدة، بل كمربية تعتني ببناتها مستعدة حتى أن تخاطر بحياتها من أجلهن. ولكن لا ترخي العنان تماماً، مما قد يسبب انحلالاً وارتباكاً، وما يُظهر ضعف محبتك لبناتك.

اعلمي أن كل ألحاظهن متجهة نحوك كما نحو الله، فهم يرونك كمُصالِحة بينهن وبين الله. فإن فعلتِ هكذا، فمن المؤكد أنهن من جانبهن سوف لا يدخرن وسعاً ليفعلوا أي شئ تطلبينه وتريدينه وتأمرين به وتوضحينه.

حقاً، سوف يسلكن كبنات حقيقيات نحو أمهن كأعضاء في جسد نحو الرأس، وكزهرات تجاه شجيرة الوردة اليانعة!]

وفي مدينة تتعدد فيها أديرة الراهبات، هناك خطر يحيق بالإيغومانسات، ذلك هو تجربة الغيرة والرغبة في التمثل بالأخريات:

[لا تنظري هنا وهناك قائلة: "هذا الدير يفعل كذا، وذاك الدير يفعل هكذا". هذا مؤذٍ، يجب أن نحكم أنفسنا بمعيار الوصايا، وليس بمقياس الجيران الذين حولنا. من هذا المنزلق لا أحد يقدر أن يأمن المسيرة المستقيمة، ولا أن يسلك بطريقة تتفق ومشيئة الله].

وفي نهاية الرسالة يتضح أن الأب ثيئوذور كان يهتم ليس فقط بالأم الرئيسَة بل وأيضاً بالجماعة كلها.

[ألا ترين، أيتها الأخت وأيتها الأم الروحية، كيف أن محبة الله قد اضطرتني أن أتكلم معكن بصراحة؟ وإني ما كنت أفعل شيئاً أكثر من أن أتكلم مع أمي ومع أخواتي، إلا لكوننا جميعاً جسد المسيح، ولأننا ندعو لنا آباً واحداً هو الله الكلى الصلاح. لهذا السبب فكلنا إخوة بعضنا لبعض متحدون في جسد واحد، وشركاء ووارثون معاً، كما أحب المسيح ذلك، وكما تعلمنا. السلام لكِ أيتها الأم والمعلمة. السلام للأخوات في المسيح يسوع ربنا. آمين].

وكان القديس ثيئوذور يساند ابنته دائماً. وكان يذكِّرها بعظم وظيفتها والالتزامات المترتبة عليها:

[ارعي رعية الله التي ائتمنك الله عليها بمخافة مقدسة، كأم روحية وليس كحاكم بشرى، مقدِّمة نفسكِ مثالاً لما تأمرين به، غير طالبة من أي واحدة ما هو فوق طاقتها، واسكبي محبتك للكل بمساواة، غير مقدِّمة أفضلية لواحدة لأسباب عاطفية.

ألا ترين القوانين التي فُرضت علينا من الحق؟ وماذا يقول العظيم بطرس؟ «حينما يظهر رئيس الرعاة فسوف تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» (١ بط ٥: ٤)، وأي مدح ستنالينه إذا استطعت أن تقولي أمام الله: "ها أنا والبنات اللواتي أعطانيهن الرب" (أش ٨: ١٨)]

كان هذا القديس العمودي يعرف جيداً صعوبة الحياة المشتركة حتى أنه كان منشغلاً فوق كل شئ بالوحدة بين النفوس، وهذه الوحدة تعتمد أساساً على الأم الرئيسة. كانت إفروسينا تخاف من عدم وجود من يساندها حقاً.

وحينما قرأ ثيئوذور عن هذا الخوف، أحس بألم شديد (لأن حساسيته كانت شديدة وقد عمل كل ما بوسعه لابنته إيريني)، ولكنه كان حريصاً جداً ألاَّ يقول: "أنا هنا!" أي يحاول أن يقحم ذاته مع إفروسينا. فهذه كانت حماقة شديدة، لأنه أولاً لم يكن يعرف يقيناً أين سيكون غداً ؟ وما كان يعرفه جيداً ولم ينساه أبداً، هو أننا يجب أن نضع كل ثقتنا تماماً في الله، بينما الاعتماد على المعونة البشرية بدون تذكر أن هذه هبة من الله وليست بديلاً عنها هو إهانة للمعونة الإلهية ونقص في الإيمان ومجانبة للحق، والمخاطرة نحو الموت. حينما كانت الغيوم تتلبد في الأفق، ونذير العاصفة يجعل ساكنات الدير يرتجفن أكثر من أي إنسان آخر، حينما كانت غارات البربر على الأبواب، ألم يكتب القديس أغسطينوس فصلاً في كتابه "*مدينة الله*" ليعيد الثقة إلى النفوس التقية التي كانت في خوف من الفناء أعظم من انتظار الموت؟ ولكن في بداية القرن التاسع كانت الأزمنة صعبة لإيغومانسة الراهبات بحيث تكون في قلق عميق كلما تكاثر مُروِّجو الأخبار والإشاعات المزعجة:

[ما يشيعه الناس يرعبكم، كما تقولون. لكن الله هو جبار لكُنَّ، وعندكم معونة صلوات أُمُّكن. ألقوا كل هومكن عليه، وهو يأخذها على نفسه لينقذكن بتدابيره التي يصنعها. أنتم تقولون إنه ليس لكم أحد يحميكنَّ! لكن معكنَّ الواحد الذى يقف في خط المواجهة، الواحد الذى نذرتم له حُبكنَّ، الذي هو الرب. ثم عندكم حارس حياتكنَّ، الملاك الذى يختطفكنَّ من كل شر. تشجعْنَ، إذن، ولا تخورنَ].

ويدعو ثيئوذور الأم الإيغومانسة إلى أنها بدلاً من أن ترتعب، إذ تحاول أن تتصور أحداثاً لن

تحدث أبداً. فلتكرس نفسها تماماً لدورها كأم. فلتكن كريمة في تزويد بناتها باحتياجاتهم المادية من طعام وشراب ولباس وسائر الاحتياجات.

[فقط اجعليهن ذوات غرض واحد وفكر واحد وبنفس واحدة ومشيئة واحدة. فليكن كل شئ مشتركاً، لا تكن ملكية خاصة، ولا تسمحوا بنزاع، أما كل ما هو ضروري لخلاصكن فسيتحقق؟ والمسيرة الجميلة السريعة للحياة المشتركة لن يقف أمامها عائق.

وفوق كل شئ فلتكن الحياة الروحية هي هدف الكل. ولكي تفعل الأم الرئيسة هذا، فجيد لها "أن تكون لها ثقة بالله والنفس إزاء كل ما يحدث"، فالأخوات يجدن فيكِ الملجأ والحماية، لأنهن يجب أن يلقين بكل أثقالهن عليكِ، وأنتِ تقبلين ذلك بانفتاح قلب. عزِّى الواحدة، وشجعي الأخرى، ولتشدِّدي الثالثة، وبكلمة قدِّمي الدواء المناسب لكلٍ واحدة. ولا يغلبنَّكِ الضجر إزاء ذلك. الرب يسندك: وما علينا سوى أن نبدأ وهو يعلِّم المعرفة].

ومن ناحية أخرى وفي رسالة أخرى من ثيئوذور (ليس رداً على رسالة منها بل كمبادرة منه)، تحمل تعزية وتشجيعاً وأيضاً – ودون أي تدخل غير مرغوب – يحثها أن تقابل ما تسمعه ويسمعه هو عن مديح لها ولديرها بأن تحذر من أفكار الغرور بل أن تحفظ وتداوم على تقدمها تجاه الكمال الأعلى.

[نحن نسمع المرة تلو الأخرى عن الأعمال الجليلة التي تصنعينها، وعلى الأخص حسن تدبير الأخوات وحفظهن متحدات في نفس واحدة من خلال أعمال المحبة، وسهرهن في بيت الله في الصلوات والتسابيح والقراءة، وأيضاً في حسن الضيافة، موزعين بسخاء كل شئ من أجل العناية بالنفوس. فليتمجد الله في هذا، إن أُمكنً تفرح بهذا أكثر مما تتصورون، لأن القديسين يُسرُّون بأن يروا الأعمال الفاضلة بأيدي تلاميذهم. افرحي، إذن أيتها المعلِّمة والأم الصادقة بحسب الله. فلنترك للآخرين المجد العالمي، والشهرة، والأُبهة التي لرؤساء وملوك العالم، وأكاليل الفخر التي هي إلى حين. أما صليب المسيح فهو كفايتكم، والحياة المقبولة من الله وجماعتكم من العذارى عزيزة جداً على قلب المسيح، وإن أردتم فكلام الله أغلى وأثمن من الذهب والحجارة الكريمة، والثوب اللامع الذى هو تبعية المسيح – كل هذا أكثر عظمة من كل المتاع الذى في العالم، إنه فيض أموال ملكوت السماوات].

ترك الراهبات أديرتهن:

وهذه رسالة أخرى من القديس ثيئوذور إلى **الأم المكرمة إفروسينا**، التي كانت على وشك أن **تُخلي سبيل أختٍ من الجماعة**، لقد شاركها في ألمها الواضح لكنه لم يفهم لماذا تذعن لهذه الرغبة: [**كحكيمة وحصيفة، ألا تنتبهين إلى واجبك في هذا الصدد؟**].

اختلاف في الرأي بين الأب الروحي والأم الروحية للراهبات:

كان قانون القديس العمودي يعترف فقط بنوعين من ترك الأخت للدير:

- إما للراهبة الكاملة التي انتُخبت عن كفاءة رئيسة لدير آخر،
- وإما لراهبة غير كاملة اختارت بعد طول عناية بها أن تنتقل إلى "أخوية" أخرى بأمل أن تصير إلى حال أحسن هناك، ولكن بعد التفاهم بين رئيستي الديرين.

أما مجرد الرجوع إلى العالم بعد قبولها سر النذور، فقد كان ثيئوذور يعتبر ذلك أمراً غير مقبول بالمرة. ولكن في هذا التوجيه، ربما جانَبَ القديس ثيئوذور التقدير الصحيح للأمور بقسوته المفرطة، فالحساسية النفسية لإفروسينا بعدم تمسكها - في هذه الحالة - بالمُثُل بل بالواقع، جعلتها ترى الأمور على خلاف رؤية القديس العمودي. وربما كانت هي على حق.

وقد كتب القديس ثيئوذور رسائل أخرى لأخوات لَسْن رئيسات، ولكن ذلك كان نادراً. وكتب عن الظروف المختلفة: الاضطهاد، تشتيت الجماعات الرهبانية، الحرمان من الأم الروحية بالموت، وموضوعات أخرى تتصل بالحياة الرهبانية، وبوجه عام كانت رسائل القديس ثيئوذور تتصل بالحياة العملية بالأكثر. أما بشأن الحياة الصوفية mystical فهي نفسها حياة الإيمان والمحبة، وعلى قدر الطاقة: الأمانة لقوانين الحياة المسيحية والرهبانية في أزمنة السلام، أما في أزمنة الاضطهاد فالأمانة للأرثوذكسية إلى حد الاستشهاد. وفي رده على إحدى الناسكات المتوحدات يتكلم ثيئوذور عن "رؤية الله Theoptia" ولكن بطريقة غير نظرية:

> [إنه ليس ممكناً للذين يعيشون الحياة العادية في العالم أن تتطهر أفهامهم إلى درجة التبصُّر في الله بدون حاجز، فإن ارتباطات الجسد تجعلهم ينظرون ولكن بغشاوة. أما لنا نحن الذين نفضنا عنا كل شئ وأخذنا وصية حمل صليب المسيح، فإن "رؤية الله" تصير سهلة، وهي ألا نفكر ونهتم بشيء إلا بما يرضى الله وبأن نخدمه بقلب طاهر، مع الانفصال عن كل محبات جسدية].

وأضمن طريق لبلوغ الرؤية المسيحية (التأمل) ليس هو في قراءة التأملات، بل في الطريق

الوحيد الذى سلكه القديسون من قبلنا والشهداء ثم أتباعهم، أبطال الإيمان، ذلك هو "**استشهاد الضمير**" أو "**التواضع**" الذى هو جحد كل شئ من أجل المسيح.

إيريني الثالثة: غيرة، ثم إخفاق، فنكوص:

وبعد ٥٠٠ سنة من رحيل القديس ثيئوذور العمودي، كان ثيئولبتوس مطران فيلادلفيا مسئولاً أن يرشد إحدى الأميرات التي صارت راهبة ثم إيغومانسة لدير القديسة مريم الممتلئة نعمة. وقد كانت الأميرة إيريني ثالث من تسمت بهذا الاسم. وكانت قد صارت أرملة منذ سن السادسة عشرة، ثم كُلفت برئاسة الدير الذى أسسته. وكانت تشترك في الواجبات الحقيرة والكريهة ولم تستنكف أن تعمل في المطبخ. وبمشورة أبيها الروحي كانت بنفسها تعتني بالأخوات المريضات وتخدمهن بيديها. ولكن مرشدها الروحي كان دائماً يوبخها على قساوتها الشديدة التي كان من نتيجتها قيام المشاجرات على أمور تافهة والأحداث الصغيرة التي كثيراً ما كانت تعكر صفو سلام الجماعة. أما الأميرة الرئيسة إيريني التي لم تكن قد بلغت سن الأربعين بعد فقد كانت تتعب مما كانت تعتبره "**عدم فهم الآخرين لها**"، فقررت أن تستقيل من رئاستها وتعتكف إما في دير آخر أو في إيبارشية فيلادلفيا قريباً من مرشدها الروحي. لكنها بالرغم من استقالتها ظلت الرئيسة الشرفية للدير حتى نهاية حياتها.

ولعل هذه النهاية المحزنة كان سببها التسرع في جعل هذه الأميرة الأرملة الشابة رئيسة قبل أن تُتاح لها الفرصة لتغير من طباعها القديمة كأميرة وتستبدلها بصفات المحبة وحلاوة المعشر والبر وهى الفضائل اللازمة لمثل هذه الوظيفة "**الأمومة الروحية**". كما أنها بعد تقليدها رئاسة الدير ظلت تقدم نفسها للزوار على أنها "إمبراطورة" و "سيدة **Lady**". وربما كانت ترىَ في ذلك وسيلة لاستجلاب تعضيد الأغنياء لها في بناء دير فخم حتى إنه أصبح يسع ١٠٠ راهبة بعد أن كان لا يتسع إلا لأربعين فقط. **ولكن فضيلة التواضع أفضل من عظمة المباني**، وازدياد عدد راهبات الدير عن ٤٠ ربما يُفقد الرئيسة ضبط الحياة فيه إذا بلغ عدد الراهبات ١٠٠ أو أكثر.

نموذج القديسة سنكليتيكا: تسليم النفس تماماً للمسيح:

وهنا فلنتذكر **القديسة سنكليتيكا** "التلميذة المخلصة للقديسة تكلا تلميذة القديس بولس"، التي وُلدت غنية وكانت على جمال شديد، لكنها أعطت كل حياتها لله من صبوتها متخذة من قول عروس نشيد الأنشاد شعاراً لها: «أنا لحبيبي وحبيبي لي». وحينما استطاعت أن تتخلص من كل مقتنياتها، وبدلاً من استمتاعها بتضحيتها عن طريق استرداد كرامتها وتذوُق أباطيل العالم التي بذلتها قالت:

[لقد اقتنيت الآن اسماً عظيماً (اسم المسيح) ولا شئ عندي أستطيع أن أكافئ به المحسن إليّ (المسيح) حيث أن كل شئ أصبح الآن ملكاً له]

ويقول كاتب سيرة القديسة سنكليتيكا إن لا أحد بمستطيع في وقت واحد أن يجنى من بين الأوراقِ الخضراء الفاكهة الفجة. وكذلك في **الحياة الروحية ليس بمقدور أحد أن يعطى ثمراً سماوياً بينما هو محاط بالمجد العالمي**. فالأوراق ستتساقط، والفروع ستيبس إن كان الإنسان يريد حصاداً، **وحينما يشرع إنسان في تعليم الآخرين قبل أن يختبر الحياة العملية في تعلمها فهذا أمر بالغ الخطورة**. وكما قال القديس ثيئوذور هذا المبدأ الأغلى من الحجارة الكريمة : **[من يريد أن يتعلم كيف يأمر حسناً، فعليه أولاً أن يتعلم كيف يطيع حسناً]** وإلا فإن حكمه وتدبيره سيصيران رديئين. فإن كان هذا المبدأ صحيحاً لمن يمارسون السلطة، فكم وكم يكون لزومه للأبوّة الروحية وللأمومة الروحية؟

وأخيراً هذا هو القديس الناسك والأب الروحي غريغوريوس النزينزي يكتب قصيدة فاخرة عن الطريقة التي يجب أن تتعامل بها العذراء المكرسة لله تجاه أبيها الروحي :

[فوق كل شيء، اعبدي الله،
وحينئذ كرمي الكاهن الذي هو المسيح على الأرض،
الذي يرشدك إلى الحياة.
ضعي نفسك تحت إرشاده بسرعة، واخضعي له في سكون،
ومن خلاله اعرضي بفرح أخطاءك عليه.
وحتى لو ارتعدتي قليلاً، فسوف ترتفعين حالاً.
وكوني ميتة عن كل الآخرين] (١٧).

(17) *Carmina* I, sectio II, Poemata Moralia, Praecepta ad virgines, vers. 346-50; PG 37:605 A.

وثيقة[1]

خلاصة قانون
الرهبنة القبطية الأرثوذكسية

كما أصدره المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

(عام ١٩٢٨)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

الباب الأول

(الرهبنة)

الرهبنة فلسفة الشريعة المسيحية والرهبان ملائكة أرضيون وبشر سمائيون تابعون المسيح حسب طاقتهم في جميع أخلاقهم متشبهون برسله في التجرد من قنايا العالم ورفض شهواته ورفض كل شئ حتى نفوسهم في حب طاعته ومحبته عاملون بوصاياه التى أمر بها مريدى الكمال محبون له وحده أكثر من الآباء والأبناء والزوجة والمال فهم مغبوطون على الراحة من الأتعاب الحاضرة الاضطرارية والنجاة من عقوبات الآخرة الأبدية ومغبوطون على ما أعد لهم من أعالى منازل الملكوت السمائية عن أتعاب مقتضية اختيارية.

المادة ١ - للطائفة القبطية الأرثوذكسية في وقت صدور هذا القانون سبعة أديرة للرهبان وهى:

١ - دير البراموس. ٢ - دير السيدة العذراء وأبو يحنس كاما الشهير بالسريان. ٣ - دير أنبا بيشوى. ٤ - دير أبى مقار. ومقر هذه الأديرة الأربعة في وادي النطرون بمديرية البحيرة.

---

(١) نقلاً عن كتيب بنفس العنوان مطبوع في المطبعة المرقسية بالدرب الواسع نمرة ٣٠ بمصر.

٥ – دير أنبا أنطونيوس. ٦ – دير أنبا بولا. ومقر هذين الديرين في الجبل الشرقي بمديرية بني سويف.

٧ – دير العذراء المعروف بالمحرق بمديرية أسيوط. وهذه الأديرة خاضعة مدنياً للحكومة المحلية.

الباب الثاني

(الرئيس العام والرؤساء المحليون ومن دونهم)

المادة ٢ – الأديرة القبطية خاضعة لرئيس عام واحد هو البطريرك أو القائم مقامه في حالة خلو الكرسي.

المادة ٣ – يدير شئون كل دير "رئيس" ويعاونه في ذلك أمين ويكون لكل دير أب اعتراف وأمين للمكتبة وكنسى وخازن وحارس للباب.

ويجوز إسناد أكثر من وظيفة واحدة من هذه الوظائف الأخيرة لشخص واحد يكون أهلاً لذلك وينتخب الرئيس والأمين وسائر الموظفين من رهبان الدير بالكيفية المنصوص عليها في هذا القانون.

رئيس الدير

المادة ٤ – يشترط فيمن يرشح لرئاسة الدير أن يكون كاهناً مشهوداً له من الجميع بالسيرة الحميدة والعقل الرجيح والرأى السديد والاختيار الكافى والعلم الوافر بقوانين الرهبنة وأصول الدين والخدمات الكنسية ولا يقل عمره عن ٣٥ سنة ويكون مضى عليه في الرهبنة ١٠ سنوات على الأقل.

المادة ٥ – إذا خلا مركز رئيس الدير بسبب الوفاة أو بأى سبب آخر فانتخاب خلفه يكون بترشيح مجمع رهبان الدير وتزكيتهم ممن تنطبق عليهم الشروط المذكورة في المادة السابقة.

المادة ٦ – عندما يراد انتخاب رئيس للدير يجتمع المجمع برئاسة أكبر الرهبان سناً وبعد صلاة القداس الإلهى وطلب إرشاد الروح القدس يعرض رئيس الجلسة أسماء المرشحين ويتم انتخاب أحدهم بطريقة الاقتراع السرى ومن ينال أكثرية الأصوات تعمل تزكية باسمه ويوقع عليها جميع أعضاء المجمع وترسل إلى البطريرك أو للقائم مقامه في حالة خلو الكرسي لاعتماده

وإخطار جهات الحكومة بتعيينه.

واجبات رئيس الدير

المادة ٧ – من واجبات الرئيس أن يقوم بجميع حاجات ومصروفات الدير ورهبانه من المؤن والأطعمة وخلافها حسب عادة الدير، وعليه عمل كل ما يلزم من المحافظة على مباني الدير وأملاكه وترميم وتجديد اللازم منها وتنفيذ أحكام هذا القانون وقرارات مجمع الدير بكل دقة وعدالة وعليه أن يرعى مصالح الدير ويسهر على راحة رهبانه وينظر فيما يقدم إليه من الشكاوى بالنزاهة ويفصل فيها بالحق ويلاحظ الرهبان في خلواتهم واجتماعاتهم وينظم محافلهم ويرأس مجمعهم ويحضهم على تأدية الواجب عليهم ويساعد بنصائحه ضعفاءهم ويفحص أعمال من دونه من المرؤوسين ويراقب سيرهم ويكون في جميع أقواله وأعماله مثال الإنصاف والكمال ولا يأخذ بوجه إنسان بل يأمر وينهى بخوف الله ويتصرف في جميع شئون ديره تصرفاً يؤدى إلى عمرانه ودوام السلام به وأن لا يتهاون في المحافظة على أموال الدير ولا ينفرد بالسلطة دون الرجوع إلى غبطة البطريرك والقائم مقامه وعليه أن يزور الدير في الجبل أربع مرات في السنة على الأقل لافتقاد رهبانه والوقوف على أحواله.

واجبات الرهبان نحو الرئيس

المادة ٨ – على الكهنة الرهبان وطالبى الرهبنة احترام رئيس الدير والخضوع لأوامره المطابقة لهذا القانون وللوصايا الإلهية.

أمين الدير

المادة ٩ – يشترط فيمن يرشح أميناً للدير أن يكون معروفاً بالنشاط والغيرة وعفة النفس والحرص على مصالح الدير وحسن التدبير ويكون مضى عليه في الرهبنة زمن كاف لظهور هذه الصفات فيه.

المادة ١٠ – تعيين الأمين هو من اختصاص رئيس الدير بموافقة مجمع رهبانه وعليه أن يخطر البطريرك أو القائم مقامه بتعيينه.

المادة ١١ – من واجبات الأمين أن يؤدى أعمال الرئيس في حالة غيابه ويساعده في تدبير شئون الدير وفى تعهد أحوال الرهبان وسد حاجاتهم والنظر في مطالبهم والإشراف على طرق

تأديتهم لواجباتهم الدينية والعملية وافتقاد المرضى والشيوخ منهم وإمدادهم بما يحتاجون إليه مما عنده واختبار طلاب الرهبنة ومراقبتهم وتعهد أثاثات الدير والمكتبة وما فيها من الكتب المخطوطة والمطبوعة وعليه أن يحفظ في عهدته الأوراق والوثائق الأثرية والملابس الكهنوتية والأوانى الثمينة وكل ما له قيمة أثرية وغير أثرية ويرصدها جميعاً في سجل خاص وذلك ضمن الحدود التى يرسمها له رئيس الدير.

المادة ١٢ – من اختصاص أمين الدير استقبال القادمين إلى الدير من الزوار العلمانيين والرهبان في حالة غياب رئيس الدير وهو الذى يأذن لحارس الباب في إدخالهم وينزلهم دار الضيافة ويؤدى ما يلزم لراحتهم وإكرامهم ويلازمهم في سيرهم داخل الدير لمشاهدة مبانيه وآثاره.

المادة ١٣ – من واجبات أمين الدير أيضاً أن يقيد في سجل خاص أسماء رهبان الدير وأعمارهم وبلادهم وتواريخ دخولهم الدير وإلباسهم شكل الرهبنة وترقيتهم إلى الرتب الكنسية وما أحرزوه ويحرزونه من الشهادات العلمية وشهادات السلوك ويعد لكل منهم ملفاً (دوسيهاً) لحفظ الأوراق الخاصة به والرجوع إليه عند الحاجة.

وعلى أمين الدير أن يسجل المكاتبات الصادرة من الدير والواردة إليه ويحفظ هذه في ملفات خاصة.

المادة ١٤ – على أمين الدير أن يرجع في جميع شئون وظيفته إلى رئيس الدير ولا يعمل عملاً إلا بعد عرضه عليه والحصول على موافقته ومنه وحده يستمد سلطته.

أب الاعتراف

المادة ١٥ – يعين رئيس الدير أو الأمين أباً للاعتراف من شيوخ الرهبان في الدير يكون خبيراً بماهية سر الاعتراف ومشهوداً له بالتقوى والوقار والتقدم في الفضيلة وإذا كان أمين الدير متقدماً في السن يعين هو أباً للاعتراف.

المادة ٦ – للأمين أن يسند الخدمات الآتية إلى من يراهم أهلا لها من الرهبان بعد موافقة رئيس الدير وهى خازن وأمين للمكتبة وكنسى وحارس للباب.

الخازن

المادة ١٧ – يشترط فيمن يعين خازناً للدير أن يكون مشهوداً له بالأمانة وطهارة الذمة والخبرة بقيمة ما يؤتمن عليه وحسن التصرف فيه.

وعليه أن لا يصرف شيئاً مما في عهدته جليلاً كان أو حقيراً إلا بأمر الأمين وأن يعنى عناية خاصة بالمؤن القابلة للفساد.

أمين المكتبة

المادة ١٨ – يشترط فيمن يعين أميناً للمكتبة أن يكون معروفاً بسعة الاطلاع ليكون على علم بما في عهدته من الكتب وعليه أن يرصد جميع الكتب التى تسلم إليه في سجل خاص من صورتين تحفظ إحداهما عند أمين الدير ويرتبها في خزانتها ترتيباً حسناً مقسمة بحسب موضوعاتها ليسهل الانتفاع بها ومعرفة مواضعها وأن يبلغ الأمين بما يحتاج إلى التجليد والترميم منها.

المادة ١٩ – على أمين المكتبة أن يسمح للرهبان بالمطالعة فيما يطلبونه من الكتب وأن يرصد ما يستعيرونه منها في دفتر خاص ويجب أن لا تزيد مدة الإعارة على شهر إلا بأمر الرئيس.

المادة ٢٠ – محظور على أمين الدير وأمين المكتبة وجميع الرهبان إخراج أى كتاب كان من الدير إلا بأمر رئيس الدير أو البطريرك أو القائم مقامه على أن يرد ما يؤخذ من الدير إليه ثانية.

الكنسي

المادة ٢١ – يشترط فيمن يعين لخدمة الكنيسة أن يكون ملماً بالطقوس والترتيبات الكنسية وعليه أن يرتب الكتب الكنسية المتداولة على مدار السنة ويخرج كتب كل طقس في حينه ويعيدها إلى مكانها بعد الانتهاء منها وهو الذى ينير الشموع والقناديل ويراقب نظافة الكنيسة وفرشها وإخبار أمين الدير بمن عليه النوبة من الكهنة لتأدية الشعائر الدينية.

حارس الباب

المادة ٢٢ – يشترط فيمن يكون موكلاً بباب الدير أن يكون عاقلاً لين الجانب مهذب العبارة في مخاطبة الغريب والقريب متواضعاً غير مشاغب مسرعاً إلى إجابة كل قارع للباب مكرماً لكل داخل على حسب قدره.

المادة ٢٣ – لا يفتح باب الدير للقادمين أو للخارجين إلا بأمر أمين الدير.

وإن دخل عامل غريب لأشغال الدير فليس لأحد من الرهبان أن يدنيه منه أو يدخل به إلى قلايته.

المادة ٢٤ – يجب على الموكل بباب الدير عند ملاقاته الوافدين من الواردين أو المترددين على الدير وغيرهم ألا يخرج عن العادات المرعية في طعامهم وشرابهم وألا يتحدث معهم في أمور العالم ولا يعطيهم أو يأخذ منهم شيئاً إلا بأمر أمين الدير.

الباب الثالث

(قبول طلاب الرهبنة ومؤهلاتهم وموانع قبولهم)

الفصل الأول

(في قبول الطالب وكيفية الطلب)

المادة ٢٥ – لرئيس كل دير أن يقبل من يتقدم إليه من العلمانيين للترهب في الدير سواء كان من البتوليين والمترملين وذلك طبقاً لأحكام هذا القانون.

المادة ٢٦ – على طالب الرهبنة أن يقدم إلى رئيس الدير طلباً بالكتابة موضحاً به اسمه ولقبه وصناعته وعمره واسم بلده التي كان مقيماً بها أو التي تقيم بها عائلته وعلى رئيس الدير أن يقبله مؤقتاً إلى أن يتحرى عنه.

الفصل الثاني

(موانع القبول)

المادة ٢٧ – لا يقبل في الرهبنة : –

١ – من كان له زوجة وأولاد أو والدان عاجزون عن كسب عيشهم وقد هرب تخلصاً من نفقة إعالتهم.

٢ – من كان مرتكباً جريمة من الجرائم التى تعاقب عليها قوانين الحكومة أو كان تحت المحاكمة ولجأ إلى الدير فراراً من وجه القضاء بسببها.

٣ – من كان مصاباً بمرض معد أو غير سليم العقل.

٤ – تراعى أحكام قانون الخدمة العسكرية.

الفصل الثالث

في المؤهلات

المادة ٢٨ – يشترط في طالب الرهبنة : –

١ – أن لا يقل عمره عن ١٧ سنة.

٢ – أن يكون غرضه الحقيقى من الترهب هو التعبد لله.

٣ – أن يكون محسناً للقراءة والكتابة.

٤ – أن يكون خالياً من موانع القبول الموضحة في المادة السابقة.

المادة ٢٩ – إذا تحقق رئيس الدير بعد تحريه عن الطالب من عدم وجود موانع قانونية من قبوله ووجد أنه لا يزال ثابتاً على عزمه غير متقلقل في رأيه راغباً رغبة صادقة في حمل نير الرهبنة ونذر العفة والفقر الاختيارى فحينئذ يرسله إلى الدير في الجبل لتمضية مدة الاختبار المنصوص عليها المادة الآتية.

المادة ٣٠ – يختبر الطالب الجديد اختباراً دقيقاً لمعرفة ما عنده من شوق حقيقى إلى التعبد لله تعالى ودرجة استعداده للتواضع والاحتمال والصبر والسلوك الحسن والخضوع التام لقوانين الرهبنة والطاعة لجميع الرهبان مع حفظ المزامير وصلاة التسبحة ومتى أتم مدة الاختبار على ما يرام على أمين الدير أن يطلب من رئيس الدير إلباسه شكل الرهبنة.

مدة الاختبار هى سنة كاملة ويجوز إنقاصها إلى تسعة أشهر شرطاً أن يثبت أهلية الطالب لشكل الرهبنة.

المادة ٣١ – لا يقبل طالب في أي دير كان قبولاً نهائياً إلا بعد تمضيته مدة الاختبار وتزكية أب الاعتراف وأعضاء مجمع الدير له وموافقة رئيس الدير على قبوله.

الباب الرابع

(ترقية الرهبان إلى الرتب الكنسية)

المادة ٣٢ – لا يرقى الراهب إلى درجة الشماسية (إن لم يكن حاصلاً عليها قبل ترهبه) إلا إذا كان ملماً بما يؤهله لها من المعلومات والصفات الواردة في المادة ٣٠.

المادة ٣٣ – لا يرقى الراهب الشماس إلى درجة قسوسية إلا إذا كان حاصلاً على الشهادة العلمية النهائية من مدرسة الرهبان (إذا كان طالباً بها) أو من غيرها أو كان مشهوداً له بالتقوى والنسك وملماً بالعلوم الكنسية واللغة القبطية إلماماً تاماً.

الباب الخامس

الأعمال التى يمارسها الرهبان

المادة ٣٤ – الأعمال التى يشتغل بها الرهبان في الدير هي : –

١ – مطالعة الكتب المقدسة وسير القديسين وأخبار وتعاليم الرهبان المتقدمين.

٢ – الخدمات الكنسية.

٣ – العبادات الليلية والنهارية.

٤ – القيام بتأدية ما يطلب منهم من الخدمات اللازمة للدير التى يكلفون بها من قبل الرئيس داخل الدير.

٦– العناية بالمرضى من الرهبان.

وعلى أمين الدير أن يضع نظاماً داخلياً بترتيب هذه الأعمال وتوزيعها على الرهبان مراعياً في ذلك أهلية كل راهب للعمل الذى يحسنه وموافقته لسنه وحالته الصحية.

المادة ٣٥ – على جميع الرهبان حضور صلوات المجمع التى يقيمها داخل الكنيسة أو خارجها ولا يعفى من ذلك إلا من يقعده المرض عن الحضور.

مائدة الرهبان وطعامهم

المادة ٣٦ – متى دق ناقوس الدير في أوقات تناول الطعام يجتمع الرهبان ورئيسهم في غرفة المائدة وبعد قراءة فصل من الكتاب المقدس وفصل آخر من كتاب بستان الرهبان ورفع صلاة

المائدة المدونة في كتاب بستان الرهبان يتناولون طعامهم معاً ثم يختمون بقراءة البركة المدونة به أيضاً مع مراعاة عادة الدير وتقليده في ذلك.

المادة ٣٧ – لا يتخلف عن المائدة إلا من به مرض أو من كان في عمل يتعذر عليه تركه ومن يمتنع عن المائدة بلا عذر يمنع من الطعام إلى أن يعود الرهبان إلى الاجتماع.

المادة ٣٨ – لا يدع الراهب في قلايته خبزاً ولا شيئاً مما يؤكل ما خلا ما يعطى له مما يوزع على الإخوة بالمساواة وقربانة الكنيسة وما يكون عنده من الأدوية للعلاج.

الأثمار الناتجة من حديقة الدير توزع على جميع الرهبان بالمساواة ولا يجوز أن يأخذ أحدهم شيئاً منها إلا ما يوزع عليه.

المادة ٣٩ – المرضى من الرهبان يعاملون معاملة خاصة في طعامهم ونومهم حتى يشفوا ومن يحتاج منهم إلى معالجة يرسل إلى أقرب مدينة لتطبيبه على نفقة الدير.

الباب السادس

إقامة الرهبان في الدير

المادة ٤٠ – يقيم الراهب في ديره ولا يبرحه إلى الريف أو إلى دير آخر إلا إذا انتدبه الرئيس لقضاء مهمة تتعلق بالدير مع استثناء طلبة مدرسة الرهبان، ولا يُندِب الرئيس لمهام الدير الخارجية من الرهبان إلا من يكون مضى عليه في الرهبنة ثلاث سنوات على الأقل.

المادة ٤١ – كل راهب ينتدب لمهمة يجب أن يكون بيده ترخيص كتابى بذلك من رئيس الدير مبيناً فيه نوع المهمة والمدة المحددة لقضائها وعليه متى أتمها أن يعود حالاً إلى الدير وإذا تأخر يحاكم.

المادة ٤٢ – على الراهب الذى ينتدب لمهمة خارج الدير أن يسلم إلى الأمين ما بعهدته وما في قلايته من الكتب وغيرها مما يخص الدير.

المادة ٤٣ – قلايات الدير جميعها تكون تحت تصرف الرئيس يسكن بها من يشاء من الرهبان وله أن ينقل الراهب من قلاية إلى أخرى ولكن ليس له أن يسكن في قلاية راهب غائب عن الدير في مهمة مؤقتة راهباً أخ حتى يعود ولا يسكن راهبان في قلاية واحدة.

المادة ٤٤ – لا يعين الكهنة الرهبان خداماً دينيين في كنائس العالم ولا يسمح لهم بالتجوال في البلاد لجمع أموال أو لغير ذلك من الأغراض.

المادة ٤٥ – الكهنة الرهبان الذين يكونون معينين لتأدية الشعائر الدينية في بعض الكنائس في وقت صدور هذا القانون يمهلون خمسة عشر يوماً ليعودوا بعدها حالاً إلى أديرتهم ويجب أن يعلنوا بهذا الميعاد في الصحف ومن يتأخر عن العودة يعتبر مجرداً من درجاته الكهنوتية ومن شكل الرهبنة ويعلن عنه في الصحف ويستثنى من ذلك الرهبان الموجودون في أديرة يافا والقدس والقديسة دميانة والمعينون كوكلاء للمطارنة والأساقفة ووكلاء الأديرة ومدبرو أديرة الراهبات.

الباب السابع

(أحكام جزائية)

المادة ٤٦ – إذا ارتكب راهب إحدى المخالفات الآتية فعلى الأمين أن ينصحه ثلاث مرات بالإقلاع عنها فإذا لم ينتصح يرفع أمره لرئيس الدير الذى له الحق أن يحكم عليه بما يتناسب مع حالة مخالفته دون أن يخرجه من هيئة الرهبنة.

١ – الغياب عن حضور الصلوات في الكنيسة من غير عذر مقبول.

٢ – التفوه بالكلام الردئ.

٣ – التعالى على أحد غيره.

٤ – مخالفة الرئيس أو الأمين فيما يأمر به من الأعمال المطابقة لهذا القانون.

المادة ٤٧ – إذا ارتكب راهب ذنباً من الذنوب الآتية ولم يتب عنه يحكم مجمع الدير بإخراجه من الرهبنة وهى : –

١ – إهمال الأصوام المفروضة بلا عذر. ٢ – مبارحة الدير من غير إذن والتجوال في البلاد.

٣ – الاستعانة بالسلطات المدنية. ٤ – الفتور المستمر في العبادة وفى حضور الكنيسة. ٥ – تحريض الرهبان على العصيان. ٦ – مكاتبة الصحف. ٧ – المشى بالنميمة والوقيعة بين الرهبان. ٨ – السرقة. ٩ – الاعتداء على غيره بالضرب. ١٠ – ارتكاب ما يخل بالشرف ويخالف الآداب – وكل ما في حكم هذه الذنوب.

المادة ٤٨ – متى حكم على راهب بالطرد نهائياً من الدير يرسل رئيس الدير الحكم إلى البطريرك أو القائم مقامه للتصديق عليه ولتجريد من يكون كاهناً منهم ولإخطار الأديرة الأخرى بذلك حتى لا تقبله في شركتها ويعلن عنه بالجرائد.

المادة ٤٩ – الخازن الذى يسئ التصرف يحكم الأمين بعزله ويعين غيره بدله.

المادة ٥٠ – رئيس الدير الذى يخالف أحكام هذا القانون في تصرفاته أو يفعل ما يحط بدرجته أو يسبب للدير خسارة مالية تعمداً يعرض مجمع رهبان الدير أمره على البطريرك أو القائم مقامه للنظر في ذلك وإصدار أمره بما فيه مصلحة الدير وله وحده حق عزله أو إبقائه.

المادة ٥١ – شكاوى الرهبان فيما بينهم تقدم إلى أمين الدير أولاً فإن لم يقبل المتشاكيان حكمه استأنفاه إلى رئيس الدير.

الباب الثامن

(في ميراث الرهبان)

المادة ٥٢ – كل ما يملكه الراهب من مال أو كتب أو ملابس أو غيرها هو ملك ديره وهو الوارث الوحيد له في حالة وفاته أو خروجه من الدير أو من الرهبنة لأى سبب من الأسباب.

المادة ٥٣ – الراهب لا يرث أحداً من العوام إلا إذا كان لم يبقَ من أقرباء المتوفى سواه، ولا يرثه أحد من أقاربه العوام إلا إن كان لا شركة بينه وبين أحد من الرهبان في عيشة الرهبنة أو سكنى الأديرة، فإن كان بينه وبين رهبان شركة في عيشة الرهبنة أو سكنى الدير صار جميع ميراثه لمجمعهم كثروا أو قلوا ولو توفى خارجاً عن ديرهم ولو كان له وارث راهب (أى وارث طبيعى) خارج عن مجمعهم ولو كان من مجمعهم لم يختص به عنهم. وإن وجدت له تركة خارجة عن الدير، فإن كان قد أوصى بها للدير كلها أو بعضها وقت رهبنته أو بعدها أُمضيت وصيته وما لم يوص به مما يوجد له في وطنه الأصلي أو غيره من الجهات مما ليس وروده من جهة الرهبنة ولا بأسبابها إذا كان له وارث طبيعى ورثه راهباً كان أو عامياً وإلا فمجمعه يرثه وإن كان منفرداً في دير أو مغارة فإن كان له وارث طبيعى راهب ورثه وإلا فميراثه لمجامع الرهبان المحامين عنه ولا وصية لراهب في مجمع شركة بشيء مما للمجمع ووصية الراهب المنفرد ممضاة كشروط الوصية.

الباب التاسع

(أحكام عامة)

المادة ٥٤ – يجوز تعديل ما تدل التجربة والاختبار على وجوب تعديله من مواد هذه القانون بقرارات تصدر من المجمع الإكليركى العام المقدس.

المادة ٥٥ – على المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة تنفيذ هذا القانون كل منهم فيما يخصه.

صدق على هذا القانون من المجمع الإكليركى العام المقدس في يوم السبت المبارك ١٧ أمشير سنة ١٦٤٤ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨.

(أعضاء المجمع الإكليركى العام المقدس)

مطران كرسى أسيوط، مطران كرسى النوبة والخرطوم، مطران كرسى قنا وقوص، مطران كرسى المنيا والأشمونين، أسقف دير المحرق ومنفلوط، أسقف دير أنطونيوس، أسقف كرسى منفلوط وأبنوب، مطران كرسى أخميم وسوهاج، مطران كرسى البلينا، مطران كرسى جرجا، مطران كرسى القدس الشريف والشرقية، مطران كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا، رئيس دير السيدة العذراء الشهير بالسريان، رئيس دير أبى مقار، رئيس دير السيدة العذراء براموس، رئيس دير القديس أنبا بيشوى

رئيس المجمع الإكليريكى العام المقدس

مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية

قائم مقام البطريرك

الباب الخامس

تكريم الشهداء والقديسين

مُقَدِّمَة

تحتل عقيدة تكريم القديسين والتماس شفاعتهم مكانة رئيسية في تعليم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. على أن هذه العقيدة مثلها مثل أية عقيدة أرثوذكسية أخرى لها أبعادها وبنودها ما يمنع الخطأ في التعليم بها وسوء ممارستها.

وقد تزايد في السنوات الأخيرة ظهور كتب وأشرطة فيديو عن بعض من "قديسين معاصرين" اعتبرهم البعض قديسين وسرد أشياء عن سيرتهم وأعمالهم. وللأسف كان كثير مما سُرِد أبعد ما يكون عن معايير ومقاييس القداسة الحقيقية التي احتفظ لنا بها ذلك التراث الهائل من القديسين والقديسات الذين واللواتي فاح عبير سلوكهم وجهادهم ومسيرة حياتهم من القداسة والنسك ما أصبح يمثل منهجاً تعليمياً للحياة الروحية الحقيقية القائمة على الإيمان الأرثوذكسي القويم التي تعلمنا إياها الكنيسة والتي تدعونا فيه إلى: «أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم» (عبرانيين ١٣ :٧)، «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كو ١١ :١). كما نُسب لهؤلاء الذين ادعى البعض عنهم أنهم قديسون حشداً هائلاً من "معجزات" وأعمال غريبة أبعد ما تكون عن مغزى المعجزات وغايتها وبكثرة غير عادية بطريقة تشكك في القصد منها ومعناها. فظهرت في غير موضعها القانوني لتصبح أعمالاً بعيدة المنال، وأقرب إلى الممارسات الشاذة منها إلى أعمال تمجِّد الله في قديسيه وتدعو المؤمنين إلى التمثُّل بهم كما هم تمثَّلوا بالمسيح. لذلك أفردنا هذا الباب لنشرح معايير القداسة الحقيقية وموقع المعجزات والرؤى في حياة القديسين الحقيقيين، وكيفية التحقق من قداسة مَنْ يُرشَّح لإعلان قداسته، وكيفية تقنين وإعلان القديسين، ومبادئ تدوين سير القديسين والقديسات القدامى والمعاصرين.

طقس رفات الشهداء والقديسين

الرفات: هي بقايا الشهداء والقديسين. وكان المؤمنون قديماً يحفظون أجساد الموتى ذوى الشأن الخاص للذكرى والبركة وتذكاراً لهم ذا اهتمام خاص.

وكان الاعتقاد أن قوة أحباء الله مرتبطة بعظامهم ومقتنياتهم (كما في مل ٢: ١٤، ١٣: ٢)، وكما في الجماعة المسيحية (متى ٩: ٢٠، أع ٥: ١٥، ١٩: ١٢). ويبرر القديس كبريانوس تكريم أدوات تعذيب الشهداء بالتأكيد على أن أجساد المسجونين من المسيحيين تتقدس بالسلاسل التي قُيدوا بها (أفسس ٧٦: ٢). وبعد الإمبراطور قسطنطين، فإن المتعلقات الخاصة بالمعترفين وأبطال الكنيسة والأنبياء والبطاركة كانت تمثل قوة أحباء الله[١]. وقرر مجمع غنغرا (حوالي ٣٤٠م.) الفرز لمن يحتقرون الرفات. وفى الشرق كان آباء البرية والعموديون مصدراً خصباً لمثل هذه التذكارات.

ولأن طقس تكريم رفات الشهداء مرتبط ببقايا القديسين المنتقلين، فالجسد يُسجَّى في القبر حيث ينال كرامات حددها التقليد. ولم يكن ممكناً تقسيم هذا الجسد ولا اقتطاع أو نقل جزء منه، وبالتالي المتاجرة فيه. هذه الممارسات كانت ممنوعة بحكم القانون الروماني Codex Theodosians (قانون ثيؤذوسيوس). وكان هذا القانون مبنياً على بديهيات التشريع القديم المسجل فيما يسمى بالجداول الاثني عشر. وحتى العظام المبعثرة كان يجب تجميعها على قدر الإمكان لتُعتبر هي الجسد كاملاً. وبالرغم من أن هذا التشريع وتلك العادة كانت رومانية قلباً وقالباً، إلا أنها لم تنتشر في كل الإمبراطورية، مما ساعد في تبرير رفض الغربيين تقسيم أجساد القديسين وتأييد عادة استحضار الرفات التي كانت تمثل حضور القديسين من خلال وضع رفاتهم عن قرب.

أما في الشرق فكان هناك تساهل تجاه هذه الأمور. فنقل وتقسيم الرفات صار أمراً شائعاً، ابتداءً من نقل رفات القديس بابيلاس (أنطاكية ٣٥١) ثم ترحيلها إلى القسطنطينية. وابتداءً من النصف الثاني من القرن الرابع وصلت بعض الرفات من الشرق إلى شمال إيطاليا. ولكننا نجد مثلاً رائعاً في القديس أغسطينوس الذى لم يأبه بهذا الطقس. إلا أنه في الكنيسة القبطية

---

(١) يوسابيوس، *التاريخ الكنسي* ٦: ٩، ٧: ١٩

الأرثوذكسية فقد امتنع نقل أعضاء القديس إلى خارج ديره أو الشهيد بعيداً عن المكان الذي استُشهد فيه. وكمثال لذلك حادثة رجوع جسد القديس أنبا مقار إلى ديره بعد أن سرقه أهل بلدته في شبشير. ومثل هذه الحادثة تكررت في سير قديسين آخرين.

وتصف السير القديمة الشهداء بأنهم "**التلاميذ المخلصون للرب**"[٢]

وعلى نهاية القرن الرابع، فإن دور الرفات في التقليد المسيحي تحدد بوضوح. وكان العثور على الرفات والتحقق من هوية صاحبها فرصة للفرح وعلى الأخص حينما تحدث أعمال قوات (أي معجزات) في هذه المناسبة، وكان يعقب اكتشاف الرفات حملها ونقلها إلى مكان لائق يسهِّل تكريم الشعب لها. ولكن في الكنيسة القبطية كان الأمر مختلفاً أيضاً، فالقديس أنطونيوس خشي من مثل هذا التكريم فطلب إخفاء رفاته[٣] وكذلك القديس باخوميوس[٤] وغيرهما من القديسين الأقباط بالذات. ولكن حدثت تطورات طبيعية لاحقة نتيجة اهتمام الناس بحفظ رفات القديسين مثل بيع الرفات ثم سرقة الرفات (مثل سرقة رفات القديس مقاريوس). وقد تسببت مثل هذه الممارسات في عثرة لدى القديس أغسطينوس[٥]، ثم حدث تداخل واختلاط بين رفات القديسين بعضهم بالبعض.

وقد كان بعض آباء الكنيسة يؤكدون باستمرار علي أن الرفات تذكِّر بالعلاقة الخاصة للقديسين مع الله. لذلك كان التنافس على الرفات حاداً، لأن عائد اقتناء الرفات بعد تفتيته وبيعه كان كبيراً. وقد حرمت القوانين الكنسية المتاجرة برفات القديسين.

---

(2) M. Polyc 17 - 18, (A. Cyp. 5, Pass. Perp. 21).

(٣) كما في سيرته بقلم القديس أثناسيوس ٩٠

(٤) كما ورد في سيرة حياته – *حياة الشركة الباخومية*، ص ١٢٢، تعريب القمص إشعياء ميخائيل، ١٩٨٦

(5) Po. Monach 28. 36

الحذر من التربُّح من وراء تكريم الشهداء والقديسين:

[باسيليوس ٣١ : لأجل أنه لا يجب الدخول إلى القبور التي تسمى شهداء ولا يُقدَّس ولا يصلَّى فيها. الذى يجب كالناموس الذى للكنيسة أن يُقرَّب على الذين ماتوا في الكنيسة الجامعة، كما علمنا آباؤنا الرسل أن نصنع في الثالث والسابع والرابع عشر، وأمروا بهذا في الكنيسة الجامعة. ولأجل من يبنى المساكن في المواضع التي الأجساد فيها.

هل الذى يفعل هذا يجني منه ربحاً؟ كلا. بل هو يفعل ذلك خارجاً عن ناموس الكنيسة. فليعرِّفني من يفعل هذا لماذا يفعله؟ إن كانوا يفعلون هذا ليستجيب الرب لهم إذا دعوا وصلّوا على الموتى، فهم إنما حذوا حذو الكنيسة الجامعة لكي ما يبتهلوا إلى الله فيها على الأحياء والأموات، وإن كان لا، فما هو هذا الفعل أن تُبنى مواضع في الأماكن التي الأجساد فيها. أترى هم يفعلون هذا لكي يسمعوا الكلمة ويتناولوا السرائر؟

الحكماء يعرفون هذا: إنه إذا فارقت النفس الجسد يصير الجسد تراباً وتنال النفس كأفعالها. والذي فعله الإنسان من قبل الافتراق هو الذى يبرره أو يفضحه. ولكن إذا قلنا الحق للذين يفعلون هذا، فإنهم يفعلون هذا لأجل تجارة ولمحبة ربح مخزي. الويل لنا لأن الذي نربحه الآن لا يقدر أن يغنينا في يوم الدينونة بالحق الذى لله. حسناً وبَّخ النبي الذين هم مثل هذا الإنسان الغير المتعلم: "إن الكهنة لم يعلموا سُبُل الرب وأعداء ناموسي لم يعرفوني" (حز ٢٢:٢٦). هي كنيسة واحدة جامعة دفع الرب دمه عنا، فأما العتاة بكل نوع يجحدون الكنيسة الجامعة ويبنون لهم قبوراً في مدافن الرب لكي يجمعوا لهم ربحاً من الناس الذين يأتون ويبكون على موتاهم.

وعرفت أن هذا يُفعل من جهة أهل مصر. لأجل هذا جسرتُ وكتبت إلى أبى أثناسيوس الذى يحارب عن الحق حتى لا ينسى هذا الفعل هذا الذى تكلم الرسل عنه: إنهم يحيدون بسمعهم عن الحق ويرجعون إلى خرافاتهم. فلأجل هذا نأمر هكذا - ليس نحن بل الكنيسة الجامعة - أن تُرفض بيعَ أولئك ولا يُتقرَّب فيها.]

بخصوص رفات الشهداء والتثبُّت من صدقها ومن وجودها في البقعة التي تم فيها استشهاده:

قرطاجنة ٨٣ - (الشرع الكنسي) [استحسن المجمع أن المذابح التي نُصبت في الحقول وعلى جوانب الطرق مقاماتٍ للشهداء ولم يكن فيها أجساد أو رفات شهداء، أو لم يكن في الإمكان إثبات وجودها هناك، يجب على الأساقفة أصحاب السلطة في تلك النواحي أن يأمروا بهدمها إذا أمكن القيام بذلك، على أنه إذا استحال هذا الأمر بسبب هياج الجماهير فيجب أن يعظوا الشعب على كل حال بألا يُتردد إلى مثل تلك الأمكنة. ويجب ألا يُسمح بإقامة تذكارات الشهداء إلاّ حيث توجد أجسادهم أو بعض رفاتهم المقدسة أو في الأماكن التي شاع - بموجب تقليد قديم - أنها كانت مسكناً للشهيد أو ملكاً له أو البقعة التي تم فيها

استشهاده . أما المذابح التي نُصبت في أي موضع بسبب أضغاث أحلام أو استعلانات باطلة لبعض القوم فيجب كشف بطلان الروايات بشأنها].

تعليق من الكاتب:

هذا القانون يستبعد ولا يتصور قيام تجارة رفات الشهداء والقديسين واستيراد بعض كنائس المدن لها بقصد التربُّح من وراء عرضها في مقصورات داخل هذه الكنائس وجمع الأموال بسببها. وهو ما شاع للأسف في بعض كنائسنا القبطية الأرثوذكسية.

رفات الشهداء، وطقس وضعها في الكنيسة:

٣٣ - باسيليوس: [لأجل أنه لا يجب أن تدخل أجساد الشهداء إلى الكنيسة الجامعة، بل يبنوا لهم موضعاً في أماكن منفردة (تسمَّى مرتيريون). الكنيسة الجامعة التي اقتناها الله بدمه وحده لا تحتاج إلى كرامة الشهداء. بل الذى يجب أن تكون مواضع الشهداء تكون تحت سلطان الكنيسة الجامعة. إذا جسر أناس غير متأدبين وهم في مواضع الشهداء ويجحدون الكنيسة الجامعة وناموسها ولا يريدون أن يكونوا تحت سلطانها، فإن الكنيسة تفرِّقهم كهراطيق. لأن الشمس لا تحتاج إلى ضوء السراج، هكذا الكنيسة لا تحتاج إلى أجساد الشهداء، فلأجل هذا يجب أن لا تنقص الكنيسة إذا سمِّي واحد اسم شهيد على كنيسته. ما هذا بحكيم بل إن فِعْل هذا تعليم تجارة. يكفي اسم المسيح الذى سُميت به الكنيسة أن يكرمها معهم، لأن عروس المسيح هي الكنيسة التي اشتراها بدمه المقدس، فأما أجساد الشهداء المقدَّسين فيجب أن نقيم قداساتهم في مواضع الشهداء (مرتيريون). ولعل أحداً من محبي الحرن يسأل: أليس السرُّ الواحدَ الذى يصنعونه في الكنيسة الواحدة هو الذى يصنعونه في بيوت الشهداء؟ ولكن أنا أقول: إنه لا يجب أن تكرِّم الكنيسة بسبب الشهداء، بل الشهداء يتمجدون بسبب الكنيسة لأن المجد لها، لأن الروح القدس تكلم لأجل كنسة واحدة جامعة التي أُقيمت بيد آبائنا الرسل القديسين



الفصل الثاني

القداسة والقديسون

معايير إعلان وتقنين القديسين

تاريخ إعلان قداسة القديسين،

وتفنيد الادِّعاءات ضد إعلان القداسة للقديسين:

يُرجع بعض الكُتّاب غير المؤمنين أصل تطويب وتقنين القديسين بواسطة الكنيسة إلى العادة الوثنية القديمة لتأليه الأباطرة وعظماء الدولة الرومانية. ولتفنيد هذا الادِّعاء نقول إن هناك فروقاً أساسية جوهرية بين العمليتين لا يخطئها نظر أي إنسان دقيق التفكير بحيث لا يمكن أن يخلط بينهما أو يدَّعي اقتباس أحدهما من الآخر. فَمِمَّا هو مثبت تاريخياً يمكننا أن نعرف مَنْ هم أولئك الذين رُقُّوا إلى درجة الألوهية، وعلى أي أُسس، وبأي سلطة؛ الأمر الذي يوضح الفرق الشديد بين الوضعين. فكثيراً ما كان مرسوم إعلان ألوهية الإمبراطور من صُنْع شخص مفرد (غالباً تلقَّى رشوة أو أُغوي ببعض الوعود المغرية، لتثبيت بعض الخرافات في أذهان بعض الناس المنساقين وراء تمجيد الإمبراطور). وعادةً يكون هذا الإعلان بينما يكون جثمان "الإله" الجديد يُحرق وقد رُئي نسر (في حالة الأباطرة) أو هدهد (في حالة المحيطين بالإمبراطور) – حسب ادِّعاءاتهم – وهو يحمل روح الميت إلى السماء عالياً[(1)].

وقد كانت درجة الألوهية تُسبغ على معظم أعضاء العائلة الإمبراطورية، وكانت ميزة قاصرة عليهم. ولم يكن بـأمر ذي بـال التأكد أن هؤلاء ذوو فضيلة ما أو إنجازات مرموقة! ولكن كانت عملية التأليه هذه تؤدَّى لأسبابٍ تتصل برغبة الهروب من السخط الشعبي بتشتيت انتباه واهتمام الشعب من قساوة الأباطرة الرومان. فمثلاً تم تأليه "رومولوس" من قِبَل أعضاء مجلس الشيوخ الذين ذبحوه، و"بوبيا" قام بتأليهها عشيقها الإمبراطور نيرون بعد أن ألقاها للموت، و"جيتا" نال هذا الشرف من أخيه "كاراكلا" الإمبراطور المشهور بسفكه للدماء بعد ما تخلَّص من أخيه بسبب الحسد.

---

(1) Livy, Hist. Rome, I,XVI; Herodion, Hist. Rome, IV,II,III.

معنى تقنين القديسين في الكنيسة المسيحية:

أما تقنين القديسين بواسطة الكنيسة، فهو شيء آخر تماماً. فالكنيسة تُعلن قداسة أو تطويب أولئك الذين تميَّزت سيرة حياتهم بممارسة الفضيلة في أعلى صورها، ولكن فقط بعد أن تكون قد تحققت من اشتهار قداستهم بإجراءات لاحقة دقيقة.

إلاَّ أن الفرق الأساسي يكمن في معنى عبارة "تقنين وإعلان قداسة القديس". فالكنيسة ترى في القديسين أنهم لا يخرجون عن كونهم "أحباء" و"خدَّام" لله، الذين كانت سيرة حياتهم سبباً في جعلهم مستحقين لمحبة الله. إنها لا تدَّعي أنها تجعل منهم آلهة[٢].

إن الأساس الحقيقي لعملية تقنين وإعلان قداسة القديسين نجده في تعليم الكنيسة عن تكريم القديسين والتماس صلواتهم وتوسلاتهم عنا (عقيدة شفاعة القديسين). وبينما تُعلِّم الكنيسة بإعطاء الله وحده واجب العبادة بالمعنى المحدَّد للكلمة، فإن تكريم القديسين يكون بسبب انتشار رائحة قداسة حياتهم وسيرتهم، ما يؤهِّلهم للحياة الأبدية وللشركة مع المسيح في ميراث الوطن السمائي باعتبارهم أحباء الله والمسيح وخدامه المخلصين. وهذا ما يُعبَّر عنه باسم "تمجيد الله في قديسيه". فالعبادة latreia هي العبادة القاصرة على تقديمها لله وحده، أما التكريم veneration فهو التكريم والتوقير الممنوحان للقديسين؛ بينما التمجيد الفائق محفوظ للكليَّة القداسة العذراء القديسة مريم بسبب عظمة قدْرها لدى المسيح باعتبارها والدته وأُمه (بالواقع الجسدي، وكذلك بالواقع الروحي: "صنعتْ مشيئة الآب"، و"سمعتْ كلمة الله وعملتْ بها" بحسب شهادة المسيح نفسه – مت ١٢: ٤٩و٥٠، مر ٣: ٣٥، لو ٨: ٢١).

والكنيسة تُشيِّد المذابح داخل الكنائس لله وحده، بالرغم من أنها تُسمَّى بأسماء القديسين والقديسات كنوعٍ من التكريم وتذكير المؤمنين بالتمثُّل بهم: «كونوا مُتمثلين بي (بولس الرسول) كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١: ١). إلاَّ أنه ضماناً لاقتصار العبادة لله وحده دون خلائقه حذَّرنا الكتاب المقدس من عبادة الملائكة (خر ٢٣: ٢٠، يش ٥: ١٣، دا ٨: ١٥؛ ١٠: ٤، لو ٢: ٩، أع ١٢: ٧، رؤ ٥: ١١، مت ١٨: ١٠، وغيرها). فالقديسون هم شركاء الله في قداسته (عب ١٠: ١٠)، ويجب توعية الشعب دائماً بأنَّ الله هو مَلِك القديسين وإلههم وواهب كل النِّعَم والمواهب لهم؛ وأيُّ نعمة توهَب لنا أو معجزة تتم لنا، فهي من عمل الله وحده، حتى إن كان ذلك بعد التشفع

---

(٢) راجع:
Eusebius Emesenus, Serm. de S. Rom. M.; Augustine, De Civitate Dei, XXII,X; Cyril Alexandr., Contra Jul., Lib. VI; De Exhortat. Martyr.

بالقديسين. فالتمجيد يكون لله وحده.

وإن كان القديس بولس الرسول حثّ الإخوة (في رومية ٥: ٣٠، وفي كورنثوس الثانية ١: ١١، وفي كولوسي ٤: ٣، وفي أفسس ٦: ١٨و١٩) أن يُعينوه بصلواتهم لله من أجله، فلابد أن يكون في الإمكان أن نُعان نحن أيضاً بصلوات القديسين الذين كملوا وانتقلوا، فنسأل صلواتهم وتوسلاتهم بكل اتضاع. لأنه إن كنَّا نسأل صلوات الذين ما زالوا يُجاهدون على الأرض، فكم بالأحرى تكون صلوات الذين انتقلوا إلى السماء وهم في حال النعمة والقداسة؟

مكان شفاعة القديسين بالنسبة للشفاعة الكفَّارية للمسيح:

وقد يُعترض بأن سؤال صلوات وتوسُّلات القديسين تتعارض مع الوساطة الوحيدة الفريدة للرب يسوع المسيح. ولا جدال في أنه «لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح» (١يو ٢: ١)، «ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١تي ٢: ٥). وباعتباره رأس الجسد الكنيسة، فالتوسُّل والصلاة من أجل بعضنا البعض (يع ٥: ١٦)، باعتبارنا أعضاء بعضنا للبعض (أف ٤: ٢٥)، هو مِن نَضْح وفيض محبة المسيح الرأس وشفاعته الكفَّارية الفريدة من أجلنا، وإليه تُوجَّه سؤالات وتوسُّلات القديسين وشفاعات القديسة الطاهرة العذراء مريم. وشهادات الأسفار المقدسة وصلوات الكنيسة في القداس والتسبحة اليومية عديدة جداً وهي تشهد بذلك. ومن أشهر هذه الشهادات تلك الرسالة الدورية التي أرسلها شعب كنيسة سميرنا (سنة ١٥٥م) إلى الكنائس الشقيقة عن الآلام التي قاساها أسقفهم بوليكاربوس، ثم شهادته الرائعة أمام الوالي الوثني، ثم استشهاده. وهاهي الكلمات التي تُعبِّر عن الغرض الأوَّلي من الاحتفال بذكرى القديس والاحتفاظ برفاته:

[وأخيراً جمعنا عظامه (عظام القديس بوليكاربوس)، التي هي عندنا أثمن من الجواهر التي لا تُقدَّر بثمن وأنقى من الذهب، ووضعناها بسلام حيث يليق بها أن توضع. وإن يسَّر الله لنا أن نجتمع ثانية، فليُنعم علينا الله أن نحتفل بيوم ميلاده، أي استشهاده، بابتهاج. وبهذا نستذكر ذِكرى الذين حاربوا المعركة المجيدة، ولكي نُعلِّم ونقوِّي بهذا النموذج الذين سيأتون من بعدنا.

إن هذا الاحتفال السنوي وتكريم الشهداء كان بمثابة خدمة للشكر والتهنئة، وتذكاراً وشهادة لفرح الذين اشتركوا في هذا الاحتفال.][3]

---

(3) Muratori, de Parakiso, X.

لماذا تقنين القديسين؟

ولابد أن يكون واضحاً أنه بينما يكون اليقين الخاص من قِبَل أخصائهم بقداسة هؤلاء واقتنائهم المجد السماوي قد يكفي كتكريمٍ خاص للقديسين؛ إلاَّ أنه لا يمكن أن يكفي ذلك للتكريم العام. وكما لا يمكن لأي عضو في هيئة اجتماعية أن يُمارس أي نوع من التكريم لأحد أعضائها بطريقة مستقلة عن السلطة؛ هكذا أيضاً فإنَّ من الطبيعي أن يكون التكريم العام للقديسين بناءً على تصديق واعتراف مدبِّري الكنيسة ورعاتها. والكنيسة، وهي تحمل في قلبها تكريم الشهداء، لم تكن تسبغ التكريم الليتورجي (أي ذكرهم في القداس الإلهي) بدون تمييز. ويكتب القديس أوبتاتوس (في نهاية القرن الرابع) ويسرد قصة سيدة شريفة اسمها لوكيلا، استنكر عليها كايسيليانوس رئيس شمامسة قرطاجنة تقبيلها قبل تناولها من الأسرار المقدسة رفات أحد الأشخاص الذي لم يكن شهيداً أو لم يَنَل هذا اللقب ولم يُعتَرَف به كشهيد.

وتقرير أن شخصاً ما هو شهيد، وقد مات من أجل إيمانه، وبالتالي السماح بعد ذلك بتكريمه كشهيد؛ أمرٌ يختص بأسقف الإيبارشية التي شهد فيها هذا الإنسان بإيمانه. وبعد أن يتأكد الأسقف من دافع موته وإيقانه بأنه مات شهيد إيمانه، فإنه يُرسل اسمه مع سيرة استشهاده للكنائس الأخرى، وعلى الأخص القريبة والمجاورة لكنيسته، حتى إذا ما نال موافقات أساقفتها، يمتدُّ تكريم هذا الشهيد إلى كنائسهم أيضاً؛ ثم يبدأ المؤمنون في "أن يكونوا في شركة مع شهيد المسيح المكرَّم هذا."(٤)

والشهداء الذين روجعت سيرهم وتثبتت من اشتهار استشهادهم، أصبحوا معروفين ومثبَّتين كشهداء. ولكن ذلك لم يكن يحدث قبل القرن الرابع حينما بُدئ في هذه الإجراءات في كنيسة قرطاجنة، ولكن من المؤكَّد أنه كان ممارَساً قبل ذلك، ولكن بطريقة غير دائمة. وفي الأجيال الأولى للمسيحية، كان تكريم القديسين يُمارَس في نطاق كنيسة الشهيد ثم بُدئ بتوسيع دائرة التكريم من كنيسة إلى أخرى باعتماد أساقفتها. وهذا يظهر من أنه لم تكن هناك طقوس للشهداء إلاَّ الذين استشهدوا في الكنائس المجاورة.

أما تكريم المعترفين الذين ماتوا ميتة طبيعية دون استشهاد، ولكن بعد حياة مليئة بالفضيلة في أسمى صورها، فلم يكن معروفاً مثل تكريم الشهداء. وكلمة "معترف" كان لها معنى مختلف بعد الأجيال المبكرة. ففي البداية كانت تُطلق على الذين يعترفون بإيمانهم بالمسيح حينما

---

(٤) سيرة استشهاد إغناطيوس: ١٩.

يُفحصون أمام أعداء الإيمان وكانوا يُعذَّبون بأشنع أنواع التعذيب والعقاب، ولكن لم يستشهدوا. ومن أمثلتهم القديس بفنوتيوس أسقف طيبة الذي فقد عينه أثناء تعذيبه وقد حضر مجمع نيقية المسكوني الأول (عام ٣٢٥م). وقال عنه الإمبراطور قسطنطين، الذي حضر المجمع، إنه يُقبِّل هذه العين التي فُقِئت من أجل الإيمان. وكذلك كان من بينهم أيضاً القديس أفرآم[٥]؛ ومن الغرب: القديس مارتن أسقف تورز، والقديس هيلاريون أسقف بواتييه[٦]، وغيرهم.

والسبب في تكريم هؤلاء المعترفين يكمن بلا شك في مشابهة المعترفين في إنكار ذواتهم وحياتهم الممتلئة بالفضيلة العالية مع آلام وتعاذيب الشهداء؛ ومثل هذه الحياة يمكن أن يُطلق عليها اسم: "الاستشهاد البطيء أو طويل الأمد". ويُطلَق هذا اللقب التكريمي على النُّسَّاك ومَنْ يشبههم في حياة التوبة. والقديس غريغوريوس اللاهوتي يُطلق على القديس باسيليوس لقب "شهيد" (في العظة الرثائية عليه)، ويُطلقها أيضاً القديس يوحنا ذهبي الفم على أوسطاثيوس بطريرك أنطاكية رئيسه حينما كان ذهبي الفم كاهناً تحت رئاسته. والقديس نولا يكتب عن القديس فيلكس أنه نال كرامات سماوية وصار "شهيداً بلا سفك دم"[٧]. ثم أُضيفت أسماء هؤلاء المعترفين في لوحات "الديبتيخا Diptychs"، وقُدِّم لهم التكريم اللائق. وكُرِّمت أيضاً قبورهم بنفس الاسم الذي يُطلق على قبور الشهداء "مارتيريا" ولكن في كل الأجيال لم يكن قانونياً تكريم هؤلاء المعترفين بدون إذن السلطات الكنسية كما في تكريم الشهداء.

وقد رأينا أنه على مدى قرون عدة، كان الأساقفة (وفي بعض المواضع كان رؤساء الأساقفة والبطاركة فقط) هم الذين يمنحون للشهداء والمعترفين الكرامة الكنسية العامة؛ ولكن مثل هذه الكرامة كانت تتقرر فقط للمنطقة المحلية التي تقع في دائرة سلطان مانح الكرامة.

---

(5) Greg. Nyss., Orat. in Laud. S. Ephrem.

(6) Sozomen, III, XIV, and VIII,XIX.

(7) Poem., XIV, Carm. III,V,4.

معايير تقنين القديسين

الآيات والمعجزات والقوات والعجائب، ومركزها في تقنين القديسين

لقد وعد الرب بها المؤمنين أنها تتبعهم (وليس تتقدمهم): «مَنْ آمن واعتمد خَلَصَ، ومَنْ لم يؤمن يُدَنْ. وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يُخرجون الشياطين باسمي، ويتكلّمون بألسنة جديدة. يحملون حيَّات، وإنْ شربوا شيئاً مُميتاً لا يضرُّهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.» (مر ١٦: ١٦–١٨)

ومركز هذه الآيات بالنسبة للمؤمنين القديسين أنها "تتبعهم"، أي أن إيمانهم وحياة البر والمحبة التي يحيونها هي التي تُعطي المصداقية والدليل على أنَ هذه الآيات هي من الله ("بإصبع الله" أي الروح القدس – مت ١٢: ٢٨، لو ١١: ٢٠) ولمجد الله، وليس العكس أي أنها ليست هي سبب أو برهان قداستهم، وفي هذا الاختلاف يضل الكثيرون. وقد رأينا في سفر أعمال الرسل الأطهار مَنْ أراد أن يعمل الآيات والمعجزات لمجد نفسه أو لربح شخصي لنفسه (سيمون الساحر – أع ٨: ٩–٢٤؛ عليم الساحر، باريشوع – أع ١٣: ٦–٨). كما حذَّر المسيح من أن صُنع المعجزات والآيات لن يكون ضماناً للخلاص في يوم الدينونة العظيم، فقد يصنعها أيضاً الضدّ للمسيح والأنبياء الكذبة (مت ٧: ٢٢؛ ٢٤: ٢٤، ٢تس ٢: ٩، رؤ ١٣: ١٣؛ ١٦: ١٤؛ ١٩: ٢٠). كما حدد القانون الرسولي بوضوح هذا المعيار:

[ليس كل مَنْ تنبأ هو خادم لله. وليس كل مَنْ يُخرج شياطين هو قديس][8].

كما أنه يجب التأكيد دائماً أن صانع المعجزة هو الله وليس القديس بأي حال.

والمعجزة الإلهية التي هي من الله حقًّا ولمجد الله فقط (ولا تهدد خلاص صانعها) هي تلك التي تتوافق مع استعلان الإنجيل، والتي تعمِّق المعرفة عن الله وتدابيره الأزلية لخلاص البشر، والتي تُظهر محبة الله ورحمته على خليقته التي صنعتها يداه، ثم تعود بالمجد على الله أولاً وآخراً، وليست هي التي تحوي أموراً غريبة لا تتصل بحياة الإنسان وخلاصه الأبدي.

لكن المعجزات والآيات إذا وُجدت في سيرة مَنْ هو قديس حقًّا، فهي تكون تزكية إضافية ومرشداً لحياة الإيمان وسيرة التقوى العطرة وبذل المحبة في حياة هذا القديس، وتُظهر مجد الله

---

(٨) القانون ٥٠ من القوانين الرسولية الـ ٧١ (مخطوطة التوموكانون)، وفي اليونانية ٨١.

في قديسيه أو تكشف قداسة هذا القديس إذا كان متخفياً أو مختفياً (إذا أراد الله إظهار قداسته). ولكن قديسين وقديسات كثيرين عاشوا حياتهم على الأرض ولم تُنسب إليهم معجزات أو آيات، وانتفعوا من هذا لأنهم نجوا من تجربة الكبرياء والمجد الباطل التي يُحارَب بها عادة مجترحو الآيات والمعجزات.

الرؤى والإعلانات، ومركزها في تقنين القديسين

والرؤى في المسيحية كما في العهد القديم استعلان إلهي لأحد الأشخاص وهو في حالة خارجة عن الوعي ek-stasis. وفي العهد القديم كانت الرؤى محصورة في الأنبياء والرائين، وكانت استعلانات للمعرفة الفائقة عن أمور مستقبلية تُعلَن لهؤلاء الأنبياء والرائين الذين كانوا في علاقة وشركة وثيقة مع الله باعتبارهم رجال الله القديسين (مثل إرميا ١:١١، دانيال ٢:١٩، بطرس الرسول أع ٩:١٠، بولس الرسول أع ١٦:٩). أما أعظم رؤيا فهي رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي وهي الرؤيا الوحيدة التي دخلت ضمن الأسفار القانونية. وعادة لا تُقرِّر عقيدة أو تعليم أرثوذكسي بناءً على رؤى واستعلانات؛ بل الكتاب المقدس، وعقيدة الآباء والتقليد الكنسي، هما وحدهما مصدر تقرير وشرح العقيدة والتعليم.

والقديس بولس بالرغم من اختباره لرؤى كثيرة إلا أنه نادراً ما كان يشير إليها أو يعتمد عليها في تعليمه، لذلك فمن الصعب التكهن بموضوعها أو تحديد دورها في حياته الشخصية، إلا الرؤيا الساطعة لشخص الرب يسوع المسيح (أع ٩:١-٨) التي كانت الفيصل في تجديده وتحوُّله إلى الإيمان بالمسيح (غل ١:١١-١٢و١٦). وهذه الرؤيا كان لها شهود بسماع الصوت الإلهي، لذلك ذُكرت وتكرر ذكرها في سفر الأعمال. لكن القديس بولس رفض أن تكون الرؤى عموماً مقياساً لسلطانه الرسولي (٢كو ١٢:١٢). وبالرغم من أن سفر الأعمال حافل بالرؤى التي تسند مبدأ الكرازة بالإنجيل للأمم من غير اليهود (موضوع الخلاف الشديد في الكنيسة الأولى)، إلا أن القديس بولس كان يدافع عن الكرازة للأمم بأسانيد كتابية ولاهوتية (٢كو ٣:٢و٣؛ ١٢:١٢، رو ١٥:١٨-٢٠). لذلك كانت الرؤى لا تمثل عنده إلا دوراً ثانوياً. ومما يثبت صدق القديس بولس في رؤياه عن السماء الثالثة أنه قال إنه لم يستطع أن يُعبِّر عن سمو وتعالي الحقائق السماوية التي رآها بتعبيرات بشرية عاجزة فاكتفى بالقول إنه: «سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها» (٢كو ١٢:٤). فالرؤيا الكاملة الحقيقية للعالم السماوي هي التي لا يمكن شرحها ووصفها بالألفاظ البشرية!

وقد نهج الآباء القديسون هذا النهج، فبالرغم من الرؤى والإعلانات التي استُعلنت لبعضهم

إلا أنهم نادراً ما تكلَّموا عنها إلا لتلاميذهم الخصوصيين، أو كان تلاميذهم يرون وجههم يلمع بنور أسطع من الشمس، أو يبصرون نوراً بهياً خارجاً من تحت باب قلاياتهم... الخ. أما هم فلم يكونوا يتكلَّمون عنها أو يتباهون بها، حتى لا يكون في هذه الرؤيا أو تلك أي تمجيد لأشخاصهم مما يحجب مجد الله.

أما "الشوكة في الجسد" التي أُصيب بها القديس بولس لكيلا يرتفع أو ينتفخ من فرط الرؤى والإعلانات، فقد اختبرها الآباء القديسون الذين كانوا يجترحون الآيات والمعجزات أو يبصرون رؤى إلهية حقيقية، وكانت متمثِّلة في اتضاعهم الشديد جداً بسبب التجارب المريرة التي كانوا يعانونها، والتي كانت تقتل عندهم أي فخر أو افتخار بهذه المواهب، وكان يُزكِّيها ويثبت صدقها محبتهم الفائقة للآخرين، وللخطاة والضعفاء على وجه الخصوص.

ويبقى الإيمان والمحبة والانكسار والاتضاع والمغفرة للآخرين وعدم دينونتهم هي علامات القديس وآية القداسة في القديسين أكثر من أي أعمال باهرة أو رؤى ساطعة في حياتهم.

ويخرج من مجال الرؤى والإعلانات الصحيحة "معرفة الغيب"، أي التنبُّؤ بأمور وأحداث شخصية، مخفية أو مستقبلية، لا علاقة لها بتاريخ وتدبير خلاص العالم أو تدبير الله لكنيسته. وقد حذَّر القديسون أن كثيراً من حالات "معرفة الغيب" هي من صُنع الأرواح الشريرة (راجع كتاب: "بستان الرهبان"، الجزء الثاني، ص ١١٢و١١٣، طبعة سنة ١٩٥٢).

"الجهالة"، و"البساطة" من أجل المسيح، ومركزها في تقنين القديسين وهل من يُظهِر أعمال الجنون يُعتبَر قديساً؟

يقول القديس بولس الرسول: «نحن جُهَّال من أجل المسيح» (١كو ٤: ١٠)، «البساطة التي في المسيح» (٢كو ١١: ٣). "الجهال من أجل المسيح" فئة من القديسين ذوي السيرة الخفية العطرة. و"الجهالة من أجل المسيح" لا تحمل أي معنى يتصل بتصنُّع الإنسان الخروج في تصرفاته عن دائرة الاتزان واللياقة العقلية والنفسية السليمة، ولا ادِّعاء الجنون ولا إتيان الأعمال غير المهذبة أو غير الموافقة للآداب والأخلاق العامة. وقد لقَّب القديس بولس الرسول نفسه بهذا الاسم لا عن حقيقة بل كتعبير توبيخي لأهل كورنثوس الذين ظنوا في أنفسهم أنهم "حكماء" أكثر من القديس بولس فاتهموه بـ "الجهل والغباء والحماقة" في مقارنة مع "أبولس" تلميذه الذي اعتبروه حكيماً ومتعلِّماً وعالماً. وقد قَبِلَ القديس بولس هذا الاتهام "من أجل المسيح"، لكنه وبَّخ القائلين به وعلَّمهم ما هي الحكمة الحقيقية وما هي الجهالة الحقيقية (راجع:

الرسالة الأولى لأهل كورنثوس – الإصحاحات من ١-٤).

والآن لنفحص بعض سير القديسين والقديسات التي يروج البعض عنهم أنهم كانوا يتصنّعون الجنون.

فقد ورد في سيرة القديس أنبا دانيال قمص شيهيت في القرن السادس عن اثنين سلكا هذا المسلك:

☩ مرقس شحاذ الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية.

* والراهبة القديسة التي كانت رفيقاتها الراهبات في الدير يستهزئن بها ويدعونها "الهبيلة" (وهي ليست كذلك)، حتى الأم الروحية للدير كانت "تشتمها وتهينها وتعيِّرها" وكادت أن تطردها من الدير (غالباً بناءً عن وشايات الأخوات الراهبات المستهزئات بأختهن المسكينة وهذا يبين المفارقة الشديدة بين قامة هذه الراهبة وبين تدنِّي مستوى سيرة هؤلاء الراهبات)، حتى ساق روح الرب الذي في القديس أنبا دانيال (الذي قيل عنه إنه كان قديساً حكيماً ذا إفراز روحي وبصيرة داخلية حادة) أن يتوجه لهذا الدير الذي كان أباً روحياً له ليكشف خفايا سيرة حياة هذه الراهبة التي لم تكن تدَّعي الجنون (كما صوَّر ذلك للأسف فيلم فيديو عنها حديثاً – وهذا التصوير المخالف للحقيقة امتهان لأصالة قداسة هذه القديسة)، بل كما تقول السيرة أنهُنَّ هنَّ اللواتي "كُنَّ يقُلن عنها أنها "هبيلة" و"مجنونة""[٩]، وغالباً كان ذلك عن غيرة منهن لها لأنها فاقتهن في محبتها وطاعتها واحتمالها واتضاعها وخدمتها لهن جميعاً.

وفي عتمة الليل وقفت تصلي كالمعتاد – بعد أن اطمأنت أن جميع الراهبات "نيام"! – وكانت صلاة بالروح وفي أعلى درجات الاتصال بـالله، واستطاع الأب القديس دانيال ببصيرته الروحية النفَّاذة أن يرصدها خفية، فأيقظ راهبات الدير وأمهُنَّ وجعلهن يُبصرن هذه التي يدعونها "الهبيلة" وحالها الحقيقي بالنسبة لحالهن المزري. ولما انكشف أمرها لهن هربت من الدير، لئلا تنال التكريم بدل الإهانة!

☩ ويسرد القديس بالاديوس – مؤرِّخ الآباء النساك – قصة مشابهة نقلاً عن القديس باسيليوس (الأسقف – كما يسميه) عن عذراء في دير في طبانسين يضم ٤٠٠ راهبة، عاشت منبوذة من أخواتها بدعوى أنها مجنونة وممسوسة، وكانت تقوم بخدمتهن غير تاركة المطبخ،

---

(٩) كما في السيرة الدقيقة عنها التي كتبها تلميذ القديس أنبا دانيال الذي كان يرافقه في افتقاده لهذا الدير– "بستان الرهبان" المطبوع سنة ١٩٥٣، الجزء الثالث، صفحة ١٢٤-١٢٦.

وتؤدّي الأعمال اليدوية الحقيرة لهن، ولم تكن تأكل معهن على المائدة، بل تأكل من فتات وبقايا الأخوات وتغسل أطباقهن، وكانت تلف رأسها بخرقة بالية علامة على استعدادها لخدمة كل واحدة منهن، بينما هُنَّ كُنَّ يصففن شعورهن ويلبسن عليها القلنسوة، ولم يسمعنها تدين أحداً ولا تَنِمّ على أحد، ومع ذلك كُنَّ يضربنها ويهينَّها بكل الإهانات. وقد كشف أمرها الأب "بيوتيريوس" (بطرس) الذي ظهر له ملاك يوبِّخه على ظنه أنه "قديس"، وأشار عليه بالذهاب إلى هذه القديسة التي كانت كما وصفها الملاك له: **"إنها أفضل منك، وهي تجاهد الليل والنهار، وقلبها لا يبتعد قط عن الله"**. ولما ذهب الأب بيوتيريوس إلى هذا الدير، سأل عنها الراهبات، فقالوا له عنها: "تقصد المجنونة؟" فرد عليهن: "بل أنتن جميعاً المجنونات لأنها أمّا[١٠] لَكُنَّ ولي أنا أيضاً". ولما انكشف أمرها، غادرت الدير خفية ولم يعلم أحد عنها شيئاً[١١].

إن هذه الفئة من القديسين والقديسات لم يكونوا يتصنَّعون أي نوع من الجنون أو الأعمال غير المألوفة، بل كانت سيرة قداستهم مخفية عن أعين مَنْ حولهم مِمَّن لا بصيرة باطنية لهم فكانوا ينعتونهم بالجنون. وحالما كان أمر هؤلاء القديسين والقديسات ينكشف، كانوا إما يهربون، أو يموتون فجأة، لئلا يضيع عليهم أجر احتمالهم الإهانة والتعيير الظالم. وهذا اختبار عال، وإكليله ممتاز، ولا يُدعى إليه إلا المختارون، كما أنه يكثر في عصور الفتور والانحلال الروحي وسط المؤمنين والرهبان والراهبات وفساد الأنظمة الحاكمة في الكنيسة.

ولكن قد تختلط الرؤية على الأكثرين حينما يظنون أن مَنْ يأتي الأعمال غير اللائقة أو الغريبة أو كما يقولون، "يتصنَّع الجنون"، هو قديس. ويظن بعض المُعجبين بإحدى الشخصيات من هذا النوع أنه يأتي هذه الأعمال غير اللائقة ليخُفي قداسته، إذ لا يستطيعون أن يفسروا التضاد بين ظنهم عنه أنه قديس وبين عدم لياقة تصرفاته مع الآداب العامة ومعايير السلوك المتزن. ولكن هذا الادعاء لا يبرهن إطلاقاً على أنه قديس، لأن القديس حقاً لا يظن في نفسه أنه قديس حتى لو أتى المعجزات لأنه يعطي المجد لله وينسب قوتها للروح القدس. لكن من يظن في نفسه أنه قديس فيحاول إخفاء قداسته ليس بقديس! ولكن برهان قداسة قديس هو مقياس سيرة حياته على معايير وقوانين الحياة الروحية والجهاد النسكي الآبائي والسلوك اللائق بالقديسين. وهذا يحتاج إلى آباء روحانيين على أعلى مستوى من البصيرة الروحية والرؤية الباطنية للنفوس، ليُقرروا ذلك، وليس أي شخص عادي أو حتى إذا كان من الإكليروس، لأن

---

(١٠) هكذا كانت تُلقّب الأم الروحية.

(11) Vita Patrum, V,18.19; PL 984A-5B.

موهبة الإفراز والتمييز لا تُعطَى للجميع.

وأخيراً، تسجيل وكتابة سيرة القديسين:

لا يوجد ما يُسمَّى "سجل القديسين"، بمعنى وجود تسجيل رسمي لكل القديسين والقديسات الذين توقِّرهم الكنيسة. فنحن ما زلنا نعثر على أسماء مئات القديسين في المخطوطات القديمة والتقاويم الكنسية العديدة، قديمها وحديثها، مثل: "السنكسار" و"أخبار القديسين" ما لا يمكن عدُّه.

ومن بين مئات ومئات القديسين هناك مَنْ عُرفت طريقة نياحته (استشهاد أو موت عادي)، ومَنْ عُرفت طريقة انتقاله، شهداء وأساقفة ومؤمنين من كل فئات الحياة اليومية. ولكن آلافاً من الشهداء والنساك والرهبان وأتقياء الله مَنْ هم قديسون بالحقيقة، ولكن ما زالت غير معروفة أسماؤهم ولا طريقة حياتهم وموتهم. ومن بين هؤلاء مثلاً شهداء إسنا الذين كان يربو عددهم على الآلاف أثناء ولاية الوالي أريانوس في القرن الثالث، وكذلك آلاف الرهبان والراهبات القديسين والقديسات الذين ملأوا البراري والجبال وسكنوا شقوق الأرض من الإسكندرية شمالاً إلى أسوان والنوبة جنوباً، فهؤلاء لم تُذكر أسماؤهم بل وارت رمال الصحراء أجسادهم الطاهرة. وما زالت تُكتشف رُفات بعضهم بين الحين والآخر، وما زالت سيرهم مجهولة ورُفات الأكثرين غيرهم مدفونة إلى يوم القيامة.

وتتنوع طريقة كتابة سِيَر القديسين والقديسات. فبعضها كان يأخذ شكل السيرة الذاتية التي يكتبها تلميذ القديس أو معاصره، وبعضها يأخذ شكل الخبر الذي يستقيه كاتبه (معاصراً كان أم لاحقاً لفترة حياة القديس) من مصادر أخرى، وبعضها نعثر عليه ضمن عظات أو رسائل بعض آباء الكنيسة أُلقيت أو كُتبت في مديح القديس أو القديسة إثر نياحته (أو نياحتها) أو إثر استشهاده (أو استشهادها)، وتسمَّى panegyrics مثل بعض عظات ورسائل القديس يوحنا ذهبي الفم والقديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس باسيليوس وغيرهم، أو قد نجدها في سجلات المؤرخين الكنسيين مثل "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصري.

ويحيط بالبحث في سير القديسين الأوائل صعوبات جمة. فما يواجهه المؤرخون وكُتَّاب السير هو: قلة السجلات التي تحدد تواريخ ميلاد وتفاصيل ونياحة القديس، وعدم معقولية بعضها، وعدم التأكُّد من يقينية بعض الأحداث بمقارنتها بالتواريخ السياسية، وملاحظة وجود بعض التشويهات والتعديلات وأخطاء النساخة إذا قورنت المخطوطات بعضها بالبعض، وغير ذلك.

ولكن ليس معنى ذلك أن يتمادى بعض نُقَّاد السِيَر الحديثين في الغرب في نقدهم لسير القديسين الأوائل، متناسين أن ما يتوفر لدينا الآن من إمكانيات حديثة ومراجع وثيقة دقيقة لتفاصيل حياة الناس لم يكن مُتاحاً في الأزمنة القديمة، مما يجعل بعض هؤلاء النُقَّاد يُكذِّبون كثيراً مما ورد في سير القديسين بحسب معايير الكتابة والتأليف في العصر الحديث.

ويُضاف إلى هذا أن ما كان يُميِّز كُتَّاب السير في العصور الوسطى هو كثرة ذكر المعجزات الخارقة، وقد يكون فيها بعض المبالغة، والتي لا يمكن للمسيحي العادي أن ينتفع منها إلا بالاندهاش والتعجُّب، ثم التحسُّر على أن مثل هذه المعجزات لا تحدث معه الآن كما حدثت مع السابقين؛ أكثر من وصف روعة الحياة المسيحية اليومية التي عاشها القديس وسط العالم القديم المضطرب المحفوف بالغوايات والاضطهادات والعنف (ربما لقلة المعلومات عن الحياة الشخصية للقديس أو لضعف المعايير الروحية لدى كُتَّاب السير في هذه العصور المظلمة). فكان من الصعب عليهم تتبُّع نماذج الفضيلة وطرق الجهاد الروحي والمجابهة مع قوات الشر سواء داخل نفس القديس أو مع الأعداء الخارجيين، الأمر الذي نجده يُميِّز كُتَّاب السير في العصور الأولى من عصر الرسل وسير الشهداء الأوائل ثم سير الآباء النساك الأوائل، إذ نجد في هذه السير مناهج واضحة للحياة المسيحية يمكن للمسيحي التقي في عالمنا اليوم (القرن ٢١) أن يدرسها ويقتدي بها ويقتفي آثارها.

لذلك، فلابد من دراسة الوثائق القديمة التي تحمل سير حياة القديسين وتحليلها بدقة واستخلاص ما هو نافع لحياة المؤمنين اليوم بطريقة موضوعية تتناسق مع تعليم الإنجيل واختبارات الآباء القديسين. على أن ينتقل الكاتب إلى تحليل وشرح نمط ومنهج حياة القديس وتفكيره وملخص تعاليمه بطريقة تفيد القارئ العادي وتفتح أمامه الطريق للتمثُّل بالقديسين، طبقاً لكلمات بولس الرسول: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح.» (١كو ١:١١)

كتابة سير القديسين المعاصرين:

أما كتابة سير القديسين المعاصرين فيجب أن يكون القائم بها على وعي وعلم بمبادئ وأصول الحياة المسيحية المؤسَّسة على الإنجيل – كلمة الله المقدسة – وعلى الخبرات الروحية للقديسين الذين شقوا طريق الحياة مع الله وساروا فيه واجتازوا صعابها وعرفوا أسرارها ورصدوا محاذيرها وضلالات الشيطان التي يحاول أن يضل بها السائرين فيها، حتى يمكنه أن يسرد سيرة القديس حقاً (وليس من يظنه هو أنه قديس كما حدث في بعض السير عن رهبان وراهبات (مطبوعة أو مصوَّرة بالفيديو) والتي انتشرت أخيراً وهي تحوي نماذج أبعد ما يكون عن معايير القداسة الحقيقية بل هي معثرة ومهانة للرهبنة ولتقاليدنا القبطية)، نقول بل يسرد سيرة من هو

قديس حقاً بما يتفق مع معايير القداسة القانونية كما اختبرتها الكنيسة وعاشتها هذه العشرين قرناً الفائتة وبمشورة الآباء والمعلمين الثقاة، وذلك حتى يتمجد الله في قديسيه وتستنير حياة المؤمنين وتثري وتغتني بخبرات القديسين من جيل إلى جيل وحتى إلى دهر الدهور.

الآيات ليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين:

من الكتاب الرابع بيد إقليمس [وهو من الفصل الثامن والأربعين من قوانين الرسل ٧١]

[لأجل عطايا مواهب الروح: "وآيات تابعة للمؤمنين بإسمي يخرجون الشياطين، يتكلمون بألسنة جديدة، ويحملون الحيات بيدين، ويشربون سُمًّا فلا يضرُّهم، يضعون اليد على المرضى وحسب نصيبهم". أما هذه الآيات فمعطاة لنا نحن الرسل ونحن مزمعون أن نخبر بالبُشرى كل الخليقة على كل الذين يؤمنون... وليست هي نافعة للفاعلين بل لغير المؤمنين، توضع لكي يقتنع بهذا الكلام الذين تُعمل لهم الآيات بقوة. لأن الآيات ليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين يهوداً ويونانيين. لأن إخراج الشياطين ليس هو ربحاً لنا بل للذين يُطهَّرون بفعل المسيح. كما يظهر المسيح لنا مؤدباً قائلاً: "لا تفرحوا أن الأرواح تطيعكم، بل افرحوا أن أسماءكم تُكتب في السماوات" لأجل أن قوته هي تظهر لدينا بحسن نية وحرص أننا مُعانون منه. فليس من اضطرار على كل مؤمن أن يُخرج الشياطين أو يتكلم بألسن. لأن ليس كل غير المؤمنين يوبَّخون من العجائب. وعن هذا يشهد الله كما قال في الناموس: "إني أكلم هذا الشعب بألسنة أخرى وبألوف آيات، ولا يؤمنون". فلم يؤمن المصريون بموسى صانع آيات وعجائب الله، ولا آمن اليهود بالمسيح الذي تنبأ موسى وأبرأ كل مرض وكل ضعف فيهم...] – المقدمة

من هو القديس:

[لأنه ليس من تنبأ بارٌّ هو، ولا كل مُخرج للشياطين قديس. فإن بلعام بن فاعور العراف تنبأ وهو غير مؤمن، وقيافا تنبأ وهو الكاذب الاسم رئيس كهنة كبيراً. وواضح أن الكفرة إذ يتنبأون، لا يكشفون النبوة وذلك لأجل كُفر ذواتهم، ولا الشياطين هم يخرجون من هؤلاء لأنهم يخضعون بعضهم بالبعض ويضحكون ويوارون في هذا، ويُهلكون الذين يتعلقون بهم] – المقدمة



الباب السادس

التدبير الكنسي

الفصل الأول

الكرازة المرقسية

الكرازة المرقسية هي نطاق الأقاليم والمناطق التي كرز فيها القديس الرسول والإنجيلي والشهيد بالمسيحية لأول مرة بعد صعود المسيح، وأيضاً تلك التي امتدت فيها الكرازة بعد استشهاد الرسول بمجهودات شعب[1] وإكليروس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي استجدت وامتدت منذ عهد البابا ياراكلاس (سنة ٢٣٢م) وحتى عصرنا الحالي.

وتُقسَّم أقاليم ومناطق الكرازة المرقسية إلى وحدات رعوية كبرى تسمى كلٌّ منها "الإيبارشية":

❖ وقد أُخذت هذه الكلمة "الإيبارشية" تجاوزاً من الكلمة اليونانية "Ἐπαρχία Eparcheia" والتي كانت تُطلق على الإقليم أو المقاطعة في الإمبراطورية الرومانية قديماً. وكانت المقاطعة مقسمة إلى مدن (Polis) يرعاها الأساقفة كلاً في مدينته، ويتقدمهم **أسقف العاصمة الكبرى للإقليم** والذي يُلقب "**أسقف المدينة العظمى**" الذي سُمي في بعض المراحل التاريخية «**المتروبوليت**» أي أسقف المدينة الأم، وبعد ذلك سُمِّي «**البطريرك**» أي رئيس الآباء أو المتقدم بين الآباء. وكمَثَل لذلك: **إيبارشية** إقليم (أو مقاطعة) مصر وليبيا والمدن الخمس الغربية وما يتبعها من مدن وعاصمتها **الإسكندرية**، **وإيبارشية** إقليم بلاد المشرق وعاصمتها **أنطاكية** وما يتبعها، وإيبارشية إقليم قيصرية فلسطين وعاصمتها **أورشليم** وما يتبعها.

❖ وقد حدد القانون ٦ من قوانين مجمع نيقية المسكوني حدود كلٍّ من هذه الأقاليم واسم المدينة التي يتقدم أسقفها باقي أساقفة الإقليم.

ولكن بعد تفكك الإمبراطورية وانفصال إقليم مصر وحده، أصبح يمكن استخدام كلمة "إيبارشية" على المدن والأقاليم الداخلية في مصر، بينما أُطلق على مجموع إيبارشيات مصر وما يتبعها اسم "**الكرازة المرقسية**".

❖ ويُطلق أيضاً على نفس المعنى كلمة Παροικία (وبالإنجليزية Parish) وهي تعني

---

(١) راجع مجهودات شعب الله في مصر والكنائس الأخرى في الكرازة باسم المسيح في *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، صفحات من ٥٢ – ٥٩.

جماعة المسيحيين في الوحدة الجغرافية التي يرعاهم فيها أسقف. وقد سميت إيبارشية مدينة الإسكندرية في الأيام المبكرة من تاريخ الكنيسة بهذا الاسم[(٢)]. ولكن يمكن استخدامها الآن على مجموع المؤمنين الذين يرعاهم كاهن في حي في مدينة أو في قرية وتسمًى بالعربية "رعوية".

❖ أما كلمة Διοίκησις (وبالإنجليزية Diocese) فهي المنطقة الجغرافية الرعوية الكنسية الموضوع شعبها المسيحي تحت رعاية الأسقف.

شروط تحديد قيام الإيبارشية:

ومن أجل حفظ كرامة الدرجة الأسقفية وخصوصيتها ما يصون وحدة الكنيسة، حددت القوانين الكنسية المبادئ الآتية كشروط في تحديد قيام الإيبارشية:

١. أن تضم عدة كنائس عامرة بمؤمنين كثيرين، وقد منع القانون الكنسي رسامة أسقف على مدينة صغيرة أو قرية أو حتى موضع كبير إذا كان يمكن أن يُكتفَى فيه بقس أو إيغومانس كوكيل عن الأسقف لتدبير شئون الكنائس إن زادت عن كنيسة واحدة. وذكر القانون الحكمة من وراء ذلك: "**حتى لا يُستهزأ أو يُستهان باسم الأسقف (أو يصير اسم الأسقف رخيصاً)**" إذا تكاثر عدد الأساقفة على مدن صغيرة بدون داعٍ (القانون ٦ - مجمع سرديقا).

٢. لا يُرسم على إيبارشية واحدة أكثر من أسقف واحد. (نيقية ٨)

٣. لا يتعدى أسقف على إيبارشية لها أسقفها. (الرسل ١٤، وأنقرة ١٨)

٤. لا يتدخل أسقف إيبارشية في تدبير إيبارشية غيره (كأن يحل مَنْ حرمه أسقفها أو يحرم من لم يحرمه أسقفها). (الرسل ١٤، وأنقرة ١٨)

٥. لا ينتقل أسقف من إيبارشية إلي إيبارشية أخرى خالية. (القانون ١٥ من قوانين مجمع نيقية المسكوني، والقانونان ١٤ و٣٦ من قوانين الرسل، ٢١ و٢٢ من قوانين مجمع أنطاكية).

تحديد الحدود الجغرافية الكنسية للإيبارشية:

يتم تحديد الحدود الجغرافية الكنسية للإيبارشية حال قيام الإيبارشية الجديدة، أو حين رسامة أسقف جديد لإيبارشية قائمة بعد نياحة أسقفها. وبحسب القانون الكنسي لا يصح

---

(2) Euseb. H.E. 2: 24.

اقتطاع كنائس أو مناطق جغرافية أثناء حياة أسقفها وضمّها إلى إيبارشية أخرى. لكن في الظروف الاستثنائية ولخير المؤمنين العام في حالة حدوث مشكلة عاجلة أو طارئ يمكن إجراء مثل هذا التصرف ولكن بموافقة المجمع المقدس وتصديق قداسة البابا وموافقة أسقف الإيبارشية (قانون ٩٨ من قوانين مجمع قرطاجنة - سنة ٤١٩م).

ويرعى الإيبارشية أسقف، أما إذا كانت المدينة هي عاصمة المحافظة (أو الولاية خارج مصر) فيُنتدب الأسقف متروبوليتاً (مطران) أو آرشي إبيسكوبوس (رئيس أساقفة) كما في أورشليم. ويمكن أن يعود النظام القديم حيث يكون أسقف عاصمة المحافظة أو الولاية هو المتقدم على أساقفة المدن التي تضمها المحافظة. وفي هذه الحالة يُنتدب هذا الأسقف إلى درجة المطرانية ويسمى متروبوليت أو مطراناً. على أن يسبق هذا الوضع أن يكون قد تأسس في الكنيسة النظام الكنسي السليم في اختيار الأساقفة والمطارنة كما حددته القوانين الكنسية والرسولية.

ويعاون الأسقف أو المطران الإيغومانسيون (القمامصة)، والبريزفيتيروسيون (القسوس)، والذياكونيون (الشمامسة) كخدام مذابح الكنائس في الإيبارشية، وكذلك للقيام بالخدمات العامة والمهام الخاصة التي يوكلها إليهم الأسقف كوكلاء أو نواب للأسقف.

الفصل الثاني

الأسقف (إبيسكوبوس)

من هو الأسقف، وما هي مهامه:

الأسقفية هي خلافة الرسل، والأسقف يمثل حضور المسيح وسط شعبه داخل الكنيسة أثناء إقامة خدمة ذبيحة الإفخارستيا. وهو الراعي لرعية الله الناطقة على مثال المسيح الراعي الصالح، وطبيب نفوس وأرواح المؤمنين على مثال المسيح طبيب نفوسنا وأرواحنا وأجسادنا، وهو الذي يطلب الحلّ والمغفرة للخطاة التائبين من فم الثالوث الأقدس، على مثال المسيح الذى حمل خطايانا ودانها على خشبة الصليب، وهو الذى يضم للكنيسة المؤمنين الجدد بسر المعمودية وسر المسحة المقدسة، وهو الذى ينقل للمؤمنين تعليم المسيح وكرازة الرسل على مثال آباء الكنيسة القديسين الذين سبقوه وسلّموا الأمانة الإنجيلية الرسولية من جيل إلى جيل. وهو الذى يمثل أمام الله شعبه، الذين اختاروه ليكون فماً لهم، في الكنيسة أثناء خدمة ذبيحة الإفخارستيا ويرفع صلواتهم واعترافاتهم وتوبتهم وقرابينهم ليقبلها الله كرائحة بخور زكية فيردها إليهم الله في المسيح بركات وأجراً سماوياً (أي جسد المسيح ودمه الأقدسين)، وهو الذى يقود مسيرتهم الروحية في هذا العالم فيرشدهم ويحذرهم ويعظهم وينتهرهم باسم المسيح ويوبخهم إذا فعلوا الخطية، حتى يتوبوا ويرجعوا عن خطاياهم، وذلك إلى النفس الأخير حيث يشيّعهم بالصلاة وطلب الرحمة لنفوسهم إلى مثواهم الأخير.

(ارجع إلى مهام الأسقف بالتفصيل في كتاب *"التدبير الإلهى في تأسيس الكنيسة"* - **ثالثاً: الأسقف في مدينة كرسيه**، من صفحة ٩٦ - ١٣٤) ونلخصها في البنود التالية:

١ - **خدمته الأسقفية مرتبطة باتحاده بشعب الله في موضع جغرافي ما** (إقليم أو مدينة أو قرية)، لأنه يمثل شعبه أمام المسيح ويمثل وسط شعب الإيبارشية حضور المسيح رأس الكنيسة ورأس الجسد السري.

٢ - **مهمة الرعاية الروحية لنفوس الشعب من أجل خلاصهم الأبدي**. ويتمثل هدف الرعاية الروحية في تأهيل المؤمنين للتقدم بسر الإفخارستيا.

٣ - **يمارس سلطانه الرسولي في إعطاء الحلّ للمؤمنين التائبين**، وذلك حسب قواعد محددة في القانون الكنسي، وهي كالآتي:

محددة في القانون الكنسي، وهي كالآتي:

- أن تكون بحسب مشيئة الله والروح القدس الذى يحل ويربط، وما الكاهن إلا أداة أو واسطة بشرية.

- والأسقف يمارس: الحِل والمغفرة في أثناء الاعتراف السري وفي أثناء الليتورجية، أما الحرم فلا يتم إلا في إطار الكنيسة وهى مجتمعة بحضرة المسيح وبعد إجراءات محاكمة عادلة تتم حسب تعليمات القوانين الكنسية.

- منح الحل للمتخاصمين في الكنيسة تمهيداً لسماع وتنفيذ نداء الشماس في الكنيسة يوم الأحد أثناء رفع ذبيحة الإفخارستيا في صلاة الصلح: **"قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة طاهرة"**، لينال الجميع الاستحقاق للتناول من الأسرار المقدسة وهم متصالحون بعضهم مع البعض. وما يمهد لذلك مجالس الحكم بين المؤمنين التي يرأسها الأسقف وتعقد في يوم محدد من الأسبوع،

- أما في حالات المحاكمات الكنسية، فالتشاور بين الأسقف وعلماء الكهنة وأراخنة الشعب قانون مُلزم. (راجع القوانين الكنسية الخاصة بالحرومات في نهاية هذا الفصل وباب: **"القضاء الكنسي"** من هذا الكتاب).

- **لذلك لا يوجد في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أي بند في القانون الكنسي يبيح للأسقف أو القس بأن ينطق بكلمة "حَرم" لشخص دون إجراءات كنسية محددة[٣]، وإلا فإذا حدث ذلك يكون "الحِرم" باطلاً، ويرتد على قائله، وفي هذه الحالة يُطالَب المجمع المقدس أن يردع الناطق بالحرم بدون وجه حق، ويلغي هذا الحرم.**

- غاية وهدف الحل والربط معالجة نفوس الرعية وقيادتها إلى التوبة. وأداة الأسقف في هذا هي المحبة.

- حدود ومحاذير في ممارسة التأديب الكنسي:

ليس عن أي خطية،

---

(٣) حسب الإجراءات المذكورة في الفصل من هذا الكتاب: ***"المحاكمات الكنسية"*** من الباب: ***"القضاء الكنسي"*** ، وكذلك الملحق لهذا الفصل: ***"القوانين الكنسية المختصة بالأسقف"***.

ولا عن أي مخالفة في الرأي أو الفكر أو وجهة النظر أو الموقف.

وتمنع الكنيسة الأرثوذكسية استخدام الحرمان من التناول كسلاح لفرض رأى أو موقف سياسي على المؤمنين. فالكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بفصل الدين عن السياسة فصلاً تاماً وكاملاً.

وهو إجراء إلى حين،

وأما إذا كان خلال الاعتراف السري فيُعقد المؤمن (ولا يُحرم)، إلى وقت محدد ثم يُحل، في إطار المحبة وبغرض التقدم الروحي للمؤمن،

وهو في هذه الحالة شخصي وليس جماعياً،

وسري وليس علنياً.

ومحاكمات التأديب حضورية وليست غيابية.

– موانع الحرم الكنسي: "... إذا كان بغير حق: **طلباً للتشفي من الناس والتماساً لذلهم وخضوعهم له**".

(راجع موضوع الحل والربط وأحكامه بالتفصيل في كتاب: ***التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة***، للمؤلف، من صفحة ١٠١ – ١٢٢).

أما باقي مهام الأسقف فهي:

٤ – التعليم والكرازة بإنجيل المسيح الذى للخلاص.

٥ – سلطان الرسامة.

٦ – إدارة ممتلكات الكنيسة وأموالها من خلال مجلس القسوس ومجلس الشمامسة ومجلس الأراخنة ووظيفة الإيكونوموس في ذلك.

٧ – يشرف على الاهتمام بإخوة المسيح أي الفقراء والأرامل واليتامى والمسجونين والمسحوقين.

٨ – يمارس القضاء والتحكيم والمصالحة بين أفراد الشعب.

٩ – الإشراف على أعمال الرعاية بالشركة مع القسوس.

شروط وكفاءات الأسقف:

١ – كما أوردها كتاب "الدسقولية" وكما ورد في رسائل القديس بولس الرسول: (١تي ٣: ٢ –٧) – راجع: *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، للمؤلف، من صفحة ١٤٣)، وملخصها كالآتي:

أول شرط: العمر المتقدم، أن يكون قد تعدى سن الكهولة:

أي أن لا يقل عمره عن ٥٠ خمسين عاماً بل يكون قد تعدَّاها. وترجع الحكمة في التزام هذا السن المتقدم إلى ما يلي:

١. [يكون قد هرب من حركات الطفولية وأباطيل الخارجين] (الدسقولية ٣: ١، ٢).

٢. [يكون قد غربت عنه غرة الشباب وحِدَّته، وتميز بسن الكبر وخبرته] – (كما يقول كتاب *تاريخ البطاركة*[٤]).

٣. وواضح الحكمة الرسولية من تحديد هذا العمر المتقدم. فالإنسان في هذا السن يكون قد تخطي، أو من المفروض أن يكون قد تخطَّى، مرحلتا الصبا والشباب بما فيهما من قلة الخبرة وهوى الشباب، واندفاعه والتسرع في الحكم على الأمور، والانقياد والانبهار بمن يُعجَب بهم والتعصب ضد من لا يوافق هوى من يُعجب بهم!...الخ، وهذا ما يسميه القانون الكنسي "قد هرب من حركات الطفولية".راجع شرط السن وأهميته في "*التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة*" صفحة ١٤٠.

– أن يكون بغير لائمة (راجع: *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، للمؤلف، من صفحة ١٣٥) سواء من جهة المؤمنين أو من الذين هم من خارج الكنيسة.

٢ – التواضع: على حسب قانون خدمة الكهنوت الذى وضعه المسيح (لوقا ٢٢: ٢٦و ٢٧، مت ٢٠: ٢٦، مرقس ٩: ٣٥)

الشروط الإجرائية:

– إقامة الأسقف على شعب في مدينة محددة.

---

(٤) تاريخ البطاركة المجلد الأول، جزء ١، ص١٢

– حرية اختيار الشعب لراعيه.

– أن يخضع قبل رسامته لامتحان واختبار في خدمة الشماسية والقسوسية:

* من جهة أمانته للإيمان الأرثوذكسي.

* خبرته في الإيمان والحياة الروحية.

* أن يكون متبتلاً.

(راجع باب: **شروط وكفاءات الأسقف** (في: ***التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة***، للمؤلف، من صفحة ١٣٥ إلى ١٥٠؛ والقوانين الكنسية في آخر هذا الفصل)

شرعية رسامة الأسقف: "الشرطونية" أي طقس وضع الأيادي والصلاة المرتبطة به:

إن شرعية رسامة الأسقف حددتها القوانين الكنسية في أكثر من موضع:

١ – أن يضع عليه الأيادي أكثر من أسقف واحد (٣ أساقفة على الأقل).

٢ – أن يكون ذلك الأسقف **مُقاماً على شعب في مدينة محدَّدة في صلوات الرسامة بالاسم والموضع الجغرافي**، وبتزكية واختيار صحيحين من شعب هذه الإيبارشية.

٣ – تحذير: وهو أخطر شرط: **ألا يكون قد وُضعت عليه أيدي الأسقفية من قبل، لأن نعمة الأسقفية واحدة.**

٤ – أن يُجرى طقس وضع أيادي الأساقفة عليه بكاملها.

وكلمة "الرسامة" و "السيامة" هي ترجمة عربية مستحدثة لكلمة **"شيروطونيا"** اليونانية التي تعنى **وضع الأيدي** على رأس المختار للأسقفية. وكانت كلمة هذا الطقس إلى عهد قريب تجرى على ألسنة وأقلام الكُتَّاب والمعلمين الكنسيين باسم **"الشرطونية"**.

آثار وضع أيدي الأسقفية على المنتخب للأسقفية:

بوضع الأيادي الأسقفية على رأس المنتخب انتخاباً صحيحاً للأسقفية:

١ – يحل نفس الروح القدس الذى حل من قبل على الرسل قديماً ليعطيهم السلطان والقوة على خدمة رعاية النفوس في الموضع الجغرافي الذي اختاره الله له.

٢ – ينال موهبة خلافة الرسل أو التعاقب الرسولي الذى يحمله الأساقفة في الكنيسة وذلك بوضع أيادي الأساقفة الذين سبقوه. وهذا هو أساس وأصل حلول هذه الموهبة على الأسقف.

٣ – نوال النعمة والسلطان والقوة الخاصين لخدمة نفوس شعب هذه الإيبارشية التي أُقيم عليها الأسقف كبركة خاصة نالها الأسقف من الله وكقسمة قسمها الله له على موضع وشعب ورعية ناطقة محددة له ليخدمها ويقدمها في النهاية لله فرحاً: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب٢:١٣). لذلك تسمي الرسامة أيضاً "قسمة" أي ما قسمه الروح القدس له من رعية محددة يرعاها هذا الأسقف.[٥]

(راجع بالتفصيل شرح معنى "الشرطونية" و "القسمة" في كتاب *التدبير الإلهى في تأسيس الكنيسة* – من (ص ٨١ – ٨٤)، **وطقوس الشرطونية والصلوات المرتبطة بها** (ص ٨٦ – ٨٨).

٣ أوضاع هامة مختصة بدرجة الأسقفية لابد من توافرها:

تدور أسباب شرعية سيامة الأسقف حول ٣ أوضاع هامة مختصة بدرجة الأسقفية كما وضعها الرسل الأطهار:

الوضع الأول: وحدة الأسقفية (أسقف واحد للإيبارشية الواحدة)، (يبقى مرتبطاً بها حتى الممات).

الوضع الثاني: أسقف مقترن بشعب، أي راعٍ يرعى «رعية الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠:٢٨) في موضع ما « أقامه الروح القدس عليها» وائتمنه ليرعاها.

الوضع الثالث: ارتباط الأسقف برعيته وقبول الأسقف لها باعتبارها الخدمة التي قسمها الله له وقسمه وأقامه الله عليها، كمثل رابطة المسيح بكنيسته (أفسس ٥:٢٥)، ورابطة الزيجة المقدسة.

(راجع هذا الموضوع بالتفصيل: *" كتاب التدبير الإلهى في تأسيس الكنيسة "* من صفحة ١٤٠ – ١٤٢).

المحاور الثلاثة لكيان الكنيسة المنظور:

الكنيسة كجماعة مؤمنين متحدة بالروح القدس في المسيح وحوله، ترتكز في كيانها المنظور

---

(٥) عن مفهوم سلطان الأسقف إرجع للباب الثالث: *"السلطان الروحي في اللاهوت الأرثوذكسي"* من كتاب: *"السلطان الروحي في الكنيسة"* من صفحة ٦٩ – ٩٩ .

على ثلاثة محاور متحدة ومترابطة معاً، لا غنى لأحدها عن الآخر ولا غنى عن أي منها لقيام كيان الكنيسة:

المحور الأول: المذبح المقدس: الذى يمثل المسيح، وهو العلامة السرائرية المحسوسة الدائمة والمستمرة على حضور الله وسط شعب الله: **"هوذا كائن معنا على هذه المائدة (المذبح) عمانوئيل إلهنا"** (القسمة – القداس الإلهي). وهو الصورة السرائرية الأرضية للمذبح السماوي الواحد الوحيد المرفوع عليه ذبيحة المسيح الكفارية الواحدة من أجل خلاص العالم.

المحور الثاني: الأسقف: فهو الذى يقوم بتكريس المذبح، وهو مثال المذبح، وهو الذى يُقام أصلاً ليخدم كهنوت المسيح ويحتفل سرائرياً بذبيحة المسيح الكفارية الواحدة القائمة دائماً أمام الآب في السماء من أجل خلاص المؤمنين الذين أعطاهم الله له ليرعاهم.

المحور الثالث: شعب الله في موضع ما: وهو الذى أقيم المذبح من أجل أن تُرفع عليه قرابينه، وهو الذى من أجله قدم المسيح ذبيحته الواحدة الوحيدة الكاملة القائمة أمام عرش الله ومذبح الله الواحد في السماء، وهو الذي أقام الله الأسقف ليرعاهم ويرفع ذبائحهم وقرابينهم في ذبيحة المسيح الواحدة.

صعوبة الرئاسة الأسقفية وخطورتها:

القديس غريغوريوس أسقف نيصا: [كما أن خضوع الإنسان يعسر، كذلك تعسر عليه الرئاسة لا سيما رئاستنا هذه خاصة (الأسقفية). وعلى قدر ارتفاعها وخطرها ينبغي لطالبها أن تكون خصاله كلها جيدة لطيفة مثل الذهب والفضة، وأن يكون في كل زمان ومهما قلبته الأيادي ومرّت عليه الدهور، لا يخرج منه زيف ولا يظهر منه ما يستوجب به النار الشديدة. وعلى قدر كثرة رئاسته بلاده كذلك بلاياه. لأن إفساد واحد في الشر أهون من إفساد الجماعة. لأن الشر يغلب الخير ويغلب على أصحابه أيضاً وإدراكه سريع. وليس شئ أهون من أن يصير الإنسان شريراً مفسداً. فأما اكتساب الخير فإنه عسر، وإن كثر معلّموه. واكتساب الشر الكثير أسرع من اكتساب الخير القليل. لأن الشيح (الزهر المعروف) القليل يضيّع العسل الكثير (لأنه يطرد النحل) ويجعله كالصبر، ولن تزول مرارته ولو أضفت عليه أضعاف وزنه].

الأسقف ينقى أنفس الناس ويجعلهم قرباناً واحداً لله:

القديس يوحنا ذهبي الفم [عمل الأسقف أن ينقى الأنفس فعلاً ولفظاً ويرفعها بالتعاليم الفاضلة إلى الله، ويكون وديعاً شريف العقل كمرآة بهية، يقرّب عن رعيته القرابين النقية حتى يصيرهم قرباناً واحداً بهياً لله].

تعيين نائب في حال ترمُّل الإيبارشية بنياحته أسقفها:

قرطاجنة ٧٥ - [أمرت الجماعة القدسة بأن الكراسي التي تترمل من رؤسائها يُقام عليها نائب ويسمى "متوسطاً" لتدبير الشعب وحفظ رعايته إلى أن يقدَّم أسقف آخر. فإذا أساء ذلك النائب في تصرفه في الكرسي ولم يهتم بنفسه ولا بالرعية، فليخرج من النيابة ويعيَّن نائب بدلاً منه].

عدم التسرع في رسامة أسقف دون اختباره :

قوانين الملوك ٧ [ولا يُقلَّد الأسقف سريعاً دون اختباره في معرفته وإيمانه وسيرته وحسن الثناء عليه.

ويُنقل في مراتب الكهنوت مرتبة بعد مرتبة بالتدريج فإذا ثبت من نيرته في كل مرتبة استحقاقه حينئذ يقدَّم].

[ويكون قد خدم في رتبة الأغنسطس أو الإيبيذياكون أو الشماس لمدد كافية للحكم على أمانته وحسن مذهبه (أرثوذكسية سيرته وعقيدته) وصرامته ولين جانبه (تأمل في اقتران الفضيلتين معاً: الصرامة ولين الجانب. وهو يقصد اتزان الشخصية وسويَّتها، مما يوفر له الحكمة مع روح الأبوة وموهبة الإفراز)، ويتأمل الأمور(أي عمق البصيرة وجلائها) والمعرفة بها (أي العلم اللاهوتي الكنسي)، والمعرفة لها التي هي السيرة المحمودة".] - القانون العاشر من مجمع سرديقا

شروط رسامته: السن القانونية للأسقف:

قانون الدسقولية [ليس بأقل من خمسين سنة] - ٢،٣:١

[ينبغي أن يكون ... قد بلغ حد الكهولة[٦] أو قد تعداها][٧]

شروط رسامته: معرفة شرائع المسيحية وسننها

الرسل ١٤ [ولا يرأس في النصرانية ولا يتخصص بتدبيرها إلا من يعرف شرائعها وسننها ويعمل بها. فإن كان مخالفاً لذلك، يُعزل عن الرئاسة مقهوراً].

الخبرة الروحية العالية

[لا يصير أسقفاً من تعمد جديداً أو بحياة سوء... الذي أتى بحياة سوء ما هو واجب أن يُصيَّر أسقفاً في الحال. ما هو واجب لمن لم يُجرَّب أن يصير معلماً لقوم آخرين بل يكون هذا بموهبة من الله.]- القانون ٥٣ من مجموعة قوانين الكنيسة على يد إكليمنضس

- لذلك كان الأسقف يُختار من نخبة العابدين الناسكين لعشرات السنين ممن يُطلق عليهم "الرهبان الإسكيميون"[٨].

طرق فحص الطعون ضد المرشحين للأسقفية:

قرطاجنة ٥٦ - [إذا اختير رجل للأسقفية واجتمعت الجماعة كالعادة ليفحصوا ذلك الإنسان، ثم ذُكر عنه أمر ما، أمرنا أن يُكشف عن ذلك، فإن صح ما ذكروه، فيؤخذ غيره من الاثنين المرشَّحين معه بدلاً منه، ولكن إن ظهرت براءة الأول من التهمة، فلا مانع له من تقديمه للرسامة].

تعليق:

(يفهم من هذا أن يكون هناك ثلاثة مرشحين للأسقفية ويختار أصلحهم عن طريق الفحص والتدقيق في كفاءتهم).

رسامة الإكليروس تتم بتحديد شعب الكنيسة في موضع محدد يُرسَم عليه ولرعايته:

قوانين الرسل ٤٩ [لأن قيام الكنيسة بعضها بعض. فلو لم يكن علمانيون فعلى مَنْ يكون الأسقف أو القسيس].

وهكذا جاء في *مخطوطة الرسامات الكهنوتية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية*:

[النعمة المعطية الخلاص للعاجزين ... تأتي على فلان ... ليكون أسقفاً للمدينة المحبة للمسيح فلانة ...][٩] - مخطوطة الإفخولوجيون

---

(٦) الكهولة في اللغة هي خريف العمر ومتوسطه، يتراوح بين ٥٠ - ٦٠ سنه حسب قواميس اللغة.

(٧) كتاب *تاريخ البطاركة*، المجلد ٣،الجزء ١ صفحة٩

(٨) لهذا درجت الكنيسة على أن تقلد الأسقفية للرهبان الإسكيميين، أي الذين مضى على رهبنتهم ما لا يقل عن ٢٠ - ٢٥ سنة، وقد بلغت أعمارهم ما لا يقل عن ٥٠ عاماً، وقد ارتقوا في درجات الرهبنة والحياة النسكية، مع علو كعب المنتخب في العلوم اللاهوتية. ولهذا وُجد الطقس الخاص بإلباس الإسكيم الرهباني للمرشحين للأسقفية قبل رسامتهم أساقفة على اعتبار أنهم رهبان إسكيميون حسب الواقع وإن كانوا لم يُجرَ عليهم طقس إلباس الإسكيم.

(٩) المطبوع عن أقدم مخطوطة عثرنا عليها وهي المطبوعة في مدينة رومية عام ١٧٦١ للميلاد عام ١٤٧٨ للشهداء، وترجع المخطوطة الأصلية إلى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً، وغالباً هي المخطوطة التي رجع إليها ابن كبر في كتابه المشهور "*مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة*"- الجزء الأول المختص بالرسامات

خلقيدونية (القرارات الإدارية) – ٦: [لا يُسام كاهن أو شماس أو أي إكليريكي بدون أن يُعيَّن لخدمة كنسية في مدينة أو قرية أو مقام شهيد أو دير. وإذا تمت سيامة أحد بصورة مُطلقة من غير تعيين مركز للخدمة، فالمجمع المقدس قد حكم، كتوبيخ للذي يقوم بالسيامة، أن مثل هذه السيامة تُعدُّ باطلة ولا يؤذن لمن سيم على هذه الصورة بأن يخدم في أي مكان]

شرح من كتاب البيذاليون (المرجع القانوني الرسمي للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية):

[يجب على الأسقف، عند تلاوة صلاة استدعاء الروح القدس في السيامة، أن يذكر فيها اسم الكنيسة كما يأتي: "النعمة الإلهية فلتندب (فلاناً) كاهناً أو شماساً لكنيسة ... في مدينة ... أو قرية ... أو دير" ... ويجب أن يُذكر الاسم علناً كما يُذكر اسم الإيبارشية في سيامة الأسقف. وكل من سيم بصورة مطلقة دون تعيين مكان خدمته، أمر المجمع أن تُعتبر سيامته باطلة. وهكذا إذ يخشى الأساقفة أن ينالهم هذا التحقير يترددون في الإقدام على سيامة أي شخص خلافاً للقانون] – الشرع الكنسي ص ٤١٠، ٤١١.

عدم تعالي الإكليروس على الشعب:

قوانين الرسل ٤٩ [ولا يتعالى الأسقف على الشمامسة ولا على القسوس، ولا يتعالى القسوس على الشعب لأن قيام الكنيسة بعضها بعض. فلو لم يكن علمانيون فعلى مَنْ يكون الأسقف أو القسيس].

تعليق: بنيان الكنيسة قائم بالإكليروس والشعب معاً. وسؤاله: "لو لم يكن علمانيون فعلى مَنْ يكون الأسقف والقسيس؟"، يعني أن الأسقف هو أسقف على شعب الله، فإذا لم يوجد شعب فلا يتصور الترتيب الكنسي وجود أسقف! لأن الأسقف أو القس ليسا مجرد أصحاب لقب "أسقف" أو "قس". كما أن سلطان الأسقف ليس مستمداً من لقبيهما، بل من كيان الكنيسة المشترك المكون من الأسقف والشعب المُقام هو أسقفاً أو قساً عليه معاً. فإذا انتفى أحد العنصرين لا يوجد أسقف ولا توجد كنيسة وبالتالي لا يوجد سلطان [١٠]، كما يذكر القانون سالف الذكر.

اللجوء للسحر والعرافة من الأسباب الموجبة لعزل الأسقف من درجته:

رسالة بطرس إلى كلمنضس ١٦ [ويعزل عن الرئاسة من كان واثقاً بحساب النجوم ومصدِّقاً لكلام العرافين والسحرة ويقبل قولهم].

اقتناء الأسقفية بالرشوة من الأسباب الموجبة لسقوط الأسقف من درجته :

الرسل ٢٠ [أسقف أو قسيس أو شماس يملك هذه الدرجة برشوة فليُقطع، ويُقطع الذى قسمه ولا يشارك إطلاقاً. كما فُعل بسيمون الساحر مِن جهتي أنا بطرس].

عدم جواز تكرار المعمودية ولا وضع أيدي الرسامة الأسقفية:

قرطاجنة (٦٢ في مخطوطة النوموكانون، ٤٨ في الشرع الكنسي) – [أمرت الجماعة المقدسة أن لا يعمَّد أحدٌ ثانية، ولا شرطونية (وضع الأيادي على رأس الأسقف) ثانية، إلا إذا كانوا معمدِّين من

(١٠) إرجع للباب الثالث: *"السلطان الروحي في اللاهوت الأرثوذكسي"* من كتاب: *"السلطان الروحي في الكنيسة"* من صفحة ٦٩ – ٩٩

قبل على يد مخالفين للإيمان ثم التجئوا إلى إيماننا المستقيم فمن الواجب أن يعمدُّوا ثانية،... ومثال ذلك يجرى الحال في الشرطونية الثانية.

فلا يترك أحد من الأساقفة كنيسته ويمضي إلى كنيسة أخرى... فإن عرض لأحد من الأساقفة أن ترك كرسيه وكنيسته ومضى إلى غيرها ونَهتَه الجماعة عن ذلك ولم يُطع وتمادى على هذا الفعل، أمرنا بعد مخالفته لِمَا رسمناه بأن يُنزع عنه ثوب الكهنوت أولاً وبعد ذلك يُسلَّم لأيدي الرؤساء ليتصرفوا معه بعقوبتهم (المدنية)] – (الرسل ٤٦ و٤٧، نيقية ٨، القسطنطينية ٧، قرطاجنة ٥٧ و ٧٧ و١٠١).

عقوبة الذى يقبل سيامته ثانية:

الرسل – ٦٨ [أي أسقف أو قس أو شماس يقبل وضع اليد ثانية من أحد، فليُحطّ هو وواضع اليد عليه إلا لعلة أن يكون له هذا (وضع اليد الأول) من المنشقين. لأن المعمودية أو وضع اليد من المنشقين لا يجعل الناس مؤمنين أو كهنة] – (الرسل ٤٦و ٤٧، نيقية ، القسطنطينية ٧، قرطاجنة ٥٧ و ٧٧ و ١٠١).

عدم اشتهاء الأسقف لإيبارشية أكبر من إيبارشيته التي قسمه عليها الله :

نيقية ١٥ [إنه بسبب ما ينشأ من الخلاف والتشويش البالغين قد استحسنَّا منع العادة التي شاعت في بعض الأماكن المخالفة للقانون الرسولي، فلا يُسمح بعد الآن لأسقف أو قس أو شماس أن ينتقل من مدينة إلى أخرى. وإذا حاول أحد الإكليريكيين، بعد صدور أمر المجمع هذا، القيام بعمل من هذا النوع وأصرَّ على المخالفة فكل ما يقوم به يُعد لغواً باطلاً، وأما هو فيجب أن يعود إلى الكنيسة التي اختير لخدمتها أسقفاً كان أو قساً] – (الرسل ١٤ و١٥، وخلقيدونية ٥و٦، أنطاكية ٣ و٢١، سرديقا ١و١٦، قرطاجنة ٦٢ أو ٤٨)

عدم جواز انتقال أسقف من موضع إلى موضع:

أنطاكية– ١١ [لا ينبغي لأسقف أن ينتقل من موضع إلى موضع لا يتخطى أسقف موضعه إلى موضع غيره بهواه ولا إن جبره الناس على ذلك. بل يقيم في الكنيسة التي صُيِّر عليها أولاً بمحبة الله ولا يتعدى الحد الذي وضعناه ووضعته الآباء أولاً. فليُنفَى].

نيقية العربية – ٧٧ [عن انتقال أسقف من البلدة والكورة التي كُرز عليها إلى غيرها، فهو يطلب ما هو أفضل منها فان هذا غير جائز وانما لكل انسان قسمته من الله.

وهذا قياس ما كنا قد تقدمنا في أمر المتزوجين أي أن كل رجل من العلمانيين أيضاً طلَّق امرأته منهم من غير أن يُعثر عليها بزنا وبفجور فهو الفاجر لأنه إنما طلب استبدالها بما هو أفضل منها ...]

سرديقية – ١ [لا ينبغي أن يُطلق للأسقف أن ينتقل من مدينة إلى مدينة غيرها إذا كان السبب الداعي لذلك ظاهراً الذي هو محبة الرياسة. لأننا لم نجد من الأساقفة في وقت من الأوقات أن ينتقل أسقف من مدينة كبيرة إلى مدينة صغيرة. من ههنا عُلم أن من أقدَم على النقل إنما يحمله على ذلك الشره إلى محبة الرياسة والانتفاخ والزيادة في السلطة. فإن كان للجماعة أن تغلظ العقوبه عى من يتجرأ على هذا الفعل وتنفيه [وتمنعه] من مشاركة العلمانيين فضلا عن الكهنة، فقال

الأساقفة جميعاً قد رضينا بهذا الحكم].

سرديقية – ٢ [إن وُجد أحد قد بلغ في تجربة أو من جرأة وجسارة أن يُظهر امتناعاً من هذا الأمر (أي يرفض تطبيق هذا القانون السالف ذكره) ويحتج أن الجماعة من أهل تلك المدينة كاتبوه في ذلك فليس بجائز ذلك، لأنه قد يمكن أن يكون طلب الجماعة من أهل تلك المدينة قد تم بالرشوة والتلطف حتى يوقعوا الشقاق في الكنيسة ويختاروه أسقفاً عليهم. فأنا أرى عقوبة من احتال بهذه الحيل وسهَّل لنفسه مثل هذا الفعل أن لا يؤهَّل لشركة العلمانيين فضلاً عن غيرهم. وإن رأيتم هذا الرأي فأجيبوا أيضاً. فأجابته الجماعة أنهم راضون بما حكم، ويعاقبون من فعل هذا أيضاً].

ويضيف نص آخر لنفس القانون: [ولا يُسمح له بالشركة حتى وهو في حالة الاحتضار] – *الشرع الكنسي* ، ص ٦١٩. وهذا الحكم الصعب بعدم مصالحة من أتى هذه المخالفة هو استثناء من قانون مصالحة المحروم حين يأتي وقت احتضاره (نيقية ١٣)، بما يعني عدم إجراء طقس الصلاة على الراقدين عليه بعد موته. علماً بأن هذا الحكم ينطبق أصلاً على مرتكبي إحدى الجرائم الكبرى الثلاث: أي عبادة الأصنام أي الارتداد، والقتل، والزنا. (راجع كتاب *"الشرع الكنسي"* ، ص ٦٢٠)

ضرورة توعية وتعليم المتقدمين للكهنوت بحدود خدمتهم قبل رسامتهم:

قرطاجنة ١٨ – [ونأمر أيضاً كل الأساقفة والكهنة الذين يتشرطنون أنه يجب على مَنْ يصلي عليهم قبل أن يقدِّمهم، أن يُملى على قلوبهم ومسامعهم ما تقتضيه المجامع المقدسة لئلا يكونوا جاهلين عن الفهم فيصنعوا شيئاً بغير ما حددته المجامع المقدسة من الواجبات، لئلا يقع مُشَرْطِنه في الندم على رسامته] – نفس الأمر في القانون ١٧ القسم الأول منه.

وصايا عامة للأساقفة – عن تدبير النفوس

٣٥ – (٥) ويجب عليكم يا أساقفة أن تجعلوا مخلصنا وملكنا وإلهنا يسوع المسيح لكم رقيباً وتكونوا متشبهين به: رحومين ذوى سلامة لا سفهاء ولا متكبرين ولا آخذين بالوجوه ولا سكيرين ولا مسرفين. ولا تهينوا كرامات الله بل اقبلوها كأنكم قد أُقمتم وكلاء صالحين لله. وكأنه هو الذى تجيبونه عن التدبير الذى أُعطيتموه.

وليكن الأسقف ينال من الطعام والكسوة بقدر الكفاف كما يليق بالحاجة والعفاف لأن الفاعل مستحق أجرته.

ولا يزيِّن لباسه بل يتخذ ما يصلح لستره جسده لا غير.

أنتم الآن الكهنة أئمة شعبكم وأنتم اللاويون خدام القبة المقدسة التي هي البيعة الجامعة المقدسة.

أنتم آباء الشعب العلماني الذى تحت أيديكم ورؤساء عليهم ومدبرون.

أنتم وسائط الله وأمناؤه وحاملون خطايا الكل ومجاوبون عنهم. ولكم أيضاً أجر عظيم من عند الله وكرامة لا يُنطق بمجدها إذا خدمتم الكنيسة المقدسة جيداً.

وكما أنكم قد حملتم وزر كل أحد، هكذا أيضاً تنالون طعامكم وكسوتكم وحاجاتكم من كل أحد.

كونوا فهيمين مثل صائغي الفضة، فهكذا يجب أن يفعل الأسقف بأخيار الناس إذ يقربهم إليه. والذين فيهم الدغل والدنس يطبِّبهم. فإن

كانت العلة لا شفاء لها فيبعدهم عنه وليس إبعادا كلياً. ولا يثق بأحد على تدبيرهم بل بنفسه. ولا يصدق كل من يشهد.

خطورة تصديق الوشايات الكاذبة:

وكن كرجل الله طويل الروح، ولا تتساهل في أن تقبل ممن يسعى بالكذب في إخوانه لحسده وشره. فإن هؤلاء لا يَدَعُون السلامة تدوم، فتأملهم وتحفَّظ منهم لئلا تُهلك غير الخاطئ.

كيفية التعامل مع مَنْ وُشي به وكانت الوشاية صحيحة:

وإن وجدت الذى قالوه صحيحاً فافعل فيه كتعليم الرب. وخذ الذى يُسعى به وحدك واردعه فيما بينك وبينه لكي يتوب. فإذا لم يرضَ فخذ معك واحداً أو اثنين وعرِّفه ببشاشة وتعليم، فإن رضي بكلامكم فالخير يكون له. وإن بقى على مخالفته فقولوا للجماعة (أي للشعب) أن تردعه. فإذا لم يطع الكنيسة فليكن عندك مثل وثنى وعشار ولا يشاركك حتى يتوب، وإذا ندم اعمل معه مثلما تفعل بالوثني إذا عاد من ضلالته: تُدخله إلى الكنيسة ليسمع كلام الله حتى يظهر منهم ثمار التوبة ولا تشاركهم في الصلاة كلها بل يُخرَجون بعد قراءة الإنجيل ليتأسفوا على ما فرط منهم ويتفرغوا للدعاء. ومن يراهم يحزن عليهم ويحذر لئلا يسقط، ويخاف أن يناله ما نالهم.

نصائح في التطبيب الروحاني:

ومن أخطأ خطية واحدة أو اثنتين فلا ترفضه ولا تمنعه من المشاركة، وشاركهم في الكل وساعدهم وثبِّتهم،

واقبل التائب مثل الولد الذى ندم ورجع إلى أبيه. وضَعْ اليد عوضاً من التعميد لأن بوضع أيدينا على الذين يؤمنون يقبلون نعمة روح القدس. ورُدَّه إلى موضعه الأول.

وهكذا طبِّب الخطاة:

اجعل عليهم أدوية لينة حلوة، وقوِّهم بكلام العظة، ونظف جراحهم،

فإن كان الجرح عميقاً وامتلأ مادة فنظفه بدواء حاد الذى هو كلام التوبيخ، وبعده بكلام العزاء.

فإن تمادى فاكوِه واقطع منه الداء.

فإن عَدِم الشفاء، فبفحص شديد وحرص ومشورة أطباء علماء اقطع[11] بغم وحزن العضو الذى فسد لئلا يُفسد باقي الأعضاء. فقد كُتب: اقلعوا الشرير من بينكم.

ولا تكن مسرعاً للقطع ولا جسوراً. ولا تسارع إلى المنشار الكبير الأسنان (أي منشار الحرم).

عقوبة مَنْ يشي كذباً بالآخرين:

فإن كانت السعاية (الشكوى) كذباً فلا تقبلوه. فإنكم إن حكمتم على أحد ظلماً فاعلموا أن الحكم يخرج من أفواهكم على نفوسكم. فإن حكمتم بلا رياء، تعرفون من يسعى بصاحبه كذباً. وهذا إذا عُرف كذبه دِنْه بإعلان، واعمل به كما أراد أن يعمل بصاحبه، واجعله معروفاً في وسط الجماعة كقاتل أخيه، وإذا تاب فافرض عليه صوماً ثم ضع اليد عليه واقبله من بعد أن تشرط عليه أنه لا يعود

---

(١١) هذا هو أسلوب وشرط القطع: أخذ مشورة الأطباء الروحانيين العلماء وليس بإخراج كلمة حرم من فم الأسقف أو الكاهن منفرداً وإلا يسري على الناطق بالحرم قانون ارتداد الحرم على قائله.

يقيم الفتن دفعة أخرى، فإن لم يَكُف عن شره فأخرجه كفاعل الشر لئلا يشكك بيعة الله.

معايير إصدار الأحكام على الخطايا:

ولا تحكموا حكماً واحداً على كل الخطايا: فليس حكم الذى يخطئ بالأفعال كالذي يخطئ بالكلام أو بسريرته.

فمن الناس قوم يجب أن توبخوهم فقط،

وقوم تجعلونهم يدفعون صدقة للفقراء،

وقوم تحتِّمون عليهم صوماً،

وآخرون تخرجونهم من البيعة مدة كمقدار الخطايا التي اخطأوها.

الناموس لا يحتم بعقوبة واحدة على كل الخطايا. لأنه ليس عقوبة من أخطأ إلى الله أو إلى الكاهن أو إلى الهيكل كمن اخطأ إلى الملك أو أحد أصحابه [١٢].

وليس حكم من يظلم صاحبه أو عبده كحكم من يخطئ إلى والديه أو أقاربه، ولا من يخطئ بإرادته كمن يخطئ بغير إرادته.

فإن قوماً يستحقون حسب القانون المدني (وهذا تشبيه مُقتبس من القانون المدني) أن يُدانوا بالقتل وآخرون بالجلد وآخرون بالغرامة وآخرون بأن يُفعل معهم كما فعلوا بأصحابهم. فاعرفوا عقوبة كل الخطايا المختلفة لئلا يكون فيكم ظلم فيُحكَم عليكم كما حكمتم.]

(١٢) هذا قانون مدني وكان أيام الرق والعبودية حيث كانت قوة العقوبة تتحدد على قدر مركز المُخطأ إليه، وهذا تغير الآن. ولكنه مجرد تشبيه.

وصايا عامة للأساقفة – بخصوص قبول الخطاة

٣٤ – (دسقولية ٣و٤) [اهتم بالكلام يا أسقف. وإن كنت تقدر ففسر من الكتب كل كلمة. اشبعِ الشعب واروه من نور الناموس ليكون بذلك غنياً من كثرة تعاليمك.

ويجب عليكم يا أساقفة أن تكونوا رقباء للشعب فإن رقيبكم أنتم هو المسيح. فالرب من فم حزقيال النبي يقول لكم: يا ابن الإنسان جعلتك رقيباً لهذا الشعب تسمع منى الكلام وتحفظه وتبشر به من جهتي. فإن لم تكلم الخاطئ ليحتفظ من إثمه فذاك الخاطئ يموت بإثمه ودمه أطلبه من يديك. فأما إذا بدأت وعرفت الخاطئ أن يزول عن السوء فلم يزل عنه، فذاك الخاطئ يموت بخطيته وأنت تربح نفسك.

فلأجل هذا علِّموا مَنْ يسعى بغير علم. ومَنْ تعلَّم ثبِّتوه. وأهدوا الضالين وخاطبوهم دفعات لأجل بُرئهم.

أقم نفسك يا أسقف طاهراً في أفعالك كلها، واعرف رتبتك فإنك مثال الله عند الناس لما ترأست على الناس كلهم: الملوك والرؤساء والكهنة والآباء والأولاد والمعلمين وكل من في طاعتك.

اجلس في الكنيسة وبشِّر بالكلمة لأن لك سلطاناً تدين به الخطاة. فلكم قال: إن الذين تربطونهم على الأرض يكونون مربوطين في السماء. وما حللتموه على الأرض فهو محلول في السماوات.

المعاملات المتنوعة مع الخطاة:

فاحكم بسلطان كمثل الله ومن تاب فاقبله إليك لأن الله هو إله الرحمة.

ازجر من يخطئ، ولا تطرد من يتوب.

وليهتم الأسقف بخلاص كل أحد. فلكم يقول

الرب: انظروا لا تزدروا بأحد من هؤلاء الأصاغر. واعلمْ أنه سيُطلب منك جواب بالأكثر. فمن أُودع كثيراً يُطلب منه كثير.

كن بلا لوم كيلا يشك أحد من جهتك. العلماني يهتم بنفسه وأما أنت فحاملٌ حملاً ثقيلاً. مكتوب أن الله قال لموسى: أنت وهارون تحملان ذنوب الشعب.

الغافلون علِّمهم. واعلمْ أن لك أجراً عظيماً إذا فعلت هذا. كما أن لك وزراً عظيماً إذا توانيت عنه. يقول حزقيال النبي في الأسقف الذى يتوانى عن شعبه: الويل لرعاة إسرائيل الذين تركوا الخراف ترعى وحدها. أليس الرعاة إنما يرعون الخراف وأنتم اللبن شربتموه، والصوف لبستموه، والمعلوف ذبحتموه، وخرافي لم ترعوها. الضعيف لم تقووه، والمكسور لم تجبروه، والضال لم تهدوه، والشارد لم تطلبوه، ولم تعلموهم بحرقة قلب (أي بتواضع وتذلل ومسكنة روحية) بل بهزؤ (أي بإدخال التنكيت والمزاح داخل العظات لكي يضحك الناس). فشردت خرافي إذ ليس لها راعٍ، وصارت طعاماً لسباع الغياض. وقال أيضاً: إني أَحكم بين خروف وراعٍ وبين كبش وكبش.

الذى أخطأ يا أسقف وأخرجته بجُرمه لا تَدَعه خارجاً بل رُدَّه إلى الكنيسة،

والذي ضلَّ اطلبه،

والذي لا يُرجَى خلاصه لكثرة خطاياه لا تدعه يهلك بالكلية.

وإن أمكن الأسقف فليحمل خطية الخاطئ على نفسه ويصيِّرها له هو خاصة ويقول للمذنب: ارجع أنت وأنا أقبل الموت عوضك مثل سيدي المسيح الذى مات عنى وعن الكل.

إن الراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه. والأجير الذى ليس هو راعياً وليست الخراف له إذا رأى الذئب مقبلاً الذى هو إبليس يترك الخراف ويهرب فيخطفهم الذئب. عِدّ الخراف واطلب الضال كالرب القائل إنه يدع التسعة والتسعين على الجبل ويمضى يطلب الضال. فإذا وجده يحمله على عاتقه ويدخل به إلى الماشية وهو مسرور.

كن للمريض بالخطية كطبيب حريص مُشارك في الألم. فقد قال ليس الأصحاء محتاجين إلى طبيب بل المرضى، وابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص الذى هلك. ولا تحب الساعين(أي الذين يسعون كذباً للإيقاع بغيرهم) ولا المتمحلسين (أي الذين ينافقون ويتملقون).

وإذا رأيت خاطئاً فداره قليلاً وأؤمر بإخراجه ودع الشمامسة يلحقونه خارجاً ويداوروه ويعيدوه ويسألوا من أجله. وحينئذ افرض عليه صوماً بقدر استحقاقه أسبوعين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة وعرِّفه أن يتأدب كما يليق بخطيته. أكرمه وعلمه أن يكون متواضعاً في ذاته.]

تحريم رفض توبة الخاطئ

الدسقولية ١٣ [أي أسقف أو قسيس لا يقبل الخاطئ إذا تاب فليُقطع لأنه خالف قول المسيح إنه يكون فرح كثير من أجل خاطئ واحد يتوب (لوقا ١٥ : ٧ ، ١٠)].

الرسل ٣٦ أو ٤٧ [أي أسقف أو قسيس لا يقبل الخاطئ إذا تاب فليُقطع. لأنه خالف قول المسيح إنه يكون في السماء فرح كثير من أجل خاطئ واحد يتوب].

السماح للمحرومين من الشركة حال احتضارهم أن يتناولوا من الأسرار المقدسة:

نيقية ١٣ [إنه فيما يختص بالمحتضرين فالقانون القديم لا يزال معمولاً به، أعني إذا أشرف شخص على الموت فيجب ألاَّ يُحرم الزاد الأخير الذى لا غنى عنه.

أما إذا عادت إليه صحته وكان قد مُنح الشركة حين قُطع الأمل من حياته فليقف مع صف المشتركين في الصلوات لا غير. وعلى الإجمال إذا احتضر شخص وطلب أن يُناوَل القربان فليمنحه الأسقف سؤاله بعض الفحص].

الأسقف لا يحقد ولا يرضى بقلة العلم:

الرسل ٥١ [وأسقف راض بقلة العلم، أو يحقد ليس هو أسقفاً بل هو "اسم كأذب عليه، وليس هو من قِبلَ الله بل من قِبلَ الناس].

تحريم إرهاب الشعب

قوانين الرسل الـ ٨٣ – ١٦[كل أسقف أو قسيس أو شماس إذا ضرب مؤمناً أو غير مؤمن إذا أخطأوا يريدون بذلك أن يخافهم الناس فليُقطعوا].

أخلاقيات الأسقف:

باسيليوس [وهو يبكِّت بحلاوة. ويصعد وينزل وكلامه حاد وفيه ملح. ولا يكون مستكبراً، ولا يحسد أحداً.

ولا يكثر من شرب النبيذ.

ولا يكون غضوباً ولا يبغض أحداً.

ولا يحب الذهب ويعدُّ كل ما لهذا العالم لا شئ. وليس هو محباً لربح هنا. بل هو هارب من كل زينة فارغة ليقدر أن يعلِّم الذين عنده ليكونوا هم أيضاً هكذا] – ٣٩

صفات الكهنة عموماً

معلمي البيعة [يجب للكهنة أن تكون أفعالهم جميلة، هكذا القسوس يكونون مضيئين ليكونوا صوراً مضيئة وعلامة الاستقامة لكل من يخدم الكنيسة لتبجيل السر الذى يخدمونه بخوف بصلواتهم وأوشياتهم وقوانينهم بقلوب طاهرة ومخافة].

صفات الأسقف:

باسيليوس [الذي اصطُفي (اختير) أن يكون أسقفاً يكون رجلاً عفيفاً، باشاً، خائفاً من الله. يقاتل (مع أغنياء شعبه والظالمين منهم) عن المظلومين ولا يحابى أحداً من الناس. ويقول الحق ولا يحتشم من غنى، ولا يكون محباً للاقتناء، لأن هذه هي خطية الكل من الناس ولاسيما من هو في هذه الرتبة] ٣٨

[لا يكون مُلاماً في شئ من الأشياء، طاهراً، ناسكاً، مداوماً الكلام الجيد اللائق بالتعليم.

لا يكون ذا قولين ولا يكن له ميزانان ولا مكيالان.

يشتهى أن يُقرض مَنْ يسأله في الرخاء والغلاء.

أب الأيتام ومن لا يعرفهم بكل طهارة.

لا يرفع عينيه لينظر أحداً من النساء، بل بالحري لا يحوِّل وجهه عن المساكين، ولا ينسى الذين في السجون بل يفتقدهم ويخدمهم بكل قوته. يحزن على جميع الضعفاء.

ولا يأخذ بالوجوه، يبغض كل خطية، يحب البر.

يبكِّت الخطاة ويعلِّمهم التوبة،

لا يقبل الهدية. لا يحتقر أحداً ولا يثقل

الهجوم على الذين يهينونه.

ويبارك الذين يلعنونه.

لا يشكو أحداً من الناس بل يحتمل كل ظلم يأتي عليه. لا يكون ضجوراً ولا مشتهياً لحسن الوجوه.

ولا يضع علي المسكين أكثر من قدرته، ولا يقاوم غنياً. يبكت كل من يريد التعليم بتواضع قلب. لا يتقدم إلى المذبح بكبرياء بل بتواضع. أي أن لا يظن أنه هو مختار أكثر من الشعب كله. بل يعرف أنه مثل أي واحد منهم.

يَقبَل كل من يتقدم إليه.] - قوانين القديس أثناسيوس

نصائح للأسقف عن معاملة النساء:

[ولأنه أؤتمن على نسوة كثيرات وعذارى وعرائس، ويأتون إليك واحدة فواحدة ويأخذون بركتك، فأنت بكل احتفاظ احفظ ذاتك عالماً أن الذى استُودع كثيراً يُطالَب بالكثير.

وهن لا يأتون إليك لكي تتفحص زينتهن لكن لكي يتفحَّصن هن أمانتك.

لأن الذى يحرس عينيه أن لا تنظر إلى وجوه النساء فإن قلبه طاهر من النجَس. لأنه يقول: "إن عينيَّ طاهرة نقية لئلا أنظر إلى الشر". فالذي عيناه نقيتان قلبه أيضا نقى، كما قيل: «طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينون الله». و «الذي لا ينظر إلى امرأة فلا يتنجس قلبه».

لا تنظر إلى وجه امرأة، أيها الكاهن، فقد ائتمنوك أن تتحفظ. قل وأنت تصلى: اصرف عينيَّ لئلا تنظرا الأمور الباطلة] - قوانين القديس أثناسيوس

عدم سكنى نساء مع أي شخص من الإكليروس في مسكن واحد:

نيقية ٣ [إن المجمع العظيم يمنع منعاً جازماً أي أسقف أو كاهن أو شماس أو إكليريكي أن يُسكن معه في بيته امرأة أجنبية ما لم تكن أمه أو أخته أو عمته أو خالته وهى منزَّهة عن كل شبهة أو ريبة] (مجمع أنقره ١٩، قرطاجنة ١٩، باسيليوس ٨٨) (هذا القانون لكل من هو متبتل).

لا تأتي امرأة إلى الأسقف إلا مع الشماسة :

دسقولية ٦ [ولا تأتى امرأة إلى الأسقف لتسأل عن شئ إلا مع الشماسة].

في سبب عدم خروج المطران أو الأسقف من قلايته لزيارة بيوت العلمانيين

قوانين البابا كيرلس الثالث [في سبب عدم خروج المطران أو الأسقف من قلايته لزيارة بيوت العلمانيين:

وليس للمطران أو الأسقف أن يتوجه إلى بيت علماني بالمرة لئلا يلحقه ضعف في طبيعته ويخرج عن الحق والعدل في الحكم ويراعى الوجوه والمحاباة عند إتيان هذا العلماني إليه في أي أمر.

وإنما مَنْ يحضر لقلاية المطران أو الأسقف فليكن على قبول البركة فقط. أما مَنْ يدعوه إلى منزله فيكون لهذه الغاية أيضاً حيث أنه من خلفاء آبائنا الرسل الأطهار. وقد أمر المسيح له المجد رسله الأطهار الذين منهم المطران والأسقف قائلاً: "لا تنتقلوا من بيت إلى بيت. وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم، أخرجوا منها وانفضوا الغبار الذى لصق بأرجلكم من مدينتهم. الحق أقول لكم إن سدوم وعمورة ستكون لها راحة أكثر

من ذلك البيت أو تلك المدينة".

فقد ظهر من أقوال المخلِّص له المجد بأن المطران أو الأسقف لا يمكنه أن يعبر إلى بيت علماني إلا ويعلم فيه من تعاليم آبائنا الرسل التي هي تعاليم من أرسلهم وهو المسيح. وإن تأخر عن التعليم وسكت فليس هو بأسقف أو مطران. وإن تكلم بتعليم ولم يُقبل كلامه فيصير لسدومٍ وعمورة راحة أكثر من هذا البيت. فيكون إذا دخول المطران أو الأسقف في ذلك البيت علة لهلاكه (أي هلاك ذلك البيت). فلذا لا يجب عليه العبور إليه إلا إذا دُعي لأمر ضروريٍ لخلاص نفس من الهلاك الجهنمي ويكون متأكداً منه قبل توجهه ويعود بالتالي في الحال.

ويحذر البابا كيرلس الثالث كل مطران أو أسقف عن قبول الرشوة كهدية مما يؤتى به إليه. لأن الرشوة تُعمى عيون الحكماء. وملعون من يهبها.

الحذر من التواني عن تعليم الشعب :

الرسل ٥٣أو ٥١أو ٢٧ و ٣٩ [أسقف أو قس أو شماس يتوانى عن أن يعلم كهنته وشعبه وخدمة الله وخشيته، فليُفرَّق. وإذا دام في توانيه، فليُقطع].

اغتصاب أسقف لكرسي خالٍ:

أنطاكية ١٦ [إذا تعدّى أسقف لا كرسي له على كنيسة خالية من أسقف واغتصب الكرسي بدون موافقة مجمع كامل، هذا يكون مطروداً ولو كان الشعب كله في الكنيسة التي اغتصبها يسألونه. بل لابد من مجمع كامل يكون فيه المتروبوليت حاضراً].

تعليق: يقصد هنا الأسقف الذي بعد أن رُسم على إيبارشية لم يتمكن من دخولها. وهذا كان يحدث أيام انحياز الملوك والولاة للهراطقة.

ضرورة وحدة الفكر والرأي بين الأساقفة من جهة الرعاية الحسنة:

دسقولية ٨ [كونوا يا أساقفة بعضكم مع بعض بقلب واحد، مشتركين في الآلام، محبين للأخوة. ارعوا الشعب باتفاق وإخلاص، وعلموهم أن يكونوا بإرادة واحدة. كونوا روحاً واحداً وجسداً واحداً مستعدين بفكر واحد ورأى واحد كما أوصانا الرب].

قانون الأولية بين الأساقفة:

قوانين الرسل ٣٤ [إن أساقفة كل أمة يجب أن يعرفوا الأول فيهم ويعتبروه مثل رأس لهم، ولا يُقدِموا على أمر خطير إلا بعلم ذاك، بل ليدبِّر كل أسقف منهم ما يختص بموضعه. ولا ذاك يصنع شيئاً بدون علم الكل. وهكذا يكونون بوحدانية ويتمجد الله بيسوع المسيح والروح القدس]

[نيقية ٦و٧، القسطنطينية ٢و٣، أفسس ٨، خلقيدونية ٢٨، السادس ٣٦و٣٩، أنطاكية ٩].

أساقفة كل إقليم يعرفون المتقدم بينهم:

أنطاكية ٩ [يجب أن يعرف أساقفة كل إقليم الأسقف المتقدم وسطهم الذى هو المتروبوليت الذى عليه كل الاهتمام بالإقليم. لأن كل من له مصلحة يمضى إلى العاصمة، وهكذا وجب أن يكون هذا المتقدم أولاً في الكرامة، ولا يفعل أحد من بقية الأساقفة شيئاً بدونه كالقانون الأول الذى تسلمناه من آبائنا، إلا ما كان متعلقاً بتدبير كرسيه وحده كخدمة الله التي هي في كل واحد، إذ لكل أسقف أن يهتم بما هو داخل حدود مدينته فيرسم القس والشماس ويقضي في كل أمر. أما أكثر من هذا فلا

يصنع الأساقفة شيئاً إلا برأي المتروبوليت، وهو أيضاً لا يفعل شيئاً إلا برأي بقية الأساقفة].

أسقف لا يقبل خدمة الشعب الذي رُسم عليه:

قوانين الرسل ٣٦ [أي أسقف وُضعت عليه اليد ولا يقبل الخدمة والاهتمام بالشعب الذي أؤتمن عليه، هذا ينال فرزاً (يُقطع من الشركة) إلى أن يقبل القيام بواجباته. وكذلك القس والشماس.

وإذا لم يُقبل هو، من جهة الشعب وليس من جهته هو، فليُثبتّ هذا أسقفاً، وليُفرز كهنة المدينة لتقصيرهم في تأديب الشعب الجموح]- (السادس ٣٧، انقره ١٨، أنطاكية ١٧و١٨).

(الرسل ٣٧، نيقية ٥، خلقيدونية ١٩، اللاذقية ٤٠، قرطاجنة ٢٦ و ٦٠ و ٦١ و ٨١ و ٨٤ و ٨٥ و ١٠٤).

الحذر من الأسقف الشرير:

الدسقولية ٤ [ومن يتبع الراعي السوء فإن موته ظاهر أمامه].

القديس يوحنا ذهبي الفم: [لا تخف ولا تستحِ من شتيمة الأساقفة السوء، ولا يُخيفك عظم المرتبة فإنها لهم كلهم على حد سواء. ولا تغترّ بلباسه جلد الخروف (أي الظهور بمظهر الحمل الوديع) بل نحيٍّ الجلد وانظر الذئب بالداخل. لا تنظر إلى حسن كلامه انظر إلى حقيقة فعله وجميل أفعاله].

الشكوى ضد الأسقف :

الرسل ٦٩ [الأسقف إذا شكاه المؤمنون الثقاة فالواجب أن يدعوه الأساقفة. فإن جاء وأقر بذنبه، فليوبَّخ على ما جاء منه وليُعاقب. وإن هو امتنع من المجئ فليعُد إليه الرسول ثانية من أسقفين، فإن هو امتنع فليُعد إليه الرسول ثالثة. فإن لم يأت فلتأت الجماعة بقطعه لئلا يظن أن هربه من الجماعة خير له].

التدقيق في حاشية الأسقف:

البابا كيرلس الثاني: [يجب على الأسقف أن لا يستصحب إلا مَنْ تجمُل طريقته ويُعرَف خبره من شيوخ الرهبان أو من شيوخ العلمانيين المشهور حالهم ومَن يتفقد قوَمَة البيَع (أي المسئولين عن الكنائس). فمن وجده غير موافق (أي غير لائق) ولا يصلح لخدمة تلك البيعة صرفه واستخدم من ينهض بالخدمة وتجمُل طريقته].

بذخ الأسقف:

باسيليوس [لأجل أسقف لابس برفير وحرير وفقراء مدينته جياع وعراة. أسقف يلبس برفيراً وحريراً وفقراء مدينته جياع أو عراة ليس هو أسقفاً، و(يجمع) على مائدته أطعمة مختلفة، وينسى ضيقة الفقراء، فهو يهودي جديد].

تعليق: ينطبق هذا القانون على كل نوع من البذخ والمصاريف الزائدة التي تُصرف تحت أية مسميات (كالاحتفالات وما يُقدَّم فيها من أغلى أصناف الأطعمة، وكذا الإعلانات الكمالية المدفوعة الأجر، وكذلك الأسفار بدون داعٍ ضروري وغيرها) وتتنافى مع روح التجرد والفقر الذين نذرهما الأسقف يوم رهبنته. - ٣٩

غِنَى الأسقف:

باسيليوس [لأجل أسقف يُقسَم وهو فقير فإذا استغنى من بعد قسمته فغناه من متاع الكنيسة. أسقف إذا اصطُفي (انتُخب) وقُسم هو فقير، فإذا رأيته استغنى من بعد قسمته فاعلم أن الذي اقتناه

هو من متاع الكنيسة] – ٤٠

اغتصاب الأسقفية أو القسوسية برشوة:

باسيليوس [إذا اغتصب واحد طقس الكهنوت بقنية، هذا فليكن محروماً. وأسقف يأخذ قنية من واحد ويرشمه بغير استحقاق، فليُحرم أمام الأساقفة وهم حضور في موضع مع بعضهم]–٤٤

تحريم انشغاله بمهنة عالمية

قوانين الرسل ال ٨٣ – ٩٤ [أي أسقف اشتغل في شئ من مهن الدنيا فليُقطع).

قوانين الرسل ٩٥ [ولا يحل لأسقف أن يُسقط نفسه من ديوان المسيح ويتولى شيئاً من عمل السلطان (ينطبق هذا على الدخول في انتخابات المجالس والهيئات المدنية العامة ومجالس إدارات الهيئات). فإن هو لجَّ في ذلك، فليُنزل من درجته لأن الرب قال ليس يقدر أحد أن يعبد ربين، فإنه إما يُسخط واحداً ويرضى الآخر (مت ٦: ٢٤)].

لا يخرج كلام هزؤ من فم إكليروس:

باسيليوس [لا يجب أن يخرج من فم أحد من الإكليروس كلام هزؤ (التنكيت والمزاح) على الإطلاق. لا يقولوا أحد من الإكليروس على الإطلاق كلام هزء (تنكيت ومزاح) ولا يخرج من فمه في وسط الإكليروس أو في وسط العلمانيين. ولا يستهزئ بإنسان أو يعيب أحداً في جسده عيب كمعيِّر له ويقول هكذا: يا أعمى أو يا أطرش أو يا ناقص أو العبد أو الأعسر أو العاجز أو المطرود أو بقية التعيير الحقير. إذا كان واحد هكذا أو يسبّ الناس في عيوبهم الجسدانية فيؤنَّب كصبي صغير. فإذا كان قد قُدِّم في الإكليروس فيخرج إلى أن يقبل [يتعلم] الحكمة] – ٥٧

تحذير من تصديق كلام السوء على أحد بدون تحقيق:

باسيليوس [لا يتكلم أحد من الإكليروس عن واحد بسوء من قبل أن يسمع أولاً الكلام، لأنه مكتوب: "الذي يبدأ بالكلام قبل أن يسمع فهو جهل منه وعار"] – ٦١

تحريم نعت أو اتهام شخص بالهرطقة بدون إجراءات كنسية محددة سبق اتخاذها:

تعليق على القانون السابق: بحسب تقليد الكنيسة، ليس مسموحاً لأي عضو في الإكليروس أن ينعت عضواً آخر من الإكليروس أو الشعب بتهمة الهرطقة والمروق عن الإيمان، مُشهِّراً به وسط المؤمنين في الكنيسة من على منابر الوعظ أو على العامة في الصحف. هذه التهمة الخطيرة لا يقوم بتوجيهها إلا مجمع مسكوني أو مكاني مؤيَّد بمشورات العلماء اللاهوتيين، وبعد حوار شخصي في حضور علماء مشهود لهم مع من هو مدَّعى عليه بذلك. ولابد من حكام نزيهين من الكنيسة والكنائس الأرثوذكسية الشقيقة حتى ينتفي أي شك في نزاهة الحكم وصدق التهمة. أما إذا لم يحدث ذلك، واتهم الإكليروس بعضهم بعضاً أو أحدهم الآخر بهذه التهمة بدون الإجراءات الكنسية الواجبة[١٣]، فينطبق عليه الحكم المشار إليه في هذا القانون.

---

(١٣) كنموذج لطريقة معالجة الهرطقات والهراطقة يُرجع إلى تاريخ الكنيسة ومحاضر جلسات المجامع المسكونية والمكانية لتتبُّع وتبيُّن أسلوب وطريقة الحوار مع المدَّعى عليهم بتهمة الهرطقة. راجع في هذا الصدد: *كتاب الشرع الكنسي*، أعمال المجامع وقوانينها. وراجع الملحق رقم ٥: *الآباء والهرطقات، وكيف واجه آباء الكنيسة الهرطقة والهرطقات* من كتاب: *دراسات في آباء الكنيسة*، للمؤلف صفحات من ٦٥٣ إلى ٦٨٥.

الأسقف لا يلعن، لئلا يرث اللعنة :

الدسقولية ٣٤ [فلأجل ذلك، أسقف أو قسيس أو شماس أو من له طقس في الكهنوت لا ينجس لسانه بلعنة عوضاً عن البركة لئلا يرث اللعنة عوضاً عن البركة. وليعرف كل أحد مقامه ويكمل فعله بأدب. وليكن للكل فكر واحد ونفس واحدة].

تحريم لجوء الإكليروس إلى المحاكم المدنية في نزاعهم بخصوص أمور الكنيسة:

قرطاجنة ٥٥ - [أي أسقف أو قس أو شماس أو ما دون ذلك فُوِّض في شئ من أمور الكنيسة وطولب بالحضور ليحتج عن نفسه ويناظر بما أُنهي عنه، فأبى محاكمة الكنيسة ومضى إلى الأحكام الخارجية واستعان بالرئاسات المدنية على حكم كنيسة الله وخرج عن طقس الكهنوت وعما يليق بها، فقد أمرنا بقطعه من درجته، ظالماً كان أم مظلوماً].

السماح بتقديم الشكوى ضد الأسقف، إذا كانت القضية لا تتصل بالمخالفات الكنسية بل بمنازعات مدنية شخصية:

القسطنطينية ٦ [كل من جاء بدعوى شخصية ضد الأسقف، أي دعوى تتعلق بمصالحه الخاصة، كأن يكون الأسقف قد غشّه في المعاملة أو تجنّى عليه وظلمه، ففي شكوى من هذا القبيل لا يُفحص عن شخصية الذى رفع دعواه ولا عن ديانته لأن ضمير الأسقف يجب أن يكون حراً نقياً من كل وجه. والقضاء العادل يجب أن ينصف المتظلم بدون النظر إلى دينه].

تحريم اللجوء للرؤساء المدنيين بدون أمر البابا :

أنطاكية ١١ [أي أسقف أو واحد من خدام الكنيسة أتى إلى الملك من غير أن يأمره من يرأسه أو يكاتبه فليُطرد من درجته ومن الاختلاط بالمؤمنين ومن الكرامة التي كانت له].

تحريم الاعتماد على السلطة الزمنية للتملُّك على الكنيسة:

الرسل ٢١ [وإذا استعان برؤساء هذا العالم وتملك على الكنيسة من جهتهم فليُقطع ويُطرد هو وكل من شاركه].

أو بقصد إذلال شعب الله والاستعلاء عليهم

الرسل ٢٩ [أي أسقف استجار في تدبيره بالبرانيين أو برؤساء العالم حتى يعينوه على تدبير البيعة ويطلب بذلك ذلة شعب الله والاستعلاء عليهم بما لا يجب، أو تغلب على كنيسة لغيره، فهو محروم. وليُقطع هو وجميع من أعانه على ذلك].

عدم جواز رسامة يقوم بها أسقف خارج عن إيبارشيته:

قوانين الرسل ٣٥ [لا يستجرئ أسقف أن يصنع وضع يد (رسامة) خارجاً عن بلاده الموضوعة له مدناً كانت أم قرى. فإذا ثبت عليه أنه أقدم على شئ من هذا [بدون إذن أصحاب السلطة] فليُحط [يُسقط من درجته) هو والذين سامهم] (الثانى٢، والثالث٨، السادس٢٠، أنطاكية١٣و٢٢، سرديقا ٢و١١و١٢).

لا يقسم كاهناً خارجاً عن كرسيه :

الرسل ٣٤، أو ٣٦ [أيُّ من قسم كاهناً خارجاً عن كرسيه بغير رأى صاحب الكرسي فليُقطع].

عدم قبول أسقف لقس قطعه أسقفه

قوانين الرسل ٣٢ [أي قس أو شماس قطعه أسقفه من الشركة لا يجوز أن يقبله أسقف غير الذي قطعه إلا إذا كان هذا قد مات.] - الرسل ١٢و ١٣، نيقية ٥، أنطاكية٦، سرديقية ١٤، قرطاجنة ١١و٢٧و١٠٩.

[يعلِّق كتاب البيذاليون اليوناني علي هذا القانون بأنه: "يستثنى من هذا الحكم من قُطع من الشركة بدون أن يدُعى إلى المحاكمة أو بدون أن يحاكم، ولهذا السبب لما دُعي القديس يوحنا ذهبي الفم إلى البلاط الإمبراطوري لأنه لم يحترم حكم القطع الصادر ضده من المجمع الذي عقده بابا الإسكندرية ثاوفيلس ولم يُعرْه انتباها، قبل القيام بتحقيق مجمعي آخر، فقد كان دفاعه أنه لم يكن حاضراً عندما جرت محاكمته، ولم يسمع حتى التهم التي قدَّمها المدَّعون عليه، ولم يُمنح أي فرصة للدفاع عن نفسه حسب القانون الرسولي ٧٤."

تعليق: وهذا يستثيرنا لكي نرسي وندعِّم شرعية وقانونية المحاكمات الكنسية أن تكون بإجراءات صحيحة وافية غير منتقصة (ادعاء، فتحقيق، فمحاكمة، فإعطاء المتهم فرصة الدفاع عن نفسه، ثم الحكم من قاض نزيه) حتى لا تشوبها شبهة عدم العدالة أو نقص النزاهة في الحكم.

أسقف لا يحل كاهناً حرمه أسقفه:

قرطاجنة ٨ - [أي من أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً استحق عليه المنع من كنيسته وخدمته، ثم قَبِلَه أحد من الأساقفة والقسوس وشاركه، كان ذلك القابل له ممنوعاً وشريكاً في منعه وذنبه، إلا أن يكون الذى منعه قد جعله يتوب عن ذنبه وغفر له وعاد إلى شركته في الكنيسة].

غياب الأسقف عن إيبارشيته:

سرديكا -١١ [.. أنتم تذكرون أنه في الزمن السابق قد حدد آباؤنا أن أي عامي يقيم في مدينة ولا يحضر العبادة الإلهية ثلاثة آحاد وثلاثة أسابيع متوالية يُمنع من الشركة. فإذا كان هذا ما حُكم به على العلمانيين فأحرى أن لا يجب للأسقف ولا يحل له ولا يسعه في دينه أن يتخلف عن الكنيسة ويؤذى الشعب الذي ائتمنه المسيح عليهم أكثر من مقدار هذا الزمان الذي حددوه وحددناه أيضاً. قالت جماعة الأساقفة قد حكمنا أن هذا الرأي من أوجب الأشياء].

عدم التغافل عن الكهنة الفقراء :

رسل ٥٤ - أو ٤٠ [أي أسقف أو قسيس تغافل عن الكهنة الفقراء ولا يواسيهم بما يمكنه، فليفرَّق وإذا ظل يتغافل فليُقطع كقاتل أخ].

اهتمام الأسقف بالفقراء والمساكين:

الدسقولية ١٩ [أيها الأسقف مدّ يدك اليمنى واهتم كوكيل الله بحاجة الأرامل والأيتام والذين لا مأوى لهم والمضيَّقين وكل المؤمنين والفقراء بما يعول أولادهم ولأجل مرض ينالهم].

خدمة الأسقف مع الأرامل والأيتام:

الدسقولية ١٣ [ودعوا الأيتام يلازمونكم واهتموا بطعامهم، ولا تدعوهم يعوزهم شئ. والفتاة العذراء ارعوها إلى أن تبلغ حد الزواج، ثم زوِّجوها لأحد المؤمنين. وكذلك الفتى أيضاً علموه صناعة وأعطوه عيشة إلى أن يقتدر على قيامه

بنفسه من صناعته].

باسيليوس [يجب على الأسقف أن يقاتل عن الحق حتى إلى الموت وهو أب الأرامل والأيتام، وهو مزيَّن بالثقة لكي يربح الناظرين إليه] – ٣٩

باسيليوس – ١٣ [في الأرامل والأيتام في القرى. وإن كان في القرى أرامل وأيتام ولم يكن لديهم قوة على الكد، فيأمر الأسقف رجلا مؤمناً أن يجمع لهم ما يحتاجون إليه في كل وقت. وهذا الباب بغير حرم] – ٨

الأسقف يفتقد المحبوسين

باسيليوس ١٣ [الأسقف يفتقد المحبوسين ويجمع لهم النفقة من المؤمنين ويسعى في إخراجهم. فمن استحق منهم الكفالة كفل به وخلصه ومن استوجب طول المقام في الحبس فلا يقصر في طعامهم وشرابهم وكسوتهم.

وإن حُبس مسيحي بسبب دَيْن ارتكبه لمعروف كان يؤديه للضعفاء والمساكين فليُعلَن له في الكنيسة ويُجمع له ما يخلصه من دَينه] – ٤

الأسقف يعود المرضى في بيوتهم:

أبوليدس – ٣٨ [لأجل افتقاد الأسقف للمرضى. إذا صلى مريض في كنيسة وله بيت فليمض إليه (الأسقف)، ويكون شماس يمشي مع الأسقف في كل وقت ليعرِّفه كل واحد مريض. لأنه أمر عظيم للمريض أن يفتقده مقدَّم الكهنة فيُشفي من مرضه إذا مضى إليه الأسقف ولاسيما إذا صلى عليه، لأن ظل بطرس شفي المريض...] – ٢٤.

ليس سوى أسقف واحد على إيبارشية واحدة:

نيقية العربية – ٨ [لئلا يظن بنا أنا أمرنا أن يكون أسقفان على كورة واحدة أو كنيسة واحدة أو شعب واحد].

عدم وجود أسقفين في إيبارشية واحدة :

نيقية ٥٤ (بالعربية) [لا يكون على مدينة أسقفان. فإن عرض أمر يختلف أهل المدينة أو القرية فيه حتى يصيروا فرقتين ويصير فيها بسبب ذلك أسقف آخر، فليُنظر في ذلك بالحق. فإن لم يكن لهم على الأول مبرر ما قطعه فليُقَرَّ مكانه. وإن كان لهم عليه شئ جُعل في مكانه الآخر الذى لا لوم عليه. وهذا بحرم].

الخوري إيبسكوبوس لا يضع اليد على أحد:

أنطاكية ١٠ [المسمَّين خلفاء الأساقفة الذين في القرى والنجوع والمواضع الأخرى، إن كانوا قد وُضعت عليهم اليد ليصيروا أساقفة، فقد أمرهم المجمع المقدس أن يعرفوا حدودهم: فيدبروا الكنائس ويقيموا قارئين وإيبوذياكونيين ومُعزِّمين (طاردي الأرواح الشريرة) وأن يكتفوا بذلك ولا يجسروا أن يرسموا قساً ولا شماساً، بل الأسقف الذى له المدينة (هو الذي يفعل هذا). فإذا جسر واحد وخالف ما رتبوه، فيُقطع من الكرامة التي له. ونائب الأسقف يكون طائعاً لأسقف المدينة].

تعليق: هذا القانون يفترض وجود أساقفة قرى (خوري إيبيسكوبوس)، ولكن يجعلهم خاضعين لأسقف المدينة بالرغم من وضع يد الأسقفية عليهم. وهو تأكيد لمبدأ أسقف واحد في إيبارشية واحدة. وحتى إذا وُجد الخوري إيبيسكوبوس فإنه يكون محدود الصلاحيات فلا يستطيع أن يرسم قسوساً بالرغم من كونه أسقفاً بوضع اليد. علماً بأن نظام الخوري إيبيسكوبوس قد تلاشى من نظام الكنيسة على مدى التاريخ بسبب المشاكل التي حدثت

نتيجة وجود أسقفين في الإيبارشية الواحدة بالرغم من تحديد سلطات وصلاحيات "الأسقف" الثاني. وهذا ما يدعونا إلى المناداة بإلغاء ما يسمى بـ "الأسقف العام" لنفس الأسباب، وتلافياً لنفس المشاكل التي حدثت من قبل من وجود أسقفين في إيبارشية واحدة.

عدم رسامة أساقفة على القرى :

اللاذقية ٥٧ [ولا يصير في القرى أساقفة، بل أبروطس (أي مقدَّم أو رئيس) وهو نائب الأسقف. وإن كان قد سبق وصار في القرية أسقف فلا يعمل شيئاً إلا برأي أسقف المدينة أو الكورة]

القانون الكنسي، وأهميته في حفظ الطبيعة الروحية للكنيسة:

من أجل الحفاظ على حدود الوظائف الكهنوتية والتدبيرية في الكنيسة، قامت المحاكم الكنسية، كما يجمل ذلك القانون التاسع والعشرون من قوانين الرسل:

[في تأديب الكهنة والرؤساء:

ولا يجترئ أحد من الرؤساء والأئمة أن يتعدّوا الأمر الذي نُدِب له، ولا يتجاوز الأمر الذي قلّدوه إياه وجعلوه له.

بل يكون له فيه الأمر والنهي والسلطان بما ينبغي ويجب له أيضاً، مما لا يلحقه فيه خطية ولا لائمة، ولا يكون عليه فيه مساءلة]

لذلك شرَّعت المجامع المكانية والمسكونية طريقة تأديب ومحاكمة المخالفين من الرؤساء والكهنة دون استثناء أحد.

الاستعانة بالقوانين المدنية المعاصرة لترسيخ أسس العدالة في *المحاكمات الكنسية*:

الدسقولية ٨:٨٦ [اعتبروا بمجالس الحكم التي لعلمانيي الأمم (التشريعات الرومانية – راجع صفحة ٢٠ وما بعدها)، وانظروا أنهم يسألون قدام سلاطينهم القتلة والزناة والسحرة والنقابين (السارقين) ...]

مبدأ هام: مصالحة من هم في خطر الموت:

قرطاجنة ٧ – [إن كان كاهن ممنوعاً من خدمة المذبح من أسقفه، ولحق بالكاهن الممنوع مرض يئس من شفائه، وكان الأسقف الذى منعه غائباً في مكان بعيد، ثم التمس المريض أن يتقرب من الأسرار المقدسة، فنحن نأمر أن لا يكون للقس الحاضر سلطان أن يحلّه حسب ما تأمر القوانين المقدسة اللهم إلا إن كان ذلك القس قد سأل الأسقف عند سفره وأعطاه أمراً أن يحله عند الشدة المذكورة].

أي يُسمح لهم بالتناول من الأسرار المقدسة. وليس ما يمنع من إجراء الصلاة عليهم بعد موتهم.

من بروتوكولات المحاكمات الكنسية: استدعاء الأساقفة للمثول أمام المحكمة الكنسية:

الرسل ٧٤ [أي أسقف اتُّهم بشيء خارج عن القانون من أناس موثوق بصدقهم، فإذا استُدعى من الأساقفة، فإذا تلقى (الاستدعاء) واعترف بزلته لمُبكِّتيه فليُحكم عليه بالحد المناسب، كالوصية. ولكن إذا لم يستجب للدعوة، فليُدعَ ثانية على يدِ أسقفين، فإذا لم يُطع بهذا، فليُستدعى ثالثاً بأسقفين أيضاً يرسلونهما إليه. فإذا ازدرى بكل هذا ولم يمثل أمام المجمع فليُلفظ عليه الحكم بحسب ما يراه المجمع واجباً، لئلا يُظن أنه يربح من هروبه من الحضور للمحاكمة] – (القسطنطينية ٦، خلقيدونية ٩ و ١٧ و ٢١، أنطاكية ١٤ و ١٥، سرديقية ٤، قرطاجنة ٨ و ١٢ و ١٦ و ٢٧و ٩٦ و ١٠٥ و ١٣١ و ١٣٧ و ١٣٩، ثاوفيلس ٩).

تعليق (من كتاب الشرع الكنسي) صفحة ٨٢٦

يقول كتاب البيذاليون (المرجع الرسمي للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية للقانون الكنسي):

إن التهم التي يعنيها هذا القانون ليست مما يختص بمعاملة الأسقف لأحد من الناس معاملة ظالمة أو بوقوع أحد من رعيته فريسة لطمعه، بل هي مما يختص بالمخالفات الكنسية التي تعرِّض رتبته الإكليروسية للخطر. وكل تهمة من هذا النوع لا تُسمع إلا إذا قدَّمها أشخاص أرثوذكسيون موثوق بصدقهم واستقامتهم وهم فوق كل شبهة. وهذا ما يراه زوناراس (أحد علماء القانون الكنسي في أوائل القرن الثاني عشر) أيضاً.

فالمجمع المسكوني الثالث (أفسس سنة ٤٣١) استدعى نسطوريوس ثلاث مرات. ولما لم يحضر، حُكم عليه لعصيانه في تلبية الدعوة. أما القديس يوحنا ذهبي الفم، فعلى الرغم من أن المجمع الذى عُقد ضده عند شجرة البلوط قد دعاه للحضور أربع مرات ولم يحضر لم يكن مستوجباً الحكم لأن الأساقفة الذين اجتمعوا ودعوه للحضور كانوا على عداوة له وعنف انتقادهم من قبل أن يحاكموه، أما هو فقال: إنه لا يهرب من المحاكمة، بل يطلب ألا يجلس على كراسي القضاء ضده أعداؤه الذين اتهموه، وسمَّاهم بأسمائهم.

تعليق للمؤلف: إن من صفات القاضي الكنسي (أو القضاة الكنسيون) أن يكونوا فوق أي شبهة أي سَبْق اتخاذ موقف معين من المحكوم عليه قبل محاكمته، فإذا أظهر القاضي (أو القضاة) أي تعاطف أو عداوة تجاه المدَّعى عليه قبل أن يحاكموه، وجب ردُّهم، أي إقصاؤهم عن المحاكمة واستبدالهم بقضاة نزيهين.

من بروتوكولات المحاكمات: شروط الشهود:

الرسل - ٧٥ [لا تُقبل شهادة منشق (أو مبتدع) على أسقف، بل ولا مؤمن واحد. لأن من فم شاهدين أو ثلاثة يثبت كل كلام (تثنية ١٧: ٦ ، متى ١٨: ١٦) - (نيقية ٢، قرطاجنة ٤٠، ثاوفيلس ٩).

شرح من كتاب الشرع الكنسي:

(من البيذاليون الكتاب الرسمي لدى الكنيسة اليونانية لقوانين الكنيسة: قال بولس الرسول: "لا تُقبل الشكوى على قس (شيخ = بريزفيتروس) إلا بشهادة اثنين أو ثلاثة" (تيموثاوس الأولى ٥: ١٩)، على أن كثرة الشهود لا يُعتدّ بها إن لم يكن مشهوداً لهم بالصدق والاستقامة. فكم أجمع شهود زور على اتهام الصدِّيقين والأبرار كالذين شهدوا ضد سوسنة ونابوت (العهد القديم)، وضد استفانوس، وضد الرب نفسه (العهد الجديد).

عدم شرعية ورقة مكتوبة باعتراف المدَّعى عليه بأنه مذنب:

حكمت القوانين الكنسية ببطلان استكتابه ورقة قبل أو أثناء محاكمته يقر فيها بأنه مذنب أو بأي اعتراف يؤدي إلى إدانته أو حتى بطلبه الاستعفاء من وظيفته. وقد اعتبر القديس كيرلس الكبير في رسالته إلى دومنوس بطريرك أنطاكية (والتي أُدرجت ضمن قوانين الكنيسة الجامعة في الشرق والغرب) أن مثل هذا الاستكتاب قد وقَّعه المدَّعى عليه مُرغماً بوسائل الإرهاب والتهويل، لذلك لا يُعتبر مضمون هذا الاستكتاب مقبولاً إلا إذا أظهر التحقيق والمحاكمة أنه صحيح.[1]

---

(١) قوانين القديس كيرلس الكبير، *كتاب الشرع الكنسي*، ص ٩١٥ و ٩١٦.

إجراءات محاكمة الأساقفة والقسوس والشمامسة:

قرطاجنة ١٢- [من الواجب أن تُحفظ الحدود التي من المجامع المقدسة السابقة علينا القائلة أن أي أسقف كان تحت اتهام، ولمٍ يسأل الأساقفة أن يحضروا محاكمته - وخصوصاً إن كان في ذلك الاتهام مظلوماً فليحضر اثنا عشر أسقفاً للتحقق من توبته، لئلا يتمادى الأمر الذى اتُّهم فيه، فيستخف به شعبه إذا غُفل عن هذا الاتهام، وأما في أمر القس فيكونون ستة أساقفة، وفى قضية الشماس ثلاثة].

في بعض النسخ القديمة يذكر أن هذا الإجراء يتم في حالة ما إذا لم يكن مجمع الأساقفة منعقداً، الذى إليه يرفع الأسقف أو القس استئناف الحكم عليه إذا كان قد حُكم عليه من مطران الإقليم (في حالة وجود مثل هذا النظام أي نظام المطرانيات التي يتبعها أساقفة)].

إجراءات محاكمة أسقف واستدعائه للمثول أمام المحكمة الكنسية:

قرطاجنة ٢٠ - [إذا قُدِّمت شكوى على أسقف، فعلى المدَّعى أن يقدم شكواه إلى مقدمي الإيبارشية التي ينتمي إليها الأسقف. ولا يُقطع من الشركة بسبب اتهامه بالجرم إلا إذا لم يحضر في اليوم المعيَّن للدفاع عن نفسه أمام القضاة المختارين بعد مرور شهر من تاريخ استلامه مذكرة الدعوة.

أما إذا لم يستطيع أن يأتي بسببٍ أعاقه عن حضوره، فتمدَّد المهلة شهراً آخر لسماع دعواه. وبعد انتهاء مدة الشهر الثاني يُمنع من الشركة حتى تظهر براءته.

ولكن إذ رفض الحضور إلى المجمع السنوي العام (المجمع المقدس) ليصير في الإمكان البتُّ في قضيته في المجمع، فيكون قد أصدر الحكم على نفسه، ولا تجوز له الشركة في كل المدة التي يُمنع فيها، حتى في كنيسته وإيبارشيته.

أما الذى يشتكى على الأسقف، فإذا لم يتغيب في أي من الأيام المعيَّنة للنظر في الدعوى، فلا يُمنع من الشركة، ولكن إذا تغيب في أحد الأيام وصار مختفياً في بعضها الآخر، وليس ذلك عن عائق يستدعى غيابه، فيكون هو الكاذب والمتحامل على الأسقف ربما لأمر جرى بينهما في الكنيسة أو رفض طلباً طلبه الأسقف. لذلك، فليُفسح لذلك الأسقف، ويُحلَّ من رباطه ويُعاد إلى الشركة الإلهية، ويُمنع خصمه، ولكنه لا يجرَّد من حق مواصلة الشكوى إذا قدَّم البرهان على أن تغيُّبه كان عن اضطرار لا عن إهمال وعدم مبالاة.

وقد حُدِّد هذا أيضاً: [إذا تبين أن مقدِّم الشكوى كان هو نفسه مُداناً عندما وصلت القضية ضد الأسقف إلى المرافعة فلا يجوز له أن يقدِّم شهادته إلا إذا بَرْهَن أن القضية التي تؤلف شكواه على الأسقف ليست كنسية بل شخصية (أي بينه وبين الأسقف] - (الرسل ٧٤، القسطنطينية ٦، خلقيدونية ٩و ٢١، أنطاكية ١٤ و ١٥، سرديقية ٤).

الشكوى ضد الأسقف :

الرسل ٦٩ [الأسقف إذا شكاه المؤمنون الثقاة فالواجب أن يدعوه الأساقفة. فإن جاء وأقر بذنبه، فليوبَّخ على ما جاء منه وليُعاقب. وإن هو امتنع من المجئ فليعُد إليه الرسول ثانية من أسقفين، فإن هو امتنع فليَعُد إليه الرسول ثالثة. فإن لم يأت فلتأمر الجماعة بقطعه لئلا يظن أن هربه من الجماعة خير له].

حق القس المُدان في الالتجاء إلى أساقفة ليحضروا محاكمته لإثبات براءته:

قرطاجنة ١١ – [أي قس قيل عنه شئ من التهم وكان بريئاً من ذلك، وبلغ ذلك إلى رئيسه وأنكر عليه، فليمض إلى أساقفة تلك الإيبارشية (أو الإقليم) ويخبرهم بما نُهي عنه ويسألهم الحضور معه إلى أسقفه بأن يكشف عنه ما أُنهي إليه من أجله، فإذا لم يفعل ذلك تعاظماً في نفسه وفرَّق نفسه من شركة أسقفه واعتزل جانباً وخدم الخدمة الإلهية، قالت الجماعة المقدسة: إن فاعل هذا الأمر ومَنْ يُقدم عليه يكون محروماً ويُحطّ[٢] من رتبته، ويكون أسقفه بريئاً من ذنبه ولا يكون عليه ملامة].

يمكن للقس أو الشماس (المُدان) أن يستعين في محاكمته بأساقفة آخرين:

قرطاجنة ٢٠ – [أي قس أو شماس أتهم من أهل درجته ورتبته واستعان بالأساقفة المجاورين (لإيبارشية)، ولم يرتض بحكم أسقفه خوفاً من أن يظلمه، فيجاب إلى مطلبه، فينظر في أمره ستة أساقفة كما رسمنا أو إذا كان شماساً فيكون في حكمه ثلاثة أساقفة، بعد حضور الرافع (أسقف) والمرفوع عليه (القس أو الشماس)، وليُحفظ بينهما المرسوم. وأما بقية رتب الكهنوت وكافة الشعب فأمرهم راجع إلى أسقفهم في الحكم بينهم وحده).

هذا القانون يصلح جداً في حالة وجود خصومة شخصية حادة سابقة على المخالفة موضوع الاتهام، في هذه الحالة لا يصح أن يكون القاضي طرفاً في هذه الخصومة السابقة مع المدَّعى عليه. لذلك حكم القانون سالف الذكر باستجابة طلب القس أو الشماس بإحالة القضية على أساقفة آخرين (حسب المبين في القانون) وبشرط حضور الأطراف كلها: الأسقف والقس وأن يكون الحكم بحسب القوانين والمراسيم الكنسية.

أنطاكية ١٤ – إذا دعي أسقف لمحاكمة واختلف أساقفة الإيبارشية في قضيته فقال بعضهم ببراءته وقال آخرون إنه مذنب، فالمجمع يرى أن أفضل حل لهذا الخلاف هو أن يدعو المتروبوليت عدداً من الأساقفة من إيبارشية مجاورة ليشتركوا مع أساقفته في النظر في الدعوى ويصدروا كلهم بالاتفاق الحكم المبرم].

أنطاكية ١٥ – إذا قُطع أسقف سُعي به وحُكم عليه من أساقفة الإيبارشية كلهم وهم متفقون، وأخرجوا عليه حكماً واحداً، فلا يُحكم عليه من آخرين (أي يستأنف الحكم أمام أساقفة من إيبارشية مجاورة)؛ بل جماعة الأساقفة التي للإيبارشية المتفقين بعضهم مع بعض تكون ثابتة.]

تعليق: (مع وضع في الاعتبار أنه في مثل هذه

---

(٢) معاني الأحكام الواردة في قوانين الكنيسة:

يُفرز = يُقطع من الشركة لمدة محدودة، وكذلك

يُنفي = نفس المعنى.

يُحطّ = ينزل عن رتبته إلى درجة أدنى.

يُقطع = يخرج من الكهنوت.

يُمنع = يوقف عن أداء الخدمات الكهنوتية.

على أن لا يُمنع المقطوع أو الموقوف أو الممنوع من التقرب للأسرار المقدسة لأنه لا يُحكم على شخص بعقوبتين في وقت واحد، أما في حالة الفرز فهي تحمل ضمناً عدم الشركة من الأسرار المقدسة.

يُحرم = وهي أقسى عقوبة وفيها يخرج المؤمن من رعوية شعب الله أي المسيحية. وتسميها الدسقولية المنشار الكبير الأسنان. لذلك فقد حرَّمت الكنيسة الحكم بهذه العقوبة إلاَّ بعد إجراءات كنسية محددة في القوانين الكنسية وعاقبت رجل الإكليروس الذي ينطق بكلمة حرم بدون هذه الإجراءات. (راجع القوانين الكنسية الخاصة بالحرم، آخر الفصل الثاني من الباب الرابع: *التدبير الكنسي*)

الحالة يمكن لهذا الأسقف أن يرفع مظلمته إلى الأب البطريرك وهو بيده تثبيت الحكم أو تخفيفه أو إلغاؤه. وهذا القانون تكملة للقانون ١٤ السابق).

امتناع أيٍّ من الإكليروس عن المثول والجواب عما اتهم به:

قرطاجنة ٨١ - [أي أسقف أو قس أو شماس رُفعت عليه قضية إلى المجمع بسبب ما، فحضر مع خصمه إلى المجمع، فلما سئل عما نُهي عنه فاعتذر عن الجواب، ووعد خصمه بأن يحضر بالجواب في يوم آخر، ثم بعد ذلك نكث عن وعده لخصمه، وكذلك نكث بقوله قدام المجمع، أمر الآباء أن يُمنع من الشركة المقدسة إلى حين حضوره ومناقشته عما تقرر قدام المجمع. فإن لم يحضر وتهاون بالحكم، صار مقطوعاً من رياسته].

قانون استئناف أحكام الحرومات أمام المجمع المقدس:

لقد وضع مجمع نيقيه قانوناً، والمجامع الأخرى رددت هذا القانون، ذلك هو نظام استئناف قضايا الحرم أمام محكمة عليا لدى مطران الإيبارشية أو المجمع المقدس لأساقفة الإقليم، والتي أوجبت انعقاد المجمع مرتين في العام للنظر في الخلافات والحروم التي تنشأ بين الأسقف وأحد كهنته أو مع أحد أعضاء شعب الإيبارشية:

قانون ٥ مجمع نيقية المسكوني[٣] (سنة ٣٢٥م)

[ليجتمع أساقفة كل صقع إلى مطرانهم أو بطركهم دفعتين كل سنة: الأولى قبل صوم الأربعين لنزول الشرور والغضب، وتكون القرابين في الصوم نقية جليلة لله. والثانية في الخريف بعد عيد الصليب لأن كثرة الأمراض ووباء الموت يكون في الخريف والشتاء، فتكون الألفة والسلامة قبل الموت، حتى يلقوْا المسيح أنقياء.

وذلك لينظروا في قضية من أخرجه أسقفه من الكهنة وغيرهم لئلا يكون أخرجه ضجراً عليه أو لأجل شئ هكذا، ويحكموا بحسب ما يتضح لهم.

فإذا ظهر أنه (أي المحكوم عليه من أسقفه) أساء إلى الأسقف، فليؤدَّب الأدب البليغ وليُمنع من دخول الكنيسة وخلطة المؤمنين. وإن كانت الإساءة من الأسقف، فلا يُمكَّن من ذلك، وتؤدبه الجماعة على خطئه. فإن هو اعترف بذلك، غُفر له، وإن استعمل الحقد والحنق للتشفّي، فليُنزَل عن رتبته.][٤]

عدم الشركة مع الأسقف الذى يَتَّهم شخصاً وهو عاجز عن تقديم براهين اتهامه:

قرطاجنة ١٣٣- (من كتاب الشرع الكنسي) - [إذا حرم أسقف شخصاً من الشركة بدون أن يثبت الحكم عليه، يُحرم الأسقف أيضاً من الشركة مع إخوانه وشركائه في الكهنوت].

تعليق من العالم القانوني جونسون: "لسنا نرى شريعة وُضعت بتجرد ودون تحيز مثل الشريعة أعلاه، ولاسيما أن أعضاء المجمع كلهم ما عدا اثنين منهم كانوا أساقفة (٢١٧ أسقفا) - كتاب الشرع الكنسي - صفحة ٧٤٢.

وتعليق من الكاتب:

وليس هناك عثرة في أيامنا الحاضرة أكثر من

---

(٣) راجع أيضاً أعمال مجمع سرديكا على القانون رقم ١٤(سنة ٣٤٤)، القانون ٢٠ من قوانين مجمع قرطاجنة.

(٤) *المجموع الصفوي*، صفحة ٤٧.

هذه العثرة وهي التراشق بالحرومات على الكهنة وأعضاء الشعب دون محاكمة قانونية كنسية عادلة تتوفر فيها أركان المحاكمة الصحيحة.

كتمان أمور المحاكمات الكنسية للحيلولة دون افتخار غير المؤمنين ومعاملة الإكليروس المتهمين بالشفقة والرحمة احتراماً لدرجة الكهنوت وتسهيل لهم الدفاع عن أنفسهم:

الدسقولية ٧:٥٣ [وأيضاً لا تسمحوا بأن يعلم الأمم بشئ من الخصومات التي تكون فيما بينكم وبين بعضكم.. ولا تقبلوا إليكم شهادة غير المؤمنين على بعضكم.]

قرطاجنة ٧٩ - (من كتاب الشرع الكنسي): [قد تحدد أيضاً أنه شاع عن إكليريكيين أو اتهموا بارتكاب بعض الزلات، ولكن كتم أمرهم إما صيانة للكنيسة من اللوم، أو شعوراً بالخجل من العار أو تجنباً لتعييرات المبتدعين والوثنيين المتباهين، فإذا كان هؤلاء الإكليريكيون راغبين في الدفاع عن أنفسهم وفى إظهار براءتهم، فلهم أن يفعلوا ذلك قبل انقضاء سنة على التهمة، ويكونون أثناء ذلك ممنوعين من الشركة. وإذا لم يقوموا بما ذكر في المدة المعينة لا يُقبل دفاعهم فيما بعد على الإطلاق] - (الرسل ٧٤، الثاني ٦، الرابع ٩).

تعليق من كتاب "البيذاليون" اليوناني:

في هذا القانون إن كل إكليريكي اتُّهم بزلة وتعرَّض لصدور الحكم عليه فطلب مهلة لتبرئة نفسه، يجب أن يعاملَ بالشفقة والرحمة احتراماً لدرجة كهنوته المقدس وللحؤول دون افتخار الوثنيين والمبتدعين (الذين كانوا كثرة في ذلك الزمان - ونحن نقول اليوم بدلاً من ذلك غير المؤمنين) بوقوع اللوم على الكنيسة وتعرض رجال الكهنوت الأرثوذكسي للذم، فيمنح مهلة سنة يُمنع أثناءها عن الشركة، وإذا لم يدافع عن نفسه في المدة المحددة لا يُسمح له بذلك فيما بعد. (كتاب *الشرع الكنسي* - صفحة ٧١١).

تعليق من الكاتب:

وينطبق قانون كتمان أمور المحاكمات الكنسية في عصرنا الحاضر على النشر في الصحف العامة والكتب العلمانية ما يسئ إلى سمعة الكنيسة ورجال الإكليروس فيها سواء عن طريق المقالات أو الأحاديث الصحفية .

تحريم "الحرم"، والإجراء الذي يُتخذ إزاءه:

[ليكن الرئيس يؤدب الشعب ويعقدهم بالصليب لا بالحرم. ولا يربط ولا يحرم في غير حرم يوجب الحرم.

فإن هو حرمٍ وربط بغير حق طلباً للتشفي من الناس، والتماساً لذلهم وخضوعهم له، فليكن هو المربوط المحروم من الله ومن أحكامه. وهم بريئون من ذلك (الحرم). ولتقم عليه كهنته بالحق الواجب. فإن صعب عليهم ذلك، فليرفعوا أمره إلي مطرانهم الذي هو مطرانه أو بطريركه. ويقوموا عليه بالحق، ولا يَدَعوه يتعدى علي خراف المسيح الذين اشتراهم بدمه الزكي، ولا يغيظهم ويحوجهم إلي التجديف علي الله وديانته المقدسة]. القانون ٢٤ – قوانين الرسل

منع الحرم إلاَّ على المخالفين في الإيمان:

نيقية للرهبان – ٢٩ [لا يتسلط أحد من الكهنة على التحريم وليكن إذا أذنب المذنبون منهم فليعاملوه بالأسر والمنع من دخول الكنيسة ومخالطة المؤمنين ولا يذكرون التحريم. وأما الأسر والمنع فهو للتأديب وأما التحريم فليس هو مما يؤدبٌ به إلا أولئك الغرباء الخارجين. والتحريم يفرق بين صحة الإيمان وبين الهراطقة.

فليتحفظ الكهنة تحفظاً شديداً من التحريم القاطع من أن يعاملوا الأولياء بسيف الحرم، الذي كل من ضرب به أفرق بينه وبين الحياة المزمعة.

فليس لأحد من الكهنة سلطان أن يعامل أحداً بالحرم البتة. ولكن ليؤدَّب من أذنب بالأسر والمنع بكلمة الله والصليب المجيد، ولا يحرم ولا يقطع من الله كما يُقطع الغريب من دين النصرانية، لأن في الحرم انقطاع رجاء.

فإن أقدم أحد على التحريم من غير علم بما فيه، فليصفح عنه بالصلوات والدعاء والبركة. وإن أقدم عليها ومعرفة بما هو فيه فليعاقَبْ عقوبة شديدة. فمن خالف هذه السُنَّة فجماعة السينودس تحرمه.]

تحريم نعت أو اتهام شخص بالهرطقة والتشهير به بدون إجراءات كنسية محددة سبق اتخاذها:

تعليق على القانون السابق: بحسب تقليد الكنيسة، ليس مسموحاً لأي عضو في الإكليروس أن يطعن عضواً آخر من الإكليروس أو من الشعب في سلامة إيمانه وعقيدته فيتهمه بالهرطقة أو بأي تعبير آخر يُفهم منه ذلك. هذه التهمة الخطيرة يقوم بتوجيهها مجمع مسكوني أو مكاني مؤيَّد بمشورات العلماء اللاهوتيين وأساقفة ورؤساء أساقفة من الكنائس الأرثوذكسية، وبعد حوار شخصي نزيه منهم مع من هو مدَّعى عليه بذلك. ولابد من قضاة نزيهين من الكنيسة والكنائس الأرثوذكسية الشقيقة حتى ينتفي أي شك في نزاهة الحكم وصدق التهمة. أما إذا لم يحدث ذلك، واتهم الإكليروس بعضهم بعضاً أو أحدهم الآخر بهذه التهمة بدون الإجراءات الكنسية الواجبة، مُشهِّراً به وسط المؤمنين في الكنيسة من على منابر الوعظ أو على العامة في الصحف فينطبق عليه

الحكم المشار إليه في هذا القانون،[٥] بالإضافة إلى ذلك النتائج السيئة التي تحدث في المجتمع الكنسي نتيجة مثل هذا التشكيك غير القائم على أساس حقيقي.

التسرع في حرم شخص عن غضب:

سرديكا - ١٤ [قال هوسيوس الأسقف: يلزمني أن لا أسكت عن أمر يقلقني أبداً. أنه أي أسقف كان في أمر من الحدة على حالة لا يجب أن يكون عليها رجلٌ متقلد التدبير. فأخرجته حدّته إلى أن أزال قساً أو شماساً عن مرتبته وأخرجه من الكنيسة، فالواجب على من أُخرج أن يلتجئ إلى المتروبوليت أعنى مطران الإيبارشية، أو إلى من يقرب منه (من أساقفة) إن لم يكن هناك متروبوليت ويسأل أسقفها للنظر في أمره. فإنه لا يحل أن يُسمع من الظالمين. ويجب أن يسارع إلى الفحص عن الأمر على ذلك الأسقف الذي أخرجه هل بواجب هوى أو بغير واجب.

وأن يسارع إلى الفحص عن صحة الأمر فإما أن يثبّت به حكمه وإما أن يُرد إلى الصواب. ولا ينبغي للممنوع من المشاركة قبل أن يُبحث عن أمره ويوقف على صحته أن يلتمس لنفسه المشاركة. وإن اجتمع قوم من الإكليروس ورأوا من هذا الممنوع قلة مبالاة واستخفافاً بالأسقف فيجب عليهم أن ينوّهوا عن ذلك بالغلظ من القول إن كان لا يجب أن يحتملوا من أحد عدلاً ولا لائمة لأنه بغير حق، ويسمعون ويطيعون لما يأمرنا به الواجب. وذلك أنه كما أن الأسقف يلزمه أن يفحص ويمحّص رعيته بالمحبة والإخلاص كذلك يلزم الرعية أن ينتصحوا في محبة وخدمة الأساقفة. قالت الجماعة هذا من أوجب الأشياء] [راجع الترجمات المتنوعة في الشرع الكنسي ص٦٣٧، ٦٣٨.

تعليق للعالم القانوني "فان اسبن" في كتاب *الشرع الكنسي*:

[فليدرك الأساقفة والرؤساء الذين لهم السلطة الروحية على الإكليريكيين أن الذي لا يحتمل سماع كلمة ضد أحكامه بترو وصبر بل يطلب طاعة عمياء فهو يسبب بخطته هذه ضرراً لضمائر أفضل الإكليريكيين.] - المرجع السابق

قانون الشركة وقانون المشورة، أحكام الحرم تتم بالمشورة مع الإكليروس القدامى والأراخنة:

قانون الشركة: ·

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة على أفراد الشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء المجمع المقدس والإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

(٥) كنموذج لطريقة معالجة الهرطقات والهراطقة يُرجع إلى تاريخ الكنيسة ومحاضر جلسات المجامع المسكونية والمكانية لتتبُّع وتبيُّن أسلوب وطريقة الحوار مع المتهمين بالهرطقات. راجع في هذا الصدد: *كتاب الشرع الكنسي*، الملحق رقم ٥: *الآباء والهرطقات، وكيف واجه آباء الكنيسة الهرطقة والهرطقات* من كتاب: *دراسات في آباء الكنيسة*، للمؤلف صفحات من ٦٥٣ إلى ٦٨٥.

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه رضا الله، وصلاح الشعب (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، وواجب الديانة (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه إساءة لبعضهم (أي الإساءة للآخرين بكافة صورها، العلنية منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، وغير المباشرة مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

ولا خلاف لهم في تجاوز الحق إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] - القانون الرسولي رقم ٢٠

قانون المشورة:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم المدني) على انفراد واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

شرط إجراء الحرم على أحد: المشورة

الدسقولية ٤ [فإن عَدِم (الخاطئ)، الشفاء فبفحص شديد وحرص ومشورة أطباء علماء اقطع بغم وحزن العضو الذى فسد لئلا يُفسد باقي الأعضاء. فقد كتب: اقلعوا الشرير من بينكم.]

التأني والابتعاد عن سلاح الحرم:

الدسقولية ٤ [ولا تكن مسرعاً للقطع ولا جسوراً ولا تسارع إلى المنشار الكبير الأسنان.]

نتيجة الحرم في غير محله:

[لأنكم إذا طرحتم آخرين للحكم بظلم، اعلموا أنكم تجلبون القضية من ذاتكم عليكم. من أجل أن الرب قال: "إن بالحكم الذي تحكمون به يُحكم عليكم"و"كما تدينون تُدانون".]

الدسقولية الفصل السابع

والحكم على الآخرين ظلماً :

دسقولية ٥ [وأسقف يوجب القضية على أحد ظلماً فالنقمة تخرج من فيه على نفسه].

مسئولية الأسقف أو الكاهن عن نتائج ذلك:

[فإذا لم تقبل إليك الذي تاب، فإنك تسلمه إلى الأعداء، وتنسى قول داود: «لا تسلِّم نفساً تعترف لك إلى السباع» (مزمور٧٤: ١٩)]

الدسقولية ٣: ٦٠

[والذي طُرح من الكنيسة بعدم دَيْن (أي بعدم حكم ومحاكمة)،

وبغير واجب (أي ظُلماً)،

يُمسَك بحزن قلب وصغر قلب.

وهكذا إما أن يذهب إلى الأمم فيضل، أو يسقط ويؤسر في الشيع المخالفة، ويصير غريباً بالجملة من الكنيسة ورجاء الله، ويكون مُبكتاً بالنفاق (أي

يوجعه ضميره على تركه الكنيسة رغماً عن مشيئته)، فتصير أنت سبباً لهلاكه.]

(الدسقولية ٤: ٤٨)

عقوبة حرم الآخرين بدون واجب أو على غير أساس:

نيقية العربية ٣١ [أي أسقف كان حقوداً أو سريع الغضب حتى أنه يربط ويحرم في كل وقت ولا يتخلى عن هذا ولا يلتزم الوقار ولا يترك الحقد حتى لا يستعمل الحرم في كل وقت فليسقط من درجته. وكذلك كل من له حرم].

وماذا يحدث حينما يوقَّع حرم على شخص بدون وجه حق؟

تقطع في هذا الأمر صراحة قوانين الكنيسة المبكرة وأهمها: القانون ٢٤ من التِطلُسات، والدسقولية الفصل السابع: ٣٦، وغير ذلك من القوانين، وكمثل لذلك ما ورد في الدسقولية:

[لأنكم إذا طرحتم آخرين للحكم بظلم، اعلموا أنكم تجلبون القضية من ذاتكم عليكم. من أجل أن الرب قال: "إن بالحكم الذي تحكمون به يُحكم عليكم" و"كما تدينون تُدانون".] – الدسقولية الفصل السابع: ٣٦

ولكن ماذا تفعل الكنيسة في مواجهة "الحرم في غير ما يجب الحرم"؟

[إذا كان أسقف قد تعدى الناموس، وجار على شعبه ورعيته، ولم يكن بتلك الناحية رئيس عليهم يمنعه من فعل ذلك (أي لا يوجد مطران يرأس مجموعة من الأساقفة في الإقليم)، فلكهنته وللمؤمنين من شعبه أن يلجأوا في أمر مخالفته للناموس إلى الأساقفة الذين من أبرشيته.

وللأساقفة سلطان أن يدعوه إليهم وأن يعظوه ثم ينظروا فيما رُفع إليهم بسببه. فإن هو أتاهم مُقرًا لهم بذنبه، فَلْيُوبَّخ على فعله، وَلْيُعاقَبْ بما يلزم مما قد حددنا بالعقوبة الشديدة في مثل ذلك. وإن هو امتنع من الحضور، فَلْيُرسلوا إليه مرة أخرى أسقفين، وفي المرة التالية ثلاثة. فإن هو استهان ولم يأتهم، فنأمر الجماعة المقدسة بقطعه وإسقاطه من رتبته، لئلا يظن أن هروبه من الجماعة خير له]- القانون ٦٩ من قوانين الرسل الـ ٨٢

السماح للمحرومين من الشركة حال احتضارهم أن يتناولوا من الأسرار المقدسة:

نيقية ١٣ [إنه فيما يختص بالمحتضرين فالقانون القديم لا يزال معمولاً به، أعنى إذا أشرف شخص على الموت فيجب ألاَّ يُحرم الزاد الأخير الذى لا غنى عنه.

أما إذا عادت إليه صحته وكان قد مُنح الشركة حين قُطع الأمل من حياته فليقف مع صف المشتركين في الصلوات لا غير. وعلى الإجمال إذا احتضر شخص وطلب أن يُناوَل القربان فليمنحه الأسقف سؤاله بعض الفحص].

قانون استئناف أحكام الحرومات أمام المجمع المقدس:

لقد وضع مجمع نيقيه قانوناً، والمجامع الأخرى رددت هذا القانون، ذلك هو نظام استئناف قضايا الحرم أمام محكمة عليا لدى مطران الإيبارشية أو المجمع المقدس لأساقفة الإقليم، والتي أوجبت انعقاد المجمع مرتين في العام للنظر في الخلافات والحروم التي تنشأ بين الأسقف وأحد كهنته أو مع أحد أعضاء شعب الإيبارشية:

قانون ٥ مجمع نيقية المسكوني: [ليجتمع أساقفة كل صقع إلى مطرانهم أو بطركهم دفعتين كل سنة: الأولى قبل صوم الأربعين لتزول الشرور والغضب، وتكون القرابين في الصوم نقية جليلة لله. والثانية في الخريف بعد عيد الصليب لأن كثرة الأمراض ووباء الموت يكون في الخريف والشتاء، فتكون الألفة والسلامة قبل الموت، حتى يلقَوْا المسيح أنقياء.

وذلك لينظروا في قضية من أخرجه أسقفه من الكهنة وغيرهم لئلا يكون أخرجه ضجراً عليه أو لأجل شئ هكذا، ويحكموا بحسب ما يتضح لهم.

فإذا ظهر أنه (أي المحكوم عليه من أسقفه) أساء إلى الأسقف، فليؤدَّب الأدب البليغ وليُمنع من دخول الكنيسة وخلطة المؤمنين. وإن كانت الإساءة من الأسقف، فلا يُمكَّن من ذلك، وتؤدبه الجماعة على خطئه. فإن هو اعترف بذلك، غُفر له، وإن استعمل الحقد والحنق للتشفّي، فليُنزَل عن رتبته.] (راجع أيضاً أعمال مجمع سرديكا(سنة ٣٤٤)، والقانون رقم ١٤ منه، القانون ٢٠ من قوانين مجمع قرطاجنة.)

الفصل الثالث

أسقف المدينة العظمى الإسكندرية

الوضع القانوني الكنسي والمهام الموكولة إليه

مثل أي أسقف يتقلد هذه الرتبة من خلال رسامته، وقسمته، ووضع أيادي الأساقفة عليه، والصلوات التي تُتلى عليه أثناء رسامته، والتقليد الذي يُتلى على الكنيسة المجتمعة وعلى مسامعه، تتم شرطونية (أي وضع الأيدي) «أسقف المدينة العظمى الإسكندرية»

إلا أن «أسقف المدينة العظمى الإسكندرية» في وضعه القانوني الكنسي وبناءً على الصلوات والتسمية ما يُتلى في أثناء الشرطونية أي وضع أيادي الأساقفة، يسمى: **رئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية، وبابا وبطريرك الكرازة المرقسية**، ومقر إيبارشيته وكرسيه الرسولي مدينة الإسكندرية حيث كرز القديس مرقس الرسول واستشهد عام ٦١م.

وكل واحدة من الإجراءات الطقسية الواردة في كتاب "الرسامات" لها فاعليتها وآثارها الروحية على المرسوم أسقفاً على مدينة الإسكندرية ورئيس أساقفة وبابا وبطريركاً على الكرازة المرقسية، وليست مجرد طقوس وشعائر يمكن تحريفها أو اختزالها أو عدم استيفائها كلها أو بعضها. وهذه هي التسمية التي يتسمى بها بابا الإسكندرية في صلوات القسمة والأساقفة واضعون عليه الأيادي (وهذه أخطر لحظة في صلوات الرسامة):

[قد تشرطن[1] فلان (أي وُضعت عليه الأيادي) في كنيسة الله المقدسة رئيس أساقفة في كنيسة الله المقدسة التي بمدينة الإسكندرية العظمى.][2]

وبدون هذا الإجراء - أي وضع الأيادي - لا يُسمَّى المنتخب بابا وبطريرك ورئيس أساقفة

---

(١) "تشرطن" كلمة مستعربة من اليونانية **Cheiro-tonia** أي وُضِعت عليه الأيادي. راجع المعنى الروحي والطقسي لأهم طقس في رسامة البابا البطريرك في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* للمؤلف، ص ٨١ و ٨٦

(٢) عن صلوات رسامة بابا الإسكندرية الواردة بالمخطوطة الخاصة بالرسامات المسماة: ***الإفخولجوجيون***. وهي مطبوعة في روما وترجع في زمن نساختها إلى عام ١٣١٢. وهذا المقطع يقوله كبير الأساقفة أثناء أخطر لحظة في رسامة البابا البطريرك وهي لحظة وضع الأيادي على رأس أسقف الإسكندرية الجديد وتسميته بابا للكنيسة. راجع نص صلوات الرسامة في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* للمؤلف، ص ٢٩٣-٢٩٨.

مدينة الإسكندرية، بل يبقى كما هو في درجته الكنسية السابقة على الرسامة (إذا جاز أن تُسمى «رسامة» بدون القسمة ووضع الأيادي).

المهام المترتبة على هذا الإجراء:

هذا الوضع القانوني الليتورجي الكنسي يلقي على البابا الجديد أول مهمة، وهي أنه:

أولاً: راعي وأسقف "إيبارشية المدينة العظمى الإسكندرية"

وكما يُذكر دائماً في كتب التقليد الكنسي، فإن البابا البطريرك هو "**أسقف مدينة كرسيه**"، وهي مدينة الكرسي الرسولي أي المدينة التي كرز فيها أولاً الرسول الإنجيلي الطاهر مار مرقس، وأقام فيها أول كنيسة في بوكاليا ورسم عليها أول أسقف مكاني هو أنبا أنيانوس، وهي المدينة التي استشهد فيها يوم ٣٠ برمودة الموافق ٦ مايو عام ٦١م. ومن ذلك الوقت وأساقفة مدينة الإسكندرية يتعاقبون الرياسة الروحية على كرسي مدينة الإسكندرية الرسولي وأساقفة الكرازة المرقسية بلا انقطاع.

وإن رسامة أسقف على إيبارشية مدينة الإسكندرية تعني أول ما تعني أن الأسقف الجديد مسئول عن رعاية نفوس أهليها وتدبيرهم روحياً ليتمموا ويكملوا خلاصهم، وذلك بكل الوسائل والطرق والتدابير التي على كل أسقف أن يرعى بها شعبه في إيبارشيته، وذلك من خلال مجمع قسوس الإسكندرية (أقدم مجمع كنسي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية)، ومجلس الشمامسة، ومجلس أراخنة الشعب (المسمَّى الآن المجلس الملي).

وبسبب المركز المميَّز لأسقف الإسكندرية ومسئولياته الخاصة بوضعه كرئيس أساقفة الكرازة المرقسية (كما حددها قانون رقم ٦ من قوانين مجمع نيقية المسكوني العشرين) وبسبب وجوده في العاصمة المدنية الحالية (القاهرة)، فقد جرى التقليد أن يُعيِّن البابا إيغومانساً كوكيل له ينوب عنه أثناء غيابه عن مدينة كرسيه. مع تحاشي تعيين أسقف في هذه الوكالة منعاً من اللبس بوجود أسقفين في إيبارشية واحدة.

وإن قيام بابا الإسكندرية بمهمته الأولى والأساسية كراعٍ وأسقف لشعب الإسكندرية يفترض أن يكون قد انتخبه أهلها برضا وقبول حر لكي يكون هو راعيهم.

بل إن خدمة القداس الإلهي التي ستجري فيها طقوس الرسامة من المُفضَّل أن تتم في الكاتدرائية المرقسية بمدينة الإسكندرية على أن يتم التجليس وقراءة التقليد في مدينة القاهرة،

وقد تمت بعض رسامات الآباء البطاركة هكذا بعد انتقال المقر البابوي إلى القاهرة منذ حبرية البابا خرستوذولوس (البابا ٦٦: ١٠٤٧-١٠٧٧)[٣].

ثانياً: هو رئيس أساقفة وبطريرك الكرازة المرقسية:

وذلك بحسب الوضع التقليدي القديم والذي أقرَّه وأعطاه صفة القانون المُلزم المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥م في قانونه السادس (والذي لا يمكن أن يُنقض إلا بقانون من مجمع مسكوني على نفس المستوى) بأن:

[لأسقف الإسكندرية الرئاسة على كنائس مصر وليبيا والخمس المدن]

وبهذه الصفة فإن لبابا الإسكندرية مركز التقدم والأولية والرئاسة على أساقفة إيبارشيات الكرازة المرقسية. ولا يحق لأي أسقف أن يدَّعي أو يأخذ هذه الرئاسة لا بسعايته ولا بسعاية آخرين.

ولأن الرئاسة في المسيحية هي أولاً «خدمة للكل» بحسب قول المسيح: «وأكبركم يكون خادماً لكم» (متى ٢٣:١١)، لذلك فإن بابا الإسكندرية يصبح هو خادم وحدة الكنيسة وتآلفها معاً حول شخص المسيح - له المجد - وهو العامل على تحقيق صلاة الرب يسوع المسيح للآب ليلة آلامه: «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن (...) ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط (الرسل) بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم (أي المؤمنون على مدى الأجيال)، ليكون الجميع واحداً. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني (...) ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يوحنا ١٣:١٧-٢٣). وسميت هذه الرئاسة منذ العصور الأولى للمسيحية بأنها "رئاسة بالمحبة"[٤].

إن مهمة تحقيق وحدة كنيسة المسيح عمل جدًّ صعب وشاق، ولا يقدر أن يقوم به إلا من نال سلطان الرئاسة، وموهبة الأبوَّة، ونعمة الرعاية، بالروح القدس المُفاض عليه بوضع الأيادي في

---

(٣) سجل الرحالة البريطاني ألفريد ج. بتلر وجود هذا التقليد (إتمام طقوس الرسامة بالإسكندرية) في كتابه المشهور: *الكنائس القبطية القديمة في مصر*، الجزء الثاني، عام ١٨٨٤. راجع الترجمة العربية للأستاذ إبراهيم سلامة، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص٢٣٧

(٤) حسب وصف القديس إغناطيوس الأنطاكي لأسقف روما (مقدمة رسالته إلى رومية).

صلوات تكريسه أسقفاً ورئيس أساقفة وبابا لمدينة الإسكندرية العظمى.

وبمقتضى هذه النعم والمواهب، فالبابا باسم المسيح يحتضن الجميع ويضم الجميع ويؤالفهم بعضهم بالبعض، ويستوعب الكل ويجمع الكل في محبة المسيح و «يستأسر كل فكر لطاعة المسيح» (٢كو ١٠: ٥)، وهكذا يصير بحق خادم وحدة الكنيسة تحت رئاسة الرأس الواحد "يسوع المسيح" (رسالة أفسس ١: ٢٢).

المعنى الكنسي لرئاسة أسقف الإسكندرية: شيوع روح المجمعية

رئاسة أسقف الإسكندرية على أساقفة الكرازة المرقسية هي في المفهوم الكنسي بمثابة **«أولية»** و **«تقدم في الكرامة»** و **«رئاسة بالمحبة»** بين أساقفة متساوين. **"متساوين"** لأن خدمة الأسقفية التي يتقلدها بابا الإسكندرية هي نفسها خدمة الأسقفية التي يتقلدها باقي الأساقفة. فرتبة الأسقفية واحدة، ولا يوجد في النظام الكنسي الأرثوذكسي ما يسمى بـ **"ترقية" أسقف ليصير بابا وبطريركاً**. فهذا المفهوم غير موجود في ترتيب الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، إذ لا توجد رتبة أعلى من رتبة الأسقف يُرقَّى إليها أسقف ليصير البابا. فلقب "البابا" و "البطريرك" و "الرئيس" و "المتقدم" اسم يُطلق على "أسقف الإسكندرية" أو "أسقف المدينة العظمى" أو "أسقف مدينة الكرسي الرسولي"، بمقتضى الرسامة والقسمة ووضع الأيادي. فرئاسة أسقف الإسكندرية على أساقفة الكرازة المرقسية هي **وضع قانوني من واقع الحال** أو بحسب التعبير القانوني **per sese**، أي أن المرسوم أسقفاً لمدينة الإسكندرية يرأس تلقائياً أساقفة الكرازة المرقسية.

معنى رئاسة أسقف الإسكندرية: الشركة من خلال المجمعية:

وبهذا المعنى فإن هذه الرئاسة إذا تُرجمت على أرض الواقع، فإنها تكون بحسب التعبير الكنسي المعروف رئاسة في إطار ما يسمَّى **"كينونيا Koinonia"** أو **"شركة"** و **"مشاركة"** في العمل والرأي والتدبير مع الأساقفة **"الشركاء في الخدمة الرسولية"** كما يوصف الأساقفة في المصطلحات الكنسية.

كرامة قوانين مجمع نيقية العشرين:

قرطاجنة - المقدمة [إن كل ما سنَّه مجمع نيقية لا يجوز لأحد أن ينقضه]

قرطاجنة ١ - [لتحفظ قوانين مجمع نيقية كما أحضرها آباؤنا معهم من ذلك المجمع]

قانون الأولية بين الأساقفة:

القانون ٦ من مجمع نيقيه: [فلتحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس في أن لأسقف الإسكندرية الرئاسة عليها كلها]

أساقفة كل إقليم يعرفون المتقدم بينهم:

قوانين الرسل ٣٤ [إن أساقفة كل أمة يجب أن يعرفوا الأول فيهم ويعتبروه مثل رأس لهم، ولا يُقدِموا على أمر خطير إلا بعلم ذاك، بل ليدبِّر كل أسقف منهم ما يختص بموضعه. ولا ذاك يصنع شيئاً بدون علم الكل. وهكذا يكونون بوحدانية ويتمجد الله بيسوع المسيح والروح القدس]

(نيقية ٦و٧، القسطنطينية ٢و٣، أفسس ٨، خلقيدونية ٢٨، السادس ٣٦و٣٩، أنطاكية ٩).

أنطاكية ٩ [يجب أن يعرف أساقفة كل إقليم الأسقف المتقدم وسطهم الذى هو المتروبوليت الذى عليه كل الاهتمام بالإقليم. لأن كل من له مصلحة يمضى إلى العاصمة، وهكذا وجب أن يكون هذا المتقدم أولاً في الكرامة، ولا يفعل أحد من بقية الأساقفة شيئاً بدونه كالقانون الأول الذى تسلمناه من آبائنا، إلا ما كان متعلقاً بتدبير كرسيه وحده كخدمة الله التي هي في كل واحد، إذ لكل أسقف أن يهتم بما هو داخل حدود مدينته فيرسم القس والشماس ويقضى في كل أمر. أما أكثر من هذا فلا يصنع الأساقفة شيئاً إلا برأي المتروبوليت، وهو أيضا لا يفعل شيئاً إلا برأي بقية الأساقفة].

قانون الشركة وقانون المشورة في الحل والربط

ا. قانون الشركة:

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة على أفراد الإكليروس والشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء المجمع المقدس والإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه رضا الله، وصلاح الشعب (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، وواجب الديانة (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه إساءة لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، العلنية منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، وغير المباشرة مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

ولا خلاف لهم في تجاوز الحق إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] – القانون الرسولي رقم ٢٠

٢. قانون المشورة:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم الدني) على انفرادٍ واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

شروط طاعة وتعظيم وإكرام البابا البطريرك:

ويتبع المجموع الصفوي قانونه السالف هذا بقوله:

[وإذا دام قائماً بما يلزمه، مستمرة شروطه، لزمهم طاعته وتعظيمه وإكرامه وحقوقه]

الفصل الرابع

الكفاءات والشروط المطلوبة

في المرشح للبابوية

إن الحديث عن الكفاءات والشروط المطلوبة في المرشح للبابوية في الكنيسة القبطية، بالرغم من أنه أمر في منتهى الصعوبة، إلاَّ أنه في الوقت نفسه واضح المعالم منتهى الوضوح في كتب التاريخ والتقليد الكنسيين. حيث أن تاريخ باباوات وبطاركة الكرسي الإسكندري يعطينا الصورة التقليدية الصحيحة لما يجب ولما لا يجب أن يكون عليه بابا الإسكندرية.

الكفاءات والشروط الخاصة بالمهام الصحيحة لمنصبه

هي نفسها شروط الأسقف :

فأولاً: باعتباره أسقفاً للمدينة العظمى الإسكندرية،

تنطبق عليه شروط وكفاءات الأسقف، كما ورد ذلك في كافة الكتب الكنسية المختصة بذلك[٥] :

١. فالأسقف يجب أولاً أن يكون إنساناً روحياً، أي ممتلئاً من الروح القدس (أول شرط اشترطه الرسل في اختيار خدام الكنيسة – أعمال الرسل ٦:٣)، ويظهر هذا في حياته الروحية الباطنية وخبرته الحية في الشركة مع الله، والتي يحوطها ويصونها تمرس في النسك ومغالبة والانتصار علي شهوات النفس. وهذه الصفات، لا يمكن لمن هو حديث الإيمان أو في خبرة الحياة المسيحية والروحية أن ينال مداها العميق إلي الدرجة التي يستحق فيها أن يأخذ مكان الصدارة بين شعب الله كممثل للمسيح وخليفة الرسل الأطهار، وأن يقف كقدوة ومثل أعلى أمام جمهور المؤمنين والملائكة والعالم حسب قول الرسول: «فإني أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت، لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس» (١كو٤:٩). وهذا

---

(٥) هذا الموضوع بُحث بالتفصيل في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"*، أبريل ١٩٩٧، من ص ١٣٥– ١٥٠ ؛ ومن ٢٣٥ – ٢٤٠، وكتاب *"السلطان الروحي في الكنيسة"*، ١٩٩٨، من ص ١٠١ – ١٦٢.

لا يمكن أن يتم إلا بسيرة فاضلة وجهاد طويل الأمد وسنين طويلة في إماتة الذات والصبر والاحتمال للمشقات مما يمرِّس الإنسان في عمق الحياة المسيحية الفاضلة.

٢. بالإضافة إلى ذلك، فلابد أن يكون الأسقف **ذا علم لاهوتي كنسي**: أي عارفاً بتقليد الكنيسة الصحيح، دارساً سير آبائها القديسين، متبحراً في أقوالهم وكتاباتهم، متفهماً ما تُبطنه كلماتهم وألفاظهم ومواقفهم من مناهج واتجاهات وعقائد مستقيمة الرأي، وأن يكون متوافقاً في تعليمه وإيمانه وعقيدته وقراراته وممارساته العملية مع إيمان وعقيدة وتعليم وتقليد وخبرة آباء الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة في المسكونة بأسرها. ويجب أن يستزيد دائماً من علمه اللاهوتي ولا يرضى بقلة العلم كما تحتم بذلك القوانين الرسولية:

[أسقف راض بقلة العلم أو يحقد ليس هو أسقفاً بل هو اسم كاذب عليه وليس هو من الله بل من قِبَل الناس] — القانون ٥١ من قوانين الرسل الـ ٧١

٣. ثم لابد أن يكون له **حنكته وحكمته في تدبير الأمور، ورزانته في التصرف والقول**، ما تصفه الدسقولية [**أن يكون قد هرب من حركات الطفولية وأباطيل الخارجين**]، أي أن لا يكون ما يزال يحمل صفات الطفولة من خفة الشباب وهزارهم ودلالهم وعدم جدية سلوكهم وعلى الأخص في أحاديثه مع الرجال والنساء، الأمور التي لا تليق بأعلى رأس وأرفع مرجع في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأي، رائدة الحياة المسيحية الأصيلة والفكر والعلم اللاهوتي الصحيح والعيشة النسكية الصارمة، ما اشتهر به باباوات الإسكندرية على مدى الأزمان والأجيال.

٤. ثم نأتي إلى **نوع شخصيته**. إذ يجب أن يكون **ذا شخصية تمارس المحبة المسيحية بالعمل والحق**، فيقبل ويحتضن الآخرين بالمحبة والتقدير والاحترام لأشخاصهم، باعتبارهم مخلوقين على صورة الله أولاً، وبحكم بنوَّتهم لله بالمعمودية ثانياً، وبصفة عضويتهم في جسد المسيح بسر المسحة المقدسة ثالثاً، وهذا يظهر في احترام آرائهم ومواهبهم، بحيث يستطيع أن يتعامل مع الأفراد والمجموعات ذات الخبرة التي قد يمكن أن تكون قد تميزت عن خبرته، وذلك بحسب قانوني "الشركة" و "المشورة" اللذين أتينا على ذكرهما في الفصل الخاص بالأسقف، وبالتحديد مع المجالس التي استوحينا إقامتها من هذين القانونين، فيجعل من القانون الكنسي ووصايا المسيح ومشورات الحكماء وأفكار المثقفين الذين في الكنيسة نبراساً وعكازاً ومعاوناً أميناً له في مسيرة حبريته.

٥. إن بابا القرن الواحد والعشرين لا يمكن إلا أن يكون صاحب هذه الشخصية المتكاملة

التي تؤمن وترحب بالحكمة الجماعية والقرارات الجماعية وأنها دائماً أكثر صواباً وأماناً من الحكمة الفردية والقرارات الفردية، وأكثر سلامة من الحكمة التي تعتمد على نوع معين من مشورة مشيرين غير أصحاء في الشخصية والفكر والعلم والخلق، تحقيقاً لقول الحكيم: «حيث لا تدبير يسقط الشعب. وأما الخلاص فبكثرة المشيرين» (أمثال ١١: ١٤)، و «الغش في قلب الذين يفكرون في الشر، أما المشيرون بالسلام[٦] فلهم فرح» (أمثال١٢: ٢٠).

هذه هي معالم كفاءات شخصية أي أسقف وبالتالي البابا.

ثانياً: البابا كرئيس أساقفة الكرازة المرقسية:

أما الشروط النقلية الخاصة بالبابا كرئيس أساقفة الكرازة المرقسية، فهي بمثابة الضمانات التي توفر للباحثين عن المرشح الصالح لمركز ومحور الوحدة والرئاسة في كنيسة الله العثور عليه والإمساك به، ومنها:

١. شرط السن:

يخطئ من يقول بأنه لا يوجد شرط للسن في اختيار البابا . فهذا عكس ما ورد في كل كتب القوانين والتاريخ الكنسيين.

فإذا كانت الشروط الواجبة لاختيار أي أسقف هي جودة الخلق وصحة الرأي والتجربة والحنكة، فإنه يتقدمها شرط السن المتقدمة التي لا تقل عن ٥٠ عاماً كما يحتم بذلك قانون الدسقولية [ليس بأقل من خمسين سنة] – ٢،٣: ١؛

فكم وكم يكون لازماً لأب الآباء ورئيس الأساقفة، بل وكم يكون الواجب أن يكون الحد الأدنى لعمر أب الآباء أكثر من ٥٠ سنة.

فمن وثائق كنيسة القرن الثاني عشر نقرأ مثلاً شروط أسقف مصر (أي القاهرة) الذى يطلبه

---

(٦) يذكر التاريخ أن القديس يوحنا ذهبي الفم حينما اعتلى كرسي البطريركية في القسطنطينية كان يحيط به بعض المشيرين غير الأصحاء من بينهم رئيس شمامسة القسطنطينية واسمه سيرابيون الذي حرضه أن يقسو على كهنة القسطنطينية ويتسرع في الحكم عليهم بالحرمان قائلاً له: " لن يمكنك أيها الأسقف أن تسيطر على هؤلاء الرجال إن لم تحكمهم بقضيب من حديد". وللأسف استجاب القديس لمشورته الرديئة. وحينما عُقد مجمع لمحاكمة القديس ذهبي الفم تألب عليه كهنته هؤلاء وارتدت عليه قسوته السابقة وكان لشكاواهم ضده الأثر فيما عاناه القديس من آلام وأحزان في نهاية حياته! (Socrates H.E. vi).

القاهريون[7]:

[... فلهذا وغيره من أحكام هذا الكرسي ينبغي أن يكون أسقفه **قد بلغ حد الكهولة أو قد تعداها**][8] .

فكم وكم يكون عمر أسقف وسيد ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية الذي سيرأس هذا الأسقف وشركاءه الأساقفة ممن هم أقدم منه.

ومن قصة اختيار البابا مقار الثاني البطريرك ال٦٩ (١١٠٢ - ١١٢٩ م.) نستدل على أن شرط السن هو أهم ما يتطلبه التقليد الكنسي في المرشح للبابوية على الأخص. يقول مؤلف كتاب *"تاريخ الكنيسة القبطية"*[9] ما يلي:

[فبعد انتقال البابا ميخائيل ترشح اثنان للبطريركية من رهبان دير أنبا مقار. ولم يتمكن الأساقفة من انتخاب أحدهما، ذلك لأن **أحد المرشحين كان عمره أقل من الخمسين**، **والقانون يحظر انتخاب بطريرك ممن لم يبلغوا هذا السن**. ثم انتخب الآخر رغماً عن معارضته لترشيح نفسه].

ويقول كتاب *"تاريخ البطاركة"*[10] عن هذا الموقف:

[اجتمع الأراخنة بكنيسة القديس أبو سرجه بقصر الشمع. ثم قالوا إن مقاره **كهل**[11]، محجاج، جيد الكلام ضابط بقوانين الرهبنة، وإن يؤانس الراهب شاب، جيد الكهنوت، صبيح الوجه، فصيح المنطق، **فرغبوا جميعهم في مقاره لأجل شيخوخته وحنكته**، ونادوا باسمه بفم واحد].

والتقليد يشير بأن يكون مقياس الاختيار حين يوجد اثنان متكافئان في الشروط القانونية [**فليقدَّم أكبرهما عمراً**]، ولم يُشر التقليد القانوني الكنسي إلى استخدام ما يُسمَّى بـ *"القرعة*

---

(٧) كتاب *تاريخ البطاركة*، المجلد ٣، الجزء ١ صفحة٩.

(٨) الكهولة في اللغة هي خريف العمر ومتوسطه، يتراوح بين ٥٠ - ٦٠ سنه حسب قواميس اللغة.

(٩) انقس منسّى يوحنا، *تاريخ الكنيسة القبطية*، ص٤٦

(١٠) ورقة ١٨٥ظ، ١٨٦ ج من مخطوطة المتحف القبطي، كتاب *تاريخ البطاركة*، ٣:١، ص١٠٢

(١١) "الكهل" في اللغة هو من تراوح عمره ما بين الخمسين إلى الستين، ويسمى متوسط العمر. والكهولة هي خريف العمر وأوسطه.

الهيكلية"[١٢] إلا في حالة التكافؤ التام والمساواة التامة في العمر والكفاءة وعدد أصوات الناخبين.

لذلك فلابد أن يكون شرطاً أساسياً في اختيار المرشح للبابوية، أن لا يقل عمره عن ٥٠ عاماً – بل ليت لا يقل العمر عن ٥٥ عاما، بل ويمكن أن يتعداه. ذلك لأن نقاوة القلب وحنكة التجربة ورجولة الشخصية ورزانة التفكير الواجبة في البابا البطريرك المسمَّى أب الآباء تتطلب الأب الشيخ الذى يكون قد [**غربت عنه غرة الشباب وحِدَّته، وتميز بسن الكبر وخبرته**] – (كما يقول تاريخ البطاركة[١٣]).

٢. شرط مدة الرهبنة ومعناه:

إن كانت اللوائح تضع مدة الرهبنة أحد شروط المرشح للبابوية، فإن هذا يجب أن يعنى أن يكون المرشح قد قضى هذه المدة في الرهبنة فعلاً وليس مجرد أنه حمل اسم الرهبنة دون فعلها. وما هو فعل الرهبنة ؟

من قول مار اسحق:

[الراهب هو إنسان قد ترك العالم بالكلية، وكذلك بلده وأقاربه، وانتقل إلى الأديرة أو البراري، ليجلس في الهدوء، ويعمل بيديه، ويقيت نفسه، ويعبد الله ليلاً ونهاراً. وكل راهب لا يمارس كل ذلك في ذاته، فهو لا يزال في رتبة ومنزلة العلمانيين. طوبى للذين يحفظون ويعملون. **لا تفتخر بالاسم بل اجتهد في الأعمال.**] – كتاب بستان الرهبان المطبوع، جزء ١، ص٤٠

ومن قول القديس يوحنا السلمي في كتابه "سلم السماء":

[تنحصر السيرة الرهبانية كلها في مناهج ثلاثة وهى:
الاعتزال في جهاد منفرد،
أو الإخلاد إلى السكون برفقة شخص أو شخصين آخرين .
أو الإقامة بصبر في دير ذي معيشة مشتركة]
كتاب السلم الإلهي، منشورات النور – لبنان، ١٩٨٠، ص٣١

---

(١٢) القرعة الهيكلية عادة دخيلة على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية دخلت خلسة في القرن الحادي عشر بإيعاز من وزير غير مسيحي. (راجع هامش صفحة ٢٦ في كتاب "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*" للمؤلف، وقد رفضها الأقباط وقالوا عنها إنها "عادة إفرنجية" (كتاب *تاريخ البطاركة* المجلد ٤، جزء ١، ص ٢و٣)

(١٣) *تاريخ البطاركة* المجلد الأول، جزء ١، ص١٢

لذلك، فإنه يجب القول ، بوجوب اشتراط لا مدة الرهبنة فقط، بل مع **المداومة والمثابرة على حياة الرهبنة داخل الدير تحت طاعة الأب أو الرئيس أطول مدة ممكنة (١٥ أو ٢٠ سنة على الأقل)**. فالحياة الرهبانية الصحيحة داخل أسوار الدير هي أحد أهم الضمانات التي يمكن أن تطمئن الباحثين عن المرشح الكفء لمنصب البابوية، إذ يكون قد اقتنى الحياة الفاضلة والعلم الوفير وحنكة التجربة ما يصلح لهذه الرتبة المقدسة. فإن مجرد حمل اسم الرهبنة دون فعلها لا يضمن هذه الفضائل. فكم من الذين يحملون اسم "راهب" وهم لم يمكثوا في أديرتهم إلا مدة قليلة، شهوراً أو سنين تُعد على أصابع اليد الواحدة، ثم خرجوا إما انتداباً لخدمة في المدينة أو لسبب آخر أبعدهم عن حياة الرهبنة، وبالتالي لا يجوز اعتبارهم أنهم يحوزون مدة رهبنة إلا إذا لبثوا إلى أديرتهم وأكملوا المدة فيها.

فالرهبنة هي حياة داخل الدير، أما خارجه فلا يمكن أن يجني ثمار الرهبنة من ترك الحياة فيه. كما أن الظن بأن العيش في المدن ووسط الناس يمكن أن يعطى المرشح مقومات الحكمة وحسن التدبير ما يصلح لهذا المنصب الخطير هو ظن خاطئ. فإن الحكمة الروحية وحسن التدبير والاستنارة العقلية اللازمة لهذا المنصب الهام صفات للنفس يقتنيها الإنسان نتيجة سكون النفس وطهارة السريرة ونقاوة القلب وكثرة تحديق العقل في الإلهيات والروحيات، كما علمنا الآباء، وليس بالاستغراق في الحياة في المدينة. وهذه الفضائل لا يمكن نوالها بتمامها وسط ضجيج المدن وتشويشات الحياة المدنية وصخب المنازعات والمجادلات والتحزبات التي يستغرق فيها من يعيشون وسط العالم، حتى خدام الكنيسة. (لذلك، فإن حياة التأمل لازمة وعلى الأخص لخدام الله الذين يخدمون في المدينة، وهذه الحياة لابد أن يسندها فترات خلوة كثيرة وطويلة حتى يمكن للخادم أن يتخلص ولو إلى لحظات من طوفان بحر العالم ويقتني الحكمة التي من فوق).

٣. الخلو من موانع الترشيح لمنصب البابوية:

إن أهم مانع وأخطره هو أن يتقدم مرشح ليرُسم أسقفاً على مدينة الإسكندرية، **ويكون قد سبق أن وُضعت عليه الأيادي الأسقفية**. وكما قرأنا في القانون ٤٨ من قوانين الرسل علي يد كلمنضس: [**لأجل من يُقسم دفعتين- إذا نال أسقف أو قسيس أو شماس قسمتين فليُقطع هو والذي قسمه**].

وحتى ولو **حُذف الطقس الخاص بوضع الأيادي أثناء الرسامة** فإن هذا الحذف يصير مخالفة أخطر لأنه يُعتبر تلاعباً بكتب التقليد الكنسي المختصة بالصلوات الليتورجية المقدسة

وتُعرِّض مُرتكبها والمُشارك في ارتكابها إلى أشد العقوبات الكنسية، كما **ويُحرم الشخص المرسوم هكذا من النعم والمواهب** التي كان ينبغي أن تحل على رأسه ليكون بابا وبطريرك الكرازة المرقسية بسبب تلاوة هذه الصلوات، لأن الصلوات الليتورجية ذات فاعلية وأثر حقيقي، فإذا اختُزلت ضاع الأثر المترتب على هذه الصلوات، وفي هذه الحالة سيكون المرشَّح محروماً من كافة النعم والمواهب والسلطان التي من الروح القدس واللازمة لخدمته كأسقف المدينة العظمى وكرئيس أساقفة الكرازة المرقسية. ذلك لأنه رفض مشورة الحق الذي قرره القانون الكنسي، ولأنه رغب أن يكون أسقفاً مرتين مفضِّلاً الخدمة الثانية على الأولى (لأي سبب كان). ولا يفضل الإنسان خدمة غير التي قُسم عليها أولاً من الله (راجع معنى "القسمة" في رسامة الأسقف في كتابنا السابق: "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*"، ص ٨٢-٨٤) ، إلا من أجل منفعة أو شهوة ذاتية. فكيف يؤدي خدمته هكذا بدون تأييد الروح القدس؟ (راجع القوانين الكنسية المختصة بالأسقف في آخر الفصل الثاني من هذا الباب.)

ولخطورة هذه المخالفة صدرت التحريمات والحرومات الواحدة تلو الأخرى من المجامع المسكونية لمن يُنقل إلى إيبارشية خالية (وعلى الأخص الإيبارشية العُظمى) وهو قد سبق رسامته أسقفاً. وتلتها المجامع المكانية لتؤكد نفس التحريم [(١٤)].

وبسبب شيوع المحاولات في السنوات الأخيرة لتبرير وتمرير "رسامة!!" أسقف سابق رسامته، ليكون أسقفاً على مدينة الكرسي الرسولي،

لذلك نطالب بأن يُنص صراحة في أي تشريع على أن:

[**يُمنع من الترشيح أيٌّ من سبق أن وُضعت عليه الأيادي الأسقفية ليصير أسقفاً. ويُسمح فقط لمن لا تزيد رتبته عن درجة "إيغومانس" أن يتقدم لهذه الرتبة الأسقفية المقدسة.**].

وذلك حتى لا تسقط الكنيسة في فخ الحكمة البشرية التي تفضل مكاناً على مكان أو خدمة على خدمة، أو تعتمد على ذراع الحكمة العالمية التي ليست من الروح (راجع رسالة كورنثوس الأولى) حسب مقاييس العالم الساقط من النعمة الذي يرى الرئاسة حجماً وقدرة وليس بذلاً وقدوة.

---

(١٤) القانون رقم ١٥ من مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥م.) ١٤،٣٦ قوانين الرسل، ٢١،٢٢ مجمع أنطاكية بالإضافة إلى قرار المجمع المسكوني الثاني المنعقد بالقسطنطينية سنه ٣٨١ م. بإلغاء انتقال القديس غريغوريوس أسقف سازيما إلى الكرسي الرسولي القسطنطينية ورسامة بطريرك جديد للقسطنطينية. ولمعرفة قرارات المجامع المقدسة للكنيسة القبطية راجع كتاب "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*"، من صفحة ١٩١ - ١٩٤، وكتاب "*السلطان الروحي في الكنيسة*"، ص ١٠١ - ١٦٢.

الفصل الخامس

التعبير العملي عن الكينونيا والشركة

أو

المؤسسات الكنسية التي من خلالها يؤدي البابا مهامه

إن الشركة بين البابا البطريرك وبين شركائه في الخدمة الرسولية (التي تحدثنا عنها في آخر الفصل السابق) تعني المشاركة معاً في إصدار القرارات والقيام بالأعمال والتصرفات العامة أي التي تعمُّ وتهم الكل، والتي لا يكون لها صفة "المكانية" التي تخص خير الإيبارشية الروحي وحدها. وذلك بحسب القانون الرسولي رقم ٢٥:

[أساقفة كل إقليم لا يفعلوا شيئاً كبيراً إلاّ برأي المقدَّم. وليصنع كل واحد أفعاله وحدها التي هي لخير كرسيه (أي التي تخص شئون كرسيه والمواضع التي تحت سلطانه)، ولكن الذي يُقام رأساً أي أولاً عليهم لا يفعل شيئاً بغير رأي الأساقفة كلهم. وهكذا يكون اتفاق واحد ويتمجد الله بالمسيح يسوع والروح القدس].

وأيضاً القانون الرسولي رقم ٣٤:

[أن لا يعمل الأساقفة شيئاً إلا بموافقة البابا، وهو لا يعمل شيئاً بدون موافقتهم جميعاً، وهكذا إذ يسود الاتفاق يتمجد الله بالمسيح في الروح القدس]

والمقصود هنا أن القرارات والممارسات التي لها صفة العمومية وتختص بالكنيسة كلها يجب أن تكون برأي واتفاق الأساقفة مع البابا. وهذا الوضع هو تحقيق لروح المجمعية التي تتميز بها الكنيسة الأرثوذكسية، وهي التي تؤدي إلى تمجيد الله الثالوث الأقدس، كما يذكر القانونان الرسوليان. لأنه كما أن الثالوث الأقدس في وحدة ذاتية بالرغم من تعدد الأقانيم، هكذا الكنيسة على مثال الثالوث وإن تعدد فيها الأشخاص والصفات والأفكار إلاّ أنها يجب أن تكون في وحدة الروح والمحبة والعمل الذاتي، وكما أن الثالوث في مساواة في الجوهر الإلهي، هكذا الكنيسة بأعضائها الكثيرين في مساواة من جهة نعمة البنوة لله التي أفاضها الله في المسيح على البشرية بالروح القدس الممنوح في سرَّي المعمودية والميرون.

المجمع المقدس هو المؤسسة الكنسية الأساسية في معاونة البابا:

والذي يعبِّر عن هذه الروح المجمعية ويجسِّمها ويحافظ عليها هو مجمع الأساقفة الذي نظمت القوانين الرسولية والكنسية (أي قوانين المجامع المسكونية والمكانية وقوانين آباء الكنيسة الجامعة) أمر انعقاده بصفة دورية منتظمة وحددت اختصاصاته ليكون حصناً ومراقباً لحفظ الأمانة الأرثوذكسية وسلامة الممارسات الكنسية ليس من البابا فقط بل ومن الأساقفة وعموم رجال الإكليروس، ولدوام معاونة البابا في ممارسة خدمته الرئاسية كمركز وبؤرة تحقيق الوحدة والتآلف والاتفاق على تدبير الشئون العامة للكنيسة.

وقد حدد القانون الخامس من مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥م) ضرورة انعقاد هذه المجامع مرتين في السنة على الأقل لتحقيق المصالحات ومراجعة أحكام الأساقفة بالحرم التي أجروها على أفراد من الشعب أو الإكليروس في إيبارشياتهم وإصدار أحكام نهائية فيها، وإجراء الرسامات الأسقفية، وعموماً فحص الشئون العامة للكنيسة مع البابا. وقد فصلنا هذه الاختصاصات وبروتوكولات انعقاد هذه المجامع وطريقة اتخاذ القرارات في كتابنا الأول *" التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة "*[(١)].

حتمية قيام المجمع المقدس بمسئولياته المجمعية وخطورة عدم قدرتهم على ممارستها بحرية[(٢)]:

ولكن هذا العمل الخطير المنوط به الأساقفة وهم على هيئة مجمع يفترض ممارسة الأساقفة والمطارنة مسئولياتهم المجمعية الخطيرة واستعدادهم للمجاهرة بالحق الكنسي دون تهيُّب من أحد أو انعزال أو سلبية، وهذا يفترض مُسبقاً أن يكون اختيار الأساقفة والمطارنة قد تم حسب الشروط الواجبة في الكتاب المقدس والقوانين الكنسية وبالإجراءات السليمة التي أوجبتها الطقوس الكنسية، ليكونوا قادرين، وعلى مستوى أن يؤدوا هذا العمل الحيوي في معاونة البابا في حفظ وصون ومراقبة سلامة الإيمان والطقس في الكنيسة دون خوف أو مجاملة على حساب الحق الكنسي، وإلا فسيتعطل دورهم الحيوي هذا، وستُصاب الكنيسة بالخلل والتلف، وتعم الخسارة

---

(١) كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* للمؤلف، أبريل ١٩٩٧، فصل *المجامع الكنسية المقدسة: من ص* ١٦١–١٨٠

(٢) بخصوص دور الأساقفة الحيوي في مناقشات المجمع المقدس راجع "بروتوكولات إقامة وانعقاد المجامع" في كتابنا السابق *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة* (أبريل ١٩٩٧) ص ١٧١–١٨٠

على الجميع، وستعاني الأجيال المقبلة من نتائج قصور وتعطُّل العمل المجمعي في قيادة الكنيسة. وستُقاس أمانة الكنيسة في كل جيل بمدى أمانة أساقفتها وشعبها بالمجاهرة بالإيمان المسيحي والحق الكنسي. ويسجل التاريخ مدى هذه الأمانة من جيل إلى جيل.

أسلوب انعقاد المجامع وإدارة المناقشات فيها:

من استقراء العلماء[3] لمحاضر جلسات المجامع المسكونية والمكانية، استنبطوا معلومات هامة عن الطريقة التي كانت تُدار بها المناقشات في عصر الآباء الذهبي. فقد لاحظوا:

- أن المناقشات كانت تتم على نسق المناقشات في مجلس السناتو (مجلس الشيوخ في الدولة الرومانية). فقد كان الأساقفة يجلسون بنفس الوضع الذي كان يجلس به الشيوخ في اجتماعات السناتو.
- والمناقشات كانت تُدار بنفس الطريقة التي تُدار بها في مجلس الشيوخ الروماني.
- ورئيس الجلسة كان هو الأسقف المتقدم بين الأساقفة، أو أكبر الأساقفة سناً كما في تقليد كنائس شمال أفريقيا.
- ثم يبدأ الأساقفة يدلون بقضاياهم وآرائهم، الأسقف تلو الآخر.
- وآخر الكل يتكلم الرئيس أو المتقدم بين الأساقفة، ثم تؤخذ الأصوات.
- وكل هذا في إطار التوجيه الذي وجَّهه القديس كبريانوس الأسقف المتقدم بين أساقفة منطقة شمال أفريقيا (والذي كان يحمل لقب البابا) للأساقفة المجتمعين تحت رئاسته **بأن يُبدي كل أسقف رأيه بمنتهى الحرية والمسئولية دون التأثر برأي الأسقف المتقدم (البابا) إن سلباً أو إيجاباً إلاَّ في حدود الحق وسلامة الضمير، أي يكون هدف المتكلم النطق بالحق لا غير:**

> **[... فليُبْدِ كل منا رأيه على انفراد في هذه القضية دون أن نحكم على من لا يتفق معنا أو ننزع عنه حق الشركة. فإنه ليس بيننا من يجعل نفسه أسقف الأساقفة (يقصد بابا روما الذي كان يدَّعي لنفسه هذا اللقب) أو يحاول أن يُرغم رفقاءه**

---

(3) John Zizioulas, *The Development of Conciliar Structures*, in *Councils*, WCC, Geneva, 1968, p.43

بالإكراه على الطاعة له. فلكل أسقف أن يستعمل حرية رأيه وسلطته وليس له أن يدين الغير...] – سينوديكون المجمع الأفريقي[٤].

حدود سلطة المجامع المقدسة:

ولكن لم تكن المجامع في حد ذاتها، ومنذ الكنيسة الأولى، مؤسسات مستقلة فوق ولا أعلى من الكنائس في المواضع المختلفة[٥]، ولكنها كانت التعبير عن الحق الكنسي والتعليم الصحيح اللذين يحملهما كل أسقف حاضر ممثِّلاً لشعب كنيسته داخل المجمع التي في هذا الموضع أو ذاك. لذلك كان قبول قرارات المجامع من شعب الكنائس المُمثَّلة في المجمع هو العامل الحاسم والامتحان الصعب الذي يعطي الشرعية لأي مجمعٍ من المجامع. وهذا القبول كان يقوم على أساس صحة هذه القرارات، ومطابقتها للتقليد المسلَّم من الرسل، والمشروح من آباء الكنيسة، والمُقنَّن في المجامع وقوانين الكنيسة.

وتاريخ الكنيسة يُظهر كيف أن معركة إعلان الحق الكنسي والدفاع عن الإيمان لم تكن سهلة، بل كانت شديدة وصعبة للغاية، كم تألم فيها قديسون، وعانوا وحُكم عليهم ظلماً، ونُفوا وعُذِّبوا، وربما ماتوا وهم مظلومون من مجامع لم تقبل الكنائس قراراتها لمجانبتها الحق الإلهي؛ القديس أثناسيوس حُكم عليه في مجمع صور عام ٣٣٥م، والقديس يوحنا ذهبي الفم كذلك حُكم عليه في مجمع السنديانة عام ٤٠٣م ونُفي ومات وهو محروم ومنفي[٦]، والقديس ديوسقوروس حُكم عليه في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م ونُفي في جزيرة غاغرا. ولكن في النهاية، ومن خلال كل هؤلاء وكل ذلك، حُفظ الحق الكنسي، ووصل إلينا طاهراً بلا عيب في أواخر الأيام.

المجمع بمثابة محكمة استئناف لأحكام الحرم والعزل:

لكن للمجامع المقدسة دوراً آخرَ **يعلو على سلطة الأساقفة منفردين في مواضعهم،** باعتبار المجمع بمثابة محكمة استئناف لأحكام الحرم والعزل التي يمارسها الأسقف على الإكليروس

---

(٤) كتاب *"الشرع الكنسي"*، صفحة ٧٥٧

(5) J. D. Zizioulas, *Episkop and Episkopos in the Early Church*, in *Episkop and episcopate in ecumenical perspective*, Faith and Order paper, 102, WCC, Geneva 1980, p.37.

(٦) راجع كتاب *دراسات في آباء الكنيسة*، للمؤلف، ١٩٩٩، صفحات من ٤٣١ إلى ٤٣٧.

والشعب في إيبارشيته. فقد أعطت القوانين الكنسية للمجامع الإقليمية حق نقض أو تثبيت أحكام الأساقفة ضد كهنتهم أو أفراد شعبهم.[٧]

□ **لذلك لابد أن يُنَصَّ في دستور الكنيسة على أن يُلحق بسكرتارية المجمع المقدس مكتب لتلقي الشكاوي من المؤمنين وطلبات استئناف الأحكام التي صدرت في حق الإكليروس والشعب في الإيبارشيات. على أن يعمل في هذا المكتب مستشارون في القانون المدني والقانون الكنسي لفحص هذه الطلبات والتحقيق فيها ثم رفعها إلى المجمع المقدس.**

ويسند هذا القانون الرسولي الكنسي المختص بالمجامع الأسقفية قانونان هامان يوسعان حدود روح الشركة والمشاركة ويضبطان إيقاع روح المجمعية في الكنيسة، وهما:

قانون الشركة وقانون المشورة:

١. قانون الشركة:

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة فردياً على أفراد الشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء الإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه **رضا الله، وصلاح الشعب** (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، **وواجب الديانة** (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه **إساءة** لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، **العلنية** منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، **وغير المباشرة** مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

---

(٧) راجع أعمال مجمع سرديكا على القانون رقم ١٤(سنة ٣٤٤)، القانون ٢٠ من قوانين مجمع قرطاجنة، القانون الخامس من قوانين مجمع نيقية المسكوني الذي يحتم عقد المجمع المقدس مرتين في العام ويجعل من بين مسئوليات هذا المجمع إعادة فحص القضايا التي حكم بها الأساقفة على كهنة أو أعضاء من الشعب في إيبارشياتهم.

ولا خلاف لهم في تجاوز الحق إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] – القانون الرسولي رقم ٢٠

٢. قانون المشورة:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي القريبين من سلطات الحكم المدني) على انفراد واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.] – المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

وكيف يمكن ممارسة هذين القانونين بانتظام:

ومن هذين القانونين نستطيع أن نستوحي صورة مفصلة لقيام مؤسسات دائمة متفرعة من وبجانب مجمع الأساقفة لتعاون البابا على القيام بمهامه الرئاسية على أكمل وجه ودون تعثر أو خطأ. وهذه المؤسسات كما نتصورها هي هكذا:

١. المجمع الإكليريكي المقدس الدائم الانعقاد:

ويضم بعض أكبر المطارنة سناً وأقدمهم رسامة، ويكونون من ذوي العلم والمشورة الحكيمة الحسنة. ويكون عددهم ما بين ٥ – ٧ مطارنة (وليس أساقفة). هؤلاء يكونون قريبين من البابا يستشيرهم ويتداول معهم حول الأمور العامة والقرارات الهامة فيها والتي ينوي البابا أو التي يجب أن يتخذها ويتصرف فيها. ويكون اختيارهم بالشركة بين البابا ومجمع الأساقفة، ويمكن أن يتجدد اختيارهم أو اختيار بعضهم أو غيرهم كل ٣ سنوات مثلاً. وهذا المجلس هو الذي ينوب عن البابا في تصريف أمور الكنيسة أثناء غيابه خارج البلاد أو في حالة أي طارئ آخر يمنعه من مباشرة أعماله، أو في حال إصابته بمرض أو بلوغه سناً يعجز معه عن اتخاذ قرارات متزنة. هذا الوضع قائم في كل الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة حالياً.

ومن يقرأ كتاب *تاريخ البطاركة بابوات الكرسي الإسكندري* يجد أن البابوات كانوا دائمي

الصلة والمشورة مع نخبة الآباء المطارنة الذين سبقوه، بل إن مجمع الكنيسة (إكليروساً وأراخنة) في حبرية البابا كيرلس الثالث المدعو بن لقلق اتفقوا على تعيين مطرانين أحدهما مطران القاهرة أنبا بولس البوشي مسئولَين عن الشئون الإدارية في الكنيسة بعد تأزم الموقف بين الكنيسة والبابا.[8]

٢. مجلس أراخنة الشعب:

وهو ما يسمَّى الآن "**المجلس الملي**" والذي يجب أن يُعاد النظر في قانونه وتوسيع اختصاصاته، والتي يجب أن تكون أكثر شمولاً وفاعلية مما هي عليه الآن[9]. ويمكن لهذا المجلس (الذي نقترح تغيير اسمه إلى "**المجلس الكنسي الشعبي العام**") أن **يقوم بجانب إدارة ومراجعة كافة الأعمال المالية** للبطريركية والكنائس والمراقبة الحسابية الفعَّالة على إيرادات ومصروفات المقر البابوي (أو المطرانية أو الأسقفية) ومجالس الكنائس وكافة مؤسسات الكنيسة بالمهام التالية:

١. يتولى تحديد وصرف مرتبات ومكافآت رجال الإكليروس (بموجب لوائح منظِّمة لهذه الأمور)، ما يجعل البابا والأباء المطارنة والأساقفة متفرغين لخدمتهم الرعوية الروحية.

٢. كما يقوم بالصرف على المشروعات التعليمية والاجتماعية والخيرية المكملة لرسالة الكنيسة الروحية، وذلك من حصيلة الإيرادات والتبرعات التي تصل إلى الكنيسة من أبنائها أو من غيرهم.

٣. كما يُنتدب البعض من أعضائه ليمثلوا الكنيسة وليكونوا حلقة الصلة مع أجهزة الدولة في الأمور المدنية والسياسية، إذ لا يجوز ولا يصح لرجال الكنيسة التصدي لها أو الانغماس فيها. (راجع الباب السادس من هذا الكتاب: ***الكنيسة والسياسة والوطن***، بند "***ماذا يمكن أن يقدِّم الدين والكنيسة للسياسة***".

٤. يشترك في انتخاب الأساقفة للإيبارشيات والقسوس في الكنائس.

٥. راجع اقتراحات بأعباء ومهام جديدة يمكن للمجلس القيام بها في الفصل الأول: "***تؤمن***

---

(٨) إيريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية* ، الكتاب الثالث ، ص ٢٢٣.

(٩) راجع الباب المختص بالمجلس الملي في هذا الكتاب.

بكنيسة جامعة" من الباب الثاني: *"المجلس الملي، أو مجلس الأراخنة"* من هذا الكتاب.

٣. المجلس الأعلى للقضاء الكنسي والقانون والطقس:

ويتكون من أعضاء من الإكليروس العلماء في القانون الكنسي، ومن الأراخنة الذين شغلوا أو يشغلون مناصب عليا في السلك القضائي للدولة ويكونون متعمقين في العلوم القانونية الكنسية. ومهمة هذا المجلس يمكن تحديدها في:

١. مراقبة ومتابعة تطبيق القانون الكنسي في كافة مؤسسات الكنيسة وعلى كل المستويات وإعطاء المشورة في قرارات الحرمانات الكنسية قبل صدورها، وسلامة إجراءات المحاكمات الكنسية ومطابقتها لما نصت عليه القوانين الكنسية.

٢. معاونة مجمع الأساقفة بالمشورة في الفصل في طلبات استئناف قضايا الحرمانات التي وقَّعها الأساقفة على الكهنة أو أعضاء من الشعب في إيبارشياتهم.

٣. كما يراقب ويعطي المشورة في سلامة إجراءات ترشيح وانتخاب الأساقفة الجدد (وضمناً انتخابات البابا حين يكون هناك انتخابات البابا).

٤. رصد أي انحراف عن القانون الكنسي وعن طقوس الكنيسة، ورصد أي تعديل أو تشويه في كتب الصلوات الطقسية للكنيسة وعلى الأخص كتب صلوات الرسامات والقداس الإلهي وإبلاغه للبابا وللمجمع المقدس.

٥. كما يقوم بوضع لوائح التنظيم الإداري الكنسي الذي يلزم وضعه لكل نواحي الحياة والنشاط والمؤسسات الكنسية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٦. كما يعاون المجلس الملي في فحص أحوال الزواج والطلاق وكافة شئون الأحوال الشخصية التي يتقدم بها أفراد الشعب الذين يطلبون حل مشاكلهم عن طريق الكنيسة أو التصرف في طلبات الزواج الثاني بحسب قوانين الكنيسة والأصول التقليدية التي نعتقد أنها لا تُراعى الآن، وتُمارس بطريقة خارجة عن اختصاصات الكنيسة، مما سبب متاعب ومشاكل جمة للشعب في هذا الشأن وورَّط رجال الدين في موضوعات أبعد ما تكون عن اختصاصهم. (وذلك أفضل من تركيزها في يد أسقف واحد (وهو من الرهبان) له حدوده كراهب في تصريف هذه الأمور وحده).

٧. الاعتناء بمراعاة النظام والتزام القانون الكنسي بين الإكليروس، وإصدار بيان دوري بالمخالفات الكنسية: ما يرد إليه من المؤمنين، وما يُنشر في الجرائد والصحافة القبطية (التي

يجب أن يُردَّ لها اعتبارها السابق ومهمتها الإصلاحية الرقابية الواجبة)، وما يكلَّف به من الأساقفة والمجمع المقدس والمجلس الملي العام وسائر مؤسسات الكنيسة، وهو الذي يحوِّل هذه المخالفات للقضاء الكنسي.

٨. المعاونة في إجراءات تطويب وتقنين القديسين، وفي المحاكم الكنسية، وفي إجراءات الانتخابات الأسقفية والبطريركية والمجالس الملية.

ويجب أن يتمتع أعضاء هذا المجلس بما يليق بكفاءات أعضائه من **الاحترام والتقدير لآرائهم والحصانة العلمية**، على أساس أنهم يلتزمون بإبداء الرأي القانوني العلمي المجرد من الهوى أو الشائبة أو المجاملة لأي من رجال الإكليروس من البابا إلى الأساقفة إلى القسوس إلى الشمامسة. على أن يرفعوا تقاريرهم إلى البابا والمجمع المقدس والمجلس الملي للنظر فيها والأخذ بها.

٤. المجلس الأعلى للتعليم اللاهوتي:

ويتحتم أن يكون أعضاؤه (سواء كانوا من الإكليروس أو من العلماء اللاهوتيين) حائزين على إجازات علمية عليا في العلوم اللاهوتية من جامعات أو كليات لاهوتية مُعترف بشهاداتها عالمياً وكنسياً. ويتولى هذا المجلس:

١. الإشراف على الدراسة في المعاهد اللاهوتية الحالية وتطويرها والرقي بالمستوى العلمي للتدريس بها إلى مستوى أفضل المعاهد والأكاديميات اللاهوتية الأرثوذكسية في الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، ومراقبة ما يُدرَّس فيها من مناهج حتى يكون متوافقاً مع المقاييس العلمية اللاهوتية المُعترف بها.

٢. وهو الذي يقرر إرسال البعثات اللاهوتية إلى الخارج واستدعاء أساتذة لاهوتيين زائرين من الداخل أو الخارج.

٣. وبالإضافة إلى هذه المهام الأكاديمية العلمية، **فيكون للمجلس حق وعليه واجب إبداء الرأي اللاهوتي** وإعطاء المشورة العلمية اللاهوتية الحسنة في القضايا التي تعرض للكنيسة. كما يقوم بإصدار الدراسات الأرثوذكسية اللازمة لمنفعة الشعب الروحية.

على أن يتوفر لأعضاء هذا المجلس ما لأعضاء المجلس الأعلى للقضاء الكنسي من الاحترام والتقدير والحصانة لآرائهم وأشخاصهم، ولكن بشرط أن يكونوا أولاً على **مستوى العلماء**

اللاهوتيين الأكاديميين، وأن يلتزموا جانب الحق اللاهوتي المطلق القائم على التقليد الكنسي القبطي الأرثوذكسي الصحيح.

٥. المجلس الأعلى للرهبنة القبطية:

ويضم رؤساء الأديرة القديمة ذات التراث الرهباني الذي لم ينقطع منذ القرون الأولى، ونخبة من الآباء الروحيين وشيوخ الرهبان العلماء المشهود لهم. ويرأس المجلس قداسة البابا الإسكندري وينوب عنه في إدارة الجلسات أقدم الأعضاء وأكبرهم سناً. ويكون مرتبطاً بلجنة الأديرة المنبثقة عن المجمع المقدس. وتكون قراراته موضع احترام وتنفيذ من الرئاسات الكنسية.

ويتولى هذا المجلس تدبير الشئون العامة للرهبنة في الكرازة المرقسية عن طريق:

١. **وضع قانون عام للرهبنة القبطية** يعتمد على تراثها القديم المتوارث منذ أكثر من ١٦ قرناً ما يشيد به العلماء والرهبنات الغربية في كل العالم بحيث تعود الرهبنة حصوناً للروحانية العالية والحكمة الأبوية ومرجعاً وحصناً للكنيسة في جهادها في العالم بصلوات وتشفعات رهبانها وراهباتها وتسابيحهم وتسابيحهن التي يرفعونها ليلاً ونهاراً.

٢. **مراقبة تنفيذ هذا القانون** وممارسة المراجعة وتقديم التحذير من أية مخالفات أو انحرافات عنه.

٣. **فحص ما يستجد من تعمير أديرة قديمة أثرية** من جهة تناسب مبانيها مع قيام حياة رهبانية سليمة فيها، وجدية واستمرارية وجود حياة رهبانية حقيقية لمدة لا تقل عن ٥ سنوات في هذا الدير المقترح الاعتراف به، ووجود قانون رهبنة واضح يحكم الحياة الرهبانية فيه، وغير ذلك مما يكون مبرراً لتوصية المجلس للسلطات الكنسية بالاعتراف بهذا الدير. ولا يُعترف بالدير إلا بناءً على توصية المجلس الأعلى للرهبنة، على أن لا يُعيَّن له إيغومانسٌ لرئاسة الدير إلا بعد الاعتراف بالدير، بل نائب بابوي من شيوخ الرهبان المختبرين المحنكين في الحياة الرهبانية ليؤسس رهبنة حقيقية في هذا الدير.

٤. **لمّ شتات الرهبان والراهبات العائشين والعائشات حالياً خارج أديرتهم وأديرتهن** لسبب أو لآخر (وهو ما ازداد حدوثه وكثر عددهم الآن)، ومعالجة أوضاعهم جميعاً بحسب كل حالة على حدة بروح الأبوة ما يمنع العثرات التي تحدث نتيجة لهذا الوضع.

٥. **معالجة الأوضاع الغريبة عن مبادئ الرهبنة الموجودة حالياً في بعض الأديرة**، وإصلاح

ما يمكن إصلاحه منها باتفاق الجميع وبروح التأني والمثابرة والإخلاص.

٦. **وضع ضوابط ومعايير دقيقة لاختيار الرهبان وانتدابهم للخدمة خارج الدير** (في أضيق الحدود)، ويكون هذا بتزكية وبموافقة المجلس لمن يصلح، لأن آباء الأديرة هم أقدر من يرشحون ويختارون من هو كفء لهذه الأعمال دون غيرهم.

٧. **العمل على إعادة فتح المعهد اللاهوتي للرهبان** لإعداد من يختاره رئيس كل دير وبموافقة المجلس للالتحاق بهذا المعهد حتى لا يُنتدَب أي راهب للخدمة وعلى الأخص للأسقفيات وخدمات التعليم والكرازة أو البعثات التعليمية إلا إذا كان حاصلاً على الإجازة العلمية من هذا المعهد.

٨. **تدعيم الأديرة بالطاقات الروحية** بالتبادل بين رهبانها في اختباراتهم الروحية الرهبانية والاستفادة من تجارب الأديرة في تطبيق النظم والقوانين الرهبانية ما يثري الحياة الرهبانية في كل الأديرة ويوحد مبادئها ويقوي مسيرتها وبالتالي يعود ازدهار الرهبنة على الكنيسة بأكملها.

٩. **مراجعة أوضاع الأديرة المنشأة حديثاً** (الأثرية أو المستحدثة) لتوفيق أوضاعها على القوانين والنظم الرهبانية الصحيحة وتصحيح التجاوزات الحادثة ومعالجتها.

١٠. **استقبال وفحص حالة أي راهب أو راهبة يترك أو تترك ديرها** ويعالج وضعه ما يفسح المجال للراغبين في استئناف حياة الرهبنة في دير آخر أو يفحص مصيره إذا لم توجد هذه الرغبة.

١١. **يكون المجلس معاوناً لرؤساء الأديرة** في مواجهة أية مشاكل تحدث داخل أديرتهم فيتشاور رئيس الدير مع المجلس في هذه الحالة ويتعاون معه في احتواء المشكلة أو حسم الأمر.

١٢. **يعين مسئول اتصال مع أديرة الراهبات** لتنظيم مجلس يضم رئيسات الأديرة للراهبات يقوم بالتعاون معهن في شئون أديرتهن.

١٣. **تسهيل والإشراف على انتخاب وتعيين رؤساء الأديرة** الذين يجب أن يكون اختيارهم حسب النظام الرهباني القديم وفي درجة إيغومانس.

إن أي تشريع كنسي يختص بانتخاب البابا البطريرك يجب أن يصاحبه تشريعات مصاحبة له لتنظيم الهيكل العضوي والإداري التشريعي والقضائي لمؤسسات الكنيسة التي تحيط بالبابا ما يجعله محفوظاً ومصوناً من الزلل في قراراته، بل ويُثري قراراته وممارساته بالمضمون الروحي السامي والشكل الكنسي الصحيح ما يجعل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

القرن الواحد والعشرين هي حقاً كنيسة المسيح الوارثة لكل غنى وعظمة كنيسة الإسكندرية القديمة كنيسة الآباء وكنيسة التقليد الكنسي الصحيح. وبالتالي يحفظ الكنيسة كلها من أي انحراف عن طبيعتها الروحية ما يعرِّضها للخطر، بل وبالأكثر يوقعها تحت دينونة الله.

— راجع: البحث الخاص "التقليد القانوني الكنسي في اختيار وإقامة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية" في كتاب: *السلطان الروحي في الكنيسة*، للمؤلف، صفحات من ١٠١-١٦٢.

قوانين الكنيسة المختصة بانعقاد المجمع المقدس ومشورة الأراخنة

الأمر الرسولي بانعقاد المجامع:

قوانين الرسل - الكتاب الثامن بيد إكلمنضس:

٣٧ [ليجتمع الأساقفة مرتين في السنة. وليفحصوا معاً أمور الدين، وليحلوا الخلافات الكنسية. الاجتماع الأول يكون في الأسبوع الرابع من أيام الخماسين، والثانية ثاني عشر بابه الشهر الخريفي (أكتوبر).]

(نيقية ٥، خلقيدونية ١٩، أنطاكية ٢٠، اللاذقية ٤٠، قرطاجنة ٢٦).

الغرض الأول من اجتماع الأساقفة: استئناف قضايا الحرمانات:

نيقية - ٥ [إنه فيما يختص بالذين قُطعوا من الشركة من الإكليريكيين والشعب، يجب على أساقفة الإيبارشيات أن يراعوا القانون الذى يمنع أن يقبل أساقفة آخرون مثل هؤلاء الأشخاص. على أنه يجب في الوقت ذاته فحص قضاياهم لئلا يكونوا قُطعوا من الشركة بسبب حزازة شخصية أو خصومة أو كراهية أو غير ذلك. وبما أنه ينبغي في مثل هذه القضية إجراء الفحص اللازم، فنحن نحدد أنه يجب أن يُعقد المجمع في كل إيبارشية مرتين في السنة وعند اجتماع الأساقفة كلهم تُفحص هذه الدعاوى فحصاً مدققاً.

فالذين يظهر ذنبهم وعصيانهم لأسقفهم يشهد الجميع بأن قطعهم من الشركة أمر واجب إلى أن يرى المجمع في جلسة عامة أن يلطف الحكم الصادر عليهم. يعقد المجمع الأول قبل الصوم الكبير (استعداداً لتقديم الذبيحة الطاهرة لله بعد طرح كل حقد وبُغض). ويُعقد الثاني في فصل الخريف.]

(الرسل ١٢، ١٣، ٣٢، ٣٧، خلقيدونية ١٩، أنطاكية ٦، ٢٠، سرديقية ٢٠، قرطاجنة ٢٦، ٣٧، ٥٤، ١١٦، ١٤١).

قانون الشركة:

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة على أفراد الشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء المجمع المقدس والإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه رضا الله، وصلاح الشعب (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، وواجب الديانة (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه إساءة لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، العلنية منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، وغير المباشرة مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

ولا خلاف لهم في تجاوز الحق إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] - القانون الرسولي رقم ٢٠

قانون المشورة:

[أن يشاور (الرئيس) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم المدني) على انفراد واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.] المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

عدم السماح بتغيب الأسقف عن حضور المجمع المقدس:

اللاذقية ٤٠ [من أجل الأساقفة الذين يمتنعون عن الحضور في المجامع. لا يجوز لأسقف إذا هو دُعي من الجماعة للحضور معها أن يتهاون بالحضور معهم بل يذهب إليهم ويتعلم منهم إذا احتاج إلى التعليم، فليتعلم سنن الأساقفة فإن في ذلك صلاحاً للكنيسة، وغير ذلك من الأحكام التي ينبغي لهم الانتفاع منها، وينتفع بها المؤمنون أيضاً. وإن هو تهاون بذلك ولم يحضر إلى الجماعة فلا يلومنَّ إلا نفسه من الحرم والقطع واللعن؛ إلا أن يكون امتنع من ذلك لعلة مرض أو عارض]

عدم الخوف من إبداء الرأي داخل اجتماعات المجمع:

[... فليبْدِ كل منا رأيه على انفراد في هذه القضية دون أن نحكم على من لا يتفق معنا أو ننزع عنه حق الشركة. فإنه ليس بيننا من يجعل نفسه أسقف الأساقفة أو يحاول أن يُرغم رفقاءه بالإكراه على الطاعة له. فلكل أسقف أن يستعمل حرية رأيه وسلطته وليس له أن يدين الغير...]

(من خطاب رئيس أساقفة شمال أفريقيا القديس كبريانوس إلى أساقفة المجمع)

البريزفيتيروس - القس

خدمة البريزفيتيروس

عن درجة "البريزفيتيروس/القس" نقرأ في سفر الأعمال أن القديس بولس الرسول استدعى **"قسوس الكنيسة"** في أفسس وقال لهم "... ارعوا رعية الله التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** ...". فليس هنا في هذا النص اختلاط بين القسوسية والأسقفية اللتين نعرفهما اليوم متميزتين، لأن "قسوس الكنيسة" هم خدام الكنيسة ورعاتها، أما كلمة **"إبيسكوبوس"** فهي هنا في هذا النص ليست "لقباً" لرتبة بل **"مضمون الوظيفة" التي يقوم بها هؤلاء القسوس وهي الافتقاد**.

ويمكن أن تتضح هذه الآية إذا ترجمناها هكذا: "... التي أقامكم الروح القدس فيها **نُظَّاراً/ حراساً/ مفتقدين/ملاحظين**" (وكل هذه المترادفات هي مشتقة من وظائف راعي الخراف واستعيرت لتصف عمل القسوس). وهذه الترجمة العربية لكلمة **"إبيسكوبوس"**: **"نُظاراً"**، هي التي تُرجمت إليها نفس الكلمة اليونانية **"إبيسكوبي"** في رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٢ « ارعوا رعية الله التي بينكم **نُظَّاراً** ».

والقس في التقليد القبطي يُلَقَّب: **"خادم مذبح** كنيسة العذراء...." أو **"خادم مذبح** كنيسة الملاك"، لأن اقتران القس بمذبح محدد هو الذى **يشهد بأن له الصفة الكهنوتية**، على حسب ما قال القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: **"الكاهن يلازم المذبح"** (عب٧: ١٣).

ولذلك أيضاً أتت القوانين المجمعية والكنسية **تحرم انتقال القس من مذبح الكنيسة التي يُرسم عليها**[1] إلى مذبح كنيسة أخرى. وفي الوقت نفسه حرمت رسامة قس على غير مذبح كنيسة محددة في طقس صلوات الرسامة.

وبناءً على ما تقدم، تتضمن خدمة المذبح:

١. **تقديم ذبيحة سر الشكر**. وهي تحتوي، حسب صلوات الليتورجية القبطية، على طلبات

(١) قانون رقم ١٥ من قوانين مجمع نيقية، الرسل ١٥، ١٤؛ أنطاكية ٢١، ٣؛ قرطاجنة ٥٧.

من أجل كل احتياجات الكنيسة، الروحية منها وحتى المادية، كما في الأواشي والطلبات من أجل الخلاص، وكذلك من أجل الزروع والمياه والهواء وحتى من أجل البهائم.

٢. **خدمة افتقاد الشعب، بالارتباط بنفوس الرعية بروح الأبوَّة الحانية التي يُعبِّر عنها طلب** الغفران لهم من الله، والتماس "**اشتراك الله معهم في كل عمل صالح**" يقومون به (أوشية المسافرين)، وافتقادهم وتقديم الإرشاد الروحي لهم لتهيئتهم للتناول من الأسرار المقدسة.

لذلك فمنذ الأجيال الأولى تحددت مجالات خدمة القس بالنسبة لخدمة الأسقف هكذا:

الأسقف والقس:
المجال الجغرافي لخدمة كل منهما

مجال عمل الأسقف:

مجال عمل الأسقف هو الـ **Diokesis** (باليونانية) وبالإنجليزية **Diocese**، وبالعربية نسميها "إيبارشية" وهى النطق العربي للكلمة اليونانية **Eparchia**، والتي توصف بها الوحدة الإدارية في التقسيم الإداري للدولة في النظام المركزي للحكومة الرومانية قديماً.

وتشمل الإيبارشية الكنسية مدينة أو عدة مدن في المحافظة والقرى المحيطة بها بحسب التقسيم الإداري للدولة. وفي القديم كان لكل مدينة في المحافظة أسقف، بينما أسقف عاصمة المحافظة كان يُدعى "**المتروبوليتيس**" باليونانية وتعني **أسقف المدينة الأم أو أسقف أم المدائن**. وتُنطق "المِطران" بالعربية، وهو الأسقف المتقدم بين أساقفة مدن المحافظة، وكان يشكل معهم مجمع أساقفة مدن المحافظة.

مجال عمل القس:

أما مجال عمل القس فهو يسمى بالـ **Paroichia** (باليونانية) وُتنطق باريخيا، وتسمى بالإنجليزية **Parish**. و"الباريخيا" مصطلح مأخوذ عن الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (العهد القديم). ويعبِّر عن مجموعة من المرتحلين معاً الغرباء في أرض غريبة عن وطنهم، وتعني أيضاً مجموعة من السكان المتجانسين الذين يعيشون متجاورين في مكان واحد. وليس لهذه الكلمة في اللغة العربية في كنيستنا القبطية ترجمة. ومن المهم تحديد اسم لهذا للمجال الرعوي للقس لاستخدامه في التعامل اليومي الكنسي بين الأسقف والقسوس، ويمكن تسمية مجال خدمة القس

باسم "رعوية"، أي المجال الرعوي للقس. والقس يسمى "كاهن الرعية"، فيقال رُسم فلان قساً على مذبح كنيسة العذراء ليخدم رعوية منطقة كذا أو مدينة كذا أو حي كذا.

الشروط الشخصية لحاملي الرتبة الافتقادية (الأسقف والقس)

يمكننا أن نعرض هنا بالتفصيل الشروط الشخصية لحامل الرتبة الافتقادية (أسقفاً كان أو قساً) هكذا:

- بلا لوم (١ تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٦، ٧).
- بعل امرأة واحدة (١ تي ٣ : ٣ : ٢، تيطس ١ : ٦).

والمقصود من هذا الشرط أن لا يكون للقس أكثر من زوجة واحدة، وذلك في مواجهة الوضع التاريخي المؤقت الذى كان سائداً في العصر المبكر للمسيحية، حينما كان ينضم للمسيحية الرجل الوثني وزوجاته، وكانت وصية الإنجيل ألاَّ يطرد الزوج من يَزِدْن من زوجاته على زوجة واحدة[٢] تنفيذاً لمبدأ المسيحية زوجة واحدة لزوج واحد. والشرط هنا ينصبُّ فقط على كلمة "واحدة" وليس على كلمة "بعل امرأة".

فبالنسبة للأسقف، لم يكن من شروط الأسقفية الحتمية أن يكون الأسقف متزوجاً، فهذا تعسف في تفسير النص لأن الزواج في حد ذاته لا علاقة له بشروط وكفاءات الأسقف أو القس. لكن المقصود هو حالة الزواج من الإمراة الواحدة، وهذا الشرط جاء لكي يكون الخادم بلا أية ملامة من جهة القدوة بخصوص شريعة الزوجة الواحدة. أما بالنسبة للقس فالزواج حتمي من قبيل تسهيل قيامه بالخدمة الافتقادية باعتباره هو الخادم المنخرط في خدمة الأسر من رعية الله (كما حتم بذلك مجمع نيقية المسكوني وذلك بعد خطاب الراهب القبطي القديس والمعترف بفنوتيوس الذي ناشد فيه المجمع المسكوني بعدم تحريم اختيار متزوجين للقسوسية)[٣]، بينما

---

(٢) (١ كو٧:١٢– ١٤) "إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها، فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدَّس في المرأة، والمرأة مقدَّسة في الرجل، وإلاَّ فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدَّسون".

(٣) راجع كتاب: *الشرع الكنسي*، صفحة ١٠٩، ١١٠. ويلاحظ أن الذي عارض تبتل القسوس هو راهب لم يتزوج. وذلك انطلاقاً من إدراكه لأسرار الطبيعة البشرية وضعفها وإحساسه العميق بمتاعب القسوس، إذا كانوا متبتلين، وهم متداخلون وسط

(بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية)

خدمة الأسقف تتحدد بالتعليم والتوجيه للكهنة وتنظيم العمل الرعوي من خلال مجمع القسوس ومجلس الشمامسة ومجلس الأراخنة. ولأن إرسالية الأسقف هي خلافة الرسل والأبوة الروحية للمؤمنين، لذلك حتمت القوانين الكنسية شروطاً إضافية مثل السن (لا يقل عن الخمسين عاماً) والتبتل وعلو معرفته اللاهوتية وعمق اختباراته الروحية ونسكه وتعففه وعفته.

الشروط المشتركة بين الأسقف والقس:

- صاحياً (أي غير مُدمن الخمر) (١ تي ٣ : ٢، ٣، تيطس ١ : ٧)
- عاقلاً (أي متعقلاً، ضابطاً لنفسه). (١ تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- محتشماً (١تى ٣ : ٢)
- مضيفاً للغرباء (١تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- صالحاً للتعليم (١تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- ولا ضرَّاب (١تي ٣ : ٣، تيطس ١ : ٧)
- ولا طامع بالربح القبيح (١تي ٣ : ٣، تيطس ١ : ٧)
- حليماً غير مخاصم (١تي ٣ : ٣)
- ولا محباً للمال (١تي ٣ : ٣)
- باراً ورعاً (تيطس ١ : ٨)
- غير حديث الإيمان (١تي ٣ : ٦)
- يجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج (١تي ٣ : ٥).
- غير مُعجَب بنفسه (تيطس ١ : ٧).

ويلاحظ أن هناك شرطين يؤكد عليهما الرسول بتحذيرين شديدين إذا تمت مخالفتهما:

الشرطان: أن يكون:

(بقية الحاشية من الصفحة السابقة)

العائلات. فأراد أن يمنع عنهم هذا النير الثقيل.

– غير حديث الإيمان،

– له شهادة حسنة من الذين هم من خارج.

التحذيران:

"لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس"،

و"لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس".

ليت هذين الشرطين يكونان ذا اعتبار شديد لدى جميع من هم منوط بهم انتخاب واختيار خدام كنيسة الله، التزاماً بوصية الرسول وتفادياً لتحذيرَيْه الشديدين. فحديثو الإيمان لم يكونوا مقبولين، ومعنى هذا الشرط الآن أن حديثي الخبرة الروحية أيضاً ممنوعون.

– لذلك كان الأسقف يُختار من نخبة العابدين الناسكين لعشرات السنين ممن يُطلق عليهم "الرهبان الإسكيميون".

– أما القسوس فكانوا يُختارون من المتقدمين في العمر أو ممن لا تقل أعمارهم عن الثلاثين، وممن يكونون متزوجين ولهم أولاد في الإيمان:

– يدبر بيته حسناً وله أولاد في الخضوع بكل وقار (أي أولاد مؤمنين) (1تي ٣ : ٤، تيطس ١ : ٦)

وفي وصف شروط القس/البريزفيتيروس من جهة هذا الأمر، يستخدم القانون الكنسي كلمة: "**أن يكونوا في زي الشيوخ**":

> [يجب للقسوس أن يكونوا في زي الشيوخ، وقد جازوا عن حد أن يلامسوا امرأة.]
>
> **القانون الثالث عشر من قوانين الرسل الـ ٧١**

وكلمة "**في زي الشيوخ**" المقصود بها أن يكون متحلياً بحكمة الشيوخ ورزانتهم ووقارهم وطول أناتهم وحسن بصيرتهم، حتى وإن لم يكن قد بلغ سن الشيوخ (٥٠ عاماً).

وهذا الشرط يتنافى مع رسامات القسوس بعد زواجهم مباشرة أو بعد وقت قصير منه ما لا يكفي لاختبارهم كمدبرين لبيوتهم حسناً، بحسب القول: «وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله» (1تي ٣ : ٥).

– ورسوخ المدعو للكهنوت في الإيمان أمر حتمي، حيث تكون أسرته ذات صيت قوي في

التقوى، تُقرأ فيها الأسفار المقدسة منذ الأجيال القديمة بانتظام، كما شهد بذلك القديس بولس الرسول عن أسرة تيموثاوس: «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك، الذى سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي...» (٢ تي ١ : ٥)، «وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة» (٢ تي ٣ : ٥).

وبالإجمال فإن كل الفضائل المطلوبة في المؤمن العادي ورب الأسرة المسيحية هي مطلوبة بالأكثر، بل وأكثر منها، في شاغلي وظيفة تدبير الكنيسة ومفتقدي النفوس.

فحاملو الرتبة الافتقادية سواء الأسقف أو القس، هو مسئول عن توفير مناخ الإيمان والحياة المسيحية في الكنيسة، فهو باعتباره المعلم والمرشد للمؤمنين، مُقيَّد أن يراعى كل القوانين والقواعد والحدود المنظِّمة للحياة الكنسية. وهذه القوانين تتمثل في ما يسميه القديس بولس "الاعتراف الحسن" (١تي ٦ : ١٢) الذى يذكِّر به الرسولُ بولسُ تيموثاوسَ دائماً أنه اعترف به يوم رسامته أمام شهود كثيرين (هم أعضاء شعب كنيسته التي قُسم عليها)، وهو التعهد بحفظ التعليم الرسولي والتمسك به والكرازة بموجبه.

لذلك، يجب أن يحرص الكاهن (أسقفاً كان أم قساً) في كل خدمته وتعاليمه وأقواله وتصريحاته أن لا يحيد عن التعليم الرسولي وعقيدة الآباء وحدود وقوانين الكنيسة.

دور القوانين الكنسية في ضبط الأداء الصحيح للرعاية:

ومن أجل الحفاظ على حدود الوظائف الكهنوتية والتدبيرية في الكنيسة، قامت المحاكم الكنسية، كما يجمل ذلك القانون التاسع والعشرون من قوانين الرسل:

[في تأديب الكهنة والرؤساء:

ولا يجترئ أحد من الرؤساء والأئمة أن يتعدَّوا الأمر الذي نُدِب له (كل واحد منهم)، ولا يتجاوز الأمر الذي قلَّدوه إياه وجعلوه له.

بل يكون له فيه الأمر والنهي والسلطان بما ينبغي ويجب له أيضاً، مما لا يلحقه فيه خطية ولا لائمة، ولا يكون عليه فيه مقال]

لذلك شرَّعت المجامع المكانية والمسكونية طريقة تأديب ومحاكمة المخالفين من الرؤساء والكهنة دون استثناء أحد.

خدمة القس في سر الاعتراف

يصف المؤرخ "سوزومين" طريقة الاعتراف وصفات أب الاعتراف هكذا:

[ولأن طلب الغفران أصبح يستلزم الاعتراف بالخطية، بينما قرر الأساقفة منذ البدء، وهذا حق، بأنه ثقل شديد جداً أن يعلن الواحد خطاياه في محفل عام أمام الكنيسة المجتمعة كشهود، فقد اختاروا لهذا الغرض شيخاً/بريزفيتيروس/قس، رجلا على أعلى درجة من النقاء، رجلاً هادئاً، حكيماً، لكي يأتي الخطاة إليه ويعترفوا بأفعالهم][4]

ومنذ ذلك الوقت والكنيسة تمارس سر الاعتراف بهذه الصورة الدقيقة على رجال تحتَّم أن يكونوا "**على أعلى درجة من النقاء، هادئين، حكماء**". وكان الأسقف هو الذى يختارهم من بين مجمع القسوس، **إذ لم يكن يُسمح لأي قس/بريزفيتروس مرسوم حديثاً أن يسمع اعترافات التائبين**، بل فقط الذين يختارهم الأسقف ويعطيهم حِلاً لتلقى اعترافات الشعب بموجب خطاب رسمي بذلك، وكان يسمى "**معلم الاعتراف**". (وإلى وقت قريب جداً كان هذا النظام مُطبَّقاً في الكنيسة القبطية)[5]. لذلك تذكر مخطوطة الإفخولوجيون (القرن الثالث عشر) في نهاية صلوات رسامة القس/البريزفيتروس وصية للقس في قبول الاعتراف هكذا:

[ولا بأس أن تقبل الاعتراف إذا جاء إليك أحد معترفاً بخطيته، **إن كنت مدرّباً بهذه الصناعة**. فإن القانون المقدس يقول: "إن الكاهن الذى لا يقبل المعترف، يُنفى من الجماعة". ويعقوب الرسول يُنذر المعترف ومعلم الاعتراف معاً ويؤكد أن ذلك واجب وفرض، بقوله للمعترف: "وليعترف بعضكم لبعض بخطاياكم"، ويقول للمُعتَرَف له: "وليُصلِّ بعضكم على بعض"، أي الكاهن يصلى على الرعايا. "لأن من يردّ الخاطئ عن ضلاله يخلِّص نفساً من الموت ويستر على خطايا كثيرة"].

ويشترط الطقس الخاص بتلقي الكاهن القس المسمَّى "**معلِّم الاعتراف**" لاعترافات الشعب، أن عليه أن يتعلم أولاً ما يسميه الآباء "**الطب الروحاني**" أو "**طِبُّ النفوس**"، وذلك على يد

---

(٤) كتاب *التاريخ الكنسي* لسوزومين ٧،١٦

(٥) ذكر الأناغنوستيس وهيب عطا الله (المتنيح نيافة الأنبا غريغوريوس الآن) أنه اطلع على خطاب لدى أحد الآباء الكهنة الشيوخ في الصعيد من أسقفه يخول له حق مباشرة سر الاعتراف، وذلك بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة. راجع مجلة مدارس الأحد ٢: ٥: ٣٨ (أكتوبر ١٩٤٨).

أب روحي وشيخ خبير بالمعالجة مشهور بالنجاح:

[ويجب أن تتخذ لك قبل ذلك - أي قبل ممارسة تلقي اعترافات الشعب - أباً وشيخاً خبيراً بالمعالجة، مشهوراً بالنجاح، حتى يعلِّمك أن تضع الدواء والمرهم بما يلائم الوجع والجراح].

محاذير ممارسة تلقي الاعتراف دون خبرة روحية:

فليس كل قس مرسوم حديثاً مسموح له بأن يتلقى اعترافات الشعب إلا بعد أن يتعلم طب الأرواح والنفوس أولاً. وهذا العلم الروحاني، تشرح الوصية محاذير الجهل به:

[لكي لا تضع دواء العين على الرِّجْل فلا يُنتفع بذلك، وتتشدد على العضو الترابي الزمني فيصير هالكاً. وكُن سائلاً عن السن والعادة والوضع والزمان والطبع، والمكان والإمكانية والمـــزاج والتحصُّن "أي القدرة على احتمال التأديبات"، معتمداً في ذلك الرأفة على بنيك والتحنن. ولاطف كلاً مما ذكرناه بما يلائمه من الدواء، حتى يعود العليل من مرضه إلى حالة الصحة والاستواء.]

وتوصي الوصية المقروءة على القس يوم رسامته أن تكون حياته وخبرته الروحيتين كما يريده عليهما المسيح راعي النفوس وأسقفها هكذا:

[لِتكُنْ مَرْكِباً روحياً، يحمل البركات إلى ميناء الخلاص.

ومعلماً روحانياً نورانياً، ترفع المتعلمين إلى درجات الاختصاص.

لتستحق بهذه الصفة الأجر المتضاعف، ويسبغ الرب عليك الخير المترادف].

إذن، فمهمة الكاهن في سر الاعتراف تشمل أيضاً، ليس فقط سماع الاعتراف وإعطاء الحِل، بل وأيضاً إعطاء الدواء الروحي والتوجيه المناسب لكل فرد على حدة، حسب قامته الجسدية والنفسية والروحية. لذلك فهذه المهمة تستلزم جداً من الكاهن المعرِّف أن يكون متدرباً على يد شيخ روحاني مختبر ناجح في تدبير النفوس سبق أن تتلمذ عليه الكاهن قبل البدء في تلقيه اعترافات الشعب.

وقد صار هذا التقليد في الكنيسة أن يتخذ كل **كاهن أب اعتراف له** (يسمى في اللغة الكنسية: أب ذمة)، شيخاً مختبراً هادئاً حكيماً قادراً أن يشفي النفوس المعتلّة ويترقّى بالمتعلمين والأصحاء إلى أعلى درجات الكمال. وقد وضع الآباء الكهنة والأساقفة والبطاركة

أنفسهم في وضع التلمذة "لأب ذمة" أي أب اعتراف[٦] قبل وبعد رسامتهم، ومازال الآباء الحريصون يسلكون هكذا.

الاعتراف السري أثناء العبادة الليتورجية:

ومن بين ما يشمله الاعتراف السري، نوع آخر من الاعتراف أثناء الخدمات الليتورجية ويشمل الاعتراف "على المجمرة" – مجمرة البخور. وهو لا يُغني عن الاعتراف على يد الكاهن. ويشرحه ابن كبر في مخطوطته "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" هكذا:

في خدمة رفع بخور باكر وعشية

[وينزل الكاهن يبخر باب الهيكل ثلاثاً، ويمسح البيعة كلها، والشعب والنساء والشمامسة يقبّلون يده، وهو يباركهم. ويُستحبُّ اعتراف الإنسان بخطيته وطلبه المغفرة عند وقت تبخيره، سراً وبوجيز من الكلام. فقد قال بعضهم إن إخراج البخور للشعب هو بمنزلة الحيوان الذى كان يخرج – في العهد القديم – إلى خارج المحلة ويعترف مَنْ يقدمه بخطيته في أذنه، ثم يُقرِّب عنه – (يقصد طقس تقديم تيس "ذكر الماعز" الذي يعترف على رأسه رئيس الكهنة بخطايا الشعب ثم يقدمه ذبيحة رمزاً لغفران خطايا الشعب بالاعتراف وتقديم الذبيحة – راجع سفر اللاويين ١٦).

وإذا فرغ الكاهن من تبخير الشعب كله، الرجال والنساء وأماكن الهياكل وأيقونات الشهداء والقديسين، يعود ويطلع فوق قدس الأقداس، كأنه يرفع اعتراف الشعب لله ويقول: "يا الله الذى قَبِلَ إليه اعتراف اللص على الصليب المكرَّم، اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم جميع خطاياهم، من أجل اسمك القدوس الذى دُعي علينا،

---

(٦) يذكر التاريخ اسم القديس إيسيذوروس البيليوزومي (٣٦٠–٤٣٥م) كأب ذمة للقديس البابا كيرلس عمود الدين (٣٧٥–٤٤٤م)، راجع تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسّى يوحنا، صفحات من ٢٩٤ – ٢٩٦. وقرأنا في نشرة صدرت في أكتوبر ١٩٣١ رسالة من أب اعتراف البابا الأسبق كيرلس الخامس (١٨٧٤–١٩٢٧) وهو القمص عبد المسيح المسعودي أرسلها له في ٢٠ برمودة ١٦٠٣ للشهداء (٢٠ أبريل ١٨٨٧ ميلادية) ينصحه ويُبصِّره ببعض التعاليم الروحية النافعة. كما قرأنا القرار البابوي للبابا الأسبق يوساب الثاني (١٩٤٦–١٩٥٦) بتعيين "أب ذمة" له أسماه "السكرتير الروحي" في عام ١٩٥٤ وكان يقيم في البطريركية إلى جوار البطريرك (كما ورد في مجلة الأسبوع العدد ١٥، ١٢ أبريل ١٩٥٤، السنة ٢٠، صفحة ٩). وكذلك البابا السابق الأنبا كيرلس السادس، كان القمص شنودة البراموسي (أحد شيوخ دير البراموس– تنيح سنة ١٩٧٣) أب اعترافه وظل كذلك طوال حبرية البابا كيرلس، وكان يقيم معه في البطريركية. إذن فتقليد وجود أب اعتراف للبطاركة من شيوخ البرية كان سارياً حتى وقت ليس بالبعيد.

كرحمتك يا رب ولا كخطايانا"] [7].

ويقول الخولاجي المقدس [8] إن هذه الصلاة واسمها "سر الرجعة" يقولها الكاهن في رفع بخور عشية وباكر وفي القداس الإلهي أثناء قراءة رسائل بولس الرسول والإبركسيس.

وواضح أن الاعتراف على المجمرة أو الشوريا ممارسة قديمة مكمِّلة لممارسة الاعتراف السري على يد الكاهن (وليست بديلة عنه). ومنها يتضح أن تكرار الفرص التي يمنحها الطقس الكنسي للمؤمنين أثناء القداس الإلهي للاعتراف بخطاياهم ومنحهم الحِل [9]، إنما يهدف إلى تطهير ضمائر المتقدمين للتناول من الأسرار المقدسة ليكونوا في حال استحقاق لقبول هذا السر الرهيب، حتى إلى آخر لحظة قبل التقدم للتناول.



(٧) *"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"* لابن كبر صفحة ١٦١، طبعة خاصة للمهتمين بالدراسات القبطية، إعداد الراهب القس صموئيل السرياني، ١٩٩٢ (نيافة أنبا صموئيل أسقف شبين القناطر الآن).

(٨) *القداسات الثلاثة*، طبعة جمعية أبناء الكنيسة، سنة ١٩٦٠، صفحات ٥٠، ١٣٤، ١٥٧.

(٩) بالإضافة إلى صلاة تحليل الخدام في بدء القداس الإلهي، وصلاة التحليل، بعد تلاوة الصلاة الربانية التي تتلو القسمة.

الفصل السابع

الإيغومانس (القمص) وهو كبير القسوس

كلمة "إيغومانس" (ونطقها العربي المتداول محرّفاً "قُمُّص") يونانية الأصل **Hegoumenos** ومعناها: مدبِّر، أو كما يسميه كتاب الرسامات "**الهادي**" و"**المرشد**"، وهاتان صفتان من صفات وأسماء قبطان الباخرة وقائدها، وهما تنطبقان على مهام الإيغومانس[10].

"إقامة" أو "انتداب" الإيغومانس، وليس ترقية:

وعملية إقامة الإيغومانس لا يسميها كتاب الرسامات "رسامة" بل "**انتداب**" و"**انتقال من طغمة (أي رتبة) القسوسية إلى الإيغومانسية**"، حيث **لا يُعاد وضع اليد على رأس القس المنتدَب للإيغومانسية**. إذن، فليس لائقاً أن توصف هذه العملية بأنها "**ترقية**" على نسق ما يحدث في المؤسسات المدنية[11]. فهي "**دعوة إلهية**" كما يسميها كتاب الرسامات، ولها مهام محددة تضاف على مهامه كقس قبل الانتداب.

١. *مهام الإيغومانس*

١. من بين مهام الإيغومانس (كما وردت في مخطوطة صلوات الرسامة) – بالإضافة إلى مهامه كقس – أن "**يصير أباً ومدبراً**" للرعية في الموضع الذى أُقيم عليه. كأن يكلَّف بقبول اعترافات الرعية والنطق بالحلِّ لهم،

٢. وكذلك التدخل في المسائل الشخصية العويصة، مثل حالات النزاع الأسري ومحاولات الطلاق. وهذه المهمة الأخيرة تحتاج إلى مَنْ يكون حاملاً لمواهب الأبوة والتدبير والروح الرئاسي، وبعد خبرة طويلة في خدمة القسوسية.

لذلك كان إيغومانس الإيبارشية يسمى **بوكيل شريعة الأقباط في الإيبارشية**، حيث كان مساعداً للأسقف أو المطران في إنهاء وفض النزاعات الأُسرية وإصدار التصاريح الشرعية المختصة

---

(١٠) ويسمى عند السريان "الربان" وهو استعارة من اسم ربان السفينة أيضاً.

(١١) عوني برسوم، التقنين الكنسي، مادة ١٢٤ "انعدام مفهوم الترقية في النظام الإكليروسي" – صفحة ١٢٧.

بالزواج وغيره.

٣. ومن بين المواهب التي تحل على الإيغومانس موهبة "الروح الرئاسي"، وهو في هذا يماثل الأسقف في نوال هذه الموهبة. إذن، فيمكن أن نقول أن من مهام الإيغومانس أن يكون مركز وحدة وأداة تدبير حسن وتنسيق بين قسوس الكنيسة التي أُقيم عليها من بينهم. وبهذا يكون خير معاون ومساعد للأسقف.

٤. كما أن من عمله - كما أوضح كتاب الجوهرة النفيسة - "قراءة التحليل على كل قسيس يقدِّس"، أي يتلو صلاة التحليل قبل بدء القداس الإلهي، وذلك في حالة غياب الأسقف والمطران، فهو يُعتبر بمثابة نائب أو وكيل الأسقف أو المطران في بعض الأعمال الرئاسية في إيبارشيته.

٥. ولهذا السبب، فإن الإيغومانس أجدر مَنْ يُكلَّف بأداء الخدمات العامة والمؤسسات التي تتبع الأسقف والمطران، حيث أن صفته الرئاسية والتدبيرية والنيابية عن الأسقف تؤهله لذلك. وبهذا نستغني عن إطلاق اسم "أسقف" على مَن يقوم بهذه المهام غير الرعوية، وتظل درجة الأسقفية كما كانت في أعلى وأسمى مكانة في ترتيب درجات الكهنوت باعتبارها خلافة رسولية.

٢. بعض ما يمكن أن يوكل للإيغومانس من مهام أخرى أفضل من استخدام لقب "أسقف" لهذه المهام

إن الإيغومانس في كل إيبارشية يمكن أن يكون خير معاون للأسقف أو المطران أو البابا في تكميل مهامه المتشعبة الصعبة في الرعاية.

ففي المدن الكبيرة مثل مدينة العاصمة أو مدينة الكرسي الرسولي، يمكن تكليف الإيغومانس أن يكون مسئولاً ومنسِّقاً لخدمات الرعاية في حي أو ضاحية، ومعاوناً كفؤاً للبابا البطريرك في حلِّ النزاعات والمشاكل الرعوية اليومية. فيمكن أن يُعيَّن "وكيل البطريركية لشئون الحي الفلاني أو الضاحية الفلانية" من أحياء وضواحي العاصمة المترامية الأطراف، أو "النائب البابوي" لبعض الخدمات العامة مثل تنظيم والإشراف على مدارس التربية الكنسية أو المعاهد اللاهوتية، أو خدمة اخوة الرب (الخدمة الاجتماعية)، أو في المؤتمرات المسكونية، أو حمل الرسائل إلى الكنائس الشقيقة الأخرى، أو لأعمال السكرتارية الخ. وذلك على مستوى الإيبارشية أو الكرازة المرقسية.

وهذا الوضع يكون أكثر مناسبة ولياقة من استخدام لقب "أسقف" للقيام بأعمال يمكن أن يقوم بها "إيغومانس"، فلا يُستهان بلقب "أسقف" بل يظل لدرجة الأسقفية كرامتها وسمو وظيفتها كما حددها التقليد الكنسي كخلافة للرسل في الكرازة والتعليم والشهادة لوصايا المسيح خدمة «الصلاة وكلمة الله».

ولاشك أنه في هذه الحالة سيكون الإيغومانس مستوجباً كرامة خاصة من الموفد إليهم بسبب صفته النيابية عن الأسقف أو البابا وبموجب تكليفه البابوي أو الأسقفي، وحسب ما أمر به القديس بولس الرسول: «أما الشيوخ (البريزفيتيروس) المدبِّرون حسناً (أي الإيغومانسيون) فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة» (١تي٥: ١٧).

وإن حُسْن اختياره من بين القسوس وتكليفه بالمهام التي تتناسب مع المواهب الروحية التي نالها بصلوات الانتداب للإيغومانسية يمكن أن تُعطي للخدمات العامة المختصة بالرعاية والتدبير في الإيبارشية أو الكرازة دفعات قوية وتساهم في التنسيق بين قسوس الكنيسة الواحدة أو المنطقة أو الإيبارشية الواحدة أو كافة إيبارشيات الكرازة.

٣. سر التوبة والاعتراف بالخطايا

الاعتراف بالخطية فعل أساسي وهام في عملية التوبة والمصالحة منذ عصر الكنيسة المسيحية الأول. وقد اختلفت طريقة ممارسته على مدى التاريخ من اعتراف علني إلى اعتراف سرّى عن بعض الخطايا المحددة.

والاعتراف بالخطية مذكور في الأناجيل كممارسة تلقائية من إنسان يحس بضعفه فيعترف بأنه خاطئ، مثل "بطرس" الرسول: ".. خرَّ عند ركبتي يسوع قائلاً: أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ" (لو ٨: ٥). ونجد المسيح يؤكد على مبدأ الاعتراف بالخطية في مَثَل الابن الضال: "فقال له الابن: يا أبي أخطأتُ إلى السماء وقدَّامك" (لو٢١،١٥: ١٨)، وكذلك في مَثَل العشار التائب (لو ١٨: ١٣). وفي سفر الأعمال نجد الاعتراف مرتبطاً بالتجديد للتوبة والإيمان بالمسيح "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مُقرِّين ومخبرين بأفعالهم" (أع١٨: ١٩).

والاعتراف بالخطايا تفصيلاً نجده مذكوراً في الرسالة الأولى ليوحنا كوضع قائم في الكنيسة في عصر الرسل، حيث يشير إلى الاعتراف بالخطايا كتمهيد لغفرانها: "إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ٩:١). وفي رسالة يعقوب يحث قارئي رسالته أن يعترفوا بخطاياهم: "اعترفوا بعضكم على بعض بالزلات" (يع ١٦:٥).

الفرق بين القس والأسقف في صلوات الرسامة:

أبوليدس الـ ٣٨ [الأسقف يعادل القسيس في كل شئ ما خلا اسم الكرسي والقسمة (أي سلطان وضع الأيدي).] قانون ٤

لا يتمموا شيئاً بغير أمر الأسقف

الرسل - ٣٩ [القسوس والشمامسة لا يتمموا شيئاً بغير أمر الأسقف، لأنه هو المؤتمن على شعب الرب، والمساءلة عن نفوسهم] - (اللاذقية ٥٧، قرطاجنة ٦و ٧ و ٤١ و ٥٠].

يحضر القداس من بدايته

البابا خريستونولوس [ولا يجوز لقس لم يحضر القداس من بدايته أن يتقدم ليقسم (الجسد) ولا يأخذ بيده الجسد].

شروط الاستحقاق:

شرط السن

قرطاجنة ١١ [لا يُقسم قسيس وهو دون ثلاثين سنة ولو كان مستحقاً، بل يُصبر عليه إلى أن يبلغها لأن سيدنا يسوع المسيح تعمدً في سن الثلاثين ثم بدأ وعلّم].

شرط الأهلية الشخصية لرتبة الشيوخ

[يجب للقسوس أن يكونوا في زي الشيوخ، وقد جاوزوا عن حد أن يلامسوا امرأة.]

القانون الثالث عشر من القوانين الـ٧١

علم القس:

باسيليوس ٨٩ [ولا يصير أحد قسيساً لا يعرف كلام الكتب الإلهية جيداً وبالأكثر الأناجيل].

اختيار الكهنة:

[لا يصير أحد كاهناً إلا الرجال الفاهمون المحبون لله والمحبون للناس، هؤلاء الذين يقدرون أن يقفوا على المذبح كاستحقاقه. لأن كثيرين في هذا الزمان لا يختارون القديسين للكهنوت لأجل فقرهم ويختارون الأغنياء الذين بلا ناموس، ليأتمنوهم على قطيع الرب وهم غير مؤتمنين على ذاتهم وحدهم. هؤلاء الذين قال الرب عنهم أني أعطيت ميراثي في أيديهم وهم لم يصنعوا لي شيئاً من الخير.] قوانين القديس أثناسيوس

وظائف القس

القسيس كالمعلم (دسقولية ٤):

الدسقولية ٦ [فليكن القسوس عندكم معلمين لمعرفة الله وتقبلوا منهم كلام الأمانة المستقيمة والتعليم الصحيح الذى يبشرونكم به من جهتنا. هكذا سلّم إلينا الرب لما أراد أن يرسلنا قائلاً: امضوا علّموا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به].

في مجلس الحكم

[يحضر مع الأسقف في مجلس الحكم]
(الدسقولية ٨)

عدم تحميل الشعب أحمالاً ثقيلة

[ولا يزد أحد من القسوس شيئاً ثقيلاً على الشعب خارجاً عن قوانين آبائنا الرسل]

باسيليوس ٥١

عدم ترهيب الشعب، لا يضرب ولا يهدد أحد المؤمنين

قوانين الرسل الـ ٨٣: ٢٧ [أي أسقف أو قس أو شماس يضرب أحد المؤمنين إذا أخطأ وشخصاً من غير المؤمنين (ينتقم منهم) إذا فعل شراً لإرهابه فنأمر بأن يُعزل من رتبته، لأن ربنا لم يعلمنا أبدا أن نفعل هذا بل بالعكس عندما ضُرب لم يعاقب بالضرب، وعندما شُتم لم يشتم، وعندما تألم لم يتهدد ولم يتوعد]. (أنطاكية ٥، قرطاجنة ٥٧و٦٢و٧٦و١٠٠)

إذا سعوا لإيذاء الناس عند السلطات الزمنية:

نيقية بالعربية ٢٨ [لا يدخل القسوس في كفالة ولا يشهدوا على سعاية ولا يسعوا في الإيقاع بالناس عند الملوك (ومثلهم الشكوى لدى الأجهزة الأمنية). ولا يكونوا وقاعين ولا مضمرين الشر بين المؤمنين. ومن فعل ذلك منهم فليُسقط من درجته ويخرج من الجماعة].

مجلس القسوس:

نيقية العربية ٤٧ [وليجتمع القسوس إلى أسقفهم ثلاث مرات في السنة وينظروا في كل ما يحتاجون إليه].

الأسباب الموجبة لسقوط القس من درجته:

بالإضافة إلى ما ورد في الأسباب الموجبة لسقوط الأسقف من رتبته وهي:

يقطع كل قس تملك القسوسية برشوة أو بحيلة أو وعد برشوة، أو نال قسمتين، أو يتوانى عن تعليم شعبه، أو يتغافل عن فقراء الكهنة ولا يواسيهم، أو لا يقبل توبة الخاطئ، أو عُرف بشهادة الزور، والوقيعة في الناس، أو استعمل الكبرياء، أو لم يعرف الشريعة ولم يعمل بها، أو كان مدمناً في السُكر والشرب مستمراً على ترك عمل الخير، أو طلب ممن يقرضه ربا، أو ساكن امرأة (غير زوجته). أو أتى إلى الملك من غير أن يأمره رئيسه، أو ضرب أحداً لتخافه الناس، أو كان واثقاً بحساب النجوم ومصدِّقاً لكلام العرَّافين والسحرة، أو قَبل معمودية هراطقة أو تقرَّب من قربانهم أو صلى معهم. أو وُجد في زنا، أو سافر بغير مشورة أسقفه. بالإضافة إلى ذلك:

إهانة أسقف من إكليريكي:

الرسل _ ٥٥ [أي إكليريكي يشتم الأسقف فليُحط، لأنه قيل "لا تقل كلمة سوء في رئيس شعبك" (خروج ٢٢: ٢٨)].

في القسوس الذين يهينون ويتعاظمون على الأسقف:

قرطاجنة ٩ [أي قس كان مفترياً على أسقفه ويتعجرف عليه ويجلب الشر في الكنيسة ويتعظم ويتعاجب على إخوته الكهنة، فمنعه الأسقف حتى يكف عن رديء أعماله التي فيه، ثم إنه لم يلتمس العفو ولا الغفران منه، بل استهان به وتعظم على أسقفه وتجبَّر على كنيسة الله المقدسة ثم عمل لنفسه مذبحاً وقام بخِدمة الأسرار الإلهية وسائر الخدمات الكهنوتية، وخالف بهذا وصايا الكنيسة الإلهية والإيمان المستقيم، فإن مَنْ كان هذا صنيعه فإنه لا يفلت من العقاب الدائم. فقالت الجماعة المقدسة: إن ظهر ذلك على قس وكان لذلك

فاعلاً وسبب شقاق في الكنيسة ولأسقفه، فإنه يكون محروماً] – (الرسل ٣١، خلقيدونية ١٨، أنطاكية ٥، قرطاجنة ١١و ٦٢، غنغرا ٦).

يقيم مذبحاً آخر بغير إرادة أسقفه

قوانين الرسل ٣١ [أي قس يزدرى بأسقفه، خاصة خلواً من مجمع، (أي حينما لا يكون مجمع قد أدان الأسقف) ويقيم مذبحاً آخر بغير إرادة أسقفه بتقوى وبر، فليُحط، لأنه مثل محب رياسة ماردة، وكذلك (يجوز الحكم على) الكهنة الذين يأتون إليه والشعب، وهذا يتم بعد أن يُدعى من الأسقف مرة وثانية وثالثة] (خلقيدونية ١٨، السادس ٣١و٣٢، غنغرا، قرطاجنة١٠و١١و٦٢).

أنطاكية ٥ [إذا ازدرى قس أو شماس بأسقفه، ثم افترق وحده من الكنيسة واجتمع وحده وصنع له مذبحاً، ثم دعاه أسقفه فلم يُجبه ولم يُرد أن يقبل دعوته، ثم طلبه مرة ومرتين، فهذا يُقطع إلى الانقضاء. ولا ينال شيئاً من كرامته مرة أخرى. فإذا استمر يزعج ويهاجم الكنيسة، فليؤدَّب من السلطان المدني كمثير فتنة]

(الرسل ٣١، خلقيدونية ١٨، قرطاجنة١٠ و ١١)

قال القديس يوحنا ذهبي الفم في عظته على الرسالة إلى أفسس. قال أحد القديسين إن دم الشهادة نفسه لا يمكن أن يمحو خطيئة التفريق والشقاق في الكنيسة، وإذا ارتكب أحدهم شر إحداث شقاق في الكنيسة فقد ارتكب شراً أفظع من البدعة.

قام بخدمة وهو محروم:

الرسل ١٩ – أنطاكية ٤ [أي قسيس أو شماس قُطع بحق بسبب خطية واضحة ثم جسر على الخدمة التي كانت له في زمان حلّه. فليُبعد من الكنيسة تماماً وكذلك كل من علم به وخالطه].

الرسل ٢٢ ، أنطاكية ٥ [إذا ازدرى قسيس أو شماس بأسقفه وعمل له مذبحاً وحده. ودعاه الأسقف مرتين أو ثلاثاً فلم يجبه. فليُقطع من درجته هو ومن تبعه].

عقوبة القس أو الشماس إذا توجه لكنيسة أخرى يخدم فيها بعد عصيانه أسقفه:

قرطاجنة ٣٠ – [إذا تعدّى أحد من الكهنة قساً كان أو شماساً لأمر أسقفه ولم يُطِعْه حسبما يقول الرسول الإلهي بولس "أطيعوا رؤساءكم فإنهم يسهرون عن خطاياكم" ثم إنه ترك الكنيسة التي هو فيها ومضى إلى غيرها لالتماس درجة منها، أمرنا أن لا يبقى ولا في تلك الدرجة التي هو فيها، بل يسقط منها حسبما يقول الكتاب الكريم أن مَنْ يرفع نفسه يضعها"]

إذا منع أحداً من التناول بغير وجه حق:

نيقية بالعربية ٢٧ [ولا يمنع القسوس أحداً من المؤمنين من القربان لغضب عليه أو لشيء من أمور الدنيا. فإن فعل ذلك أحد، فليسقط من درجته ويمنع من مخالطة المؤمنين].

التغافل عن الكهنة الفقراء:

الرسل ٥٤ – أو ٤٠ [أي أسقف أو قسيس تغافل عن الكهنة الفقراء ولا يواسيهم بما يمكنه، فليفرَّق وإذا ظل يتغافل فليُقطع كقاتل أخ].

اللجوء للسحر والعرافة:

رسالة بطرس إلى كلمنضس ١٦ [ويُعزل عن الرئاسة من كان واثقاً بحساب النجوم ومصدِّقاً لكلام العرافين والسحرة ويقبل قوله]

طهارة الكهنة والشمامسة:

قرطاجنة ٤ [يليق أن يكون الأسقف والقس والشماس وجميع مَنْ كان في درجات الكهنوت حافظين الحرية والطهارة والنقاء والذين منهم لهم نسوة فيتجنبوهن في أيام الخدمة الإلهية].

ضرورة تمسك الكهنة بتعليم الرسل ورسوم الآباء:

قرطاجنة ٣ - [أن يتشبه الأساقفة والكهنة والشمامسة بالخدام الأولين لله في الكهنوت الإلهي (اللاويين في العهد القديم)، وأن يكونوا أبرارا عفيفين ملازمين كل فضيلة، كي يكونوا مستطيعين ولهم دالة في كل حين أن يطلبوا (من الله) عن الشعب، وأن يحفظوا ما قد أُعطوه من كل الرسل المتقدمين]

صفات الكهنة

معلمي البيعة [يجب للكهنة أن تكون أفعالهم جميلة، هكذا القسوس يكونون مضيئين ليكونوا صوراً مضيئة وعلامة الاستقامة لكل من يخدم الكنيسة لتبجيل السر الذى يخدمونه بخوف بصلواتهم وأوشياتهم وقوانينهم بقلوب طاهرة ومخافة].

نصائح للإكليروس وعلى الأخص عن معاملة النساء:

[لا يكون مُلاماً في شئ من الأشياء طاهراً ناسكاً مداوماً الكلام الجيد اللائق بالتعليم.

لا يكون ذا قولين ولا يكن له ميزانان ولا مكيالان.

يشتهى أن يُقرض مَنْ يسأله في الرخاء والغلاء.

أب الأيتام ومن لا يعرفهم بكل طهارة.

لا يرفع عينيه لينظر أحداً من النساء، ولا يحوِّل وجهه عن المساكين، ولا ينسى الذين في السجون بل يفتقدهم ويخدمهم بكل قوته. يحزن جميع الضعفاء. ولا يأخذ بالوجوه يبغض كل خطية، يحب البر.

يبكِّت الخطاة ويعلِّمهم التوبة،

لا يقبل الهدية.

لا يحقر أحداً ولا يثقل الحملة على الذين يهينونه. ويبارك الذين يلعنونه.

لا يشكو أحداً من الناس بل يحتمل كل ظلم يأتي عليه.

لا يكون ضجوراً ولا مشتهياً لحسن الوَجوه.

ولا يضع علي المسكين أكثر من قدرته، ولا يقاوم غنياً. يبكت كل من يريد التعليم بتواضع قلب. لا يتقدم إلى المذبح بكبرياء بل بتواضع. أي أن يحس أنه ليس هو مختاراً أكثر من الشعب كله. ولكنه مثل أحدهم. (التعاظم على الشعب ليس من الكهنوت في شيئ). يقبل كل من يتقدم إليه.

معاملة النساء:

ولأنه أؤتمن على نسوة كثيرات وعذارى

وعرائس ويأتون إليك واحدة فواحدة ويأخذون بركتك. فأنت بكل احتفاظ احفظ ذاتك عالماً أن الذى استُودع كثيراً يُطالَب بالكثير. وليس يأتون إليك لكي تتفحص زينتهن لكن لكي يتفحَّصن هن أمانتك. لأن الذى يحرس عينيه أن لا تنظر إلى وجوه النساء فإن قلبه طاهر من النجس. لأنه يقول: إن عينيَّ طاهرة نقية لئلا أنظر إلى الشر. فالذي عيناه نقيتان قلبه أيضا نقى، كما قيل طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينون الله. والذي لا ينظر إلى امرأة فلا يتنجس قلبه.

لا تنظر إلى وجه امرأة أيها الكاهن فقد ائتمنوك أن تتحفظ. قل وأنت تصلى: اصرف عينيَّ لئلا تنظرا الأمور الباطلة] – قوانين القديس أثناسيوس

اختيار الكهنة:

ضرورة توعية وتعليم المتقدمين للكهنوت بحدود خدمتهم قبل رسامتهم:

قرطاجنة ١٨ [ونأمر أيضاً كل الأساقفة والكهنة الذين يتشرطنون أنه يجب على مَنْ يصلى عليهم قبل أن يقدِّمهم، أن يُملى على قلوبهم ومسامعهم ما تقتضيه المجامع المقدسة لئلا يكونوا جاهلين عن الفهم فيصنعوا شيئاً بغير ما حددته المجامع المقدسة من الواجبات، لئلا يقع مُشَرْطِنه في الندم على رسامته] – نفس الأمر في القانون ١٧ القسم الأول منه.

رسامة الإكليروس تتم بتحديد اسم الموضع المرسوم عليه:

[لأن قيام الكنيسة بعضها بعض. فلو لم يكن علمانيون فعلى مَنْ يكون الأسقف أو القسيس]

خلقيدونية (القرارات الإدارية) – ٦: [لا يُسام كاهن أو شماس أو أي إكليريكي بدون أن يُعيَّن لخدمة كنسية في مدينة أو قرية أو مقام شهيد أو دير. وإذا تمت سيامة أحد بصورة مُطلقة من غير تعيين مركز للخدمة، فالمجمع المقدس قد حكم، كتوبيخ للذي يقوم بالسيامة، أن مثل هذه السيامة تُعدُّ باطلة ولا يؤذن لمن سيم على هذه الصورة بأن يخدم في أي مكان]

شرح من كتاب البيداليون (المرجع القانوني الرسمي للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية):

[يجب على الأسقف، عند تلاوة صلاة استدعاء الروح القدس في السيامة، أن يذكر فيها اسم الكنيسة كما يأتي: "النعمة الإلهية فلتندب (فلاناً) كاهناً أو شماساً لكنيسة ... في مدينة ... أو قرية ... أو دير" ... ويجب أن يُذكر الاسم علناً كما يُذكر اسم الإيبارشية في سيامة الأسقف. وكل من سيم بصورة مطلقة دون تعيين مكان خدمته أمر المجمع أن تُعتبر سيامته باطلة. وهكذا إذ يخشى الأساقفة أن ينالهم هذا التحقير يترددون في الإقدام على سيامة أي شخص خلافاً للقانون] – الشرع الكنسي ص ٤١٠، ٤١١.

وهكذا جاء في مخطوطة الرسامات الكهنوتية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية:

[نعمة ربنا يسوع المسيح المكملة لنقصنا بمسرة الله ... تحل على فلان ... لينتقل من رتبة الشماسية إلى طغمة القسوسية على المذبح المقدس في البيعة المقدسة بالمدينة المحبة للمسيح فلانة ...]

مخطوطة الإفخولوجيون[12]

إكليروس لا يُرسم بسيمونية

قوانين الرسل ٢٩ [أي أسقف أو قس أو شماس يحصل على درجته الكهنوتية بالمال، فليُفصل من الكهنوت هو والذي سامه وليُقطع[13] من الشركة قطعاً باتاً كمثل سيمون الساحر من قِبَلي أنا بطرس.] [خلقيدونية ٢، السادس ٢٢و٢٣، السابع ٤و٥و٩، باسيليوس ٩٠].

لابد أن تكون عائلة المرشحين للأسقفية مسيحيين كلهم:

قرطاجنة ٣٤ [لا يجوز للذين يريدون أن يتقدموا شمامسة وقسوساً وأساقفة أن يتقدموا قبل أن يصيِّروا جميع من فِي منازلهم مسيحيين أرثوذكسيين، لأن ذلك حقٌ واجب على الأساقفة والقسوس والشمامسة أن يجلبوا غير المؤمنين بالتعليم إلى الإيمان ويهدوا المتعلمين إلى الاستقامة. فيجب عليهم، إذن، إن كان في منازلهم امرأة وأولاداً وخدماً وفيهم غير مستقيمين في الإيمان فلا يُقدَّموا في شئ من رتب الكهنوت حتى يقوِّموا أولئك. فإن لم يسمعوا منهم كان عذرهم (أي عذر المتقدمين للكهنوت) في ذلك واضحاً]

(الرسل ٨٢)

عقوبة الذى يقبل سيامته ثانية:

الرسل – ٦٨ [أي أسقف أو قس أو شماس يقبل وضع اليد ثانية من أحد، فليُحطّ هو وواضع اليد عليه إلا لعلة أن يكون له هذا (وضع اليد الأول) من المنشقين. لأن المعمودية أو وضع اليد من المنشقين لا يجعل الناس مؤمنين أو كهنة] – (الرسل ٤٦و ٤٧، نيقية ١٥و١٦، القسطنطينية ٧، قرطاجنة ٥٧ و ٧٧ و ١٠١).

قوانين تحريم انتقال إكليروس من الموضع الذي رُسموا عليه:

قوانين الرسل – ١٥ [أي قس أو شماس أو إكليريكي يهجر رعيته ويذهب إلى رعية أخرى مهملاً الأولى الإهمال ويقيم في الرعية الثانية بدون رخصة من أسقفه فنحن نأمر بألا يُسمح له بعد بإقامة الخدمة الإلهية ولا سيما بعد إنذار أسقفه له بوجوب الرجوع وإصراره على مسلكه المخالف للنظام، ولكن لا يجوز له الشركة كعامي].

[نيقية ١٦/١٥، خلقيدونية٥، ١٠و ٢٠و٢٣، السادس ١٧و١٨، السابع١٠و١٥، أنطاكية٣، سرديقا١٥، ١٦، ١٧، قرطاجنه٦٨و٩٨]

---

(١٢) المطبوع عن أقدم مخطوطة عثرنا عليها وهي المطبوعة في مدينة رومية عام ١٧٦١ للميلاد عام ١٤٧٨ للشهداء.

(١٣) يُفرز = يُقطع من الشركة لمدة محدودة، وكذلك يُنفَى = نفس المعنى.
يُحطّ = ينزل عن رتبته إلى درجة أدنى.
يُقطع = يخرج من الكهنوت.
يُمنع = يوقف عن أداء الخدمات الكهنوتية.
على أن لا يُمنع المقطوع أو الموقوف من التقرب للأسرار المقدسة لأنه لا يُحكم على شخص بعقوبتين في وقت واحد، أما في حالة الفرز فهي تحمل ضمناً عدم الشركة من الأسرار المقدسة.
يُحرم = وهي أقسى عقوبة وفيها يخرج المؤمن من رعوية شعب الله أي المسيحية. وتسميها الدسقولية المنشار الكبير الأسنان. لذلك فقد حرَّمت الكنيسة الحكم بهذه العقوبة إلاّ بعد إجراءات كنسية محددة في القوانين الكنسية وعاقبت رجل الإكليروس الذي ينطق بكلمة حرم بدون هذه الإجراءات. (راجع القوانين الكنسية الخاصة بالحرم، آخر الفصل الثاني من الباب الرابع: *التدبير الكنسي*)

ترك قس أو شماس رعيته:

أنطاكية ٣ [إذا ترك أسقف أو قس أو شماس أو واحد من الإكليروس كرسيه ويمضي إلى كرسي آخر وينتقل بعد ذلك أيضاً من ذلك الكرسي إلى موضع آخر ويقيم فيه زماناً كثيراً، لا يقدّس من الآن، لاسيما إذا لم يُطع أسقفه وقد أرسل يطلبه ويلحّ عليه أن يعود إلى كرسيه. فإذا دلم في غيبته، ليقطع هذا مرة واحدة من خدمته حتى لا يجد كورة فيقيم في موضعه.

فإذا قَبله أسقف آخر من بعد قطعه، فينال (الأسقف) عقوبة من المجمع لأنه أفسد نظام قوانين الكنيسة.] (الرسل ١٥، ١٦)

عدم رسامة من أُدين بخطية الفسق أو الزنى:

الرسل - ٦١ [إذا وقعت التهمة على أحد بالزنا أو الفجور وبأي عمل من تلك المنوعة، وحُكم عليه، لا يُقدَّم للكهنوت]

(القسطنطينية ٦، قرطاجنة ٥٩ و ١٣٨).

إهانة الإكليروس للشعب:

الرسل - ٥٧ [أي كاهن يهزأ من أعرج أو أصم أو أعمى أو مضروب العاقبَين أو أشل، فليُفرز. وكذلك الشعوبي (عضو الشعب)]

إهانة إكليروس بعضهم البعض:

الرسل - ٥٦ [أي كاهن يشتم قساً أو شماس، فليُفرز]

لا يخرج كلام هزؤ من فم إكليروس:

باسيليوس [لا يجب أن يخرج من فم أحد من الإكليروس كلام هزؤ (تنكيت ومزاح) على الإطلاق. لا يقول أحد من الإكليروس على الإطلاق كلام هزء (تنكيت أو مزاح) ولا يخرج من فمه في وسط الإكليروس أو في وسط العلمانيين ولا يستهزئ بإنسان أو يعيب أحداً في جسده عيب كمعيِّر له ويقول هكذا: يا أعمى أو يا أطرش أو يا ناقص أو العبد أو الأعسر أو العاجز أو المطرود أو بقية التعيير الحقير.

إذا كان واحد هكذا أو يسبّ الناس في عيوبهم الجسدانية فيؤدَّب كصبي صغير. فإذا كان قد قُدِّم في الإكليروس فيخرج إلى أن يقبل [يتعلم] الحكمة]- ٥٧

إهمال التعليم الروحي للشعب:

الرسل - ٥٨ [أي أسقف أو قس غير مهتم بالكهنة أو الشعب أو غير مؤدِّب لهم بالتقوى، فليُفرز. وإن داوم الكسل، فليُحطّ]

تحذير من كلام السوء على أحد:

باسيليوس [لا يتكلم أحد من الإكليروس عن واحد بسوء من قبل أن يسمع أولاً الكلام، لأنه مكتوب: "الذي يبدأ بالكلام قبل أن يسمع فهو جهل منه وعار"]- ٦١

إكليروس لا يستعين بالحكومة

قوانين الرسل ٣٠ [أي أسقف يحتاج إلى رياسة عالمية ليمسك الكنيسة فليُحطّ [فليُخلع] وليُفرز (أي يُقطع من الشركة)، ولا يشاركه الجميع] - (هذا القانون يقصد الذي يلجأ للسلطة المدنية لكي ينال منصباً أو يستولي على كنيسة) - (خلقيدونية ٢، السابع ٣و٥، اللاذقية١٣)

تحريم لجوء الإكليروس إلى المحاكم المدنية في نزاعهم بخصوص أمور الكنيسة:

قرطاجنة ٥٥ [أي أسقف أو قس أو شماس أو ما دون ذلك فُوِّض في شئ من أمور الكنيسة وطولب

بالحضور ليحتج عن نفسه ويناظر بما أُنهى عنه، فأبى محاكمة الكنيسة ومضى إلى الأحكام الخارجية واستعان بالرئاسات المدنية على حكم كنيسة الله وخرج عن طقس الكهنوت وعما يليق بها، فقد أمرنا بقطعه من درجته، ظالماً كان أم مظلوماً].

إكليروس حُرِم، لا يُفك حَرْمه من أسقف آخر

قوانين الرسل ٣٢ [أي قس أو شماس قطعه أسقفه من الشركة لا يجوز أن يقبله أسقف غير الذي قطعه إلا إذا كان هذا قد مات.] – الرسل ١٢و ١٣، نيقية ٥، أنطاكية ٦، سرديقية ١٤، قرطاجنة ١١ و ٢٧و ١٠٩.

أسقف لا يحل كاهناً حرمه أسقفه:

قرطاجنة ٨ – [أي من أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً استحق عليه المنع من كنيسته وخدمته، ثم قبِلَه أحد من الأساقفة والقسوس وشاركه، كان ذلك القابل له ممنوعاً وشريكاً في منعه وذنبه، إلا أن يكون الذى منعه قد جعله يتوب عن ذنبه وغفر له وعاد إلى شركته في الكنيسة].

عدم ترتيل القداس بلذة بل بحكمة

باسيليوس: [الذين يرتلون على المذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة] ٩٧

تعليق: يقصد الكهنة والمرتلين الذين يتمادون في تنغيم كلمات القداس والألحان وبهذا يطيلون زمن تلاوة القداس، ما يثير زهق المصلين فيسرحون بأفكارهم أو يخرجون من الكنيسة أو يقللون من حضورهم القداسات. وهذا النوع من تنغيم القداس ناتج عن تعاجب الكاهن أو الشماس بصوته، وهذه رذيلة. لهذا وضع القديس باسيليوس هذا القانون.

التجاسر على أداء خدمة كهنوتية والكاهن مقطوع:

أنطاكية ٤ [إذا قُطع أسقف من المجمع أو قس أو شماس من أسقفه ويجسر أن يؤدى شيئاً من خدمته – أسقفاً كان أو قساً أو شماساً – فلا يجد أملاً من مجمع آخر أن يعيده إلى موضعه السابق، يُخرَج كل الذين شاركوه من الكنيسة ولا سيما مَن قد عرفوا القضية التي قضوها عليهم] (الرسل ٢٨).

عدم انشغال الإكليروس بمهام عالمية:

قوانين الرسل – ٦ [لا يجوز لأسقف أو قس أو شماس أن ينهمك في مهمات عالمية (ينطبق هذا على الدخول في انتخابات المجالس النيابية والهيئات المدنية العامة ومجالس إدارات الهيئات). وكل من انصرف إلى ذلك، فليُخلع] (الرسل ٨١، خلقيدونية ٨٣، قرطاجنه ١٠، ١٨)

عدم جواز انشغال الإكليروس بالمصالح الدنيوية:

الرسل – ٨١ [قلنا إنه لا يجب لأسقف (أو قس) أن ينهمك في المصالح العالمية، بل يجب أن يتجرد لخدمة مصالح الكنيسة، وإلاَّ فليُنفَ، لأنه لا يمكن أن يعبد ربَّين إلا أن يبغض الواحد ويحب الآخر ويجلَّ الواحد ويحتقر الآخر، بحسب الأقوال الإلهية].

باسيليوس: [لا يعمل إكليروس صنعة يعيش منها] - ٨٧

تحذير من عدم قبول الراجع عن خطيته

الرسل – ٥٢ [أي أسقف أو قس لا يقبل الراجع عن خطيته، ليُحطَ لأنه يجرب المسيح الذى قال: يكون فرح في السماء على خاطئ واحد يتوب (لوقا

١٥: ٧)] - (قرطاجنة ٥٣، إنجيل متى ١٨: ١٢ - ١٤، ٩: ١٣)

المغفرة للتائبين وتفادى الحرم للخطاة:

(البابا كيرلس الثاني يسرد قانون استخدام الحرم الذى يبدأ هكذا: [ليكون الرئيس يؤدب الشعب ويعقدهم بالصليب لا بالحرم...] (١٤)، ويختم ذلك بقوله:

[أي أسقف أو قس لم يقبل توبة الخاطئ إذا تاب ويرجع إلى الله عن خطاياه فليُقطع من بيعة الله لأنه خالف قول المسيح الذى يقول إنه يكون في السماء فرح عظيم من أجل خاطئ واحد يتوب] - قوانين البابا كيرلس الثاني.

الذين ينسبون لله أنه ليس بغفار الذنوب:

نيقية ٨ [عن المسمين "القاطعون catarsis" لأن هؤلاء كانوا يقولون إنه ليس لأحد مغفرة من ذنب يعمله وقد كانوا أنقياء محترزين من الذنوب وكانوا ينسبون لله أنه ليس بغفار الذنوب، وهذا هو أكبر التجديف].

عدم قبول كهنة غرباء إلا برسائل توصية من أسقفهم:

قوانين الرسل ٣٣ [لا يجب أن يُقبل عندنا أساقفة أو قسوس أو شمامسة بغير رسائل توصية، وليُفحصوا عند تقديمها، فإذا كانوا كارزين بالتقوى فليُقبلوا. فإن لم يكن بأيديهم رسائل التوصية هذه فلتُقدَّم لهم حاجتهم دون أن يُقبَلوا في الشركة، لأن أشياء كثيرة قد أُجريت خلسة] (الرسل ١٢، خلقيدونية١١و١٣، السادس١٤، أنطاكية ٨،٧، اللاذقية ٤١، قرطاجنة ٣١و٩٧).

عدم قبول قس غريب في إيبارشية بدون خطاب توصية من أسقفه:

قرطاجنة ٦٠ [لا يقبل أحد من الأساقفة قساً غريباً، إلا إذا كان معه رسالة توصية من أسقفه،

لأن كثيراً من الكهنة تركوا كنيستهم لأجل صغرها، فمن تعدَّى ذلك كان مفروزاً].

أنطاكية ٧ [لا يُقبل غريب بدون رسالة سلامية (خطاب توصية)، ولا يُصدر القسوس رسائل قانونية في المدن إلا الأساقفة وحدهم الذين هم قريبون منهم يرسلون إليهم رسائل ونواب الأساقفة الذين لم يوجدوا في شئ من الأحكام الذين يسلمون الرسائل].

قوانين الرسل ١٦ [وإذا كان الأسقف الذي يقيم عنده أمثال هؤلاء الأشخاص لا يحترِم الأمر بوجوب منعهم عن الخِدَم الروحية فليقطع هو أيضاً من الشركة لأنه متواطئ مع مخالفي النظام]. (السادس ٧،١٨، أنطاكية ٣٠، قرطاجنة٦٣، ٦٤).

الرسل - ٤٥ [أي أسقف أو قس أو شماس صلى مع المنشقين فليُفرز، وإن كان أمَرَهم أن يمارسوا عمل الكهنوت فليُحط].

الرسل - ٤٦ [أي أسقف أو قس أو شماس يقبل معمودية أو ذبيحة المنشقين نأمر بأن يحطّ، "لأنه ليست موافقة للمسيح مع إبليس وأي نصيب لمؤمن مع غير مؤمن" (١كورنثوس ١٦: ١٥).]

أنطاكية ٦ [إذا قُطع قس من أسقفه، فلا يُقبل من آخر، إلا أن يُقبل من أسقفه وحده، إلا إذا حضر مجمعاً يجاوب فيه عن نفسه. وهذا القانون ينطبق على القسوس والشمامسة والشعببيين (أعضاء الشعب).]

---

(١٤) راجع هذا القانون صفحة ٢٢٥.

(الرسل ٣٢، أنطاكية ٢، سرديقية ١٤، قرطاجنة ١ و ٣٧ و ١٤١).

عدم إغفال مساعدة الإكليروس بعضهم للبعض:

الرسل - ٥٩ [أي أسقف أو قس أو شماس لا يرزق (يمد يد العون) الكاهن الذى يحتاج، فليُفرز. وإن ثبت على هذا الخطأ فليُحطّ كمن هو قاتل أخيه] - (الرسل ٤ و١٥).

معاداة الإكليروس بعضهم للبعض يُخرجهم من الخدمة:

[إذا عادى إكليروس شريكه الإكليروس فليخرجا حتى يتصلا بالسلامة] - المجموع الصفوي ٦٥

عدم تعالى الإكليروس على الشعب:

قوانين الرسل ٤٩ [ولا يتعالى الأسقف على الشمامسة ولا على القسوس، ولا يتعالى القسوس على الشعب لأن قيام الكنيسة بعضها بعض. فلو لم يكن علمانيون فعلى مَنْ يكون الأسقف أو القسيس].

إكليروس لا يعلّم أحداً قبل أن يفتش نفسه

٦٢ - باسيليوس:[لأجل أنه لا يعلّم قسيس ولا أسقف أحداً إلاّ بعد أن يفتش نفسه وحده. إذا كان أسقف أو قسيس يعلم إنساناً فليفتش ذاته قبل أن يتكلم لئلا يعثر أنفس كثيرة بتعليمه.]

إكليروس لا يكون عثرة للناس

٦٤ - باسيليوس: [لأجل أنه لا يجب لإكليروس أن يكون عثرة للناس. لا يكن أحد من الإكليروس جملةً عثرة للناس لئلا يكونوا سبباً للشرور. لأنه إذا جدف أحد على الله لأجل أفعالنا ويأثموا بسبب مثالنا الداثن فإننا نكون سبباً لكل شر.]

الإكليروس لا يلعنون، لئلا يرثوا اللعنة:

الدسقولية ٣٤ [فلأجل ذلك، أسقف أو قسيس أو شماس أو من له طقس في الكهنوت لا ينجس لسانه بلعنة عوضاً عن البركة لئلا يرث اللعنة عوضاً عن البركة. وليعرف كل أحد مقامه ويكمل فعله بأدب وليكن للكل فكر واحد ونفس واحدة].

إكليروس لا يغضب

باسيليوس - ٦٠: [لا يغضب إكليروس جملة. لا يغضب أحد من الإكليروس بل يكونوا صبورين.]

إكليروس لا يتزوج بعد الرسامة

قوانين الرسل ٢٦ [إن الذين قُبلوا في السلك الإكليريكي وهم غير متزوجين نأمر بألا يُسمح لغير القراء [الأغنسطسيين] والمرتلين [الأبصلتسيين] منهم بأن يتزوجوا إذا شاءوا] (خلقيدونية ١٤، السادس ٦، قرطاجنه ١٩و٣٣).

إكليروس لا يحلف

باسيليوس ٦٨: [إكليروس إذا حلف كاذباً باسم الرب يخرج خارجاً ثلاث سنين] - ٦٨

لا يشهد على واحد شهادة زور

باسيليوس ٧٠: [إكليروس يشهد على واحد شهادة زور أو على علماني لكي يُقطع أو يُجعل في عقوبة يوبّخ أنه قد شهد بالزور ويعاقب بنفس العقوبة]

كاهن لا يكذب

باسيليوس ٦٦: [كاهن لا يكذب على الإطلاق لأن لنا موهبة عظيمة. قال أبيمالك لسارة: هؤلاء

كلهم أدفعهم لك مجازاة لوجهك وتكوني صادقة في كل وقت.]

قوانين خطية الكاهن

قوانين الرسل ٢٥ [أي قس أو أسقف أو شماس اكتُشف في زنى أو قَسَم كاذب أو سرقة، فليُحطّ (ليُنزل عن رتبته] ولا يُفرز (أي لا يُقطع من الشركة- أي لا يمُنع من التناول)، لأن الكتاب يقول: "لا تفرض عقوبتين على ذنب واحد". هكذا يعامَل سائر الإكليريكيين] - نيقية ٩، السادس ٤ و٢١، قيصرية الجديدة، قرطاجنة ٣٥، باسيليوس ٣ و١٣ و٣٢ و٤٤ و٥١ و٧٠]

عقوبة القس أو الشماس إذا فعل خطايا عظيمة:

قرطاجنة ٢٧ [أي قس أو شماس فعل خطايا عظيمة جداً[١٥] فيوبَّخ عليها. ثم يُمنع من الخدمة الإلهية. ولا يوضع في مرتبة التوابين كمثل العلمانيين، ولا يُحكم عليه كمثل المعترفين. بل يُقطع من درجته فقط، ولا يُعاد إليها، حسب ما ذكره باسيليوس الكبير في القانون الثاني والثلاثين من قوانينه وهو "أي كاهن يخطئ خطايا الموت يُسقط من درجته، ولا يُمنع من الشركة (أي التناول) حسبما يأمر به الكتاب أن لا يُدان الإنسان مرتين] - (الرسل ١٥ و ٤٧ و ٤٨، قرطاجنة ٥٧، باسيليوس ٣ و ٣٢ و ٤٤و ٥١).

ملحوظة هامة:

يحظر هذا القانون عقاب الكاهن بعقابين:

(١٥) مثل القتل أو الزنا أو السرقة أو أية تهمة جنائية يُحكم بها عليه.

الحط من الدرجة، وحرمانه من الشركة أي التناول وذلك بحسب قوله "لا يُدان الإنسان مرتين".

إكليروس لا يمارس القمار أو الربا

الرسل - ٤٢ [أي أسقف أو قس أو شماس مواظب على القمار والمسكر فليكف عن ذلك أو يحطّ (يسقط من رتبته- الرسل ٤٣ و ٤٤، اللاذقية ٢٤و ٢٥، قرطاجنة ٤٧ و ٦٩)

الرسل - ٤٣ [إيبيذياكون أو قارئ (أناغنوستيس) أو مرتل (أبصلتس) صانع نفس الأمر إما يكفّ عن ذلك أو يفرز وكذلك الشعبي أيضاً (أي عضو الشعب اللايكون)] - (الرسل ٤٤ و ٥٤).

تحريم تقاضى الربا في الإقراض:

الرسل - ٤٤ [أي أسقف أو قس أو شماس يلتمس رباً من المقترضين فليكفّ عن ذلك أو يحطّ (يسقط عن رتبته)] - (نيقية ١٧، اللاذقية ٤، قرطاجنة ٥ و ٦، باسيليوس ١٤).

قرطاجنة ٥ - (فليكن الكاهن متجنباً شهوة الطمع والشره فإنها أم كل الرذائل، فمن أجل الأرباح الغريبة الفانية يتجاوزون المرسوم في قوانين الآباء. لذلك، فلا أحد من ذوى رتب الكنيسة يصنع ذلك ولا يقبل الربا فإن ذلك ظلمة وسواد. فتأملوا يا بنى كنيسة الله اذكروا ما قاله الكتاب الإلهى إذا يقول: "وفضته لم يُعطِها بربا" (لاويين ٢٥:٣٧).

وينطبق قولنا هذا ليس فقط على الذهب والفضة بل وعلى القمح والخمر والزيت وما أشبه ذلك من سائر الأنواع. فمن تجاوز هذه الحدود وخالف شيئاً مما رسمناه، فإن كان كاهناً فليُقطع من درجته، وإن كان علمانياً فليُنفَ]

الفصل الثامن

أب الاعتراف

يبدأ القديس كيرلس الأورشليمي *"عظاته التعليمية للموعوظين عن التوبة ومغفرة الخطايا"* بوصف بسيط للخطية :

[الخطية أمر مخيف، وأكثر الأمراض وجعاً للنفس هو التعدي، إنه يمزق أوصالها، وتصبح الخطية هي السبب في النار الأبدية، إنها اختيار الإنسان للشر بمحض رغبته، إنها ثمرة الإرادة الشريرة. وعن أننا نخطئ بمحض إرادتنا الحرة يتكلم النبي بوضوح في الآيات التالية: «أنا (الله) غرستُكِ (شعب إسرائيل) أجود كرمة، وزرعتُكِ كلك أفضل زرع، فكيف تحوَّلتِ إلى كرمة تنكرَّت لي» (إرميا ٢: ٢١)][1]

من هذا النص يتبين لنا وصفٌ صادقٌ للخطية :

١ – الخطية فعل رهيب.

٢ – وهى مرض موجع جداً للنفس.

٣ – وهى نتيجة إرادة الإنسان الحرة.

ولابد لكل أب اعتراف أن يعلِّم أبناءه المعترفين هذه الحقائق عن الخطية ويقبلها هو وهم كأساس للدخول في عملية الاعتراف. فإن فعل هذا فيمكنه أن يكون أب اعتراف ناجحاً ويمارس أيضاً خدمته كأب روحي لرعيته. وهو في عملية تلقى الاعتراف يستطيع أن يعلِّم، ويرشد، ويحِلّ من الخطايا، بينما المعترف يعترف بخطيته أو بخطاياه ويطلب التوجيه الروحي والحِل ومغفرة خطاياه. فعلى المعترف أن يعرف ويعترف أنه خاطئ، ويعرف أنه مسئول عن خطيته، ويحس بحزن وبذنب لأنه عصى الله وصار متغرباً عن أبيه السماوي (كما في مثل الابن الضال : لوقا ١٥). لذلك فهو محتاج حقاً أن يعرف أن الله قَبلَ توبته، وأنه سوف يغفر له خطاياه إن

---

1) St. Cyril of Jerusalem, Catechetical Homilies of St. Cyril of Jerus., Lecture II, trans. P. Schaff and H. Wace, from vol. 8 of *Nicene & Post Nicene Fathers*, part 1, P. 8.

كان حقاً تائباً. ثم في النهاية يجب أن يعرف أن نفسه التي مرضت بسبب الخطية يمكن أن تُشفَى بنعمة الله، وأنه سيرجع، ويُصالح ويتحد مرة أخرى بأبيه السماوي.

مواجهة الواقع الذي يعيش فيه المؤمن التائب:

الراعي لا يجد صعوبة في هذا الأمر مادام التائب القادم إليه معترفاً يعرف ويعترف بذلك، ولكن الراعي والرعية الذين يعيشون في العالم يتواجهون بواقع مخالف يجب أن يتواجهوا معه ولا يتجاهلونه. فالعالم يضغط على الحياة الروحية في الكنيسة وأعضائها. لذلك فالأمر يتطلب أولاً انتباهاً مستمراً تجاه كل وسائل الاتصال الحديثة التي تحيط بالمؤمن، والمسيح – له المجد – يصف بوضوح حقيقة الوضع الروحي للمؤمنين وهم في العالم وذلك في صلاته الشفاعية : «أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني لست من العالم» (يوحنا ١٧: ١٤ – ١٦). وقبل ذلك بقليل قال الرب يسوع في حوار مع تلاميذه عن آلامه المزمعة أن تأتي: «هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٢ – ٣٣).

ويجيب القديس يوحنا على سؤال الإنسان المؤمن عن محنة معاناته في "العالم" المنساق وراء الخطية: «نعلم أن كل مَنْ وُلد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسُّه. ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية. أيها الأبناء احفظوا أنفسكم من الأوثان» (يوحنا الأولى ٥ : ١٨ – ٢١).

أما الإجابة فهي واضحة: في الرب يسوع المسيح تكون لنا القوة وتتاح لنا الوسيلة اللتين بهما نتغلب على قوة العالم الذى بلا إله الغارق في الخطية. الحق لا يمكن أن نجده إلا في الرب يسوع المسيح الذى هو "الحق" والإله الحق. كلمات القديس يوحنا الأخيرة في رسالته في منتهى الأهمية: «احفظوا أنفسكم من الأوثان». لذلك يجب دائماً أن نحفظ أنفسنا من الأوثان، أي الآلهة الكذبة، التي في العالم، أي تلك التي تقدم لنا بدائل زائفة لرؤية "الحق" ورؤية "العدل" و "الخير" و "الجمال" و "الحب"، إنها بدائل وثنية في العصر الحديث. وأساس هذه البدائل هي أنها تنكر تعليم المسيح والكنيسة عن الله والإنسان والعالم. هذا العالم اليوم مغلف بأجمل الأغلفة وأكثرها إغراءً ولكنه – كالسم في العسل – يخفي وراءه قوى خفية غير منظورة تتحكم

في مصيرنا الأبدي: عالم العروض والأزياء والآراء والأفكار وطرق المعيشة وأساليب المعاملات اليومية وأنماط التفكير والتخطيط، والمقدّمة لنا من خلال وسائل الاتصال السهلة "المحيطة بنا بسهولة" أينما كنا ووقتما نكون! مجرد مفتاح أو زر نضغط عليه ونجد أنفسنا تحت وطأة قوى العالم البعيد عن الله! ولكن لا حيلة لنا أمامها إلا قوة المسيح.

وكل هذه البدائل التي يقدمها العالم بديلاً عن المسيح هي فاسدة ومميتة وتؤكد تحذير الوحي الإلهي لنا: «لأن أجرة الخطية موت» (رو٦: ٢٣)، وهي لا تقدر أن تدفع عنا هذه الأجرة، بل تتركنا ندفعها صاغرين!

والإنسان الذي يقبل هذه البدائل وهو مجرد من الإيمان يصبح عبداً للشيطان وفريسة للخطية. أما المؤمن المسيحي، فبكلمات القديس بولس يؤمن بأنه «أُعتق من الخطية وصار عبداً لله» (رومية ٦: ٢٢)، وهذا يجعله قادراً أن يجاهد لينال «حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦ : ٢٣).

لذلك فإن حرية الإرادة التي وهبها الله لنا يمكنها بنعمة ربنا يسوع المسيح أن تختار طاعة الله وترفض عصيانه. والله في عظم جوده وفضله خلق الإنسان حرّ الإدارة وهو يعلم أن هذه الحرية قد تقوده إلى الخطية، لكنه أراد أن يجعل من الإنسان صورة له فيفعل الخير والصلاح بنفس هذه الحرية. وهذا ما حققه رجال الله القديسون ويحققه كل مؤمن بالمسيح في كل جيل وفي كل زمان ومكان.

لذلك أصبح الإرشاد الروحي مقترناً بممارسة الاعتراف بالخطية وضرورياً له.

المرشد الروحي، ومحاذير استخدامه مبادئ علم النفس دون وعي:

من أخطر الأمور أن يسعى بعض رجال الدين إلى استخدام بعض مبادئ علم النفس Psychology دون دراسة حقيقية له ودون معرفة الفرق بين هذا العلم الحديث وبين علم طب النفوس الروحاني الذي يمارسه آباء الكنيسة الروحانيون منذ ٢٠ قرناً. ومن أخطر ما يجب أن يعرفه الكاهن أن علم السيكولوجي الحديث يحاول أن يستخدم الأسماء الإنجيلية المسيحية لعلم طب النفوس الروحاني ليطلقه على المفاهيم العلمانية لهذا العلم.

فمثلاً "النفس" في مفهوم علم النفس ليست هي "النفس" في المفهوم المسيحي، وتغيير مفهوم

"النفس" في علم النفس يرينا كيف أن هناك فرقاً شاسعاً بين علم النفس وبين علم طب النفوس الروحاني. فعلم النفس هو "علم العقل والذهن بكل أوجهه"، وهو يعرِّف "النفس Psyche" بأنها "نظام التحكم في الذات حيث الوعي واللاوعي يتبادلان المواقع والتأثير على الإنسان حيث يتغلب اللاوعي في النهاية على الوعي في التحكم في الإنسان"[٢].

أما النفس في المسيحية، فهي كيان روحي، وهى كما عبرً عن ذلك أحد العلماء الأرثوذكس: "الموضع حيث فيه يستقر الله"[٣]. ويقول أحد المتصوفين واصفاً النفس هكذا: "الله خلق الإنسان لتكون مدينته الخاصة ومكان سكناه. فنفسنا جُعلت لتكون مسكن الله. الله لا يمكن أن يكون خارج النفس التي فيها سيجعل سكناه للبركة إلى ما لا نهاية"[٤].

لذلك فلابد للإنسان أن يحفظ ويصون هذه الكرامة التي منحها الله للنفس: أي كرامة سُكنى الله فيها، ويظل على شركة دائمة مع الله متأملاً فيه وحده، موشحاً نفسه بالمحبة الحارة والشديدة نحوه. ولأن النفس عاقلة فهي متوشحة بقوة العقل والتعقل، والثبات في الله.

لكن النفس تنكسر بالشهوات والخطايا. لذلك فإقامتها من هذا الانكسار تكون بإعادة تقديمها لله، بالصلاة النقية الطاهرة، وبوضع وصايا المسيح موضع التنفيذ في حياة الإنسان، وباستدعائه لاسم الله والمناداة باسم يسوع دائماً (الصلاة الدائمة)، وبالندم على الخطايا والاتضاع والمحبة نحو الله وكل الناس.

ومرض النفس[٥] يأتي حينما تتشتت قوى النفس والتي هي التعقُّل وتركيز التأمل في الله بانغماسها في الشهوات والخطايا، وشفاؤها يتم حينما تتحد قوى التعقل في النفس مرة أخرى وتركز تأملها ومحبتها نحو الله. أما موت النفس فهو يحدث بالعبودية للخطية والعيش فيها.

أما رجوع الحياة للنفس فأمر شاق ويتحقق بالتوبة الجادة الشديدة والحاسمة.

والنفس متحدة بالجسد ومتغلغلة بطاقاتها في كل ذرة فيه، لكنها تظل متميزة عنه، وهى

---

2) Benjamin B. Wolman, ed., *Dictionary of pastoral Science* (New York Van Nostrand Rejnhold Co., 1973), p.296.

3) Michael Pupin, *The American Magazine* (Sept. 1927).

4) Julian of Norwich, *Divine Revelations*, chap. 64, as quoted in Roland Knox, English Spiritual Writers (New York, 1961), p.62

(٥) النفس البشرية خالدة بالنعمة، إلا أنها حينما تنحل وتنجرف في الملذات والمتع مع الجسد فهي تعتبر ميتة عن الحياة الحقيقية أي النعمة مع أنها تحيا عضويا (أفسس ٢: ٥، ايو ٥: ١٦، متى ٨: ٢٢، وهكذا يمكن تفسير كلمات بولس الرسول عن الأرملة "المتنعمة فقد ماتت وهى حية" (١تي٥: ٦).)

التي تعطى الحيوية والنشاط للجسد وتوجهه بكل أعضائه. لذلك فيُقال إن القلب هو المركز الأول لحركة النفس ونشاطها وحيويتها، و"القلب" هنا ليس المقصود به العضو وكأنه وعاء يحوى النفس، بل باعتباره العضو الذى يضخُّ الدم في كل أنحاء الجسم ويحفظ حيوية كل عضلاته وأعصابه وأجهزته ويجددها ويحييها، هكذا النفس فهي متغلغلة في كل ذرة من الجسم من خلال "القلب"، وتبث فيه الحياة والحركة.

ويختص علم الطب الروحاني بكشف أمراض النفس وأسباب موتها، وأدوية شفائها، وعلاقة الشهوات والخطايا بمرضها وموتها وأثر التوبة والحياة الروحية مع الله في دوام صحتها وثباتها، وفاعلية الأسرار الكنسية في منح هذه الصحة والثبات لها.

وهذا العلم يحتاج إلى دراسة وفحص وتمحيص في كتابات آبائنا القديسين النساك ليُستخرج منه أصول وفروع عملية صحة النفس وشفائها وثباتها في الحياة الأبدية. لعل أحد الباحثين المجتهدين المختبرين يحركه روح الله ليقدمه للكنيسة رعاة ورعية لينعم الله عليهم بمعرفة أسرار حياة النفس وشفائها، ويكون عوناً للراعي وأب الاعتراف في خدمته لنفوس الرعية.

مفهوم سر الاعتراف :

الراعي المسيحي يجب أن يجاهد كل حياته ليقود ويرشد رعيته وسط نفس الصراع الذى يواجهه هو، وذلك في المعركة ضد الخطية والشيطان، وبكلمات الوحي الإلهى، يجب أن نخضع تحت يد الله القوية ونقاوم إبليس فيهرب منا، وبهذا ينفتح أمامنا الطريق إلى السماء. «لذلك يقول: يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فاخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهِّروا قلوبكم يا ذوى الرأيين. اكتئبوا ونوحوا وابكوا. ليتحوَّلْ ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم. اتضعوا قدام الرب فيرفعكم» (يعقوب ٤: ٦ – ١٠).

أما أسلحة محاربتنا في هذه المعركة الكونية والتي نحن كلنا مشاركون فيها، فهي أسلحة روحانية معطاة للكنيسة بقوة حضور ربنا يسوع المسيح مخلصنا داخل النفس، والراعي الأمين الذى يحاول أن يساعد رعيته في معركتهم هذه ضد الخطية والشيطان يجب أن يكون هو ورعيته قد «لبسوا سلاح الله الكامل لكي يقدروا أن يثبتوا ضد مكائد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع

دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أفسس ٦: ١٠ -٢٠).

وإنه لأمر حيوي أن يعرف الراعي طبيعة مرض النفس، فيعلِّم رعيته ليعرفوا هذا المرض، وكيف يمنعونه أو يتفادونه، وما هي الأدوية التي يأخذونها ليُشفَوْا منه. الراعي، وهو طبيب ومُعالج الأمراض الروحية يجب أن يعرف كيف يشخِّص الخطية، بكل أشكالها المتنوعة ومظاهرها الخدَّاعة (وبهذا يهتم علم اللاهوت الرعوي، ويا ليت يكون هذا العلم موضوع دراسة للآباء الرعاة من الوجهة الروحية الأرثوذكسية، وليس من وجهة علوم النفس الحديثة).

أما اقتحام الراعي لمشكلة الخطية ومعالجته للنفوس فيكون بأوجه متعددة. فهو ككاهن رُسم أصلاً ليمارس ويقيم الأسرار الكنسية. ولكنه من جانب آخر لا يكتفي بأن يعمد ويمسح بالميرون، بل كأب روحي لرعيته يسمع اعتراف التائبين ويطلب من أجلهم الحِلَّ من خطاياهم (طقسنا القبطي الأرثوذكسي يجعل نوال المعترف الحلَّ والمغفرة من خطاياه آتياً من المسيح رأساً وذلك بمقتضى الصلاة التي يصليها الكاهن ويطلب فيها المغفرة للتائبين ولنفسه أيضاً).

هذا السر الكنسي هو أولاً معركة ضد الخطية، وفيه ينال التائب الذى اعترف بخطاياه الحِلَّ من خطاياه من الرب يسوع المسيح نفسه. والتائب مُطالب بأن يندم على خطاياه طالباً الشفاء وتجديد الحياة بالإيمان في نعمة الروح القدس الممنوحة له في سر الاعتراف وبالرجاء في رحمة الله في الدهر الآتي. ومن التقاليد القديمة التي ضاعت منا أخيراً أن يستعد التائب للتقدم لسر الاعتراف بالصوم وبالصلاة في مخدعه قبل توجهه إلى الأب الكاهن وبفحص نفسه، وتحديد ماهية خطاياه التي سيعترف بها مُلقياً كل اللوم على نفسه - دون غيره[٦] - في إحساس كامل بمسئوليته هو عن فعل خطاياه بمقتضى حرية إرادته الممنوحة له كإنسان مخلوق على صورة الله.

الاستعداد لممارسة سر الاعتراف:

هذه هي الخطوط العريضة لعملية سر الاعتراف. لكن تطبيقها والاستعداد لها يمكن أن يتم

(٦) من الممارسات الخاطئة في أثناء جلسة الاعتراف ترك المعترف يحكي قصصاً وحكايات كثيرة إما ليُبعد مسئولية خطيته عن نفسه ويلقيها على غيره، وإما كنوع من التواصل العاطفي بينه وبين أب الاعتراف. هذا العيب ضيَّع هيبة سر الاعتراف بالخطايا وجعله مجالاً للأحاديث المطولة والمراوغة للابتعاد عن لحظة الاعتراف بالخطية والندم والتعهد بالتوبة، وهذه من أخطر حيل الشيطان التي يخدع بها النفس ويبعدها عن نوال الشفاء. فليت آباء الاعتراف ينتبهون لذلك، وعلى الأخص مع الفتيات والنساء على وجه العموم اللواتي لا يصح أن يستغرق الكاهن في السماح بكثرة أحاديثهن التي من المفضل أن يستمع لهن أولاً شماسات أو خادمات روحانيات متقدمات في السن قبل توجههن لأب الاعتراف.

بطريقة خاصة من المعترف أو بطريقة عامة لمجموعة من المعترفين يجتمعون معاً في الكنيسة ويتلقون من أب الاعتراف إرشاده عن كيفية الاستعداد للاعتراف ثم يتقدم كلٌّ منهم على حدة ليعترف اعترافه السري، وقد صدرت قديماً كتب قليلة لإرشاد المعترف إلى كيف يفحص نفسه ويحدد أنواع الخطايا التي يمكن لأي إنسان أن يرتكبها ضد نفسه أو مع غيره، وكلاهما ضد الله، وهذه الكتب نافعة، ولكن الأنفع أن تكون موضوع تعليم من الأب نفسه لأبنائه في الاعتراف لمعرفته بأحوال رعيته وظروفهم التي تتنوع من مكان إلى آخر.

ويجب على الكاهن أن **لا يحس في نفسه أبداً أنه قاض**، فليس زماننا الآن هو زمان الدينونة بل زمان التوبة والتجديد والقيام من السقطات. فلا مكانٍ في طقس الكنيسة ولا في قوانينها وتقليدها في خدمة الكاهن ما يسمى **بمقاطعة الخاطئ حتى يتوب أو حتى تثبت توبته**، كما أنه لا مكان في طقس الكنيسة ولا في قوانينها وتقليدها للتشهير بالخاطئ ولا بخطيته أمام الآخرين بأية وسيلة ولا بالتلميح ولا حتى بدون ذكر اسمه - كما أنه محظور على الكاهن أن يغير من سلوكه تجاه الخاطئ الذى لم تكمل توبته بعد إلا بالازدياد في محبته ورعايته والحنو عليه إلى أن يكمِّل توبته. فالهدف هو أن نقدم للتائب الشفاء والمصالحة مع الله، وليس بفرزه من الكنيسة وجعله غريباً عنها، بل بالعكس بزيادة التصاقه واقترابه من الله، وفي كل الأحوال يجب أن يتذرع الكاهن **بالاحتمال**، فشفاء النفس لن يكون فجائياً ولا معجزياً، ولا في لحظة. فمعظم أمراض النفس تستدعى وقتاً طويلاً ومجهوداً شاقاً، وصلوات أكثر، وجهاداً أكثر مشقة من جانب الكاهن.

وكما شرحنا من قبل عن **عدم جدوى اللجوء لأساليب علم النفس** في مواجهة أمراض النفس، فعلى الراعي أن يتفادى التعبيرات الخاصة بالأطباء النفسانيين (مثل أن الخطية مجرد انفعالات أو هي تصرف غَصْباً عن الخاطئ... الخ)، ولا حتى بالتعبيرات اللاهوتية الصعبة. فليحرص أب الاعتراف أن ينصت أولاً إلى الخاطئ، وأن يكون حساساً جداً لحالته الروحية الخاصة. فكل شخص يأتي إلى الاعتراف هو شخصية فريدة في حالتها، ويجب أن يخاطبه أب الاعتراف مخاطبة خاصة لشخصه.

وكلمات الوحي الإلهي في العهد القديم وفي الإنجيل والعهد الجديد أكثر تأثيراً وفاعلية من كلماتنا الكثيرة وتحليلاتنا وفلسفتنا. الكلمات البسيطة والمباشرة أفضل بكثير من التعبيرات

والتفسيرات والتحليلات الطويلة المملة.

إن سماع الاعتراف هو جزء بسيط من سر التوبة، بالرغم من أهميته، ويأتي بعده الإرشاد الروحي والرد على الأسئلة والاستفسارات التي يطرحها المعترف، ثم التعليم، والصلاة مع المعترف (ليت يتمثل الآباء المعرِّفون بنموذج أبينا المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم الذى كان يقف مراراً أثناء الاعتراف ليصلي مع المعترف فيجعل من جلسة الاعتراف حالة وجود في حضرة الله)، ثم التعزية ومشاركة الخاطئ في آلامه النفسية بسبب خطيته، وربما البكاء معه ومن أجله، وأحياناً إذا استدعى الأمر الاضطرار إلى التوبيخ والانتهار المشوب بالعطف والمحبة (ولكن ليحذر الكاهن من الغضب لأنه أداة مدمرة)[(٧)]، كل هذا يفرض على أب الاعتراف أن يكون مستعداً له هو أيضاً قبل الشروع في تلقي الاعتراف: بالصلاة والتأمل والخشوع بمخافة شديدة أمام الله لأنه مُقدِم على أخطر لحظة في المعركة الروحية ضد قوى الظلام (راجع الصلاة التي يصليها الكاهن قبل شروعه في أخذ الاعترافات).

وفي كل الأحوال يجب على أب الاعتراف أن يجهد نفسه ليُظهر حقيقة مركزه ككاهن يمثل المسيح: إنه مُقام ليعيد حضور المسيح الغافر وليُظهر شخص ربنا يسوع المسيح الراعي الصالح الذى يخرج ليفتش عن الخروف الواحد الضال، والذي من أجله يترك التسعة والتسعين، الذين قد يتذمرون من ترك الراعي لهم بينما ينال الخاطئ والضال والبعيد الاهتمام الأوفر والاهتمام الأكثر، ولكن هذا هو عمل الكاهن صورة المسيح الذى أتى « ليس ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣٢).

البدء في الاعتراف:

وكثيراً ما يعمل المرشد الروحي ما يثير الخاطئ الآتي للتوبة لكي يقدم اعترافاً صحيحاً. فلابد من إعطاء التائب المعترف أكبر مساحة من الوقت ليتكلم. فقد يصمت المعترف وقد يبكي وقد يتلعثم أثناء الاعتراف، ولابد أن يساعده الأب بالأسئلة ولكن دون أن يكون في هذا مقتحماً لضميره أو ضاغطاً عليه ليعترف، مما قد يضطره إلى افتعال اعتراف بخطايا لم يرتكبها هرباً من أسئلة الكاهن المحرجة. كما يجب أن يتفادى الكاهن توجيه الأسئلة "الموجَّهة" حتى ولو كان الأب يعرف عن خطية لم يعترف بها المعترف.

---

(٧) لا ينخدعن أحد بالتعبير الخاطئ "الغضب المقدس" لأن الغضب خطية، وآفة. ولا يمكن نسبة القداسة إلى الرذيلة والآفة والخطية.

فالاعتراف القسري والإجابات الاضطرارية ليست بمؤدية إلى توبة حقيقية وندم عميق من جانب التائب. بل على الأب المعرِّف أن يشجع التائب على الاعتراف اعترافاً كاملاً صحيحاً مع ملاحظة أن ذلك قد يستدعي عدة جلسات اعتراف، ربما يكون بعضها خارج نطاق جلسة الاعتراف الرسمية.

ومن أجمل وأقدس تقاليد الكنيسة القبطية والذي ما زال سارياً هو الحق الذى يناله المعترف في اختيار أب اعترافه والتأكد من كفاءته في الاعتراف والإرشاد، فإذا ما اختار، فلابد عليه من الطاعة له والمداومة على تنفيذ توجيهاته وإرشاداته. إن هذا التقليد قائم على أساس أن العلاقة بين المعترف والمعرِّف هي حساسة ودقيقة جداً. وهذه العلاقة يجب - بدورها - أن تقوم على الصلة والتواصل الروحي المتبادلين بين الاثنين. ولابد أن تتحقق مصداقية اختيار المعترف لأب اعترافه، لأنه لا يمكن لأب الاعتراف أن يحظى بأقصى تأثير على تلميذه إلا بالثقة القلبية التي يوليها المعترف لأبيه في الاعتراف.

كما لابد أن تتحقق في أب الاعتراف الصفات التي ذكرناها في مقال "**الأب الروحي**"، وعلى القارئ أن يرجع إليها في الفصل الخامس من باب "الرهبنة القبطية" صفحة ١٣٠.

صلاة الكاهن قبل استماعه الاعتراف[1]

أيها الرحيم الرؤوف المتحنن، فاحص القلوب والكُلى، الذي تعرف خفايا البشر وحدك، وليس شئ من أمور البشر غير ظاهر أمامك، بل عُراةً كلهم، ومذلولي الأعناق أمامك. يا من يعرف الأشياء الأخرى التي لي.

لا تمقتني ولا تصرف وجهك عني، بل لتهرب عني في هذه الساعة جميع سيئاتي.

يا من يغفر خطايا البشر ويَقبل بهم إلى التوبة، إغسل دنس نفسي وجسدي، وطهرني بالكمال، بقوتك غير المرئية ويمينك الروحية،

لكي إذا ما قرأت لآخرين تحليلاً يطلبون مني أن أُعطيه لهم، الذي هو الإيمان الذي هيأته عظم محبتك للبشر التي لا يُنطق بها، لا أكون أنا مُداناً كعبد الخطية. كلا أيها السيد الذي بلا خطية وحده، الصالح وحده، المحب للبشر، الذي لا يُرجعنّ المذلول خازياً؛ بل كُنْ لي غافراً،

وأرسل قوتك من عُلوك المقدس، وقوّني لكي أعمل خدمة هذا السر العظيم السمائي. آمين

---

(١) صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٤٩

الفصل التاسع

التقاليد القانونية لممارسة سر الاعتراف

نبدأ بكلمات أوشية (الصلاة) على الراقدين: "لأنه ليس أحد بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض"، لذلك يوصي القديس يعقوب منذ القرن الأول للمسيحية – "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات" (يعقوب ٥:١٦)، وفي كتاب الديداخي "تعليم الرسل الاثني عشر" منذ القرن الثاني الميلادي: [في الكنيسة اعترف بمعاصيك، ولا تتقدم إلى الصلاة بضمير شرير].

وهدف الاعتراف هو أن يبرئ الإنسان ضميره علناً بالاعتراف بمعاصيه (قديماً كان ذلك يتم أمام الكنيسة كلها مجتمعة والآن سراً أمام الكاهن) قبل أن تبدأ تقدمة القرابين المقدسة. ومن بين أهم هذه المعاصي: التعدي على أخيك في المسيح، فقد أكد المسيح – له المجد – على أن المؤمن المسيحي لابد أن يتصالح مع أخيه قبل أن يقدم قربانه. فإذا ما اعترف الإنسان بخطاياه يصير بريئاً منها تجاه قريبه. فالاعتراف هنا له أثر في تحرير وتبرئة ضمير الإنسان الخاطئ. وحتى يستكمل المؤمن عملية تبرئة ضميره أمام الله على يد الكاهن، يضع الكاهن الصليب على رأسه المنحنية أمام مجد الله القدوس (المذبح المقدس) ويطلب إلى الله سائلاً المغفرة للمعترف بقوله وهو متجه إلى الغرب والصليب مرفوع على رأس المعترف (أو شعب الكنيسة كله):

[أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب، الذى قطع كل رباطات خطايانا من قِبَل آلامه المخلِّصة المحيية. الذى نفخ في وجه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس، مَنْ غفرتم لهم خطاياهم غُفرت لهم، ومَنْ أمسكتموها عليهم أُمسكت".

أنت الآن أيضاً يا سيدنا، من قِبَل رسلك الأطهار أنعمتَ للذين يعملون في الكهنوت كل زمان في كنيستك المقدسة أن يغفروا الخطايا على الأرض ويربطوا ويحلّوا كل رباطات الظلم.

الآن أيضاً نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر عن عبيدك (أو عبدك أو عبدتك): آبائي وإخوتي وضعفي، هؤلاء المنحنين برؤوسهم أمام مجدك المقدس.

ارزقنا رحمتك، واقطع كل رباطات خطايانا.

وإن كنا قد أخطأنا إليك في شئ بعلم أو بغير علم أو بجزع القلب أو بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب.

أنت أيها السيد العارف بضعف البشر، كصالح ومحب البشر، اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا، باركنا، طهرنا، حاللنا، وحالل سائر شعبك. املأنا من خوفك وقوِّمنا إلى إرادتك الصالحة.

لأنك أنت هو إلهنا. والمجد والكرامة والعز والسجود تليق بك مع أبيك الصالح والروح القدس المحيي المساوي لك. الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها آمين.]

وحتى إلى لحظة التناول من الأسرار المقدسة، يطلب الكاهن من أجل أن يقبل الله اعترافات المؤمنين، وذلك في أثناء قراءة البولس، ما يسمى "سرُّ اعتراف الشعب" أي الاعتراف السري للمؤمنين على مجمرة البخور بينما الكاهن يمر على كل أفراد الشعب ويرشمهم بالصليب بينما هم يعترفون سراً (على الشورية)، ثم يصعد إلى داخل الهيكل ويصلي لله قائلاً:

[يا الله الذى قَبل إليه اعتراف اللص على الصليب المكرَّم.

اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم جميع خطاياهم من أجل اسمك القدوس الذى دُعي علينا. كرحمتك يا رب ولا كخطايانا].

ثم وبعد صلاة "أبانا الذى في السماوات" (قبل التناول مباشرة) وحيث يصلي المصلون: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" يصلي الكاهن طالباً المغفرة لشعبه:

[أيها السيد الرب الإله ضابط الكل، شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا.

أنت الذى قلت لأبينا بطرس من فم ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، أنت هو بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السماوات وما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماوات.

فليكن يا سيد، عبيدك: آبائي وإخوتي وضعفى محاللين من فمي بروحك القدوس أيها الصالح محب البشر.

اللهم يا حامل خطية العالم، ابدأ بقبول توبة عبيدك منهم، نوراً للمعرفة وغفراناً للخطايا.

لأنك أنت إله رؤوف ورحوم، أنت طويل الأناة كثير الرحمة وبار.

وإن كنا قد أخطأنا إليك بالقول أو بالفعل فسامح واغفر لنا، كصالح و محب البشر.

اللهم حاللنا وحالل كل شعبك من كل خطية ومن كل لعنة، ومن كل جحود، ومن

كل يمين كاذب، ومن كل ملاقاة الهراطقة الوثنيين.

أنعم لنا يا سيدنا بعقل وقوة وفهم. لنهرب إلى التمام من كل أمر رديء للمضاد، وامنحنا أن نصنع مرضاتك كل حين. اكتب أسماءنا مع كل صفوف قديسيك في ملكوت السماوات بالمسيح يسوع ربنا.

حاللنا وحالل سائر شعبك من كل خطية....]

بهذا الوضع يمكن أن ينطبق النداء الذي ينادي به الشماس: **(القُدسات للقديسين)** على المؤمنين المتقدمين للتناول من الأسرار المقدسة، فيصير لهم التناول طهارة وغفراناً وحياة أبدية لكل من يتناول منه.

لذلك فعملية الاعتراف بالخطايا ليست قاصرة على جلسة الاعتراف مع الكاهن المعرِّف في وقت محدد، بل هي تشمل كل الوقت أثناء الصلاة، وإلى أن يتقدم المؤمن لتقبُّل الأسرار الإلهية.

ويلاحظ أنه في الطقس الكنسي فإن الاعتراف وطلب الحِلّ لا يقتصر على المؤمنين دون الكهنة. فالكاهن الذى يخدم القداس حالما يبدأ الصلاة في القداس الإلهى وبعد أن يسجد أمام المذبح ويقبِّل سِتْر الهيكل والأيقونات يتوجه إلى المؤمنين قائلاً: "أخطأت سامحوني، الله يحاللكم جميعاً". وهذا الطقس ليس مجرد ممارسة شكلية بل هو يحمل كل معنى المحبة والمسامحة والمصالحة بين الكاهن والشعب، لأنه هو الذى ائتمنه الشعب حين رسامته على رفع قرابينهم إلى الله وتوصيل بركة الله لهم، فلابد أن يكونا الاثنين في حلٍّ وبركة ومصالحة بعضهم من البعض.

لذلك، فمن أخطر الأمور أن يتقدم الكهنة والمؤمنون إلى الصلاة وتقديم القرابين ثم إلى التناول وقلوبهم غير صافحة عن بعضهم البعض، إما بين الكهنة وبعضهم البعض أو بين المؤمنين وبعضهم البعض أو بين الكهنة والشعب، ولا حتى لو وُجد مؤمن واحد في خصام مع أحد، فإنه يجب مصالحته قبل أن يتقدم المصلُّون كهنة كانوا أو شعباً قبل أن يقدموا قرابينهم، "لئلا تتنجس قرابينهم" وتصير غير مقبولة أمام الله كما يحكم بذلك التقليد الكنسي (الديداخي ١٤: ١). وللأسف إن التغاضي عن هذا الطقس والممارسة الصحيحة له جعل التناول ناقصاً وأخشى أن أقول أنه يقع تحت الحكم الوارد في (١ كو ١١: ١٨ و ٢٧).

وما يلاحَظ هو أن الحِلّ والمغفرة يأتيان من الله بصلاة الكاهن، فهو عطية الله للإنسان وليس من الإنسان للإنسان بأي حال. لذلك، فهو إذا كان يعتمد على صدق توبة المعترف فهذا يقرره الله فاحص القلوب والكُلى وليس لأي إنسان أن يحكم على صدق التوبة من عدمها (فيمنع عنه غفرانه) طالما أن المعترف أقر بأنه تائب، وذلك حسب أمر المسيح وتحديده لشروط نوال المغفرة:

«وإن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه. وإن تاب فاغفر له. وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلا: "أنا تائب" فاغفر له» (لوقا ١٧: ٣ و ٤). فمن الجسارة والخطورة على الخلاص الأبدي للكاهن أن يتدخل في مجال علم الله الذي هو وحده يقدر أن «يدين سرائر (ضمائر) الناس» (رومية ٢: ١٦) فيرفض توبة خاطئ قادم إليه بحجة أن توبته غير صادقة.

هذا هو قانون التوبة والمغفرة من فم رب المجد. ولا مجال لامتناع الكاهن عن إعطاء المغفرة الإلهية لكل إنسان قادم إلى الكنيسة يطلب التوبة. وقد وضعت الكنيسة العقوبات المشددة على الكاهن والإكليروس الذين يرفضون توبة التائب بحسب قانون وطقس التوبة والمغفرة الذى وضعه المسيح.

كما حتم التقليد الكنسي على الإكليروس بكل درجاتهم أيضاً أن يكون لهم هم أيضاً آباء اعتراف، يعترفون عليهم بخطاياهم بانتظام قبل أن يتقدموا إلى خدمة القداس الإلهى (كما ذكرنا في الفصل السابق).

طقس الميطانيا: مصدره الرهبنة

وفى الأديرة يأخذ طقس التوبة والاعتراف أهمية خاصة حيث يمارس الرهبان التوبة بعضهم على البعض يومياً وقبل غروب الشمس، بأداء السجود لمن أخطأ إليه الراهب أثناء نهاره بما يسمى "المطانية" وهى النطق العربي لكلمة "ميطانوا" أو "ميطانيا" **metanoia** . كما يمارسها الرهبان أيضاً حين زيارة البابا البطريرك للدير الذي بعد أدائه صلاة الشكر في الكنيسة يتقدم إليه الرهبان واحداً فواحداً، وأمام مذبح الله وأمام البطريرك يؤدون "الميطانيا"، لأن زيارة الأب البطريرك هي فرصة لنوال الرهبان الحِلّ العام منه باعتباره الرئيس والأب العام للرهبان في الكنيسة من حيث أن زياراته للأديرة نادرة الحدوث وتمثل حدثاً في تاريخ الدير.[1]

ونقرأ عن أن عادة طلب المؤمنين المغفرة بعضهم من البعض مع أداء "الميطانيا" بالسجود للأرض مازالت سارية بين الروس الأرثوذكس حيث يتوجه المتخاصم إلى منزل صديقه المتخاصم معه ويسأله الغفران ساجداً إلى الأرض أمامه طالباً المغفرة، وذلك عشية التوجه إلى الكنيسة

---

(١) ولكن تسربت هذه الممارسة من الأديرة إلى العالم واعتُبرت أنها عادة – ليس للرهبان فقط – بل وللإكليروس أيضاً. ثم تحتمت على العلمانيين أيضاً يمارسونها حين زيارتهم للبابا البطريرك في القلاية البطريركية، وقد يكون ذلك جائزاً إذا كان بالمعنى الرهباني السابق ذكره. ثم فُرضت ليس بناءً على هذا المعنى الأخير ولكن كواجب لتكريم الأساقفة أيضاً من كل من يقابلهم ولو في أي مكان حتى لو كان ذلك على الأرصفة، مما حوّلها إلى مظهر يتأذى منه غير المؤمنين باعتباره سلوكاً غير لائق بعد زوال عصور الاستعباد والعبادة الفردية للملوك والولاة والخلفاء وبعد إشراق عصر الحرية على الشعوب في العالم الحديث.

للتناول وعلى الأخص في موسم الصوم الكبير (٢) .

انتعاش ممارسة الاعتراف والتوبة في مواسم الصوم:

ومن هنا نلاحظ أيضاً أن ممارسة الاعتراف والتوبة ينتعش جداً لدى المؤمنين الأرثوذكس في كل مكان في موسم الصوم الكبير المعتبر أنه موسم التوبة وربيع الحياة الروحية. لكنه يمارَس أيضاً في أصوام الميلاد والرسل والعذراء بالرغم من عدم وجود صلوات أو قراءات أو ألحان في ليتورجياتها تختص بالتوبة كما في الصوم الكبير. وهكذا تحفل حياة المؤمن بحوالي ثلث أيام السنة صوماً (بالإضافة إلى أيام الأربعاء والجمعة) والتي فيها يحلو للمؤمن أن يؤدى فيها توبته واعترافه.

والآن نريد أن نتعرف على:

استعداد المعترف للاعتراف:

فماذا على المسيحي الأرثوذكسي أن يستعد به لجلسة الاعتراف أمام الأب الكاهن ؟ ثم على التناول من الأسرار المقدسة؟

فمن المستحب أن يكون ذلك قبل أداء هذين السرين بوقت كافٍ، فقد يكون في الأسبوع الذى سيتوجه في نهايته إلى الكنيسة (يوم السبت في صلاة رفع بخور عشية). وبعض الأتقياء يقدمون صوماً خاصاً إما خلال هذا الأسبوع أو يمارسون ضبطاً لاستعمالهم أنواع التسليات مثل مشاهدة التليفزيون أو ما شابهها. وفي هذا الأسبوع يراجع المؤمن نفسه فيمن أخطأ في حقهم أو أخطأوا في حقه حتى يذهب ليطلب السماح منهم أو يعاتبهم. ويأخذ طلب السماح شكل القول: "أخطأت إليك في كل الإساءات التي بدرت منى"، أو "أخطأت سامحني، والله يسامحك". أما إجابة الطرف الآخر فهي "الله يسامحك، سامحني". وقد تكون هذه فرصة طيبة لتصفية ما علق بالعلاقات بين الطرفين. أما خلال الأسبوع فإن التائب يواظب على حضور الاجتماعات الروحية وقراءة الكتب التقوية وذلك حتى يتهيأ لكشف نفسه أمام الله في حضرة الكاهن.

وفى عشية يوم التناول يتوجه إلى الكنيسة ليحضر صلوات رفع بخور عشية، حيث يمكنه الالتقاء بأب اعترافه، أو في الصباح الباكر أثناء صلوات رفع بخور باكر، هذا إذا سمحت ظروف التائب وأب الاعتراف بهذه المواعيد. ولكن من المستحب أن يكون مكان جلسة الاعتراف في الكنيسة وأمام المذبح. أما إذا لم تُتح الفرصة لهذه المواعيد فليكن الموعد المناسب للطرفين هو السائد. ويمكن للمعترف أثناء انتظار دوره في الاعتراف أن يكون منشغلاً بتلاوة صلوات مناسبة

(2) V. Palachovsky, *Sin in the Orthodox Church*, New York 1960, . 54.

للتوبة (وهذه تزخر بها كثير من الكتب الكنسية مثل: الأجبية والخولاجي المقدس وغيرها) أو استذكار الآيات الكتابية التي تبث الرجاء في نفوس التائبين أو القراءة في كتب تتحدث عن التوبة.

ومن اللازم أن يكون المعترف قد جهز لنفسه بياناً ملخصاً لما يريد سَردَه على أبيه في الاعتراف، حتى تكون أفكاره وكلماته مرتَّبة أثناء الاعتراف وحتى لا ينسى شيئاً منها، مما يوفر وقته ووقت أب الاعتراف ووقت باقي المعترفين ويربح من الوقت المخصص للاعتراف بأكبر ربح روحي.

كيف يبدأ الكاهن جلسة الاعتراف:

بعد استعداد المعترف بهذه الصورة، سيكون أمراً يسيراً على أب الاعتراف أن يفتتح حديثه بقوله للمعترف كلمات مشجعة كالآتي: "يا ابني، المسيح حاضر الآن ليتلقى اعترافك، فلا تخجل أو تتردد في ذلك، ولا تخف، ولا تخفى شيئاً عنه، وذلك حتى تنال المغفرة من ربنا يسوع المسيح. أما أنا فشاهد فقط لما تقول حتى أعرضه أمام المسيح وأطلب الحل والمغفرة لك عنه. أنت قادم الآن أمام طبيب الأرواح والنفوس، المسيح، وتأكد أنك ستعود معافىً إلى بيتك".

بهذه الكلمات وأمثالها مما يلهم الروح القدس الكاهن لقولها، يمكن للتائب أن يبدأ الحديث، أو الكاهن أن يبدأ السؤال عن حياة التائب. ولكن من المفضل أن ينتظر الكاهن حتى يبدأ المعترف في الحديث.

الدخول في الاعتراف:

ويبدأ الكاهن في الاستماع إلى اعتراف المعترف. فإذا تأخر المعترف في بدء الكلام فيمكن للكاهن أن يسأله أسئلة تحرك شهيته للاعتراف. فإذا كان المعترف يعرف كيف يعترف فسوف يعدد خطاياه بينما يؤكد على أسبابها الروحية في نفسه التي دفعته لارتكابها. ومثل هذا المعترف يربح غفراناً ونمواً وتقدماً ويشجع الكاهن على تقديم إرشاده له ليزداد نمواً في حياته الروحية. وهنا قد يعمد التائب أن يذكر سبب الخطية الروحي في داخل نفسه أكثر من ذكره نتائج الخطية. ولهذا السبب فكثيراً ما يقضي المعترف وقتاً كثيراً يشرح فيه فقره الروحي لكنه يُغفل أو يقلل من ذكر نتائج نقص روحانيته. لذلك ففي هذه الحالة لابد للكاهن أن يسأله بعض الأسئلة ليستوضح نتائج خطيته على تقدمه الروحي وليذكر مدى تأثر سلام وأمان الآخرين بخطيته. أما بعض المعترفين فقد يعمدون وهم يشرحون حالتهم إلى أن يستطردوا في شرح الظروف الصعبة التي يعيشون فيها. فحتى لا ينحرف الاعتراف إلى نقد الآخرين، على الكاهن

أن يفرض على المعترف ألا يشير إلى طرف ثالث وهو يسرد خطاياه. فكل انتباهه يجب أن يتركز على حالته الباطنية، ثم على أفعاله وخطاياه ونتائجها على الآخرين.

وأكثر الخطايا التي يجب على التائب أن يعترف بها هي بلا شك الخطايا الروحية. وهذا ما يوجه الأب الكاهن نظر المعترف إليه بسؤال مثل هذا: "هل أنت تحب أي شئ في هذا العالم أكثر من محبتك لله ؟". وسيتبع هذا سرد الخطايا الروحية أي التي تعبرٌ عن عدم وضع محبة الله في وضع الأولوية. وهذه الخطايا هي: الكبرياء، الأنانية ومحبة الذات، الافتخار، الكسل والبلادة الروحية، والغيرة، والحسد... الخ ثم يتبع ذلك بسرد إخفاقاته في المحبة للقريب، ويفصِّل ذلك بالأفعال التي فعلها أو التي كان يجب أن يفعلها ولم يفعلها والتي تنم عن غياب المحبة في حياته، وذلك في مجالات الاحتكاك بالآخرين. ثم يسرد خطايا الشهادة بالزور والحنث بالوعود والتجديف.

ثم تأتي خطايا الجسد، أي العلاقات غير السليمة وغير الشرعية مع الآخرين أو مع النفس. ولابد أن يحذر الكاهن من توجيه الأسئلة الصريحة المباشرة للمعترف عن هذه الخطايا، إلا إذا صمت المعترف عن الاعتراف، وهنا قد يسأله الكاهن بطريقة غير مباشرة، ويكتفي بإجابته حتى لو كانت مقتضبة (وعلى الأخص مع السيدات). فلا يلح الكاهن على معرفة تفاصيلها.

هذه القائمة من أسماء الخطايا عامة بالنسبة للرجال، متزوجين أو غير متزوجين ولفئات متعددة من الأشخاص.

ولكن لنفرض أن المعترف ليس معتاداً على الاعتراف وقد مضى عليه وقت طويل لم يمارس فيه الاعتراف، فهناك أسئلة أخرى يمكن للكاهن أن يوجهها له حتى يسهل عليه أمر اعترافه وتوبته بعد هذه المدة الكبيرة ويعطيه التوجيه الروحي المناسب.

على أن ما يعكر صفو وسلام الإنسان المسيحي هو عدم طهارة قلبه الداخلية، وهذه هي التي تجعله يخطئ الخطايا الجسدية السابق ذكرها. لكن ما يجب أن يوجه الكاهن نظر التائبين إليه هو أنه لا توجد خطية غير قابلة للتوبة عنها وبالتالي غفرانها حسب قول النبي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حمراء كالقرمز. فسوف تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (إش ١: ١٨).

ما بعد الاعتراف والتوبة:

إن ما يأتي بعد الاعتراف، التوجيه الروحي المناسب وهذا فصلنا الخطوط العريضة له في الفصل السابق "أب الاعتراف"، ثم يتبع ذلك طبعاً الحِلّ وإعلان المغفرة للخاطئ، وهو يتمثل في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية في الصلاة التي يرفعها الكاهن إلى الله بينما التائب راكع محنياً

رأسه (أمام المذبح وهو المكان الأفضل للاعتراف) والصليب يضعه الكاهن على رأسه – وأحياناً أيضاً رداء البطرشيل الخاص بالكاهن، لذلك فالمغفرة للتائب المعترف تأتي من الله والمسيح بصلاة الكاهن. وبالتالي فلا يستطيع الكاهن أن يمنعها عن المعترف – كما علّم المسيح وكما أوضحنا سابقاً – ونحن نفترض هنا اتساع قلب الكاهن وسلامة نيته وترفّعه عن أي مشاعر بغضة أو عداوة أو رغبة في الانتقام أو حتى قساوة قلب من أيٍ من أفراد شعبه لأية أسباب كانت.

وبعد صلاة التحليل، وبحسب حالة المعترف، يعرض الأب الكاهن على المعترف "قانون توبة" أي بعض الممارسات التي عليه أن يمارسها، **ليس كعقوبة على خطيته فهذه قد رفعها المسيح على الصليب نهائياً وتماماً**، ولكن كمذكرٍ له أن يراقب نفسه، أو كتدريب وتأديب للتائب، أو ليحس بخطورة الخطية، أو كنوع من دفع أو ردّ التعويض عن خطية ما مثل السرقة أو الاختلاس، أو كنوع من إدخال فضائل جديدة على حياته عكس الرذائل التي فعلها مثل الصدقة بدلاً من البخل، وهكذا.

وبعد ذلك يقبِّل المعترف الصليب والإنجيل اللذين يرفعهما الكاهن أمامه، ثم يسجد أمام المذبح وينطلق فرحاً إلى بيته وحياته اليومية.

قوانين التوبة:

تتحدد قوانين التوبة بحسب ما إذا كانت الخطية عَرَضية بمعنى غير متكررة أو إذا كانت عادة شريرة، وهذه تُستأصل بصعوبة كبيرة. وما إذا كانت علاقة غير شرعية مع شخص دون شخص (أي مع إنسان متزوج أو غير متزوج)، وما إذا كانت خطية مثل القتل إذا كانت إرادية أو غير إرادية، ثم خطايا السرقة وهذه يجب فيها ردّ المسروق أولاً. وفي هذه الحالة الأخيرة لابد أن تحرص الكنيسة على أن تتأكد أن العدالة القانونية المدنية قد أخذت مجراها قبل إعطاء المغفرة الكنسية على أن يكون الأسقف هو الذى يمنح الحلّ عن هذه الخطية، ولو عن طريق الإيغومانس المعتبر أنه وكيل وممثل الأسقف.

ملحوظة: في التقليد المختص بالاعتراف ليس من المعتاد أن يتولى الأسقف مهمة سماع اعترافات الشعب، أولاً باعتباره راهباً لا يتلقى اعترافات العلمانيين، ثانياً باعتبار أنه لن يستطيع أن يؤدى خدمة سماع الاعتراف لهذا الجمع الغفير من شعب الإيبارشية. لكنه يتلقى ما يجب أن يبلغه من الاعترافات بطريقة غير مباشرة عن طريق كهنة الإيبارشية وهذا بالنسبة للخطايا الرئيسية مثل: المخاصمات بين أفراد الشعب والقتل والسرقة والزنا والارتداد عن الإيمان، وهو الذى يعطى الحِلّ عنها في حالة المصالحة أو التوبة ونفاذ باقي الإجراءات

القانونية المطلوبة.

شروط وقوانين وتدريبات التوبة:

وليست كل قوانين التوبة تعنى الحرمان من التناول (والذي يجب أن يكون نادر الحدوث)، لكن بعضها قد يكون صوماً لمدة معينة، وبعضها قد يكون إعطاء صدقات، وبعضها قد يكون الامتناع عن بعض أدوات الترف وما أشبه. ولكن مع إدمان الخطايا الرئيسية، وفي أضيق الحدود، قد يكون الحرمان من التناول ولمدة معينة نافعاً. ولكن إعطاء هذا القانون في غير موضعه وبدون داعٍ يسبب إحباطاً للتائب ويمنع عنه نعمة وقوة روحية لمقاومة الخطية. لذلك من المفضل الاقتصاد جداً في إعطاء مثل هذا القانون. (إلا في حالات مداومة السرقة (إذا لم يكن ذلك عن مرض نفساني)، وكذلك في حالات المعاشرة غير الشرعية للنساء، والاستمرار في المخاصمة مع الآخرين). ونوع قانون التوبة له بعض الحدود (نوردها هنا ملخصة عن الدسقولية وباقي المراجع):

١ - **يجب أولاً مراعاة حالة التائب وقدرته على تحمل القانون فقوانين التوبة تراعى قدرة احتمال التائب لا جسامة الخطية.**

٢ - **قوانين التوبة ليست واحدة عن كل الخطايا.** فللخطايا الإرادية الدائمة التي أخذت شكل العادة قوانين، غير قوانين نفس الخطايا إذا كانت قد ارتُكبت سهواً أو عرضاً. وكذلك لكل خطية قانونها الذى يختلف عن قانون الخطية الأخرى.

٣ - **للكاهن وهو يتابع ابنه في الاعتراف أن يخفف أو يقلل من مدة القانون** إذا رأى التائب قد انتفع من قانون التوبة.

٤ - **على الكاهن أو الأسقف أن يستجيب لأية توصية من الطبيب** إذا كانت الحالة الصحية للتائب تستدعي التخفيف أو رفع قانون التأديب، وكذلك الحالة الاجتماعية لمن قد يضيرهم مادياً أو نفسانياً أو اجتماعياً (مثل أسرته) قانون التأديب المفروض على التائب، **وعلى الأخص إذا كان حكماً على أحد رجال الإكليروس بسبب مخالفة كنسية.**

ويحكم كل قوانين التوبة هنا مبدأ السيد المسيح: **أن النفس والحياة أثمن من أي ناموس أو قانون وضعي** (متى ٦:٢٥)، وأن غاية قانون التأديب هو الخير الروحي للتائب. فإذا تعارض القانون مع بلوغ هذا الخير، يجب وقفه أو تخفيفه فوراً. وكل هذا يعتمد على البصيرة الروحية الباطنية للأب الكاهن الذى يجب أن يلجأ إلى التشاور مع أسقفه، أو مع أراخنة الشعب والمقدَّمين والمتخصصين منهم مثل الأطباء في حالات الأحكام المفروضة على أحد إكليروس الكنيسة.

ويجب أن يكون أمام كل كاهن هذه الحقيقة: إن السرُّ الكنسي هو قوة لشفاء المؤمنين، ولا يمكن ولا يصح أن يؤدي إلى إيذاء خطير للتائب.

كما يجب أن يعرف أن تحديد قوة قانون للتوبة بناءً على فداحة الخطية بطريقة آلية دون النظر إلى أو وضع اعتبار لحالة التائب قد ينتج آثاراً عكسية ضد الغاية من السرّ الكنسي أو القوانين الكنسية، مثل اليأس، أو جحد الإيمان، أو كراهية التناول والإحجام عنها أو اللجوء إلى الوسائل الخارجة عن الكنيسة (مثل الشكوى أو التشهير في الصحف أو اللجوء إلى القضاء... الخ). وليعلم الكاهن أنه مُقام ليس لكي يطبِّق قوانين عقوبات مثل قاضي محكمة الجنايات أو يستوفي غرامات على مخالفاتٍ مثل شرطي المرور، بل إن قوانين التوبة هي أداة تربوية ضمن منهج متكامل من الرعاية والافتقاد تحكمها المحبة وتحدُّها الرحمة وتهدف إلى تسهيل التوبة والتقوى أمام البشر القادمين إلى الكنيسة من أجل نوال المغفرة والخلاص. كما أنه لا يجوز للكاهن توقيع "عقوبات" على مؤمنين لإتيانهم أعمالاً تتعدد فيها الآراء[٣] مثل الإجهاض وما يشابهها. بل لا بد أن يتعامل الكاهن مع هذه الحالات بالتعاون مع المختصين من أطباء وغيرهم، ويتولى إرشاد المعترف في حدود خلاص النفس فقط.

خطورة خطية مقاطعة التائب حتى تثبت توبته:

وهذه أعظم خطية، وهى أعظم من خطية التائب الذى يُرفض بحجة عدم صدق توبته. لأنها تؤدى إلى غلق باب الرجاء أمام الخطاة، وهذا كل ما يسعى إليه الشيطان لإفشال خلاص الإنسان. وميزان صدق التوبة هو بحسب أمر المسيح **أن يقول الخاطئ لمن أخطأ في حقه وللكاهن "أنا تائب"**. وحتى لو عاد إلى الخطية سبع مرات في اليوم وقال **"أنا تائب"** (لوقا ١٧: ٣ – ٥) فعلى الكاهن أن يقبله بحسب أمر المسيح للقديس بطرس الرسول. هذا هو قانون ومقياس التوبة في المسيحية. أما غير ذلك، فليس له أساس في الإنجيل المقدس.

وفي هذا القانون الذي وضعه المسيح – له المجد – يستفيض كتاب الدسقولية فيقول:

[ويجب أيضاً أن تغفروا للتائبين. وإذا قال واحد من الخطاة بسريرة طاهرة: "**أخطأت يا رب**"، لوقته يجيبه الروح القدس: "**إن الرب رفع خطيتك ولن تموت**"] الدسقولية ٤: ١٥

أما الذى قيل عنه إنه "لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع" (عب١٢: ١٧) فهو الذى

---

(٣) الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هي وحدها التي أعلنت رسمياً عام ١٩٦٧ "أن الإجهاض خطيئة مميتة تمنع الخلاص الأبدي للإنسان الذي يفعلها". ولكن ليس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية رأي قاطع اتُّخذ بموجب إجراءات رسمية قانونية مجمعية صحيحة في هذا الشأن، بل هناك آراء شخصية فحسب لبعض آباء الكنيسة المعاصرين في هذا الشأن.

استباح لنفسه أن يرفض عطية وموهبة الله (ميراث البكورية) مفضِّلاً الشهوة (الأكل) عليها، فلما طلب مرة أخرى الموهبة التي رفضها حتى بدموع، **لم يجد في نفسه القدرة على التوبة عما فعله من تفضيل الشهوة على الموهبة الإلهية.** وهذا إنذار لكل من يرفض عطية ميراث الملكوت (أي الإيمان المسيحي) مقابل شهوة جسدية عابرة (كما في الارتداد طمعاً في شهوة أرضية أو جسدية).

أما ما يحدث للخاطئ وما يبدر منه بسبب مقاطعة الكاهن له، فوِزْر (أي عقاب) ذلك يقع على الكاهن الذى قاطع الخاطئ القادم للتوبة أو رفض مقابلته؛ مما يؤدى به إلى العناد أو اللجوء للسلوك غير اللائق أو الخروج من الكنيسة (إما بالارتداد أو الذهاب للشيع المخالفة أو اللجوء للتشهير في الصحف أو اللجوء إلى القضاء العالمي). ولا يمكن أن يُعفَى الكاهن المتسبب من مسئولية ذلك. كما يحدد ذلك قانون الكنيسة:

[فإذا لم تقبل إليك الذي تاب، فإنك تسلمه إلى الأعداء، وتنسى قول داود: «لا تسلِّم نفساً تعترف لك إلى السباع» (مزمور٧٤: ١٩)]

الدسقولية ٣: ٦٠

[والذي طُرِح من الكنيسة بعدم دَيْن (**أي بعدم حكم ومحاكمة**)،
وبغير واجب (**أي ظُلماً**)،
يُمسَك بحزن قلب وصغر قلب.
وهكذا إما أن **يذهب إلى الأمم فيضل، أو يسقط ويؤسر في الشيع المخالفة**، ويصير غريباً بالجملة من الكنيسة ورجاء الله، ويكون مُبكَّتاً بالنفاق (أي يوجعه ضميره على تركه الكنيسة رغماً عن مشيئته)، **فتصير أنت سبباً لهلاكه.**]

(الدسقولية ٤: ٤٨)

والأحداث المؤسفة التي حدثت والخصومات التي بلغت إلى التشهير في الصحف والقضايا في المحاكم شاهد على صدق ما حذر منه هذا القانون. لذلك يجب أن يُثبت في دستور الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بنود أحكام المعاقبة الواردة في القوانين الكنسية للإكليروس الذين يرفضون قبول الخاطئ إذا أتى لتقديم التوبة فيرفضون مقابلته أو يقاطعونه.

خطورة التشهير بالخاطئ علناً:

وهذا يحدث أحياناً من على المنابر أو في الصحف أو في المجتمعات الرهبانية. وإشهار خطية الخاطئ علناً (وعلى الأخص إذا كان بعد اعترافه بها لأب أو لأم الدير أو لأب اعترافه) لن

يؤدي به إلى التوبة، بل إما إلى اليأس أو إلى العناد أو إلى التطاول على المشهِّر به. وقد أعطت القوانين الرهبانية والكنسية قوانين تأديب للمسئولين الذين يفعلون هذا.

ما هي الخطية التي ليس لها غفران؟

هي خطية التطاول على الروح القدس وإنكار لاهوته، وهو ما يُسمى بالتجديف على الروح القدس. وهو يتضمن إنكار عمله في النفوس وإنكار لاهوته ومحاربته جهاراً سواء في حياة الإنسان الخاصة أو في تعليمه المنحرف إن كان معلماً في الكنيسة. ولأن الروح القدس أقنوم أي شخص إلهي (بحسب قانون إيمان مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١)، فإن رفضه وإنكاره وإنكار وجوده في النفوس المؤمنة وفي الكنيسة يجعله يفارق الإنسان ويخرج منه ويتركه نُهباً للأرواح الشريرة التي تأتي وتسكن في هذا الإنسان. كما وصف المسيح ذلك الإنسان التعيس الذي خرج منه الروح القدس فدخل فيه الروح النجس: «**ثم يقول (الروح النجس) أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه (يوم المعمودية). فيجده فارغاً مكنوساً مُزيَّناً. ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشرَّ منه فتدخل وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله**» (متى ١٢: ٤٥ ولوقا ١١: ٢٦). مثل هذه هي الخطية هي الوحيدة (وهي في منتهى الخطورة) التي تمنع الصلاة من أجلها حسب قول الرسول يوحنا: «**توجد خطية للموت ليس لأجل هذا أقول أن يُطلَب**» (١يوحنا ٥: ١٦)، وهي قائمة على تصريح المسيح: «**وأما التجديف على الروح فلن يُغفر للناس**»، «**ولكن من جدَّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية**»، (متى ١٢: ٣١؛ مرقس ٣: ٢٩؛ لوقا ١٢: ١٠).

أما باقي الخطايا فكلها بلا استثناء قابلة للغفران بمُقتضى رحمة الله كما قال المسيح – له المجد – ذلك:

«**الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها**» (مرقس ٣: ٢٨)، «**كل خطية وتجديف يُغفر للناس**» (متى ١٢: ٣١). **بل إن المسيح قال عن التجديف على شخصه:** «**وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له**» (متى ١٢: ٣٢؛ لوقا ١٢: ١٠).

الآثار السلبية لعدم إعطاء قوانين للتوبة للتائبين:

بالرغم من أن الخاطئ التائب يعترف بخطاياه سراً إلا أن أصدقاءه المشابهين له في السلوك على علم بحياته وسلوكه الخاطئ. فإذا لاحظ هؤلاء أنه لم يأخذ قوانين للتوبة فقد يتشجعون للتكاسل وسهولة الانغماس في الخطية، وهو نفسه قد يستمرئ الرجوع لخطاياه إذ يحس أن التوبة ليس لها ثمار أو جهاد لعدم الرجوع عن الخطية، وأنه من السهل عليه التقدم للتناول من الأسرار دون أية لائمة.

ولكن إعطاء قوانين للتوبة مع مراعاة الحدود والمحاذير التي ذكرناها سابقاً لاشك سوف تستثير همة المؤمنين للجهاد ولقمع أنفسهم عن الخطأ والخطايا معتمدين على نعمة الروح القدس وواضعين أمام أعينهم الرجاء المفرح في بلوغ الحياة المقدسة الكاملة التي بلا عيب.

ولكن عموماً، يجب أن تكون قوانين التوبة مخففة متناسبة مع أحوال الناس وصحتهم في عصرنا الحديث، كما أنه يجب الاقتصاد والتقليل جداً من قانون المنع من التناول الذي هو الزاد الروحي لمغفرة الخطايا ولسند الإنسان في جهاده الروحي.

الأجواء الكنسية التي يجب أن تشجع الشعب على التقدم في النعمة:

لا يمكن أن نغفل هنا هذا العامل الهام جداً: وهو توفر الأجواء الكنسية الطاهرة التي تشجع الشعب على:

١ – الطهارة والحياة المقدسة والتقدم في النعمة،

٢ – التقدم لسرِّ الاعتراف بقصد التوبة ونوال الحلّ والمغفرة.

أما البند الأول فهو يتطلب أن تسود في الكنيسة – سواء على مستوى الكرازة أو الإيبارشية أو الدائرة الرعوية في الحي أو المدينة أو القرية – المحبة بين الإكليروس، وطهارة ونزاهة معاملاتهم سواء مع بعضهم البعض أو مع الشعب سواء من جهة المال أو النساء، وكافة الفضائل التي تجعلهم قدوة قبل أن يقفوا على المنبر للوعظ وحث الناس على الاعتراف.

أما البند الثاني، فهو يأتي، لا بالقهر ولا بالقسْر ولا بالتهديد علناً من على منبر الكنيسة بعدم السماح بالتناول لمن لم يعترف (وهذا الإعلان ليس وارداً في مردات القداس الإلهى[٤]) لأن أول وأهم إعلان عن موانع التناول: المخاصمة وعدم الطهارة، وليس من بين مردات وإعلانات القداس عدم الاعتراف، ولأن في القداس الإلهى فرصاً للاعتراف السري قبل التقدم للأسرار الكنسية حتى ولو كان الإنسان المؤمن مداوماً على الاعتراف. إن تشجيع الشعب على الاعتراف يكون بتوفير آباء اعتراف قديرين في تطبيب النفوس، وحريصين على عدم إفشاء أسرار الاعتراف، ومنظمين لأوقاتهم بحيث تتسع لاعترافات كلٍّ من يُقبل إليهم (ومن بين مظاهر هذا التنظيم في الأوقات منع المعترف من الاسترسال في الاعتراف بإلقاء اللوم في خطاياه على الآخرين لا على نفسه وإدخال طرف ثالث في سرد الاعتراف كما أوضحنا).

---

(٤) وعلى الأخص التنبيه بعدم تناول النساء للأسباب الخاصة بطبيعتهن. فهذه التنبيهات لا يصح إعلانها جهاراً في الكنيسة لا كتابة ولا شفوياً من على المنبر، بل هي تُعلَّم في فصول البنات فقط بحرص شديد مع التوجيه الواضح لهن بأن ذلك ليس بسبب نجاسة أو خطية بل باعتبارها نوعاً من الإفطار. والتقليد التعليمي التربوي الكنسي يمنع الخوض علناً في مثل هذه الأمور، التي قال عنها القديس بولس: «ذِكْرُها أيضاً قبيح» (أفسس ٥: ١٢)، أي الأمور الخاصة بالجنس جيِّدها ورديئُها.

وأكثر ما يشجع على الاعتراف: القلب المحب الحنون والحضن المفتوح للخطاة والتعابى والحزانى الذى يجب أن يكون مالئاً ضلوع ونفوس الكهنة. هذا هو المغناطيس الذى جذب الخطاة والزناة والزواني والعشارين للمسيح فخلصوا وهو الذى يجب أن يملأ قلب كل كاهن باعتباره خادم كهنوت المسيح ليجذبهم للخلاص والحياة الأبدية.

لمن توجَّه الدعوة للاعتراف:

يلاحظ في القوانين الكنسية المختصة بالاعتراف أنها موجَّهة أساسا للرجال وقلما نعثر على توجيهات خاصة باعتراف النساء. كما أن أول قانون في شروط المعترف هو أن يكون: عاقلاً بالغاً. لذلك، فلابد أن يكون لدى الكاهن حرص شديد لدى قبوله الاعترافات السيدات والآنسات. (أنظر القانون المختص بمعاملة الإكليروس للنساء، في آخر هذا الفصل). على أن يمتنع الكاهن عن محاولة استطلاع تفاصيل الحياة الزوجية الخاصة بالنساء، ويكتفي بسماع الخطايا بأسمائها فقط، وفي حالة وجود مشاكل حساسة بين الزوج وزوجته فلابد من توسط الخادمات المتقدمات في السن ليسمعن هذه المشاكل ويعطين الحَلَّ أو يتدخلن لدى الزوج (أو الزوجة)، لأن النساء أقدر من يستطعن التكلم مع بنات جنسهن من النساء في هذه الأمور.

أما الفتيات والشابات دون سن البلوغ والعقل (١٨ – ٢١) فلا يصح أن يتقدمن للاعتراف للكاهن بالصورة التي عرضناها سابقاً. بل من المفضل، ومن الموصى به، أن يكُنَّ على اتصال مستمر بالخادمات التقيات اللواتي يستطعن أن يعبرن بالفتيات الصغيرات (من بدء سن المراهقة[٥]) يعبرن بهن هذه المرحلة الخطرة بالتوجيه والتعريف والتحذير بروح الأمومة الصادقة، وبروح الرحمة المسيحية، على أن يكون جلَّ اهتمام هؤلاء الخادمات[٦] أن يقرِّبن الفتاة من أمها التي يجب أن تكون هي أولاً وأخيراً مستودع سر بناتها بشرط أن تكون أُماً مُحبة يقظة واعية لتربية بناتها، وإلا فتظل الخادمات هن الراعيات للفتيات في هذه المرحلة الحساسة. حتى إذا ما عبرت الفتاة الصغيرة هذه السن الحرجة يمكنها أن تُستودع لدى أب كاهن شيخ (وليس شاباً) متقدماً في المعرفة الروحية والبشرية، حتى يكون مربياً واعياً وطبيباً ناجحاً لفتياتنا وشاباتنا المسيحيات إلى أن يسلمْهن لأزواج مختارين قديسين.

---

(٥) وما قبلها بسبب شيوع وسائل الإعلام الحديثة التي بكرَّت من سني تعرُّف الفتيات على الأمور الجنسية.

(٦) أو زوجة الكاهن بالشروط السابقة (أي متقدمة في السن ومختبرة وعارفة بطرق تربية الفتيات في هذه المرحلة).

الشروط المعتبرة في الكاهن القابل الاعتراف:

(الأول) أن يكون كاهناً - (الثاني) أن يأمره بطريركه أو أسقفه بقبول الاعتراف بعد أن يثبت تأهله لتلك الرتبة .

١- شروط التأهيل: أن يكون إيمانه حقاً.

٢ - أن تكون أعماله ونسكياته وأخلاقه مطابقة لصحة عقيدته.

٣ - أن يكون تعليمه مفيداً صحيحاً مُنجحاً وقد عُرف بذلك وشُهد له به.

٤ - أن يكون للسر كتوماً. وكل ما يلقيه إليه المعترف به لا يتفوه به ولا يخطر بباله ويمحوه من صدره. فإن باح به أو أطلع عليه زوجته أو ولده أو صديقه أو من يأنس إليه أو من يثق به. أو حصلت جفوة بينه وبين المعترف عليه فأظهر أو تفوه بما اعترف عليه بعد مماته، لزم إسقاطه من كهنوته وحطه من درجته. فإن هذا باب عظيم لا يجب التساهل فيه ولا إهمال الأسقف له فيجب عليه أنه مهما باشره من الأمراض الخفيفة والكثيفة أن يدفنها في قلبه ولا ينشرها ويمسحها من سويداء قلبه ولا يُعرِّفها لأحد ولو أُكره عليها ولو أن يصل به الإكراه إلى القتل. فإنه خير أن لا يهلك جسده ولا يهلك نفسه وجسده معاً في نار جهنم.

٥ - أن يكون له نشاط وقوة على الصوم والصلاة عمن يقبل اعترافه مضافاً إلى القيام بالصلوات المفروضة عليه وتجديد الاستغفار عنه ليلاً ونهاراً وفي كل قداس وقربان ويطلب عنه بالبكاء والدموع المرة والتضرعات المتتابعة والأصوام المترادفة. وإن كان الكاهن غنياً والمعترف فقيراً يتصدق عنه وقتاً بعد وقت بحسب إمكانه ويُضاف إلى هذا جميعه عباداته العملية المفروضة عليه.

٦ - أن تكون له تجربة بالزمان وأهله وبحوادثهم ومتجدداتهم ووقائعهم وتقلباتهم.

٧ - أن تكون له فراسة جيدة صحيحة تدل على حال المعترف من حركاته وفلتات لسانه وشهواته وتقلباته وتغيير أحواله واختلافها، ويعلم من استقرائه أمور صدقه وكذبه فيما يشكوه إليه من أمراضه. فإن كثيرين من المعترفين يغلبهم الحياء على كتم بعض أمراضهم على كاهنهم ولا سيما المستقبحة. ومنهم من يخشى صعوبة الغيرة والأمانة في الاعتراف ومرارة الأدوية وعسر استعمالها فلا يذكر خطاياه التي أخطأها إلى غيره حذراً من أن يغلط كاهنه بالتفوه بها أو بالكتابة عنها أو بالتعريض بها والعياذ بالله بالتصريح بها فلا يذكر له كل هذه الأمراض المختلفة ويتجاوز عن بعضها.

٨ - أن يكون كامل الحذق في طب النفوس وحفظ صحتها عليها ومداواة المرضى منها بحسب أمزجة أبدانها ومكانها وزمانها واختلاف أحوالها، وأن يراعى في ذلك عوائد أربابها وملكاتهم وما يتجدد في أحوالها وما يتغير من أخلاقهم، وما تحتمله نفوسهم وأبدانهم من الأدوية. ويقابل كل مرض بضده كما يفعل أطباء الأجسام ولا يصف لأحد دواء لا يقدر أن يسعفه.

٩ - أن يطبِّب مريضه مجاناً ولا يقتني منه شيئاً من فوائد الدنيا ولا يقبل منه هدية ما دام هو معترفاً عليه.

١٠ - أن لا يحابي من يطبِّبه ولا يستحي منه

بل يَجابهه بالحق ويبكته بالوعظ والتأنيب إن كان محتملاً لذلك.

الشروط المعتبرة في المعترف :

١ – أن يكون بالغاً عاقلاً وأن يتخير له أحذق الأطباء الأطهار الموجود فيهم الشروط المتقدم ذكرها.

٢ – أن يكون صادقاً في ما يُنهيه لمعلمه من أمراضه ولا يُخفى عنه شيئاً منها، كثيرها وقليلها صغيرها وكبيرها جليلها ودقيقها خفيفها وكثيفها، فإنه متى لم يطّلع الأب المعرِّف على كلياتهم وجزئياتهم فيقع عليه عجز عن مداواته ويصعب عليه معالجته، وربما داواه بضد ما يشفيه فيكون سوء رأيه قد جلب مرضاً آخر على نفس المعترف، وربما أدّى به ذلك إلى الهلاك لا سمح الله.

٣ – أن يكون صبوراً على تناول الأدوية المرة المختلفة الأنواع ليقتنى بصبره نفسه ويتخلص عند النهاية من المداواة.

٤ – أن يكون طائعاً لطبيبه قابلاً لأقواله مستعملاً لجميع إرشاداته فيجعل نفسه قدامه كالميت قدام الغاسل والآلة قدام صانعها والعبد الحر الخلق قدام سيده، لا يفضل شيئاً من أفكاره على العمل بما يصفه له أبوه الروحي ويداويه به.

٥– أن يكون له حسن ظن في طبيبه يجعله يتيقن من حصول البُرء بواسطة علاج طبيبه واستعمال أدويته. وإذا تكاملت هذه الشروط فيه استنارت نفسه وارتفعت عنها الحُجُب المانعة لها عن رؤية المناظر الإلهية وشاركت العلويين في التسبيح والتقديس والتمجيد وارتقى عقله إلى عالم الملكوت واستحق طبيبه أيضاً المجازاة الصالحة وأن يدعى عظيماً في ملكوت السماوات. وإذا عدمت منهما كليهما هذه الشروط والعياذ بالله تعالى كان إثناهما كما قال الإنجيل المقدس: "أعمى يقود أعمى كلاهما يقعان في حفرة". فإن كانت الشروط المعتبرة موجودة في الكاهن دون المعترف فاز بالأجر وجزيل الثواب بمفرده ويكون المعترف قد أتعب نفسه وأضاع ماله وحصل على الوزر زيادة على وزره وعلى تزايد المرض الذى ربماً أدى إلى الكيِّ أو البتر أو القطع. وإن كان بالعكس فيكون الكاهن قد استحق الويل الذى جعله السيد له المجد للكتبة والفريسيين والمرائين، وفرحت السماوات بتوبة المعترف وعافَته من أمراضه وأوجاعه. (عن *المجموع الصفوي* لابن العسال ص ٤٢٦- ٤٢٨.

خطية مقاطعة وعدم قبول الخاطئ القادم للتوبة:

[فإذا لم تقبل إليك الذي تاب، فإنك تسلمه إلى الأعداء، وتنسى قول داود: «لا تسلِّم نفساً تعترف لك إلى السباع» (مزمور٧٤:١٩)] – الدسقولية ٦٠:٣

[والذي طُرح من الكنيسة بعدم دَيْن (أي بعدم حكم ومحاكمة)،

وبغير واجب (أي ظُلماً)،

يُمسك بحزن قلب وصغر قلب.

وهكذا إما أن يذهب إلى الأمم فيضل، أو يسقط ويؤسر في الشيع المخالفة، ويصير غريباً بالجملة من الكنيسة ورجاء الله، ويكون مُبكَّتاً بالنفاق (أي يوجعه ضميره على تركه الكنيسة رغماً عن مشيئته)، فتصير أنت سبباً لهلاكه.]

(الدسقولية ٤:٤٨)

نصائح لآباء الاعتراف

[لا يكون مُلاماً في شئ من الأشياء طاهراً ناسكاً

مداوماً الكلام الجيد اللائق بالتعليم.

لا يكون ذا قولين ولا يكن له ميزانان ولا مكيالان.

يشتهى أن يُقرض مَنْ يسأله في الرخاء والغلاء.

أب الأيتام ومن لا يعرفهم بكل طهارة.

لا يرفع عينيه لينظر أحداً من النساء، ولا يحوِّل وجهه عن المساكين، ولا ينسى الذين في السجون بل يفتقدهم ويخدمهم بكل قوته. لا يُحزن جميع الضعفاء. ولا يأخذ بالوجوه يبغض كل خطية، يحب البر.

يبكِّت الخطاة ويعلِّمهم التوبة،

لا يقبل الهدية.

لا يحقر أحداً ولا يثقل الحملة على الذين يهينونه. ويبارك الذين يلعنونه.

لا يشكو أحداً من الناس بل يحتمل كل ظلم يأتي عليه.

لا يكون ضجوراً ولا مشتهياً لحسن الوجوه.

ولا يضع على المسكين أكثر من قدرته، ولا يقاوم غنياً.

يبكِّت كل من يريد التعليم بتواضع قلب.

لا يتقدم إلى المذبح بكبرياء بل بتواضع. أي أن ليس هو مختاراً أكثر من الشعب كله. ولكنه مثل أحدهم.

يقبل كل من يتقدم إليه.

معاملة النساء:

ولأنه أؤتمن على نسوة كثيرات وعذارى وعرائس ويأتون إليك واحدة فواحدة ويأخذون بركتك، فأنت بكل احتفاظ احفظ ذاتك عالماً أن الذى استُودع كثيراً يُطالَب بالكثير. وليس يأتون إليك لكي تتفحص زينتهن لكن لكي يتفحَّصن هن أمانتك. لأن الذى يحرس عينيه أن لا تنظر إلى وجوه النساء فإن قلبه طاهر من النجس. لأنه يقول: إن عينيَّ طاهرة نقية لئلا أنظر إلى الشر. فالذي عيناه نقيتان قلبه أيضا نقى، كما قيل طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينون الله. والذي لا ينظر إلى امرأة فلا يتنجس قلبه.

لا تنظر إلى وجه امرأة أيها الكاهن .فقد ائتمنوك أن تتحفظ. قل وأنت تصلى: اصرف عينيَّ لئلا تنظرا الأمور الباطلة] – قوانين القديس أثناسيوس

نصائح في التطبيب الروحاني:

[ومن أخطأ خطية واحدة أو اثنتين فلا ترفضه ولا تمنعه من المشاركة، وشاركهم في الكل وساعدهم وثبتهم،

واقبل التائب مثل الولد الذى ندم ورجع إلى أبيه. وضَعْ اليد عوضاً من التعميد لأن بوضع أيدينا على الذين يؤمنون يقبلون نعمة روح القدس. ورده إلى موضعه الأول.

وهكذا طِبُّ الخطاة اجعل عليهم أدوية لينة حلوة، وقوّهم بكلام العظة، ونظف جراحهم فإن كان الجرح عميقاً وامتلأ مادة فنظفه بدواء حاد الذى هو كلام التوبيخ، وبعده بكلام العزاء. فإن تمادى فاكوه واقطع منه الداء. فإن عَدِم الشفاء فبفحص شديد وحرص ومشورة أطباء علماء اقطع بغم وحزن العضو الذى فسد لئلا يُفسد باقي الأعضاء. فقد كتب: اقلعوا الشرير من بينكم.

<u>ولا تكن مسرعاً للقطع ولا جسوراً ولا تسارع إلى المنشار الكبير الأسنان.</u>

فإن كانت السعاية (الشكوى) كذباً فلا تقبلوه. فإنكم إن حكمتم على أحد ظلماً فاعلموا أن الحكم يخرج من أفواهكم على نفوسكم. فإن حكمتم بلا رياء تعرفون من يسعى بصاحبه كذباً. وهذا إنا

عُرف كذبه بِنْه بإعلان، واعمل به كما أراد أن يعمل بصاحبه، واجعله معروفاً في وسط الجماعة كقاتل أخيه، وإذا تاب فافرض عليه صوماً ثم ضع اليد عليه واقبله من بعد أن تشترط عليه أنه لا يعود يقيم الفتن دفعة أخرى، فإن لم يَكُف عن شره فأخرجه كفاعل الشر لئلا يشكك بيعة الله.

ولا تحكموا حكماً واحداً على كل الخطايا فليس حكم الذى يخطئ بالأفعال كالذي يخطئ بالكلام أو بسريرته. فمن الناس قوم يجب أن تصولوا عليهم (تزجروهم) فقط، وقوم تجعلونهم يدفعون صدقة للفقراء، وقوم تحتِّمون عليهم صوماً، وآخرون تخرجونهم من البيعة مدة كمقدار الخطايا التي اخطأوها. الناموس لا يحتم بعقوبة واحدة على كل الخطايا. لأنه ليس عقوبة من أخطأ إلى الله أو إلى الكاهن أو إلى الهيكل كمن اخطأ إلى الملك أو أحد أصحابه.

وليس حكم من يظلم صاحبه أو عبده كحكم من يخطئ إلى والديه أو أقاربه[٧]، ولا من يخطئ بإرادته كمن يخطئ بغير إرادته. فإن قوماً يستحقون (هذا تشبيه من القانون المدني) أن يُدانوا بالقتل وآخرون بالجلد وآخرون بالغرامة وآخرون بأن يُفعل معهم كما فعلوا بأصحابهم. فاعرفوا عقوبة كل الخطايا المختلفة لئلا يكون فيكم ظلم فيُحكَم عليكم كما حكمتم.

المعاملات المتنوعة مع الخطاة:

ومن تاب فاقبله إليك لأن الله هو إله الرحمة.

ازجر من يخطئ، ولا تطرد من يتوب.

وليهتم الأسقف بخلاص كل أحد. فلكم يقول الرب: انظروا لا تزدروا بأحد من هؤلاء الأصاغر.

(٧) هذا القانون كان أيام الرق والعبودية حيث كانت قوة العقوبة تتحدد على قدر المُخطأ إليه، وهذا تغير الآن. ولكنه مجرد تشبيه.

واعلم أنه سيُطلب منك جواب بالأكثر. فمن أُودع كثيراً يُطلب منه كثير.

كن بلا لوم كيلا يشك أحد من جهتك. العلماني يهتم بنفسه وأما أنت فحامل حملاً ثقيلاً. مكتوب أن الله قال لموسى: أنت وهارون تحملان ذنوب الشعب.

الغافلون علِّمهم. واعلم أن لك أجراً عظيماً إذا فعلت هذا. كما أن لك وزراً عظيماً إذا توانيت عنه. يقول حزقيال النبي في الأسقف الذى يتوانى عن شعبه: "الويل لرعاة إسرائيل الذين تركوا الخراف ترعى وحدها. أليس الرعاة إنما يرعون الخراف، وأنتم اللبن شربتموه، والصوف لبستموه، والمعلوف نبحتموه، وخرافي لم ترعوها. الضعيف لم تقووه، والمكسور لم تجبروه، والضال لم تُهْدوه، والشارد لم تطلبوه، ولم تعلموهم بحرقة قلب بل بهزؤ، فشردت خرافي إذ ليس لها راعٍ، وصارت طعاماً لسباع الغياض". وقال أيضاً: "إني أحكم بين خروف وراعٍ وبين كبش وكبش".

الذى أخطأ يا أسقف وأخرجته بجرمه لا تَدَعه خارجاً بل رُدَّه إلى الكنيسة،

والذي ضل اطلبه،

والذي لا يُرجى خلاصه لكثرة خطاياه لا تدعه يهلك بالكلية.

وأن أمكن الأسقف فليحمل خطية الخاطئ على نفسه ويصيِّرها له هو خاصة ويقول للمذنب: ارجع أنت وأنا أقبل الموت عِوَضك مثل سيدي المسيح الذى مات عنى وعن الكل.

إن الراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه والأجير الذى ليس هو راعياً وليست الخراف له إذا رأى الذئب مقبلاً الذى هو إبليس يترك الخراف ويهرب فيخطفهم الذئب. عِدَ الخراف

واطلب الضال كالرب القائل أنه يدع التسعة والتسعين على الجبل ويمضى يطلب الضال. فإذا وجده يحمله على عاتقه ويدخل به إلى الماشية وهو مسرور.

كن للمريض بالخطية كطبيب حريص مشارك في الألم. فقد قال ليس الأصحاء محتاجين إلى طبيب بل المرضى، وابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص الذى هلك. ولا تحب السعاة ولا المتمحلسين (أي الذين يسعون كذباً للإيقاع بغيرهم، والذين ينافقون ويتملقون).

وإذا رأيت خاطئاً فداره قليلاً وأؤمر بإخراجه ودع الشمامسة يلحقونه خارجاً ويداوروه ويعيدوه ويسألوا من أجله. وحينئذ افرض عليه صوماً يقدر استحقاقه أسبوعين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة وعرِّفه أن يتأدب كما يليق بخطيته. أكرمه وعلمه أن يكون متواضعاً في ذاته.]

الفصل العاشر

رتبة الذياكون (الشماس)

الذياكونوس Diakonos Διάκονος كلمة يونانية معناها "خادم" أو "مساعد". وللأسف فقدت الكنيسة القبطية هذه الرتبة الهامة التي تمثل – حسب تعبير العالم القبطى يسي عبد المسيح – "أحد أضلاع المثلث الكهنوتى منذ العهد الرسولى"[١] .

وتذكر قوانين الرسل كيف يجب أن يُختار الذياكون هكذا:

[ليجرِّبوه بكل خدمة،

وتشهد له الجماعة أنه عاش مع زوجة واحدة وربَّى أولاده بطهارة،

ويكون رؤوفاً، وديعاً، ولا يكون متذمراً، ولا ذا لسانين، ولا غضَّاباً لأن الغضب يغصب الإنسان الحكيم.

ولا يأخذ بوجه الأغنياء، ولا يظلم الفقراء،

ولا يشرب خمراً كثيراً،

ويتعب لأجل السرائر المستورة الحسنة المؤنسة (أسرار الكنيسة).

ويلزم أن من له شيئ من الإخوة أن يواسي من ليس له، ويشاركوهم في الدفع (يأخذ من الأغنياء ويُعطي الفقراء).

وأن يكرموا الجماعة بكل الكرامات، وبحشمة وخوف. ويتحفظوا بكل ثبات:

فيعلِّمون قوماً، ويسألون قوماً، ويصلُّوا على قوم، والذين يُرذلون (أي الذين عليهم قانون تأديب) يُخرجونهم] – القانون ١٥

وتجد في الدسقولية الفصل السابع واجبات الشمامسة بالتفصيل. راجع *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، الباب الخاص بالشماس ص ٢٦٣ إلى ٢٨٦.

ومن صلوات الرسامة تتضح معالم الخدمة الذياكونية كما يلي:

---

(١) *درجة الشماسية في الكنيسة القبطية*، مجلة مدارس الأحد، فبراير ١٩٥٥، ص ٤.

الذياكونية هي رتبة قائمة بذاتها بين رتب الكهنوت الثلاث، بمهام خاصة بها داخل جسد الكنيسة السري الواحد:

[وليكن الشمامسة أيضاً بلا عيب مثل الأسقف. ويُكرَموا بالأكثر، ويكونون من جملة كهنة الكنيسة] – الدسقولية الباب ٣٤

يُقام الذياكونوس – مثله مثل الأسقف – بالتزكية والاختيار من شعب الكنيسة والإكليروس، وهذا الاختيار الشعبي يؤكد ضمناً ويعلن اختيار الله.

والذياكون يجب أن يُقام على مذبح كنيسة محدد اسمها في مدينة محدد اسمها.

لكن الذياكون هو تابع مباشرة للأسقف ومرتبط به تماماً. وفي المراحل التاريخية المتأخرة أصبح تابعاً للقس/البريزفيتروس أيضاً.

والذياكون يخدم كلاً من الأسقف والقس في أثناء الخدمة الليتورجية لرفع القرابين:

[يجب على الشمامسة أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة. كل واحد من الشمامسة والإيبيذياكونيين فليلتفتوا إلى الأسقف ويعرِّفوه مَن هو المريض لكي يفتقده، لأن مقدِّم الكهنة إذا افتقده يتعزى إذا ذكره].

القانون ٤١ من قوانين الرسل (الـ ٧١)[٢]

فالأسقف هو الراعي، وأما الذياكون فمهمته هي أن يكون "عين" الأسقف، وهو الذى يعرِّفه عن المحتاجين.

صلاة رسامة الذياكون مثلها مثل صلاة رسامة الأسقف، وبعكس صلاة رسامة القس (في قوانين هيبولتيس)، تضع كل التأكيد على المهام الليتورجية للذياكون، مميِّزة بإشارة خاصة إلى علاقة الذياكون بتقديم القرابين[٣] للكاهن الخديم وقت التقدمة. هذه المهمة – أكثر حتى من مهمة مناولة الكأس أو تلاوة الإنجيل، هى امتياز خاص كان سائداً في القرنين الثالث والرابع.

---

(2) Apost. Trad. IX , 10

(٣) تشمل خدمة تقدمة القرابين جمع عطاء وتقدمات الشعب وتسجيلها كتابة: [وليكتب الشمامسة أسماء أصحاب القرابين الذين يأتون بها كل يوم، الأحياء منهم والأموات. لكي إذا صلى الكاهن يذكرهم. وهكذا يأتي الشماس بتذكارهم في ذلك الأسبوع (يوم الأحد في القداس)]– الدسقولية الباب٣٥. لذلك فخدمة الذياكونية لا تنفصل عن خدمة الليتورجية، وهو بهذه الخدمة يكون أيضاً عين الأسقف.

الدياكونوس في القرون المبكرة (القرون الخمسة الأولى)

أدى الذياكونوس في القرون المبكرة للمسيحية مهام متعددة:

١. فقد كان يوزع الإفخارستيا في احتفال يوم الأحد (يوستين، الاحتجاج الأول:٦٧).

٢. وكـان يعاون في بعض الأعمال الليتورجية الأخرى مثل المعمودية ووليمة الأغابي (التقليد الرسولى ٢١، ٢٦): [(في أثناء خدمة المعمودية) الشماس يحمل زيت الاستحلاف ويقف على يسار القس، ويأخذ شماس آخر زيت الشكر ويقف على يمينه الشماس يلقِّن المعمَّد قانون الإيمان]– قانون ٣٣ من قوانين الرسل الـ٧١

٣. كما كان يقوم بدور ضابط النظام بين المصلين داخل الكنيسة أثناء القداس الإلهى (الدسقولية ١٠:٢٩)، ويحرس الأبواب (الدسقولية ١٠:٢٣).

٤. كما كان يخدم الأعمال الخيرية للكنيسة تجاه الأرامل والأيتام (هرماس، الراعى، الأمثال ٩ :٢٦ :٢). وكان أحياناً يرعى ويعتنى بالمرضى [يعرِّفوا الأسقف من هو المريض لكي يفتقده] (هيبوليتس قانون ٣٤، المراسيم ٢ :٣٢ :١).

٥. كما كان يُكلَّف كمُرسَل إلى الكنائس الأخرى (رسائل القديس أغناطيوس: فيلادلفيا ١٠، أزمير ١٢).

٦. ويؤدى خدمات روحية للمعترفين أثناء سجنهم المنتظرين استشهادهم (كما في قصة استشهاد بربتوا ٢، ٦، ١٠).

٧. وكان يدير ممتلكات الكنيسة (القديس كبريانوس – الرسالة ٥٢ :١).

٨. وأحياناً كان الذياكونيون يأخذون مسؤلية دفن الموتى (التاريخ الكنسى ليوسابيوس ٧: ١١ :٤٢). وفي روما عُين أحد الذياكونيين على كنيسة المدافن (كتاب الهرطقات لهيبوليتس ٩ :٧).

٩. والذياكون مرتبط بالأسقف، يخدمه وينفذ تعليماته، ويقدم له التقارير عن الحالة الروحية للشعب (التقليد الرسولى ٩ :٢، ٣٠ – قانون ٢٣ من القوانين ٧١). ولذلك فهو يسمى "أذن" و"عين" و "فم" الأسقف (الدسقولية ٨ :٥٠). وهو على اتصال دائم بالشعب، يحذرهم ويعظهم، ويبحث عن المحتاجين منهم، ولا يأخذ بوجه الأغنياء (الترتيب الرسولى ٢٠: ٢٢)، (قانون ١٥ من القوانين ٧١).

١٠.وكان يحمل الرسائل الأسقفية (التاريخ الكنسى ليوسابيوس ٦ :١٩:١٩)، ويُكلَّف بمهام قصيرة أو بنقل رسائل شفوية من الأسقف أي وظائف السكرتارية (القديس أثناسيوس، الاحتجاج ٦٧).

١١.وكان يحضر مع الأساقفة للمجامع، أو قد يمثل الأسقف في حضور المجمع (التاريخ الكنسى ٦ :٤٣ :٢، ٧ :٢٨ :١) (سوزومين ٤: ١٦: ١٦).

١٢.يبشر ويعظ – مجمع أنقرا (سنة ٣١٤ م) قانون ٢.

١٣.يعاون في المحاكم الكنسية "مجالس الحكم" (المراسيم الرسولية ٢ :٤٧ :١)، الدسقولية :٨.

١٤.له دور مهم في رعــاية الخطاة التائبين الذين يُفرزون من الكنيسة أثناء فترة فرزهم :

[وليطلبوه (الخاطئ الذي أخرجه الأسقف من الكنيسة كتدبير من أجل قبوله بعد ذلك)، ويُمسكوه خارج الكنيسة، وليدخلوا فيسألوك من أجله (أي الشمامسة يتشفعون من أجله أمام الأسقف) لأن المخلص كان يسأل أباه من أجل الذين أخطأوا كما كُتب في الإنجيل: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما الذي صنعوه"]

المراسيم ٢ :١٦: ١ والدسقولية ٤:٥.

وفي القداس الإلهى يمارس أعمالاً هامة وكثيرة، ويسميه القديس ايسيذوروس البيليوزي [ذياكون "خادم" المذبح المقدس]– رسالة ٤: ١٨٨، كما يسميه القديس إغناطيوس الأنطاكي [خادم أسرار يسوع المسيح]– ترال ٢: ٣.

ومن خدماته داخل الكنيسة أثناء الاحتفال بسر الافخارستيا:

١. إعداد المذبح قبل بدء القداس الإلهى.

٢. تلاوة الانجيل (المراسيم ٢ :٥٧ :٧، الدسقولية ١٠: ٢٠)– يقول سوزومين المؤرخ الكنسى أنه في الاسكندرية كان الأرشيذياكون وحده هو الذى يقرأ الانجيل، أما في غير ذلك من المواضع فكان الذياكونيون هم الذين يقرأون (سوزومين ٧: ١٩: ٦).

٣. يعلن تعليمات العبادة للمصلين:

٤. يحذر المتخاصمين ويأمرهم أن يتصالحوا قبل التناول:

[فليكن الشماس واقفاً بجانبكم (يوجه الكلام للأساقفة) وليَقُل بصوت عظيم: "لا

يترك أحد بينه وبين أخيه لائمة ولا غشاً ولا رياء"]

(المراسيم ٢: ٥٤ :١١؛ الدسقولية ٩:٥)،

٥. وينادي على الموعوظين غير المتعمدين للخروج قبل بدء قداس الموعوظين:

[وليصرخ شماس آخر: "لا يقف هاهنا موعوظ ولا يكن هنا أحد سامع الوعظ، لايشارك في السرائر. ولا أحد غير مؤمن ولا أحد مُنشق. إمسكن أيتها النساء أولادكن. لا يَدَعْ أحد في قلبه وَجْداً لأحد. ولا يقف أحد هنا برياء. كونوا مستقيمين بالرب. وليقف كل واحد بخوف ورعدة]

قوانين الرسل الكتاب الخامس بيد إقليمس (اكليمنضس)

٦. ويعلن موضوعات الصلاة (أي مردات الأواشي) – الدسقولية ١٠:٣٦.

٧. ويدعو إلى السكوت والانتباه والإنصات قبل القراءات الكنسية – الدسقولية ١٠:٣.

٨. ويدعو إلى القبلة المقدسة.

٩. ويعطى التسريح من الكنيسة للانصراف في نهاية القداس:

[ثم يناول الشماس الكأس ويقول: هذا هو دم المسيح هذا هو كأس الحياة. ويقول متناوله: آمين. ويرتلون إلى أن يتناول جميعهم. وإذا تناولوا جميعهم، فيتناول النساء.

☩ وعند فراغ المرتل مما يُسبِّح، يصيح الشماس ويقول: نلنا من الجسد الكريم الذي للمسيح، فلنشكر الذي أهّلنا أن نشارك في سرائره المقدسة الكريمة. وبعد ذلك يصلي الأسقف ويشكر على النيل من جسد المسيح والشرب من دمه.

☩ فإذا فرغ مما يصلي، يقول الشماس: إحنوا رؤوسكم قدام الرب ليباركهم. وإذا فرغوا مما يتباركون به، يقول الشماس: امضوا بسلام (يقولها الكاهن الخديم الآن)]

قوانين الرسل الكتاب الخامس بيد إقليمس (اكليمنضس)

١٠. يأتي بالقرابين (الخبز والخمر) إلى الكاهن المحتفل بسر الافخارستيا وقت التقدمة (التقليد الرسولي ٢٣ :١، قانون ٣ :٢٠). ويقف بجانب القرابين على المذبح وبيده المراوح

ليطرد الهوام الطائرة عن الكأس المقدس (قوانين الرسل ٥٢).

١١. يُحضر الماء للأسقف والقسوس في المذبح ليغسلوا أيديهم.

١٢. كان يناول الشعب (يوستين الشهيد- الدفاع الأول ٦٥ :٥). اقتصر على مناولة الكأس.

١٣. ويناول الكأس: يضع هيبوليتس في قوانينه هذه المهمة هكذا، أنه عند شركة الإفخارستيا أيام الآحاد،

[فإن القسوس إن كان عددهم لا يكفي، فإن الشمامسة أيضاً يناولون الكأس]
قانون ٥٢ من القوانين الرسولية (الـ٧١)[4]

وعلى أساس هذا الطقس يصف القديس الشهيد إغناطيوس الأنطاكى (القرن الثاني الميلادي) الذياكونيين أنهم:

[خُدَّام "Diaconos" أسرار يسوع المسيح، وأنهم ليسوا مجرد خُدَّام طعام وشراب، بل هم خُدَّام "الكنيسة - الإكليسيا"]

الرسالة إلى ترال ١٥

١٤. وفي إقامة الأساقفة ورساماتهم، الذياكون هو الذى يُعلن ويؤكد إرادة الشعب في اختيار راعيه، ويأتي بالمرشح إلى الأساقفة لكي يرسموه، ويضع الأناجيل فوق رأسه أثناء الرسامة (المراسيم ٨ :٤ :٦).

١٥. كان الذياكون يُكلَّف أحياناً بمهام أخرى في الكنيسة، مثل رئاسة دير، ويسمى القديس كيرلس الكبير شماساً اسمه "مكسيموس" بهذا اللقب [الارشمندريت جزيل التقوى الذياكون مكسيموس] رسالة ٦٩.

١٦. ويُشبَّه الذيـاكون بعرِّيف اللاحين في السفينة الذى يراقب المجاذيف على الجانبين (رسالة كلمنضس الرومانى ١٤)، (المراسيم ٢ :٥٧ :٢)، أو "النوتي" كما سمته الدسقولية (بالعربية)[5] بالنسبة للأسقف كمدبِّر السفينة.

١٧. من حقه ألا يقف صامتاً وهو يري بعينيه أموراً ضد القوانين: في طقس رسامة رئيس

---

(4) Apost. Trad. XXIII, 5.

(٥) وليم سليمان، *الدسقولية*، ١١:٩:٥٢٣.

الشمامسة يقول الأسقف في الطلبة الطويلة الخاصة به: [... **ويعلّم الجهال ويبكّت غير المتأدبين وينتهر المخالفين ... ويأمر بما ينبغي ، ويكون مثالاً لجميع الكنيسة** ...][٦]

وفي طقس سيامة البطاركة له دور هام، تبتدئ الصلاة يوم الأحد طبقاً لقوانين الكنيسة ... ويقفل باب الكنيسة وتعطي المفاتيح لرئيس الشمامسة ليقف ببابها في انتظار البطريرك الجديد ليسلمها له ، وحال وصول السيد البطريرك يتقدم رئيس الشمامسة اليه ويسلمه المفاتيح.

وله طلبات خاصة يقولها في نفس المناسبة. فعند وضع اليد يصرخ ويقول: [**هلموا جميعاً أيها المطارنة والأساقفة وضعوا أيديكم علي أبينا المختار من الله**] فيضعون أيديهم عليه... وعندما يلبسونه الملابس الكهنوتية، في كل مرة يلبسونه قطعة من (البدلة والبطرشيل والمحارم والكم الأيمن والكم الأيسر والبُرنس) يتلو صلاة خاصة.

هذه هي بعض مهام الذياكون المتعددة، بعضها توقف إسناده إلى الذياكون لعدم رسامة ذياكونيين مكرسين. وبعضها أُوكل إلى الأساقفة والقسوس. وبعضها يقوم به الآن من يُطلق عليهم خطأ اسم "شمامسة" مع أنهم مُقامون أغنسطسيين أو أبصلتسيين غير متفرغين لخدمة الكنيسة.

القوانين الكنسية المختصة برتبة الشماس

صفات الشمامسة

معلمي البيعة [الشمامسة فليخدموا الهيكل بقلوب طاهرة وخوف وطاعة. والإيبوذياكونيون يكونون مجتهدين مهتمين بآلات مذبح الكنيسة وهم في هدوء في وسط الشعب وكذلك الشعب كله يكونون هادئين جداً. والأغنسطسيون يلازمون القراءة والصلوات ويفعلوا هذا بحكمة، ويتعلموا العلم الصحيح والمعلمون يعلّموا الأغنسطسيين كل تعليم يصلح للكنيسة المقدسة].



القديس اسطفانوس أول الشهداء
أيقونة من كنيسة أبوسرجة

(٦) ص ٧٠ من كتاب الرسامات طبعة ١٩٥٩

الفصل الحادي عشر

الشماسة في الكنيسة

ونفس الأمر الذي حدث لرتبة الشماس حدث لرتبة الشماسة. إذ اختفت هذه الرتبة تماماً.

ورتبة الشماسة مذكورة في الكتابات الرسولية الأولى:

فإذا رجعنا إلى ١ كو ١٦، لنقرأ عن الكنيسة التي في بيت أكيلا، فإن زوجته الفاضلة بريسكلا صارت هي "شماسة" "ذياكونوس Diaconus" الكنيسة في أفسس.

وهذا هو نفس اللقب المعطى لشماسة أخرى اسمها "فيبي" ذكر اسمها في ديباجة الرسالة إلى رومية (١٦ : ١): "أختنا فيبي التي هي خادمة (ذياكونوس) الكنيسة التي في كنخريا".

وقد وصف عملها بالتحديد أنها "مُساعِدة (أو مُعاونة Prostatis) لكثيرين ولي أنا أيضاً" (رو ١٦ : ٢). وكلمة Prostatis التي يصف بها بولس الرسول عمل فيبي (مُساعِدة) أصبحت تُستخدم لوصف عمل الشمامسة أيضاً وأنهم "معاونون" للأسقف (الدسقولية ٧).

دور الشماسة في خدمة الكنيسة: لخدمة النساء فقط :

وفي التنظيمات الكنسية المبكرة نجد للشماسة دوراً محدداً هو خدمة النساء. ولكن ليس لهن خدمة شخصية لأي من رجال الإكليروس. وفي هذا الأمر نذكر بالقانون الكنسي المجمعي بعدم جواز سكنى أي امرأة في مسكن واحد مع أي من الإكليروس غير زوجته (إن كان متزوجاً ما يمنع أي مساس بسمعته أو حدوث افتراء:

[على الأسقف أن يقسم شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء]
الدسقولية ١٥ : ١٤

١. مساعدة النساء المتقدِّمات للمعمودية [وقبل كل شئ لأجل امرأة تتعمد لأنه عمل غير ضروري ولا لائق أن يتأمل الرجال النساء إلا في وضع اليد فقط] – الدسقولية ١٥:١٥

٢. تعلّمنهن التعليم المسيحي. [ليقمن بتعليم النساء المتقدمات للمعمودية بدقة وحذق الأجوبة على الأسئلة التي تُطرَح عليهن في وقت المعمودية] – قانون ١٤ مجمع قرطاجنة (سنة ٣٩٨)

٣. المساعدة في إجراء التغطيس في مياه المعمودية للنساء ودهنهن بالزيت المقدس، بينما

يدهن الأسقف جبهة المعمَّدة فقط. [لكي يدهن الأسقف رأس المرأة والأنثى تصبغها المرأة الشماسة] – الدسقولية ١٧،١٥:١٥

٤. الخدمة الروحية للنساء وتمريضهن وخدمة المُسِنَّات. [والشماسة المرأة أيضاً لتكن مجتهدة أن تربح النساء وتعينهن] – الدسقولية ١٥:٢٥

٥. لا تأتي امرأة إلى الأسقف لتسأل أي شئ إلا مع الشماسة.

[وخارجاً عنها لا تأتي واحدة من النساء إلى الشماس أو الأسقف لتسأل عن أي عمل متعلق بدرجته] – الدسقولية ٤:٩

٦. إراحة النساء في الكنيسة ومراعاة نظامهن:

[وشماسات يحرسون النساء لئلا يكون فيهن قلق أو تومئ إحداهن أو تنام. وتقف الشماسات عند أبواب (الكنيسة الخاصة بدخول) النساء لئلا يخرج أحد]

قوانين الرسل بيد إقليمس– الكتاب الخامس، الدسقولية ١٠:٢٣

٧. افتقاد النسوة في البيوت.

[لأنك لا تقدر أن ترسل شماساً إلى المنازل إلى النساء بسبب غير المؤمنين. فترسل شماسة امرأة بسبب فكر الناس الأشرار]

الدسقولية ١٥:١٤

شروط إقامة الشماسة:

قديماً، كانت الشماسات يُختَرْنَ أحياناً من بين الأرامل اللواتي أُخترن لرتبة الأرامل واللواتي ذكرهن القديس بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح الخامس:

– «ولكن التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً لتُكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة، إمرأة رجل واحد (أي لم تتزوج بعد ترملها)، مشهوداً لها في أعمال صالحة، إن يكن قد ربَّت الأولاد، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتَّبعت كل عمل صالح»[٧]

---

(٧) وهنا نعود ونكرر أن شرط الزواج من رجل واحد ينصبُّ لا على "الزواج" بل على "الرجل الواحد" وهو ما يسمى "واحدية الزيجة". وقد شرحت الدسقولية سبب هذا التحديد في الفصل الثاني عشر. وهذا الوضع "واحدية الزيجة" هو

(بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية)

ولكن ليست كل أرملة تصير شماسة، بل فقط التي سُميت شماسة. وفي هذه الحالة يمتنع عليها أن تتزوج ثانية بعد اختيارها شماسة.

وهي لا تُرسم بل تُسمَّى أو تُقام: [وهي لا تُرشم بل تُجعل بالإسم] – قانون ٢٥ من قوانين الرسل ال ٧٠.

وهذا الفرق بين الأرامل والشماسات يظهر من النص التالي الخاص بوجوب خضوع الأرامل للشماسات: [فالواجب للأرامل أن تكنَّ هادئات قنوعات خاضعات للأساقفة والقسوس والشمامسة وأيضاً للشماسات]–الدسقولية ١٢: ٤٤

وأحياناً كُنَّ يُختَرْن لخدمة الشماسية من بين العذارى المتبتلات غير المتقدِّمات في السن، على شرط عدم نكث نذر بتوليتهن بالزواج بعد إقامتهن شماسات. وعندنا مَثَل الشماسة أوليمبياس (٣٦٥–٤١٠م)، التي كانت زوجة حاكم مدينة القسطنطينية. ثم ترملت وهي في مقتبل العمر، ولكنها رفضت الزواج بالرغم من إلحاح الإمبراطور البيزنطي. وقد صارت تلميذة للقديس يوحنا ذهبي الفم فيما بعد.

ولكن يمكن أن يُختَرْن أيضاً من بين السيدات التقيات المتزوجات المتقدِّمات في السن، إذا توفرت فيهن الشروط الروحية الأساسية مع روح الأمومة الروحية.

إن رتبة "الشماسة" أصبحت الكنيسة في مسيس الحاجة إلى رجوعها ثانية الآن، وعلى الأخص لخدمة ورعاية الفتيات والشابات من النواحي الروحية والتربوية والإجتماعية، ولافتقاد العائلات وربطها بالكنيسة، وتوعية أفرادها وعلى الأخص الزوجات والأمهات والبنات بما يرسي دعائم البيت المسيحي، ولعلاج الحالات المستعصية التي تحتاج إلى أمومة ورعاية وحسن توجيه ما قد يصعب على الخدام من الرجال القيام به، وما يمنع جماً من المشاكل التي تتعرض لها عائلاتنا المسيحية قبل وقوعها واستفحالها.

وكما ذكرنا في الفصل السادس *"التقاليد القانونية لممارسة سر الاعتراف"* عن خطورة ممارسة الكاهن التوجيه الروحي والإرشاد وتلقي اعتراف السيدات والفتيات عن غير خبرة روحية وحكمة روحية خاصة، فهنا يمكن للشماسة (بالشروط والكفاءات التي ذكرناها سابقاً) أن تقوم بهذا الدور تحت إشراف الكاهن، إذ أن الخادمة المرأة أقدر جداً، أكثر من الخادم الرجل، على تفهُّم والولوج إلى داخل نفوس بنات جنسها من النساء.

(بقية الحاشية من الصفحة السابقة) ————

نفسه الشرط بالنسبة للأسقف والقس والشماس إن كان المرشح لإحدى هذه الوظائف متزوجاً.

الفصل الثاني عشر

تدبير شئون الكنيسة

١ - *مقدمة*

الكنيسة كما أوضحنا سابقاً ليست مكونة فقط من الأساقفة والكهنة. بل البابا وكل الأساقفة والإكليروس والرهبان والراهبات وشعب الكنيسة يكوِّنون معاً الكنيسة في الشركة الروحية لجسد المسيح. والخدمة الكهنوتية مهمة جداً وأساسية في الكنيسة ولكنها تظل قسماً من شعب الله. وشعب الله بكل فئاته ودرجاته يرتبط معاً بما يسمى "الشركة" أو بالقبطي واليوناني "الكينونيا". فهناك دائماً وحدة واتحاد أساسي بين كلّ مستويات الكنيسة من أول درجة في الخدمة الكهنوتية إلى مستوى الشعب. هذه الوحدة الأساسية يحفظها رباط الإيمان المشترك، وتساندها المحبة، وتشترك بروح الأخوَّة التي جمعنا فيها المسيح بأُخوَّته التي تنازل وسمح فيها أن يكون لنا الأخ البكر بين اخوة كثيرين.

هذه الشركة تعنى أن كل عضو في الكنيسة: سواء من طغمة الإكليروس أو طغمة الشعب مشترِك في هذه المسئولية المشتركة لبنيان جسد المسيح. لذلك فإنه من الطبيعي جداً أن الأسقف أو الكاهن يُشرك الشعب معه في تدبير الكنيسة حتى يرفع من كفاءة خدمة الكنيسة على حسب مواهب الأفراد الأعضاء في الكنيسة. وفي الوقت نفسه هو يشهد بهذا ويعلن عن كمال جسد المسيح الواحد. وهذه الشركة تنصبُّ بالأكثر على تبادل المشورة بين الراعي (الأسقف أو الكاهن) وبين الشعب فيما يختص بالأمور التي تمس حياة الناس. فلأن الكاهن مؤتمن على توفير الخير الروحي لرعيته، وقراراته يمكن أن تؤثر في حياة الصلاة لشعبه وفي حياتهم الشخصية وآمالهم وأحلامهم في الحياة؛ لذلك، فلابد أن يستشير الآخرين قبل أن يتخذ القرارات الهامة التي تؤثر في رعيته. وليس في هذا امتهان لكرامته الكهنوتية أو تشكيك في كفاءته.

ومن جهة أخرى فالأسقف يتعامل في أمور تتصل بحياة شعب وكهنة الإيبارشية. لذلك، فالقوانين الكنسية تتطلب من الأسقف أن يستشير الآخرين قبل أن يتخذ القرارات الهامة في القضايا الحيوية في إيبارشيته (ارجع إلى: قانون المشورة والشركة في نهاية الفصل الثاني: ***من القوانين الكنسية المختصة بالحرومات***). ومن بين هذه القرارات مثلاً: اختيار كاهن جديد، تصميم وإنشاء منشآت كنسية جديدة، رسم خطة وتدبير الخدمة في الإيبارشية، ومن بينها

تحديد الحدود الرعوية للكهنة، مناقشة إيرادات ومصروفات الإيبارشية، طريقة التعامل مع الأشخاص المخالفين أو المخطئين في الإيبارشية، تنقلات الكهنة بين كنائس الإيبارشية الخ.

ومن أجل هذه المهام أُقيمت المجالس الملية (العامة والفرعية)، ولكن ليس الأمر قاصراً على مجلس رسمي منتخب بل الأمر يستدعى تنوع طرق المشورة وتعدد المشيرين الصالحين المؤتمنين ليعاونوا الأسقف بالمشورة الصالحة النزيهة فيما هو للخير الروحي لرعية الإيبارشية.

٢- نوعان من مجالس المشورة والشركة :

- مجلس الكنيسة

- المجلس الملي (وهو مجلس من أراخنة الشعب، وهو غير مجلس الشمامسة) وهذا خصصنا له فصلاً مستقلاً.

١. مجلس الكنيسة :

وتكوين مجلس كل كنيسة في الإيبارشية يكون نتيجة مشاورات يقوم بها الأسقف مع مجمع (أو مجلس) القسوس في الإيبارشية، مع الاستئناس برأي بعض أراخنة شعب الكنيسة والخدام المهتمين بشئون هذه الكنيسة. ويراعى أن يمثل هذا المجمع أهم الكفاءات اللازمة لمعاونة كاهن (أو كهنة الكنيسة) في أداء عملهم الرعوي. ويمكن للكاهن من واقع علاقاته مع شعب الكنيسة أن يرشح عدة أسماء على أن يؤخذ في الاعتبار خدام الكنيسة المكرسون وخدام مدارس الأحد وباقي خدام مؤسسات الكنيسة ليمثّلوا في هذا المجلس. فإذا ما اتُّفق على عدة أسماء منها، يصدر الأسقف مرسوماً أسقفياً بتكوين مجلس الكنيسة.

ويجتمع مجلس الكنيسة في فترات دورية، ويرأسه إيغومانس الكنيسة (من واقع مسئوليته كمدبِّر إداري لشئون الكنيسة)، فإذا ما تغيب يرأسه أكبر أو اقدم الكهنة في الكنيسة.

ويستشير كاهن الكنيسة هذا المجلس في شئون الخدمة والأمور المالية، على أن يكون هذا المجلس على صلة دائمة بشعب الكنيسة بحيث يكون الأداة الموصلة للكاهن والمجلس احتياجات الشعب الروحية وآمالهم في الكنيسة لتخدمهم روحياً كما ينبغي. ويجب أن يكون معروفاً أن هذا حق لشعب الكنيسة بل وواجب عليهم أن يعرِّفوا كاهن الكنيسة باحتياجاتهم الروحية وملاحظاتهم على شئون الرعاية ما يتصل بمنفعتهم الروحية.

ويجب أن يوضع قانون موحد لطريقة إدارة جلسات مجلس الكنيسة، واتخاذ القرارات،

وصرف الأموال اللازمة لمرتبات الكهنة ومشاريع الكنيسة المتفق عليها، وطريقة مناقشة مشاكل وشئون الخدمة الرعوية إذا استدعى الأمر، حيث أن شئون الخدمة الرعوية هي موضوع اهتمام ومسئولية أسقف الإيبارشية بالتعاون والمشورة مع مجمع القسوس ومجلس الشمامسة. لكن هناك بعض الأمور التي تمس حياة شعب الكنيسة والتي قد يحتاج الأمر إلى تبادل المشورة بين الكاهن ومجلس الكنيسة والخروج برأي مشترك واحد بخصوصها.

كما يجب تحديد نوع الصلة بين أسقف الإيبارشية ومجالس الكنائس التابعة لرعويته، وما هي الحالات التي يطلب فيها المجلس موافقة الأسقف على الصرف، وما هي حدود إمكانيات المجلس في الصرف على مشروعات الكنيسة، ومن الذى يحدد نوع التصرف في فائض إيرادات الكنيسة على مصروفاتها إذا بلغت رقماً كبيراً معيناً، وغير ذلك من الأمور والتصرفات المشتركة بين مجلس الكنيسة والمجلس الملي الفرعي وأسقف الإيبارشية.

وقد يظن البعض أن أسقف الإيبارشية له الكلمة الفصل في كل التصرفات المالية في كنائس الإيبارشية، ولكن هذا ليس هو المفروض، لأن أسقف الإيبارشية ليس هو المسئول المباشر عن مالية الكنائس. لكن القانون الكنسي يعطى للأسقف دور الإشراف العام والنظارة العامة على المسئولين الإداريين والماليين على بعض ممتلكات الكنيسة. فقانون الكنيسة يحتم مثلاً وجود من يسمى "الإيكونوموس"[1] أي مدبر البيت أو المدير المالي لإدارة أملاك الكنيسة في كل إيبارشية وكنيسة. وللأسف ضاعت هذه الوظيفة من مجال إدارة الكنيسة بعد أن كانت سائدة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القرون الأولى (راجع: *التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة*، للمؤلف، صفحة ١٢١). هذا يعنى أنه في حالة كل كنيسة في إيبارشية فهناك الإيكونوموس (وليس الأسقف) الذى يؤدى وظيفة المدير المباشر لأملاك الكنيسة.

وعلى هذا لابد أن يوضح دستور الكنيسة في أي الحالات يجب على إيكونوموس الكنيسة أن ينال الإذن من الأسقف فيما يختص ببعض التصرفات المختصة أملاك الكنيسة.

وعلى هذا يكون مجلس الكنيسة هو أحد أهم المؤسسات التي يلجأ إليها كاهن الكنيسة في أخذ المشورة والمعونة اللازمة في استخدام أموال الكنيسة، من حيث أن مجلس الكنيسة سيكون أكثر إلماماً بميزانية الكنيسة والأحوال المالية وعنده أحسن الطرق لاستخدام أموال الكنيسة بالأسلوب الصحيح.

---

(١) هذه الوظيفة ما زالت قائمة في الأديرة باسم "ربيتة" وهي النُطق المختصر الدارج لكلمة "رب البيت" وهي ترجمة "إيكونوموس" (إيكوس = بيت ، نوموس = قانون) أي المدبِّر المالي.

٢. مجمع القسوس (أو مجمع الكهنة، أو مجلس الكهنة):

إنه يضم قسوس الإيبارشية. وهو يذكرنا بأول مجمع قسوس أقامه في الإسكندرية القديس مار مرقس الإنجيلي كاروز الديار المصرية. وقد كان هذا المجمع هو الذى يدبر شئون الكرازة والكنائس والمؤمنين الجدد، وحتى بعد إقامة أساقفة للبلاد بجانب أسقف مدينة الإسكندرية ابتداءً من عصر البابا ياروكلاس (سنة ٢٣٢م) وهو أول مَنْ سمى "بابا" أي "أب الآباء"، ظل مجمع قسوس مدينة الإسكندرية قائماً، وكانوا يختارون أسقف الإسكندرية من بينهم ليكون هو بابا الكرازة المرقسية. وليس في الاستعانة بمجمع القسوس أي إنقاص من مسئوليات الأسقف بل إن من أهم كفاءات الأسقف أن يعرف كيف يستفيد ويفيد الخدمة من مؤسسات الكنيسة.

مجمع القسوس (أو أي اسم آخر يتعارف عليه الكل) هو أحد وسائط عملية المشورة لأسقف الإيبارشية. فهو ذو نفوذ، وقد أشارت إليه بعض القوانين الكنسية فيما يختص بإدارة الأملاك والأموال العامة للإيبارشية. وهناك بعض الحالات التي يُعتبر فيها قرار الأسقف شرعياً إذا كان بمشورة مجلس كهنته، كما في حالة اختيار كاهن جديد مثلاً.

وطبعاً يرأس الأسقف هذا المجلس، ويدعوه للاجتماع في فترات دورية ويؤدى مجمع القسوس دوراً هاماً في معاونة الأسقف في المهام الآتية:

١ – ترتيب الخدمة في الكنائس المتعددة في الإيبارشية.

٢ – تبادل الخبرات والآراء في المشاكل التي تقابل كنائس الإيبارشية.

٣ – ترتيب بعض الأنشطة المشتركة للكهنة مثل تحديد فترات سنوية لكل كاهن لأداء خلوة في دير بعيد لتجديد نشاطه الروحي، وعقد ندوات ومؤتمرات ولقاءات لكل أو بعض كهنة الإيبارشية للدراسة أو بحث بعض الموضوعات العامة... الخ

٤ – حل المشاكل الثنائية بين الكهنة وبعضهم البعض أو بين الكنائس في الحي أو الإيبارشية وبين بعضها البعض (وعلى الأخص إذا كانت متجاورة في مدينة واحدة أو في حي واحد)، وتصفية ما يكون عالقاً بالنفوس من مشاعر غير صحيحة. لأن وحدة القسوس في الإيبارشية أكبر معين للأسقف في خدمته.

٥ – اتخاذ بعض القرارات أو التحديدات اللازمة للرعية في مواجهة المشاكل العامة التي تقابلهم، وذلك بعد الدراسة المستفيضة واستلهام الرأي الصائب ومشورة الروح القدس الذى يحل دائماً في وسط الجماعة المتحدة بالمحبة. ولا مانع من ضم للاجتماع بعض المختصين من شعب

الكنيسة والأراخنة كمستشارين يُستأنس برأيهم وخبرتهم وعلمهم.

٦ - اتخاذ مواقف موحدة تجاه بعض ما يعرض للكنيسة والمؤمنين من ظروف صعبة، على أن يكون ذلك بمنتهى الحذر والحكمة مع حسن الشهادة لإنجيل المسيح، وذلك حتى لا تتعدد المواقف ويكون بينها مواقف غير رشيدة أو غير مرتشدة بحكمة الروح القدس. وليس من حق الأسقف أن يتخذ مواقف منفردة مع المجتمع والمشاكل المحيطة بالكنيسة بنزعة حماسية فردية تورط الكنيسة كلها فيما لا يُحمد عاقبته.

وكل هذه تؤدَّى في الاجتماع وقد ظلل عليه روح الله وامتلأ من روح الصلاة والخشوع أمام حضرة المسيح الكائن والحاضر دائماً وسطنا في اجتماعاتنا.

٣. مجمع القسوس الدائم (المستشارين):

من المفضل أن يختار الأسقف من بين أعضاء مجمع قسوسه نخبة من علماء وحكماء وشيوخ القسوس والإيغومانسيين يكونون بمثابة مستشارين له على هيئة مجمع قريب من الأسقف، أو يجتمعون معاً في مقر الأسقفية للتداول في بعض الأمور العاجلة. على أن يكون رأى هذا المجمع المصغَّر استشارياً لحين انعقاد المجمع الشامل لقسوس الإيبارشية في الأمور غير العاجلة، وتنفيذياً في الأمور العاجلة.

وفي الإيبارشيات الواسعة التخوم يمكن أن يستبدل أعضاء هذه الهيئة المصغرة كل ٥ سنوات مثلاً، حتى تتجدد الكفاءات وتتواصل المشورات الصالحة للأسقف.

ويتراوح أعضاء هذا المجمع المصغر ما بين ٦ - ١٢ عضواً حسب عدد القسوس ومدى كفاءتهم في الإيبارشيات المتنوعة، وتكون مهامه مستقلة عن مجمع القسوس العام وإن كان أعضاؤه مختارين منه. ويكون أعضاؤه على أعلى درجة من العلم الكنسي والحكمة الروحية ونفاذ البصيرة الروحية، وتتخذ قراراته بتأنٍ وصراحة وإحساس بالمسئولية الكنسية.

ويمكن لهذا المجمع المصغر أن يؤدى مهاماً أخرى في تمثيل إكليروس الإيبارشية أمام الغير، كما أنه يقوم مقام الأسقف حين نياحته أو أثناء عجزه عن القيام بمهامه لأيٍ من الأسباب، (على أن يكون هذا الوضع الأخير بموافقة المجمع المقدس).

٤. مؤتمر الإيبارشية العام :

وهذا نظام ربما يبدو حديثاً بالنسبة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر، لكنه شائع في الكنائس الأرثوذكسية في كثير من بلاد الشرق والغرب. وهو يحقق ويثبِّت روح الوحدة في

الكنيسة في الإيبارشية بمختلف كنائس مؤسساتها، ويؤالف بين أعضائها ويثبت فيهم روح الانتماء والإحساس بالعضوية في جسد المسيح.

ويستحسن أن ينعقد هذا المؤتمر العام في أحد أيام تذكارات القديسين أو الشهداء الذين استوطنوا في هذه الإيبارشية من قبل، أو ذكرى القديس الذى تسمَّى على اسمه الأسقف، حيث يكون هذا الاجتماع بديلاً عن الاحتفالات (المستحدثة والغريبة على الكنيسة القبطية) بعيد الرسامة وعيد الرهبنة وعيد الميلاد للأسقف، فهي عادات غريبة لم يكن لها وجود في حياة آباء الكنيسة القديسين القدامى (حتى أوائل القرن العشرين)، فليس في الكنيسة سوى أعياد المسيح وتذكارات القديسين، أما ما استجد فهو دخيل ولا مكان له في ترتيب طقس الكنيسة.

وبدلاً من خطب المديح التي لا نفع من ورائها إلا مضيعة الوقت وإيذاء روح النسك التي من المفترض أن يتحلى بها الأسقف باعتباره راهباً إسكيمياً يرفض مظاهر المديح والتصفيق وغيرها من مظاهر لا تتفق مع قداسة الكنيسة وجلال الخدمة وعظمة الرسالة المؤتمنة عليها الكنيسة، ووقار خدام وخادمات كنيسة الله، يمكن أن يكون هذا المؤتمر مجالاً سنوياً لعرض أنشطة الكنائس في الإيبارشية، وخبرات الخدام في شتى نواحي الخدمة، ومناقشة المشاكل المشتركة والاهتمامات السائدة والمستجدة وكيفية مواجهتها، وتقديم ميزانيات الهيئات والمؤسسات في الإيبارشية، ورؤى مستقبلية لما يرجون القيام به في العام المقبل. وفي نفس الوقت يكون المؤتمر فرصة لاستعراض آراء وملاحظات خدام الإيبارشية النافعة والبناءة التي يمكن أن يستفيد منها الجميع في شتى نواحي رسالة الكنيسة.

ويضم المؤتمر العام للإيبارشية كل إكليروس الإيبارشية، ومندوبين عن أعضاء مجالس الكنائس (إن لم يكن كلهم)، وممثلين لمدارس الأحد وللمؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة في نطاق الإيبارشية، وأعضاء المجلس الملي الفرعي. ولا مانع أن ينضم إلى كل هؤلاء أعضاء من شعب الكنائس (من كافة القطاعات أراخنة، وخدام، ووعاظ، ورهبان وراهبات من الأديرة الواقعة في حدود الإيبارشية) وغيرهم، ممن يمكن أن يشكلوا تمثيلاً جيداً لكافة المواهب والطاقات والقوى في الإيبارشية.

على أن تقدم كل هيئة أو جمعية أو تنظيم تقريراً مختصراً عن نشاطها في العام المنصرم، ورؤيتها لما تصبو إليه في العام القادم، واحتياجاتها الروحية والمادية والأدبية لتعضيد رسالتها.

وأمام مذبح الله وفي حضور الأسقف والإكليروس وتحت سحابة الشهود القديسين والشهداء المحيطين بالكنيسة المجاهدة على الأرض، يرفع الجميع صلواتهم شاكرين الله على ما تم وفات، وطالبين المغفرة عما سلف، وملتمسين المعونة لما هو آت، والمشورة الصالحة والإرشاد من روح الله الحالّ وسط الكنيسة الواحدة على فم الأسقف الذى يختتم المؤتمر بكلمة روحية بناءة

يختم بها ويعقّب على كل ما قيل واتُّفق عليه.

وطبعاً لابد أن ينبثق عن المؤتمر لجان لمناقشة موضوعات محددة متخصصة، وسكرتارية دائمة لمتابعة ما يتفق عليه أعضاء كنيسة الله الواحدة .

قانون الشركة وقانون المشورة في الحلِّ والربط

قانون الشركة مع مجمع المطارنة والأساقفة:

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة على أفراد الشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء المجمع المقدس والإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه رضا الله، وصلاح الشعب (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، وواجب الديانة (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه إساءة لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، العلنية منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، وغير المباشرة مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

ولا خلاف لهم في تجاوز الحق إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] – القانون الرسولي رقم ٢٠

قانون المشورة مع علماء الكنيسة وأراخنتها:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم المدني) على انفرادٍ واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يُعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة منه، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

ضرورة عقد المجمع لمراجعة أحكام الأساقفة ضد الإكليروس:

قوانين الرسل – الكتاب الثامن بيد إكلمنضس

الرسل ٣٧ [ليجتمع الأساقفة مرتين في السنة. وليفحصوا معاً أمور الدين، وليحلوا الخلافات الكنسية. الاجتماع الأول يكون في الأسبوع الرابع من أيام الخماسين، والثانية ثاني عشر بابه الشهر الخريفي (أكتوبر).

(نيقية ٥، خلقيدونية ١٩، أنطاكية ٢٠، اللاذقية ٤٠، قرطاجنة ٢٦].

اجتماع الأساقفة لاستئناف قضايا الحرمانات:

نيقية – ٥ [إنه فيما يختص بالذين قُطعوا من الشركة من الإكليريكيين وعوام يجب على أساقفة

الإيبارشيات أن يراعوا القانون الذى يمنع أن يقبل أساقفة آخرون مثل هؤلاء الأشخاص. على أنه يجب في الوقت ذاته فحص قضاياهم لئلا يكونوا قطعوا من الشركة بسبب حزازة (خصومة) شخصية أو خصومة أو كراهية أو غير ذلك. وبما أنه ينبغي في مثل هذه القضية إجراء الفحص اللازم، فنحن نحدد أنه يجب أن يُعقد المجمع في كل إيبارشية مرتين في السنة وعند اجتماع الأساقفة كلهم تُفحص هذه الدعاوى فحصاً مدققاً.

فالذين يظهر ذنبهم وعصيانهم لأسقفهم يشهد الجميع بأن قطعهم من الشركة أمر واجب إلى أن يرى المجمع في جلسة عامة أن يلطف الحكم الصادر عليهم. يعقد المجمع الأول قبل الصوم الكبير (استعداداً لتقديم الذبيحة الطاهرة لله بعد طرح كل حقد وبُغض). ويُعقد الثاني في فصل الخريف.]

(الرسل ١٢، ١٣، ٣٢، ٣٧، خلقيدونية ١٩، أنطاكية ٦، ٢٠، سرديقية ٢٠، قرطاجنة ٢٦، ٣٧، ٥٠، ١١٦، ١٤١).

مجلس القسوس :

نيقية ٤٧ [وليجتمع القسوس إلى أسقفهم ثلاث مرات في السنة وينظروا في كل ما يحتاجون إليه].

يجعل لكل كنيسة "إيكونوموس" ووكلاء معاونون معه:

نيقية العربية ٦٨ [يجعل لكل كنيسة "إيكونوموس" ووكلاء معاونون معه في حصر الدخل (الإيرادات) والخرج (المنصرف). ويخصص لكل واحد منهم عمل. وليحفظ لكل واحد منهم ما قد أوكل به وليقم فيه بحق الله الواجب، ولا يكون مثل العبد الخبيث الذى خزن فضة سيده ولم يتجر فيها ويربح).

إدارة أموال الكنيسة:

الرسل - ٤١ [إننا نأمر أن تكون أملاك الكنيسة تحت ولاية الأسقف. لأنه إذا كان مؤتمناً على نفوس البشر، فبالأكثر أن يؤتمن على المقتنيات، حتى أن يكون له سلطان عليها كلها، ليعول المعوزين بواسطة القسوس والشمامسة بخوف الله وبكل مهابة. وله أيضاً أن ينال منها الواجب له ما يحتاجه لضروراته وحاجات الإخوة المغتربين لديه، حتى لا يعجز عن سد احتياجاتهم. لأن شريعة الله رتبت أن الذين يخدمون المذبح من المذبح يأكلون، ولا يتجند جندي ونفقة سلاحه عليه] - (الرسل ٣٨، خلقيدونية ٢٦، أنطاكية ٢٤و ٢٥، ثاوفيلس ١٠و ١١، كيرلس ٢)

تحريم استخدام الأسقف أموال الكنيسة لنفسه أو لأقاربه:

الرسل - ٣٨ [الأسقف له أن يهتم بكل أمور الكنيسة ويعتني بها كما بمراقبة الله. ولا يجب أن يأخذ لنفسه شيئاً منها، ولا يهب منها أقاربه وإن كانوا جياعاً. ولا يتخذ ذلك حجة أن يتصرف بمال الكنيسة] - (الرسل ٤١، خلقيدونية ٢٦، أنقرة ١٨، غنغرا ٧و٨، أنطاكية ٢٤و٢٥، قرطاجنة ٣٤، ٤١]

عدم جواز استخدام أواني الكنيسة وأدواتها في *الاستعمال الخاص*:

الرسل - ٧٣ [أي كاهن أو شعبي (عضو في الشعب) أخذ من الكنيسة المقدسة شمعاً أو زيتاً فليُفرز، وليرد خمسة أمثاله عوض ما أخذ، آنية

ذهب أو فضة قدست للخدمة في الكنيسة أو كتاباً، لا يستعمل أحد لنفسه منها في بيته أيضاً لأن ذلك مخالف للقانون. وإن عُرف أنه فعل هذا فليُنتهر وليُفرز].

باسيليوس: [لأجل إكليروس يسرق أدوات المذبح.. يُدان بشاهدين ويُقطع من طقسه ولا يؤتمن فيما بعد] - ٣٥

ادعاء أحد من الكهنة ملكية شئ من أوقاف الكنيسة:

قرطاجنة ٣١ [أي أسقف أو قس أو شماس أو واحد من سائر طغمات الكنيسة انتهى إلى درجة عالية التي هي الأسقفية وكان قبل تقدمته مشهوراً بالفقر والمسكنة، ثم فيما بعد تقدمته اقتنى حقولاً أو قرى أو شيئاً يشبه ذلك على اسم الكنيسة، وجميع الناس يظنون أنه كذلك، ثم إنه ادّعى في ذلك الشيء أنه له، فينبغي أن يُفحص عن ذلك الأمر إن كان له شئ من وراثة والديه وكان يقتنيها خفية، أو إذا كان واحد من أقاربه قدّم له ذلك بعد رسامته منعماً عليه به، فإن كان الأمر كذلك، فله أن يورِّثه لمن أحب أو يتصرف فيه في حياته ويبيعه، وليس عليه في ذلك جناح. ولكن إن لم يكن الأمر كذلك وثبت أن ذاك من مال الكنيسة، فلا يُمكن منه البتة، بل هو للكنيسة دونه].

تعليق: هذا القانون هام جداً، وبالنسبة للأسقف إذا كان راهباً فلا ملكية خاصة له، وأي هدايا تقدّم له من عقارات أو أراض... الخ فهي تكون في حيازة الكنيسة وملكاً لها.

عدم جواز التصرف في أملاك الكنيسة أو الدير إلا بشروط:

قرطاجنة ٢٦ [كل ما يكون للكنيسة أو لدير من عقار ومزارع وبساتين أو أبنية أو ما يشبه ذلك، فيجب ألا يُباع منه شئ إلا أن يكون قد لحق الكنيسة أمر ضروري أوجَب بيع شئ من ذلك. فيُستأذن فيه مقدّم الإيبارشية أعني المطران، وليُرسل إليه ثلاثة أساقفة ليشهدوا على تلك الحاجة إن كانت صحيحة فيما احتاجته الكنيسة لبيع ذلك. فإن كان الكرسي خالياً من مطران فيحضر جميع أساقفة الإيبارشية وليكونوا شاهدين على ذلك الأمر الذى يوجب بيعه.

فإن جسر أحد من الأساقفة أو الكهنة وعمل شيئاً على غير ما حددناه، كان غريباً أولاً من وصايا الله ونواميسه. وأمرنا فيما بعد بقطعه من درجته] - (الرسل ٣١ و ٤١، أنقره ١٥، أنطاكية ٢٤، كيرلس ٢).

الفصل الثالث عشر

حياة التكريس في الكنيسة

الأنماط المختلفة في حياة التكريس

منذ العصور الأولى للمسيحية كان هناك من المسيحيين مَنْ كرّسوا أنفسهم لاتّباع المسيح بالممارسة الحرفية لوصايا الإنجيل. وبمرور الوقت بدأ هؤلاء المكرسون في تجميع أنفسهم في مجموعات صغيرة حتى يعطوا لنمط حياتهم نوعاً من التجانس والتناسق.

لكن البعض يظنون أن نمط الكهنوت أو الرهبنة هو الشكل الوحيد للحياة المكرسة في الكنيسة، ولكن هناك أنماطاً أخرى من دعوة التكريس غير هاتين الدعوتين: أي الرهبنة والكهنوت، ولابد أن تتبناها الكنيسة لأنها تكمل رسالتها وتساهم في امتداد ملكوت الله:

١ – التكريس في تبتل وفي الحياة وسط المدن وبنفس الزي المدني العادي.

٢– التكريس في تبتل وفي الحياة وسط المدن ولكن بزي مميز خاص.

وخدمة النوعين السابقين بعيدة عن خدمة العائلات وتتركز في خدمات الكرازة والإغاثة وبين الطبقات البائسة والمحتاجة إلى خدمة المحبة.

٣ – التكريس في الحياة الزيجية، مع الاحتفاظ بالوظيفة المدنية، وبنفس الزي المدني.

هذه الأنماط الثلاثة من حياة التكريس بالرغم من تميُّزها إلا أنها تشترك في عوامل واحدة، ولكل نمط من النمطين الأول والثاني دستوره وقوانينه ونظامه الداخلي وطريقة اختيار قادته وإدارته. ولابد للكنيسة الخادمة ممثلة في أساقفتها وكهنتها من رعاية هذه الأنماط واحتضانها ليكون نشاطها مكمِّلاً ومتكاملاً مع نشاط الإيبارشية العام.

ويلاحظ أن هذه الأنماط الثلاثة تتكون من أعضاء في شعب الكنيسة الذى ليسوا من رتبة الكهنوت السرائري المقدس. كما أنهم يعيشون وسط المدينة ليخدموا كخميرة تحوِّل المجتمع الذى يخدمون فيه من خلال خدمتهم الكرازية. والنمطان الأولان يشتركان (مثل الرهبنة) في نذور التكريس الثلاثة: العفة، الفقر، الطاعة.

ومكرِّسو الأنماط الثلاثة يلتزمون بالوصايا الإنجيلية وبالعبادة المشتركة، والنمطان الأولان

يشتركان في التزام حياة الشركة التامة في الاحتياجات اليومية.

ويتميز النمط الثالث بأنه يمارس التكريس ليس بتغيير الوظيفة المدنية، بل بتغيير نمط الحياة اليومية لتكون في اكتفاء بالقوت اليومي «إن كان لنا قوت وكسوه فلنكتفِ بهما» (١تي ٦:٨)، وبالتزام الحشمة والاقتصاد في استخدام أدوات الترفيه والزينة وغيرها مما تشيع في أوساط العائلات ليكونوا نموذجاً حياً وقدوة صامتة للحياة المسيحية الكاملة، وفي علاقاتهم بعضهم بالبعض واتصالهم الروحي ولقاءاتهم العائلية يلتزمون بالأحاديث البناءة ودراسة كلمة الله والصلاة والتسبيح، أما خدمتهم فهي تتركز وسط العائلات وبالنسبة للسيدات والشابات فمع الفتيات الصغيرات والشابات على الأخص، ومعالجة حالات الخلافات العائلية والطلاق والنزاعات الأسرية. ويؤدون كل هذا بروح الصلاة وبالاسترشاد بكلمة الله وبكل الأساليب الروحية الممزوجة بالخبرة الحياتية اليومية.

هذا النوع من التكريس منتشر ولكن بصورة متفرقة ودون أي تنظيم يجمعهم، وهو يحتاج إلى رعاية الكنيسة واحتضان الأب الكاهن لهم مع الحكمة في التعامل معهم والقدرة على إدماج هذه العائلات في خدمة النفوس ومن أجل الخير الروحي للمؤمنين.

ونعرض في الصفحات التالية قانون أول بيت للتكريس البتولي أُقيم في يناير ١٩٥٩.

وثيقة[1]

لائحة بيت التكريس لخدمة الكرازة

(يناير ١٩٥٩)

أولاً : أهداف البيت واختصاصاته :

١ – تهيئة خدام بتوليين مكرسين للقيام بالخدمة في الكنيسة.

٢ – إيجاد حقل صالح لتربية المبادئ المسيحية العملية التي تنسجم مع المجتمع والوطن.

٣ – ترجمة كتابات الآباء وطبعها ونشرها.

٤ – نشر الثقافة الروحية في نشرات ومقالات وعظات دورية من المختصين.

٥ – توجيه روحي للأمناء والخدام.

ثانياً : أعضاء البيت :

١ – أعضاء أسرة البيت بتوليون.

٢ – يبقى العضو ستة أشهر في البيت كضيف وبعدها يُزكّى من بقية الأعضاء جميعاً لقبوله عضواً دائماً.

٣– للعضو أن يزاول مهنته الخاصة على أن يكون لديه فترة كافية من الوقت للامتلاء الروحي وللخدمة.

٤ – قانون البيت "من لا يشتغل لا يأكل".

٥ – يقوم الأعضاء بالصرف على نواحي الحياة المختلفة وتبعات البيت والخدمة.

٦– على البيت أن يتحمل واجبات الصرف على أسر الأعضاء المحتاجة في حدود إمكانياته المالية.

ثالثاً : نظام البيت :

(١) عن اللائحة الأصلية التي صدرت عام ١٩٥٩ مع إنشاء "بيت التكريس لخدمة الكرازة"، (غير مطبوعة)

١ – للبيت نظام روحي من حيث الصلوات الطقسية والفردية والخلوات المؤقتة والكاملة.

٢ – لكل عضو الحق في قضاء فترة محددة بأي دير ينتخبه للاستزادة من روح التجرد الكامل والهدوء.

٣ – للبيت اجتماعات عامة محددة للأعضاء :

أ – للدراسة.

ب – للكلمات الروحية من الأب الروحي.

جـ – لمناقشة شئون البيت وشئون الخدمة.

رابعاً : شروط العضوية

١ – يُعدُّ سجل بأسماء أعضاء البيت وتقام صلاة خاصة لكل عضو عند تثبيته في عضوية البيت.

٢ – لا يُقبل الطلبة.

٣ – لكي يكون للبيت وحدة الفكر يستحسن أن يكون العضو قد نجح في مراحل دراسته المختلفة مع استثناء ذوى الكفاءات الروحية وذوى المواهب من هذا الشرط.

٤ – للأب الروحي حق قبول الأعضاء الجدد بعد اعترافهم واختبارهم وذلك بصفة مبدئية. أما قبول العضوية الدائم فيكون بعد ستة شهور بإجماع آراء الأعضاء.

٥ – البتولية شرط أساسي دائم للحياة في البيت.

٦ – ليس لأي عضو أن يتكلم في المبادئ العامة باسم البيت قبل أن يتم فترة الاختبار ويصير عضواً كاملاً.

٧ – للبيت مبادئ مسيحية أرثوذكسية مفصلة في النواحي الروحية والاجتماعية والوطنية لا يخرج عنها العضو في حياته الخاصة أو العامة.

خامساً : العلاقات العامة :

١ – علاقة البيت بالكلية الإكليريكية علمية فقط.

٢ – علاقة البيت باللجنة العليا لمدارس الأحد علاقة تعاون فقط.

٣ – علاقة البيت بالكنيسة علاقة بذل وتضحية في جميع ميادين الخدمة في حدود وضعه البتولي.

٤ – علاقة البيت بالوطن علاقة بذل وتضحية في أي ميدان وطني أو اجتماعي.

سادساً : الدراسات :

١ – للبيت دراسات منتظمة بدون امتحانات يقدمها أساتذة زائرون.

٢ – تنظَّم محاضرات ثقافية عامة تضم أعضاء البيت وبعض المدعوين من شخصيات خاصة في مواعيد منتظمة كل شهر.

٣ – للبيت أن يرسل بعثات تثقيفية للخارج.

٤ – يعطَى للكتاب المقدس المكانة الأولى في الدراسات الفردية والجماعية.

٥ – للأب الروحي كلمة روحية كل مساء من الكتاب المقدس يمكن أن تُطبع وتُنشر.

٧ – يُعمل للبيت مكتبة عامة ذات وجهة ثقافية واضحة وتشمل :

(أ) الاهتمام بشرح الكتاب المقدس والعقيدة والطقس.

(ب) كتابات الآباء (الباترولوجيا).

(ج) اقتناء صور للمخطوطات الهامة التي لها صلة بروحيات الكنيسة.

(د) الكتب الثقافية العامة من الناحيتين الاجتماعية والفلسفية.

(هـ) الاشتراك في كبرى مجلات العالم ومصر.

سابعاً : المجلة :

للبيت مجلة تصدر كل شهر تحوى الحديث الأسبوعي والحديث اليومي.

ثامناً : الضيافة :

١ – المقابلات الشخصية :

(أ) تحديد ميعاد سابق للمقابلة.

(ب) تحديد مدة المقابلة على أن يكون لها حد أقصى.

(ج) توجد أوقات خاصة للبيت تُمنع فيها المقابلات.

(د) يُهيأ مكان خاص للمقابلات.

٢ - الزائرون :

(أ) تقسيم الأسبوع على عضوين أو أكثر للقيام بواجبات الزائرين.

(ب) تجهيز مطبوعات عن نشاط البيت وخدمته تُهدى لكل زائر.

(ج) معاملة الزائرين معاملة واحدة كريمة مهما كانت درجاتهم أو عقائدهم.

(د) تحديد مواعيد الزيارة.

٣- الغرباء :

(أ) تهيئة مكان خاص لمبيت الغرباء وإطعامهم بمفردهم بمعرفة العضو المسئول عن الضيافة.

(ب) تُحدد الواجبات التي يلزم مراعاتها من الزائر والغريب من حيث سلوكه داخل البيت وخارجه وعدم اتصاله بأعضاء البيت إلا في غرفة الزيارة وبعد أخذ موافقة المسئول.

(ج) زيارة الغرباء تُحدد مع البيت قبل المجئ.

(د) في حالة الطوارئ يُكتفَى بيوم وليلة فقط.

(هـ) تخصص الإقامة للخدام والمتصلين بالخدمة فقط.

٤ - الاخوة الأحباء المترددون على البيت :

(أ) تُخصص لهم غرفة خاصة للراحة والاستجمام والهدوء.

(ب) تُقدم لهم وجبات فردية.

(ج) يُعدُّ دفتر زيارات يقيد فيه أسماء المترددين.

تاسعاً : علاقة العضو بأسرته :

١ - للعضو أن يبيت في منزل أسرته لأي ظرف طارئ أو واجب يراه هو مناسباً.

٢ - لا يُحرم العضو من مباشرة التزاماته العائلية من زيارات ومجاملات ورعاية.

الباب السابع

المجلس الملي ، أو مجلس الأراخنة

الفصل الأول

نؤمن بكنيسة جامعة

من بين معاني الكنيسة الجامعة: أنها تجمع أعضاء الجسد المتنوعة المتميزة في جسد واحد.

والكنيسة، الجسد الواحد، فيها الشعب وفيها الإكليروس. وكلاهما رتبتان في الكنيسة فكما الإكليروس هو رتبة في الكنيسة، فالشعب "اللاؤس" هو رتبة في الكنيسة [حسب تعبيرات آباء الكنيسة].[1] فرتبة شعب الله ينالها الإنسان المؤمن فور معموديته ورشمه بالزيت المقدس في سر المسحة المقدسة وينال بهذه الرتبة نعمة البنوة لله والانخراط في شعب الله المسمى بالأمة المقدسة والكهنوت الملوكي والجنس المختار (١بط٢: ٩). ومن بين أعضاء هذه الرتبة يُنتخب المختارون للكهنوت المقدس لينالوا رتبة خدمة المذبح المقدس.

رباط الكنيسة هو: الشركة في الروح القدس:

وقد جرى تقليد الكنيسة منذ عصر الرسل وعبر العصور والأجيال، أن يكون الرباط الذي يربط بين الإكليروس والشعب هو رباط "الكينونيا" أي "الشركة" المؤسسة على شركة الروح القدس الذي يحل على الكنيسة كلها (إكليروساً وشعباً) وهي مجتمعة حول سر الإفخارستيا، بحسب طلبة الكنيسة: [اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن ننال من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً.... اذكر يا رب سلامة كنيستك الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية] - أوشية السلامة.

وحدة الكنيسة تظهر للعالم: كيف؟

هذه الشركة التي يُغدقها الروح القدس على الكنيسة في سر الإفخارستيا تُعلن وتُظهر الكنيسة جسد المسيح في وحدتها وجمالها وطهارتها وسط العالم. فالكنيسة لا تصير هي الكنيسة جسد المسيح إلا بالشركة في جسد المسيح. وهي وإن كانت تصير جسد المسيح داخل أسوار الكنيسة، إلا أنها خارج أسوار الكنيسة تُعلن للعالم أنها جسد المسيح من حقيقة وحدة الكنيسة وواقع تآلفها، ومحبة أعضائها بعضهم للبعض، والتئامهم معاً للعمل والخدمة في شتى المجالات

---

(١) قداس القديس كيرلس - صلاة خضوع للآب [يا الله الذي أحبنا هكذا وأنعم علينا برتبة البنوة لكي نُدعى أبناء الله].

والخدمات والأنشطة والتدابير واتخاذ القرارات، لتتداول وتتبادل الرأي وتتخذ القرارات، ثم لتعلن في كل هذا، من خلال وحدتها الداخلية، بشارة الإنجيل في عمقها وسموها وغايتها، متحققة على مستوى الواقع العملي اليومي في المحبة والتسامح وطهارة السلوك واستقامة الحياة، والحرص على كرامة أعضائها أمام الله وأمام الناس.

لذلك، فإن الشركة بين الإكليروس والشعب في تدبير شئون الكنيسة ليست سوى أداة الإسهام البشرى المتواضع في الكرازة بالإنجيل الذي يؤيده ويسنده ويقويه عمل الروح القدس الذي يحوِّل هذا الجهد البشرى المتواضع إلى قوة روحية جبارة لتجديد النفوس. ومن جهة أخرى فإن وحدة الرتبتين (رتبة شعب الله ورتبة الإكليروس) أو انقسامهما يؤثر إيجاباً أو سلباً على مهمة الكنيسة التي تأسست من أجلها، وعلى مهام الإكليروس في خدمة الكنيسة هذه وعلى مسيرة شعب الله السائح في برية هذا العالم ليبلغ ملكوت الله الأبدي.

المبادرة المباركة في أواخر القرن الماضي:

وتحكى قصة نشأة فكرة المجلس الملي في أواخر القرن التاسع عشر قصة الأُلفة والتناغم الواجب أن يقوم بين الإكليروس والشعب في تدبير شئون الكنيسة هكذا:

[بعد نياحة البابا ديمتريوس الثاني (البابا ١١١) في عام ١٨٧٠م، تولى نيافة الأنبا مرقس مطران البحيرة وقتئذ منصب القائمقام البطريركي لحين رسامة بطريرك جديد. ولكنه بقى قائمقاماً لمدة أربع سنوات وتسعة أشهر وأثناء هذه الفترة (وبالتحديد في عام ١٨٧٢م)، جمع الأنبا مرقس بعض أبنائه من الأقباط المخلصين ليشاركوه في إدارة شئون الكنيسة وانتخب منهم مجموعة توفرت فيها شروط اللياقة والنعمة وصاروا يباشرون أعمال إدارة شئون الأقباط مع نيافته بكل محبة واحترام][٢]

هذا النموذج الأول لمبادرة الإكليروس بمد يد الشركة والمشاركة مع الشعب "لإدارة شئون الكنيسة"، يجسد مجدداً معاني الشركة التي تحدثنا عنها، ويمتد بالتقليد الكنسي الذي عاشت عليه الكنيسة القبطية عشرين قرناً من الزمان، هذا التقليد لا بد أن نحافظ عليه، ونجاهد ونتعب حتى نسلمه للأجيال القادمة. إنه تقليد مشاركة الشعب والإكليروس في "إدارة شئون

---

(٢) عن مقال "المجلس الملي: ماضيه، حاضره، مستقبله" للمهندس سمير مرقس – مجلة مدارس الأحد عدد يناير وفبراير ١٩٨٤ والنص بين القوسين " " عن كتاب *"الإيضاحات الجلية.."* تأليف إبراهيم بطرس سنة ١٨٩٣.

الكنيسة"[٣]

ولا شك أن "شئون الكنيسة" التي كانت في السبعينيات من القرن الماضي قد تغيرت، بل تشعبت وتكاثرت وتنامت جداً في أواخر القرن الحالي مع تكاثر وتنامي شعب الكنيسة، وتشعُّب وامتداد وجودهم الجغرافي، ومع تعدد وتنوع خدمات الكنيسة لهم القائمة والواجبة. كل هذا حري أن يدفعنا دفعاً للإصرار والتصميم على مواصلة هذا التقليد الكريم. وليت تكون المبادرة في هذه المواصلة تأتي أيضاً - كما أتت في القرن الماضي - من جانب الإكليروس وبنفس هذه الأريحية وبذات الدافع النبيل وتلك المشاعر السامية المتجردة من أي دافع ذاتي التي أظهرها المتنيح الأنبا مرقس مطران البحيرة.

على أن لنا بعض الملاحظات التي نريد أن نتذاكرها حول هذا الموضوع:

١ - معنى الوحدة: الوحدة في التعددية:

ما نود أن نلفت إليه أنظار الجميع هو أن الوحدة والشركة والتناغم لا تعنى التطابق والمطابقة ولا التشابه والمشابهة بين الأفكار والآراء ووجهات النظر كأنها نسخ كربونية واحدة من الرأي الواحد ووجهة النظر الواحدة فليس هذا هو ناموس الخليقة، لا الخليقة العتيقة ولا الخليقة الجديدة في المسيح، بل إن ناموس الحياة بل وجمالها، يكمن في التميز والتعدد والاختلاف. فالتكامل لا يأتي إلا من خلال اختلاف الآراء و تنوع الأفكار و تعدد وجهات النظر، ومن عملية التفاعل بين هذه التعددية الفكرية الرؤيوية ينبع التكامل والكمال و ينكشف الصواب، ويُعلن الحق في معظم أوجهه وتتواصل الحياة وتنمو وتتقدم وتزدهر، وهذا هو سر جمال الخليقة.

فليس مطلوباً من الجماعة المجتمعة التصديق والتصفيق للرأي الواحد ووجهة النظر الواحدة، كما ليس مطلوباً التضاد والتخالف في الآراء لمجرد التضاد والتخالف. لكن الذي يطلبه الله منا جميعاً - إكليروسا وشعباً - هو أن يقدم كل منا الرأي الصائب ووجهة النظر الدقيقة المدققة، ما يكشف عن هذا الجانب من الحق أو ذاك ويوفر نصيباً من الخير والصالح للكنيسة كلها؛ كما لا يصح أن يكون هناك الرأي الأوحد أو الحق المطلق أو وجهة النظر المنفردة التي تُفرض قسراً على الآخرين، ما يجبر البعض على أن يرفع ضدها ما يسمى بـ "المعارضة"، تلك الكلمة الغريبة على ناموس وقاموس الحياة الكنسية المسيحية القائمة على "كينونيا" "الشركة" في الروح القدس.

---

(٣) ارجع إلى قوانين الكنيسة المختصة بمشاركة الشعب مع الإكليروس في إدارة شئون الكنيسة في نهاية هذا الفصل.

ولكن عوضاً عن ذلك فليكن كل واحد وبحسب تعبير القديس يوحنا ذهبي الفم[٤] "شريك رأي" يُسهم برأيه، ويقبل الآخر ليُسهم برأيه هو أيضاً.

٢ - الوحدة تتطلب مجهوداً:

هذه الصورة في المشاركة ليست سهلة فإن ما يسمونه "المعارضة" هي السهلة، وانتقاد الأخطاء هو السهل، وهدم أي رأي هو في منتهى السهولة، لكن كل هذا لن يبلغ بنا إلى الوحدة. لكن الصعب الذي يجب أن نركبه، هو أن نقدم الرأي الصواب مقابل الرأي الخطأ، ووجهة النظر السليمة مقابل وجهة النظر غير الدقيقة، والحل الأمثل مقابل المشاكل العويصة. وكل هذا يحتاج إلى جهد منتهى الجهد في التفكير والدراسة والبحث والرجوع للمصادر والأصول وتقليب الآراء والأفكار. وقبل كل شئ ومع كل هذا، الصلاة الحارة والتأمل العميق في شريعة الله، لنتقصي الحقيقة والمشيئة الإلهية. فنحن لسنا "مِلّة" ولا "طائفة" كما يُفهم من اسم "المجلس الملي"[٥] لكننا كنيسة الله العلي التي تأسست على صخرة الإيمان بابن الله الحي، وزادُنا وينبوع حكمتنا هو كلمة الله، وملجأنا وحمانا هو في الصلاة والتضرع، وكل هذا في إطار الوطن الواحد - مصر - ذي القومية الواحدة والدستور الواحد والنسيج الوطني الواحد.

٣ - بعض الاختصاصات ولّى، والكثير منها هلّ :

وفي الجانب الآخر ،ليس هناك مجال لنفي وجود "الاختصاصات"، فاختصاصات المجلس الملي في القرن الماضي تغيرت حقاً لكنها لم تتلاشَ. فمن بين اختصاصات المجلس الملي[٦] :

١. إدارة الأوقاف القبطية. وعمله في هذا يختلف عن عمل هيئة الأوقاف القبطية لأن المجلس الملي منوط به إدارة الأوقاف أما هيئة الأوقاف فمنوط بها الإشراف على هذه الإدارة. ويدخل فيها إدارة أملاك البطريركية.

---

(٤) انظر نص هذا الاقتباس في نص "الشركة بين الإكليروس والشعب" للقديس يوحنا ذهبي الفم.

(٥) لذلك نقترح أن يتغير هذا الوصف للمجلس من: "المِلّي" إلى "الكنسي" فهذا أقرب وأنسب لعمله داخل الكنيسة. وكلمة "ملة" تركية تعنى "أمة قومية". وقد كان في الإمبراطورية العثمانية "الأمة القبطية" و"الأمة اليونانية" و"الأمة الصربية"...الخ ولكن هذه التقسيمات الإثنية (القومية) تلاشت الآن داخل الوطن الواحد باستقلاله وسيادته على أرضه وعلى كيانه الواحد.

(٦) رجعنا إلى المراجع التالية بخصوص اختصاصات المجلس الملي: ***المجلس الملي العام تاريخه اختصاصاته أعماله***، للمهندس يوسف سعد وكيل المجلس الملي، مايو سنة ١٩٦١؛ ***لائحة ترتيب واختصاصات مجلس الأقباط الأرثوذكسيين العمومي والتعديلات التي أدخلت عليه***، مطبعة رمسيس، بدون تاريخ؛ ***القرارات الجمهورية الصادرة بإنشاء هيئة أوقاف الأقباط الأرثوذكس***، هيئة أوقاف الأقباط الأرثوذكس، بدون تاريخ.

٢. إدارة المدارس القبطية التابعة للبطريركية والإشراف عليها. وهي قسمان: المدارس العلمية، والمدارس الدينية أي الكليات الإكليريكية واللاهوتية.

٣. النظر في الشئون المالية والإدارية للكنائس والأديرة.

٤. الاهتمام بالجهاز الإداري والفني بالديوان البطريركي.

٥. يشترك مع قداسة البابا في انتخاب المجلس الإكليريكي للفصل في الدعاوي التي تُقام حسب قانون الكنيسة.

ولأن نصف أعضاء المجلس يُنتخبون كنوّاب عن الشعب القبطي، فمن بين أهم مهام المجلس الملي:

٦. الاهتمام بالمسائل القبطية العامة والتفاهم المتبادل مع المسئولين، باعتبار المجلس يعمل باسم الشعب القبطي ولمصالحه باعتباره الهيئة الرسمية التي تنوب عنه في المحافظة على حقوقه والدفاع عنها. وذلك حتى يتفرغ الإكليروس لخدمة الصلاة وعمل الرعاية ويتفادى الاحتكاك بالمسائل العامة التي قد لا تكون مناسبة لهيبتهم الدينية في البلاد.

٧. المحافظة على تنفيذ قوانين الكنيسة المتعلقة بقبول الرهبان بالأديرة ورسامة القسوس وترقيهم للرتب الكنائسية ومراقبة سيرهم. ويدخل في هذا الاختصاص الاشتراك في انتخاب الأساقفة والبابا البطريرك.

بالإضافة إلى ما استجد من ظروف وأحوال استدعى تغير الكثير من الاختصاصات والأعمال والمهام التي يقوم بها أعضاء المجلس ليسهموا في عمل الكنيسة، مما استدعى ظهور اختصاصات جديدة ومجالات عمل ومهام جديدة ربما لم تكن معروفة في القرن الماضي.

وليس المجال هنا أن نعدد هذه الاختصاصات الجديدة. فكل ذي عقل مستنير وقلب يضطرم بحب الكنيسة يستطيع أن يرى ماذا يمكن أن يجتمع حوله أعضاء جسد الكنيسة الواحد ليتبادلوا فيه الآراء والأفكار والآمال، فأمامهم خريطة الكنيسة القبطية بشعبها وكنائسها وأنشطتها ومجالات خدمتها التي تنامت وامتدت في أواخر القرن العشرين. فإن كان بعض الاختصاصات قد ولّى فهناك ما هو أعمق وأكثر وأهم منها قد هلّ، وهو ينتظر من قرائح الأقباط وعقولهم المستنيرة وروحهم الوثابة المزوجة بأحاسيسهم الروحية الطاهرة أن تحققه في القرن الواحد والعشرين. فخدمة الكنيسة فيها من المجالات المحتاجة إلى العمل الدءوب والمواهب والقدرات والطاقات الكامنة في شعب الله، والتي يدعوها الله أن تنطلق لتخــدم كنيستها وتبذل

من أجلها، كما خدم وبذل آباؤنا الأقباط على مدى العشرين قرناً الماضية، سجّل لهم تاريخ الكنيسة ما خدموه وبذلوه بحروف من ذهب وكلمات من نور، فقط أعطوهم الفرصة ليخدموا كنيستهم ليعبِّروا عن إيجابيتهم وانتمائهم لجسد الكنيسة النابعة من عضويتهم في جسد المسيح الواحد.

ولكن نعرض هنا لبعض الأعمال الهامة الجديدة (بالإضافة إلى المهام القائمة فعلاً) والتي يمكن للمجلس الملي أن يقوم بها:

بعض الاختصاصات والمهام الجديدة المقترحة:

وهي حول خروج المجلس الملي من قاعات الاجتماعات ومن العمل الروتيني الثابت إلى صفوف الشعب القبطي ليمتزج بآلامه ويتحسس احتياجاته.

١. **الاهتمام بأبناء الكنيسة في المهجر والاتصال المستمر معهم**، أولاً لربطهم بكنيستهم الأم وبوطنهم مصر، وللتداول معهم في شئونهم وما يهمهم من شئون أقباط مصر، ولترتيب اللقاءات والرحلات والندوات التي تجعلهم على اتصال بالكنيسة في مصر بكل رجالها وقادتها ورموزها، وكذا مع الرجال المسئولين بالدولة وبالهيئات السياسية الشعبية. حتى حينما يعم التواصل والتعارف تنتهي التساؤلات حول الموضوعات التي تشغل الأقباط في المهجر تجاه أقاربهم وذويهم من أقباط مصر.

٢. **العمل بالتنسيق مع أبناء الكنيسة من رجال الأعمال الأقباط على إنشاء مشاريع ومؤسسات** تسهم في فك أزمات الشباب وبطالة الخريجين وتعثر المُقبلين على تكوين الأسر الجديدة وغيرها من المشاكل التي تواجه الأقباط والمصريين عموماً في هذه الأيام.

٣. **تكوين لجان من الأسر القبطية التقية لمعالجة المشاكل الأسرية** التي إذا تفاقمت تدفع الأسرة إلى الانهيار ثم التشتت. ويكون ذلك بالتعاون مع أسقف الإيبارشية أو كهنة الكنائس ولجانها وخدامها. إن هذا العمل من أهم ما يمكن للمجلس الملي العام والمجالس الفرعية القيام به. ونعتقد أن هذا العمل يجدر بالأراخنة والعلمانيين أن يقوموا به أفضل وأنسب من قيام أسقف واحد به (وهو من الرهبان وله حدود في التعامل مع هذه الحالات)، في كل أنحاء الكرازة المرقسية.

٤. **أن يكون المجلس الملي نواة وملتقى للقاء المفكرين والمثقفين ورجال الصحافة الأقباط** ما يجعلهم على اتصال بأحوال الكنيسة والمشاكل التي تقابلها والآمال والأهداف التي ترنو إليها

الكنيسة في خدمتها سواء لشعبها أو للشعب المصري عموماً. وهذا يجعل من المجلس الملي حلقة اتصال فعّالة وحيوية بين الكنيسة والمجتمع والدولة.

وبهذا وبأكثر من هذا يمكن للمجلس الملي أن يؤدي للكنيسة والمجتمع أجلَّ الأعمال والخدمات.

٤ – احترام الشعب لإكليروسه حقيقة واقعة:

كما أنه لا مجال للتشكيك في احترام الشعب القبطي لإكليروس الكنيسة. فالشعب القبطي كله وبدون استثناء – وبدون أية مبالغة – هو أكثر شعوب العالم والكنائس الأخرى احتراماً وإجلالاً وأمانة لإكليروس الكنيسة ومقدساتها وكرامة أسرارها وطقوسها وإلهية أساسها.

فقط، لنُعطِ الفرصة للجميع ليعبِّروا عن أمانتهم ومحبتهم للكنيسة ولآبائها القديسين وتعاليمهم المروية للنفوس، تلك الأمانة والمحبة التي ورثوها عن آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم، ولنعطهم الفرصة ليعبِّروا عن آرائهم ووجهات نظرهم حتى ولو كانت غير آرائنا ووجهات نظرنا [٧]. فاختلاف الآراء لا يعني عدم الاحترام، بل بالعكس يعني الأمانة والاحترام للجماعة المجتمعة بالإسهام الإيجابي لما فيه مصلحة الجماعة. لذلك فليس من بين بروتوكولات وسلوكيات الاجتماعات استئثار أحد بحق الفرض أو الرفض للآراء.

فقط، ليقدم الإكليروس القدوة والمثال الصالح في التجميع وإعطاء الفرص للآخرين بالمحبة والتسامح والوفاق والمصالحة والتصالح والوئام والترابط بين بعضنا البعض. وسيرى الجميع الثمر متكاثراً وافراً والمجد لله معظماً: فالثمر هو من الله ولله، والمجد يجب أن لا نقدمه إلا لله وحده.

---

(٧) انظر رأى القديس يوحنا ذهبي الفم في الفصل التالي.

من قوانين الكنيسة عن مشاركة الشعب مع الإكليروس في تدبير شئون الكنيسة

قانون المشورة مع الأراخنة:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم المدني) على انفرادٍ واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

يجعل لكل كنيسة "إيكونوموس" ووكلاء معاونون معه:

نيقية العربية ٦٨ [يجعل لكل كنيسة "إيكونوموس" ووكلاء معاونون معه في حصر الدخل (الإيرادات) والخرج (المنصرف). ويخصص لكل واحد منهم عمل. وليحفظ لكل واحد منهم ما قد أوكل به وليقم فيه بحق الله الواجب، ولا يكون مثل العبد الخبيث الذى خزن فضة سيده ولم يتجر فيها ويربح].

شرط إجراء الحرم على أحد: المشورة مع أراخنة وعلماء الشعب:

الدسقولية ٤ [فإن عَدِم الشفاء فيفحص شديد وحرص ومشورة أطباء علماء[٨] اقطع بغم وحزن العضو الذى فسد لئلا يُفسد باقي الأعضاء. فقد كُتب: اقلعوا الشرير من بينكم.]

مسئولية شعب الله عن سلامة الكنيسة:

[لأن خرافي وكباشي خليقة عاقلة وليست غير عاقلة (أي ليست بكماء). فلا يقول عضو شعب الله إني خروف ولست براعٍ وليس لي عمل. لأن الخروف إذا لم يتبع الراعي الصالح، فهو يكون طعاماً للذئاب ليهلكوا - فهكذا أيضا من يتبع الراعي الشرير، فإن موته ظاهر قدامه، وهو يهلك من قِبَله (أي بسببه). لأجل هذا يجب علينا أن نهرب من الرعاة المهلكين.

فأما الراعي الصالح فليكرمه الشعب بالأحرى، ويحبه ويخافه كأب ورب وسيد ورئيس كهنة لله ومعلم للعدل ...] - الدسقولية: ٤: ٣، ٣٢،٣١

(وللمزيد من أحكام وأمثلة مشاركة الشعب مع الإكليروس في تدبير وخدمة الكنيسة، إرجع إلى: كتاب *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، القسم الأول: الكنيسة شعب الله، من ص ٢٧ - ٦٥)، وكذلك بند "دور الشعب في حضور المجامع"، ص ١٧٥ - ١٧٧.

---

(٨) هذا هو أسلوب وشرط القطع: أخذ مشورة الأطباء الروحانيين العلماء من شعب الله.

من تعاليم آباء الكنيسة عن:

الشركة بين الإكليروس والشعب

في تبادل الرأي واتخاذ القرارات

للقديس يوحنا ذهبي الفم[1]

بطريرك القسطنطينية

(٣٤٤ - ٤٠٧م)

[إن صلاة الكنائس هي التي حررت بطرس من الأغلال (أع١٢: ٥-١٧)، وهي التي فتحت فم بولس ليكرز بكلمة الله (كولوسي٤: ٣).

- وأصوات الكنائس هي التي انتخبت الرجال المكرسين للوظائف الروحية، وليس بأية طريقة عشوائية (أع٦: ٥). ولذلك فإن الذى كان يعزم أن يرسم أحداً للكهنوت، كان يطلب صلوات المؤمنين، وأصواتهم هي التي كانت تعطى الموافقة بمناداتهم للمنتخب: أكسيوس، مستحق.

وفي هذه المناسبات التالية يبدو الكاهن لا يفترق في شئ عن رعيته:

✠ فمثلا عند التقدم للتناول من الأسرار المقدسة، فإننا جميعا نُحسب أهلا للتناول معاً. فالذي يوضع على المذبح هو جسد المسيح الواحد المبذول عن الجميع، وكذلك الكأس الواحد. وبعكس ما كان يجرى في العهد القديم حين كان الكاهن يأكل من الذبيحة أجزاءً لا يأكل منها الشعب، فإن في العهد الجديد الكاهن والشعب يأكلون من نفس الجسد الواحد ويشربون من نفس الكأس الواحدة.

✠ وفي الصلوات أيضا نرى كيف أن الشعب يشترك في أدائها مع الكاهن. ففي الصلوات التي تقام على الممسوسين بالأرواح وعلى التائبين، تُرفع الصلوات مشتركة بين الكاهن والشعب، والكل يتلون نفس الصلاة الواحدة الخاشعة. وبعد أن يختار الكاهن قربانة الحمل من بين القرابين تُتلى صلاة رفع القربان ثم نسجد جميعاً معاً ثم نقف جميعنا معاً. وحينما نتبادل قبلة السلام فجميعنا نتبادلها. وفي أثناء التقديس يصلى الكاهن من أجل الشعب ويصلى الشعب من أجل الكاهن والاثنان يطلبان السلام بعضهما لبعض "سلام لجميعكم"، "ولروحك أيضا".

✠ أما صلاة الإفخارستيا فيؤديها الجميع، فليس الكاهن وحده الذى يقدم الشكر بل ومعه الشعب كله بقوله: "فلنشكر الرب" هكذا يقول الكاهن، ويرد الشعب من ورائه: "مستحق

(١) العظة ١٨ من شرح ٢كو ٨: ١٦- ٢٤، عن مجموعة: N & P.N. Fathers 1st series, Vol. XII P. 365 - 367

ومستوجب" ثم تبدأ صلوات الإفخارستيا.

المبدأ الرسولي في مشاركة الشعب مع الإكليروس:

إني أقول كل هذا لكي يكون كل مؤمن واعياً أننا كلنا جسد واحد وأن اختلافنا بعضنا عن البعض هو فقط كاختلاف العضو في الجسد عن العضو الآخر.

لذلك لا ينبغي أن نلقى بكل العبء على كاهل الكاهن: بل لننظر إلى أنفسنا كأعضاء في جسد مشترك هو الكنيسة كلها.

انظر كيف كان الرسل يُشركون المؤمنين في قراراتهم. فحينما أقاموا السبعة الشمامسة استشاروا الشعب أولاً (أع ٦: ١- ٦). وحينما اختاروا متياس الرسول (بدلا من يهوذا) استشاروا كل الذين كانوا حاضرين، الرجال منهم والنساء (أع١: ١٥-٢٦).

فهنا لا نجد حكاما مغرورين ولا شعباً خانعاً بل رئيساً روحياً يسعى إلى خير الجماعة، الأمر الذى يتطلب العمل الشاق، لا البحث عن الكرامات. الكنيسة يجب أن تحيا كأسرة واحدة، والكل يجب أن يتصرف كجسد واحد، كما أنه توجد معمودية واحدة ومذبح واحد وجرن معمودية واحد وخليقة واحدة وآب واحد.

لماذا نحن منقسمون؟

لماذا إذاً نحن منقسمون إن كان هناك الكثير الذى يوحدنا؟ لماذا نحن نتمزق؟ إننا ننوح ونبكى على نفس الأمور. إن حالنا قد أصبح محزناً. إننا منقسمون الواحد على الآخر، بينما كان ينبغي أن نحيا في وحدة الجسد الواحد.

لابد أن يكون الأكبر قادراً على الانتفاع من الأصغر.

إن كان موسى قد تعلم من حميه شيئاً نافعاً لم يكن هو يعرفه من قبل، فكم وكم ينبغي أن يكون هذا في الكنيسة؟ ولماذا أدرك غير المؤمن (يثرون حمو موسى الذى كان وثنياً) شيئاً لم يكن يدركه الإنسان الروحي (موسى)؟ ذلك لكي يفهم كل الشعب أن موسى إنسان بشرى.

وانه حتى لو كان موسى قد شق البحر وضرب الصخرة (فأخرجت ماءً) إلا أنه يظل في حاجة إلى نعمة الله. فإن هذه المعجزات لم تكن من فعل طبيعته البشرية بل من قوة الله.

والآن، إذا لم يُبْدِ واحد من الجماعة ما هو نافع، فليقف الآخر ويتكلم بما هو نافع. فإن كان هذا الآخر أقل منزلة لكنه قدَّم المساهمة النافعة فلنوافق على رأيه. ولكن لا تحتقره لأنه أقل منزلة.

فإنه لم يكن يثرون حمو موسى أقرب إلى موسى من أي واحد من الشعب، لكن موسى لم يأنف من أن يسمع له، بل بالعكس أخذ بنصيحته واقتنع بها[٢]. بل إن موسى سجل هذه الواقعة ولم يخجل من أن يكتبها بيده في سفر الخروج لكي

---

(٢) إذ قال له يثرون حموه: "ليس جيدا الأمر الذى أنت صانع، إنك تكل أنت وهذا الشعب الذى معك جميعا، لأن الأمر أعظم منك. الآن اسمع لصوتي فأنصحك... أنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء .. فيقضون للشعب كل حين .. وخفف عن نفسك فهم يحملون معك" (خروج١٨: ١٧-٢٣) وقد أمره الله بعد ذلك بتنفيذ وصية يثرون (عدد١١). وقد صارت هذه الواقعة والخبرة هي الأساسي الكتابي والتقليدي لمشاركة الشعب للرئيس الروحي في تدبير شئون الكنيسة ويسمى هؤلاء في التاريخ الكنسي بمقدّمي الشعب أو الأراخنة أو الرؤساء.

يقضي على كبرياء الكثيرين ويجعلها سبب منفعة للآخرين.

فيا ليتنا لا نهمل الذين يقدمون لنا النصيحة النافعة حتى وإن أتت من العلمانيين (يقصد اللاؤس أي شعب الكنيسة غير المنخرط في سلك الكهنوت)، أو من أي شخص أقل منزلة. كما لا ينبغي أن نجعل ما نقترحه نحن هو الذى يسود ويُفرَض.

سلوكيات وبروتوكولات الاجتماعات و اتخاذ القرارات:

لا تقل : "لماذا تدعونني إلى اجتماع إن كنتم لا تطيعون ما أقوله؟".

هذا اعتراض لا يصدر عن شريك في الرأي أو ناصح بل عن مستبد. الناصح وشريك الرأي له الحق فقط في أن يبدى رأيه الخاص. فإن ظهر ما هو أنفع لكنه صمم على أن ينفذ رأيه، فهو لم يعد مشيراً أو شريك رأي بل مستبداً، كما قلت.

فلا نتصرف، إذاً، هكذا. بل فلنحرر أذهاننا من كل كبرياء وجهالة، وليتنا لا نضع في اعتبارنا أن نجعل أفكارنا الشخصية هي التي تسود، بل الرأي المتفق عليه هو الذى يسود، حتى ولو لم نكن نحن الذين اقترحناه.

إن كل العائلات والدول والكنائس التي يكون نهجها هكذا، ستزدهر أكثر فأكثر ويكون لها الحياة الأفضل هنا في هذه الحياة والخيرات الأبدية في الدهر الآتي.]

(راجع: "بروتوكولات إقامة وانعقاد المجامع المقدسة"، كتاب: *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* ، ص ١٧١-١٨١)

الباب الثامن

الكنيسة والسياسة والوطن

الكنيسة والسياسة والوطن

هذا موضوع في منتهى الأهمية ولابد أن يتحدد في دستور الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ذلك لأنه يمس موضوعات عدة:

١ – الجميع متفق على أنه لا خلط بين السياسة والدين.

٢ – أن الأقباط سواء في مصر أو في خارج مصر لا يمكن أن يكونوا شريحة سلبية في وطنهم مصر أو في دول المهجر.

٣ – في مصر، الأقباط نشطون في دعم والإسهام في كل قضايا الوطن حسبما تفتح لهم الأبواب، أو لا تستعصي عليهم الأبواب. وهم إيجابيون يعملون بكل ما ورثوه من صفات مشهورة عنهم: الأمانة، الدقة وعلى الأخص شئون المال والاقتصاد، سعة الفكر، الابتكار، الطموح، وليس في ديانتهم وتدينهم ما يمنعهم من الولوج في أي مجال أو حقل من مجالات وحقول الفكر والثقافة والعلم... الخ.

٤ – لقد انتفت فكرة أن "الأقباط أقلية"، فهم "شريحة" في المجتمع المصري تترافق وتتزامل وتتعاون مع باقي شرائح المجتمع. ولا يقيَّم الأقباط بتعدادهم العددي بل بإسهامهم الإيجابي ومواهبهم وقدراتهم التي يرجع الفضل فيها إلى عوامل وراثية وأخرى مكتسبة. وإن لتديُّنهم وتمسكهم بكنيستهم الأرثوذكسية الفضل الكبير في سماتهم ونبوغهم.

لذلك فحينما نتكلم في هذا الباب عن موضوع "الكنيسة والسياسة والوطن" لا نقصد الكنيسة – الأقباط كأعضاء شعب الكنيسة، بل نقصد الكنيسة – طغمة الإكليروس بالذات، لأن تحديد العلاقة بين رجال الإكليروس وبين السياسة والدولة على أكبر قدر من الأهمية.

ماذا يمكن أن يقدِّم الدين والكنيسة للسياسة:

الواجب الأساسي للكنيسة تجاه الوطن أن تساعد السياسة في رؤية نموذج عملي لما يجب أن يكون عليه العالم، فتقدم نفسها كنموذج حي. فقبل أن تنقد الكنيسة النظام الاجتماعي في إطار السياسة يجب أن تكون قادرة على إعلان الخليقة الجديدة في حياتها. فتكون قوة إنسانية تجذب العالم نحو مستقبل أفضل. فلا تكون صامتة في وجه الظلم والعنف (ليس فقط ذلك الواقع

على أعضائها وهذا عيب كبير أن تحصر الكنيسة مجهودها في دفاعها عن أعضائها فقط) بل على كل الفئات والشرائح في المجتمع وفي العالم أجمع. فتكون صوتاً لمن لا صوت لهم ومحامياً عن الفقراء ومعيناً وغوثاً للجميع في أوقات الأزمات القومية. ونقرأ في تاريخ الكنيسة المبكر أن بابا الكنيسة القبطية في القرن الثالث (البابا ديونيسيوس – سنة ٢٤٧) دعا المسيحيين للخروج إلى الشوارع لإنقاذ صرعى وباء الطاعون الذين كانوا يملأون شوارع الإسكندرية وقاموا بعمل إنساني عام لمواطنيهم من الوثنيين في نفس الوقت الذى كانوا يصطلون فيه بنيران الاضطهاد الروماني الوثني.

أما النموذج الثاني لما يمكن أن تقدمه الكنيسة للمجتمع من قدوة فهو حياتها الداخلية إذا قامت على حياة الشركة بين أعضائها وما يتبعها من تآلف وتشاور بين الإكليروس والشعب في كل أمور تدبير الكنيسة ورعايتها، واستغلالها لكل طاقات ومواهب أفراد الشعب، وشيوع المحبة والسلام بين صفوفها، وانتفاء المخاصمات والشجار والتشهير العلني والخفي، وعدالة أحكامها وقضائها الذي تفصل به المشاكل الداخلية للكنيسة. وقبل كل شئ التحلي بحياة الطهارة في صفوف قادتها وطغمات خدامها ورهبانها وشعبها رجالاً ونساءً، ما يجعل الكنيسة بمثابة منارة نور وسط ظلمة الفساد الأخلاقي والتدني الثقافي والاجتماعي وتفاقم المشاكل الاقتصادية في المجتمع.

إن مصداقية الكنيسة في دفاعها عن المظلومين والمضطهَدين والمسحوقين من كل دين وجنس تتأكد من سجل طهارة حياتها الداخلية، أفضل ألف مرة من الاحتجاجات والشكاوى والمسيرات والتذمر من اضطهاد أعضائها. فالكنيسة، إكليروساً وشعباً، وُضعت في العالم لتكون هكذا قدوة ونوراً وأخاً أكبر وحضناً أبوياً لكل شرائح وفئات المجتمع وليس لأعضائها فقط.

أما إذا نظرنا إلى الأقباط بالنظرة الفئوية الضيقة كأقلية مضطهدة ومظلومة ومسلوبة حقوقها، حينئذ فلابد أن نضع حدوداً صارمة بين العمل الطقسي الديني للإكليروس، وبين تدخلهم ومواجهتهم في شئون السياسة ومن بينها المطالبة بالحقوق الضائعة والمسلوبة للأقباط.

وهنا نقول في هذه الحالة الأخيرة:

+ إنه بحسب اتجاه الكنيسة الأرثوذكسية **ليس لقادة الكنيسة من الإكليروس أن يتدخلوا في مهاترات ومعارك الشكوى من الاضطهاد الفئوي أو المطالبة بالحقوق**. بل يُترك ذلك لأراخنة الكنيسة "العلمانيين" الذين يشغلون المناصب العليا في السياسة والفكر والاقتصاد... الخ. ليكونوا هم حلقة الاتصال مع رجال الدولة ومع الأجهزة التنفيذية والتشريعية لفض النزاعات

الطارئة والمشاكل الأساسية مثل: بناء الكنائس والوظائف.. الخ. وسيكون أداؤهم أكثر فاعلية واحتراماً وإثماراً.

❖ لذلك لابد أن يستعيد المجلس الملي العام والمجالس الملية الفرعية دورهم الضائع في أن يكونوا هذه الحلقة في كل إيبارشية.

❖ بل ومن المفضل أن تتسع الحلقة لتشمل المزيد من رجالات الأقباط الحكماء العاملين في المؤسسات العامة والخاصة ممن لهم فكر وصوت مسموع في الدولة ممن ليسوا من أعضاء المجالس الملية الذين لم يعودوا بحق "نواباً" عن الأقباط كما تحددت صفتهم في قانون المجلس الملي العام. وفي هذه الحالة لابد أن يكون لهذه الهيئة الجديدة المتسعة نوع من الكيان القانوني الذى يستطيع أن يكون له دور في هذه المشاكل التي أرقت الأقباط كما أرقت أجهزة الدولة الرسمية وغير الرسمية على مدى أكثر من قرن من الزمان.

النموذج الثالث في أداء الكنيسة كإكليروس دورها تجاه الوطن هو أن الإكليروس باعتبارهم ممثلين للكنيسة كقائدة وكمرجع للإيمان المسيحي لا يمكنهم أن يتكلموا هكذا - ببساطة - كأفراد في شئون السياسة، أولاً لأن رجل الدين بعد رسامته لا يعود له الرأي الشخصي، فما يُدلي به من آراء في السياسة محسوب على الكنيسة مهما قال إن هذا رأي شخصي. فإذا اضطر اضطراراً، فلابد أن يبني رأيه على رأي المختصين في السياسة من أهل السياسة في شعب الكنيسة. ثانياً لأنهم سيظهرون بمظهر أصحاب النظرة الحزبية الفئوية الضيقة المدافعين عن أتباع ومصالح دينهم فقط.

لذلك فإن كان للإكليروس دور في السياسة، فذلك لن يكون بالقفز إلى ساحة السياسة بالتصريحات أو بالمواقف السياسية أو بترشيح أنفسهم كأعضاء في المجالس النيابية مثلاً في مجلس الشعب أو المجالس المحلية، بل بأن يجعلوا شعب رعيتهم على قدر كافٍ من القدرة على تحسين الحياة الإنسانية لمجتمعاتهم والرقى بها. فكلما عمَّ التعليم بإنجيل المسيح: إنجيل المحبة والمغفرة والمصالحة والأمانة والطهارة والصدق والبذل والتضحية على مثال بذل المسيح نفسه عن العالم.. الخ وتطبيق ذلك أولاً في الحياة العملية للإكليروس وللشعب، كلما أدى هذا إلى غرس وتطعيم الحضارة الإنسانية الراقية في مساحات واسعة من المجتمع التي يسود فيها حالياً قانون الغابة. إن بلوغ هذه الغايات هو عمل الشعب المسيحي أو المواطنين المسيحيين، والإكليروس هم المؤتمنون على حث رعيتهم في كل كنيسة وإيبارشية على بلوغ هذه المُثُل بالقدوة الصالحة أولاً، ثم بالوعظ.

فالكنيسة تؤدى واجبها تجاه الوطن من خلال الشعب المسيحي، ولكن بشرط أن يؤمن الإكليروس بأهمية وجود العلمانيين وخدمتهم كأعضاء في شعب الله مثلهم تماماً مثل الإكليروس، فيجعلونهم قادرين على تحويل المُثُل المسيحية إلى مواقف سياسية إيجابية لصالح الوطن، وتصير إسهاماتهم ظاهرة وواضحة في الحياة العامة. ولا يعود أحد يشتكي فيما بعد مما يسمونه "سلبية الأقباط في الحياة العامة".

وهكذا فإن الكنيسة تكون حينئذ مؤدية لواجبها الوطني من خلال شعبها الذين يجب أن يجتهدوا هم أيضاً ليترجموا إيمانهم المسيحي إلى مواقف سياسية بناءة في الوطن.

وتظل الكنيسة – كإكليروس – مدافعاً باسم المسيح عن السلام والعدالة والمحبة بين كل الفئات والشرائح في الوطن والعالم أجمع.

أما النموذج الرابع لدور الكنيسة تجاه السياسة والوطن، فهو يظهر في مواجهتها للشرور التي تعم العالم. ولكن لا يعني هذا أن على الكنيسة أن تتخذ مواقف راديكالية متسرعة ضد الشرور والحروب والصراعات والمظالم في العالم. إن هذه المواقف يجب أن تكون مرتشدة ومؤيدة بروح الله وبعد فحص وتمييز: بالصلاة من الإكليروس وبالدراسة المتأنية العميقة من أعضاء الكنيسة المتخصصين. ويجب أن يقتصد قادة الكنيسة جداً في إلقاء التصريحات واتخاذ المواقف تجاه هذه الأمور. حتى – إذ تكون تصريحاتهم ومواقفهم متأنية عاقلة – تستحق الاحترام من الجميع، ولا تُتهم الكنيسة بالعاطفية أو بمجاراة التيارات السياسية المحلية المتشددة السائدة أو الآراء الرسمية والحكومية. فيجب أن تكون الكنيسة أعلى من اتخاذ المواقف الجزافية أو التصريحات المتسرعة، بل تكون صاحبة الرؤية الثاقبة والنظرة المتأنية بالرجاء فيما سيكون، بقوة الروح القدس الذي فيها.

ولكن أولاً يجب أن تكون الكنيسة هي المجتمع الروحي للأشخاص الذين يرتبطون بعضهم بالبعض بالمحبة والسلام والعدالة كما يتفق مع صورة الله الثالوث الأقدس. فإن وجود مثل هذا المجتمع الروحي في كل بلد ودولة خير معين للعالم والرؤساء والسياسيين ليقتربوا أكثر فأكثر من صورة المجتمع النظيف الطاهر المتطور إلى الأمام.

وإن كانت الكنيسة تريد أن تكون الصوت المسموع بجدية، فلابد أن تكون هي الكنيسة التي ترفض العالم بكل شهواته وبعدم إنسانيته (ولا تجاري ما يحدث في العالم الذي حولها من خصومات وحروب ومنازعات وما يتبعها من مآسٍ ومشاكل).

فمصداقية الكنيسة ورسالتها في الساحة السياسية، تعتمد ليس على ما تعلنه وتقوله، بل

على ما تفعله وتتصرف به. أعمال الكنيسة هي سند مصداقية وأصالة رسالتها وليس العكس.

في كنائس المهجر والدول الأخرى:

أما في كنائس المهجر. فلابد أن تلتزم الكنيسة في كل الكرازة المرقسية بدستور الكنيسة الأم، وإكليروسها يؤمنون بنفس القيم والمبادئ التي تسير عليها الكنيسة الأم.

أولاً: ينبغي أن تحرص الكنيسة في أي مكان - في مصر أو خارجها - على الالتزام برسالة الكنيسة الأرثوذكسية وهى تقديم المسيح وإنجيل المسيح كإنجيل المغفرة والخلاص. وحتى إذا كانت الأنشطة الثقافية والاجتماعية لازمة، فلابد أن تكون في خدمة الكرازة بإنجيل المسيح وليست بديلاً أو موازياً لها. فالمهمة الأساسية للكنيسة أن تجدد العالم بقوة روح الله من أجل الدخول في ملكوت الله. وبهذا المبدأ فإن انشغال الإكليروس بالأيديولوجيات والمواقف السياسية هي ممارسات بشرية تجعل الكنيسة تحيد عن رسالتها. وهذا مما يضعف الكنيسة ويشتت أعضاءها عنها. وهذا ما أعلنته إحدى كبريات الجرائد الأمريكية في ولاية نبراسكا إذ قالت بالحرف الواحد في افتتاحيتها:

> **"الكنائس القوية في نشاطها السياسي والاجتماعي وبالتالي الضعيفة في جانبها الروحي كثيراً ما تجد أن أعضاءها ينفضون عنها، وغالباً ما يتجهون إلى الطوائف الأصولية"[1].**

ذلك لأن أي إنسان يدخل الكنيسة، يدخلها ليجد فيها شخص المسيح الحي بخلاصه وحياته الأبدية ونِعَمه التي يُسبغها على المؤمنين.

والذي نقصده هنا من بند "أولاً" هو خطورة انشغال بعض إكليروس كنائسنا في المهجر بما يتصرف به بعض أفراد الجالية القبطية بالمهجر نحو هموم ومشاغل الأقباط في مصر بطريقة تخلو من التعقل والكياسة والحكمة (وهم قلة)، ولكننا نرى أن ليس لرجل الكنيسة من الإكليروس لا في مصر ولا في خارجها أن يتخذ مواقف أو يقود مسيرات سياسية ولا أن يشترك فيها لأسباب نجملها فيما يلي:

---

(١) هذا النص عن مقال كتبته "هيلين بوساليس **Helen Boosalis** عمدة مدينة لينكولن في ولاية نبراسكا بأمريكا - وهي يونانية الأصل أرثوذكسية من المهاجرين اليونان في أمريكا، عن مقال:

- Christian Faith Facing Politics, in the Greek Orthodox Theological Review, vol. 37, No. 1 - 4, P.94

١- إن الإكليروس في الكنيسة القبطية تكرسوا لتقديم الصلوات والقرابين أمام الله من أجل سلام العالم ومدنهم التي يسكنون فيها. فرسالتهم الصلاة والحث على الصلاة والعمل بما يتوافق مع الصلاة. فإذا كنا نصلى من أجل "رئيس شعبنا" في مصر، فلا يتوافق مع هذه الصلاة الاشتراك في أية مواقف تسئ إليه وإلى وطننا مصر.

٢ - إن رجال الإكليروس يتلقون تعليماتهم من الكنيسة الأم في مصر. فأية إساءة إلى "رئيس أرضنا" يقودها أحد الإكليروس في أي مكان في مصر أو خارجها يسئ إلى الرئاسة الكنسية في مصر كأنه تلقى تعليماته منها، فيضعها في موقف المساءلة والإحراج، وهذا أمر يسئ الأقباط جميعاً.

٣ - إن مشاغل وهموم الأقباط في مصر لا تحلُّها المسيرات أو إساءة استقبال "رئيس دولتنا" في دولة أجنبية، بل بالعكس سوف تؤدى إلى عكس ما يدَّعيه منظمو هذه المسيرات والاحتجاجات، فاحترام "رئيس أرضنا" وهو ضيف على أرض غريبة يعكس ما جُبل عليه الأقباط من سجايا وفضائل ووطنية. ولا يصح لرجال الإكليروس أن يقودوا أو ينساقوا وراء من يقومون بعمل يتنافى مع معالم وسجايا وفضائل كنيستنا وأقباطها، ويتضاد مع رسالتهم التي رُسموا من أجلها أساقفة أو قسوساً.

ثانياً: إن هناك - بدلاً من الانشغال بالسياسة غير المجدي، بل والمؤذى لأقباط مصر، مهمتان هامتان عاجلتان لابد أن تبدأ كنائسنا في الخارج في إنجازهما قبل فوات الأوان:

الأولى: أن تنتبه كنائسنا وتعد العدة لرعاية الأجيال الصاعدة وللأجيال ما بعد الصاعدة. أي أن الأجيال الصاعدة الآن يغلب عليها تقريباً الطابع الأمريكي أو الأوروبي أو حسب القومية التي تعيش فيها. ونقول "تقريباً" لأنه مازال هناك آباء وأمهات أقباط يستطيعون أن يربوا أبناءهم وبناتهم التربية القبطية الروحية التقليدية التي تحفظ لهم روحانيتهم القبطية وترابطهم بهويتهم الوطنية المصرية. لكن الأجيال ما بعد الأجيال الصاعدة ستكون أمريكية قلباً وقالباً، وستعتمد روحانيتهم على مدى أصالة وعمق التربية القبطية الروحية التي نقلوها عن والديهم (الذين هم الآن الأجيال الصاعدة).

أما هويتهم المصرية فسوف تعتمد إلى حد كبير على سلوك والديهم والمواقف والمجهودات التي تتخذها الكنيسة تجاه الوطن الأم: مصر. وإن دوام اقتناع الأجيال الصاعدة والصلة مع الوطن والهوية المصرية ذات أهمية بالغة جداً. لأن الكنيسة الأم بما تضمه من مؤسسات تقليدية مثل الأديرة والتراث القبطي القديم كله والأدب القبطي المنشور والتقاليد الكنسية من طقسية إلى

اجتماعية، كل هذه مازالت هي النبع الذى يجب أن تنهل منه كنائس المهجر وتتشبع به. ولينظر الجميع إلى كنائس اليونان والأرمن والروس والصرب والسريان وغيرهم وكيف أنهم على صلة قوية بكنائسهم الأم بالرغم من ذاتية رئاستها إدارياً Autocephalous في هذه الكنائس التي في المهجر، وكيف أنهم ما زالوا يتلقون المدد اللاهوتي والروحي من مؤسساتهم القديمة في اليونان وروسيا وسوريا ولبنان وصربيا ورومانيا وغيرها.

ولكننا – على وجه العموم – نعترف بأن المجهود الإيجابي الذى تقوم به كنائسنا عموماً في المهجر حالياً في هذا المجال مثير حقاً للإعجاب وندعو له من الله بالبركة والمعونة، ولكن نرجو منه المزيد والحذر من السلبيات التي أشرنا إليها.

الثانية: ليس عبثاً هاجر الأقباط إلى دول الغرب. ففي تدبير الله الضابط الكل أن هجرة هذه النفوس والعقول القبطية الرائعة وإن كانت قد بدت وكأنها خرجت للسعي وراء الرزق، لكن الله يشاء من ورائها ما هو أقوى من ذلك فإنه ينتظر منهم رسالة أقدس. فإن المسيحية في الغرب بالرغم من ازدهارها وغناها المادي لكنها فقدت الكثير من روحانية الشرق وأصالة العقيدة والرؤية الباطنية لقديسي الشرق. ولعل هذا يرجع بحسب العلماء اللاهوتيين الغربيين أنفسهم إلى أن الفلسفة المسيحية الغربية فقدت تراث الروحانية الشرقية من حياة تأمل وسكون والتوقان إلى الشركة في الطبيعة الإلهية، وانبهرت بعلم النفس واعتبروه بالنسبة للإنسان الغربي معجزة وبديلاً لروحانية السكون والتأمل الروحيين والشركة في الطبيعة الإلهية. لذلك فإن أقوى رسالة يمكن أن تُقدّم للغرب من خلال الكنيسة القبطية في المهجر هي الكرازة بالحياة المسيحية النسكية في أصالتها وعمقها كما عاشها آباء الكنيسة الأقباط في المدن والقرى والأديرة على حد سواء.

وإنه وإن كان قد سبقنا هذا المضمار المهاجرون من الروس أولاً ثم اليونان، إلا أن مهاجري كلتا الكنيستين قد كرزوا لكنائس الغرب بالحياة المسيحية كما عاشها آباؤنا الأقباط نحن. فمن يدرس كتابات اللاهوتيين والفلاسفة الروس المهاجرين في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وغيرها من خلال معاهدهم اللاهوتية: معهد القديس فلاديمير في نيويورك وكلية الصليب المقدس ببروكلين ومعهد القديس سرجيوس في باريس، يجد أن جل مراجعهم والنماذج التي يقدمونها للغرب هم آباؤنا الأقباط: أنطونيوس وبولا وباخوميوس ومقاريوس وآمون وأبا نوفر وغيرهم، بينما لم تدخل المسيحية إلى بلاد الروس إلا منذ ١٠٠٠ عام فقط أي بعد نياحة هؤلاء العمالقة القديسين المصريين بسبعمائة أو ستمائة عام من الزمان.

فأية قوة وأصالة وتأثير ستكون لكرازة الكنيسة القبطية لمسيحيي الغرب حينما يكتشف هؤلاء الأخيرون أن أمامهم أحفاد أنطونيوس وبولا وباخوميوس ومقاريوس وآمون، وأنهم أتوا من عقر دار هؤلاء القديسين وقد عاشوا في مناسكهم وصلوا في بيعهم وكنائسهم التي مازالت بقاياها قائمة شامخة عامرة إلى الآن.

فما أعظم الرسالة الملقاة على عاتق كنيسة أقباط المهجر إكليروساً وشعباً، وفيهم كما نعلم يقينا من يقدر أن ينجز ويقوم بهذه المهمة خير قيام.

والرب يشدد ويعين ويدعو ويرسل. ولاشك أن هناك من يعمل وينجز والرب معهم جميعا.

إننا نرى أن هاتين المهمّتين جديرتان وكافيتان لتشغل أذهان وتستأثر بمجهودات كنائسنا في المهجر.

أما مشاغل وهموم أقباط مصر، فأقباط مصر وشعب مصر كله كفيل بحلها بمجهودات أراخنة وعلماء ومقدمي شعبها ورجالات السياسة والفكر العائشين داخل ديار مصر بحكمتهم وبمعونة الله سند ومعين الكل.

من قوانين الكنيسة:

كانت الكنائس ملجأ للعبيد لعتقهم:

قرطاجنة ٨٠ – (وأن يُلتمس من الملك المؤمن أمراً من أجل العبيد الذين يلتجئون إلى الكنيسة يلتمسون الحرية لشدة ظلم مواليهم لهم فيطلبون العتق. فإذا أحب الأسقف أن يعتق أولئك العبيد ولا يمكن مواليهم من أخذهم إياهم من الكنيسة، فلأجل ذلك يلتمس من الملك ما يدفعونه في ذلك (أي الفدية لعتق وتحرير العبيد).

شتم الرؤساء المدنيين:

قوانين الرسل – ٨٤ (الذى يشتم ملكاً أو رئيساً خلافاً للحق والعدل، فإن كان كاهناً فليُحط، وإن كان شعبياً (من الشعب) فليُفرز).

الباب التاسع

العلم اللاهوتي الأرثوذكسي

مُقدّمة

المنهج الأكاديمى وعلومنا اللاهوتية

المدرسة الاكليريكية في العصر الحديث نشأت في الكنيسة القبطية كمواجهة مع الغرب (البروتستانت والكاثوليك وإرسالياتهما لمصر لضم أبناء الكنيسة إلى طوائفهم). لذلك اهتم رواد الاكليريكية الأوائل أن تكون هذه المواجهة على مستوى العصر، وأن تكون المدرسة الاكليريكية على مستوى العصر، بخلاف نظامٍ الكتاتيب القديم. لقد كانت هذه المحاولة ناجحة لأنها جعلت من العلم اللاهوتى عملاً مثمراً إذ عرفوا كيف يستثمرونه لمواجهة مشاكل العصر.

كانت المدرسة الاكليريكية تستعمل الأساليب العصرية في شكل المدرسة ومنهج التعليم وطريقة التدريس وغيرها. ولكنها حافظت على مضمون التقليد (كما كان متاحاً مصادره ومراجعه في زمانهم). وحينما انتقلت الاكليريكية من مهمشة إلى الأنبا رويس في أوائل الخمسينيات، قام بقيادتها نخبة من أساتذة الجامعات وجعلوا الدراسة فيها على المستوى الأكاديمى الجامعى الجاد، واستمر هذا الوضع لسنوات قليلة، تخرّجت فيها عدة دفعات كانوا إلى حد كبير على مستوى المجابهة مع مشاكل عصرهم (منتصف القرن العشرين). على أن الأمر لم يَدُمْ طويلاً، فللأسف هجر الأساتذة الجامعيون الاكليريكية لأسباب أو لأخرى. ولكن ما نريد أن نقوله هو أنه في هذه المرحلة كان يمكن - لو ظل هؤلاء الأساتذة الأكاديميون فيها - أن يتطور العمل العلمى اللاهوتى ليصير شهادة حية للحق غير المتغير عن المسيح في العالم الحديث وبلغة عصرنا السريع التغير، وعلى الأخص أنه كان قد بدأ إرسال بعثات للخارج من خريجى الاكليريكية النجباء لتكميل دراساتهم اللاهوتية العليا.

ولو كان قد تواصل إرسال هذه البعثات لكنا نجنى ثمارها اليوم.

كل هذا توقف منذ أوائل الستينات والسبعينيات وحتى الآن. ودليل هذا التوقف (بل هذا التقهقر)، هو أنه لم يعد للكلية الاكليريكية في فرعها العلمى اللاهوتى أى صوت فيما يجرى في الكنيسة والعالم وما يحيط بنا من متغيرات وأحداث، كما كنا نسمع في عهد المتنيح حبيب جرجس ومن أتى بعده. وما أكثر وما أخطر ما كنا نتوقع أن نسمعه من "علماء الكنيسة ولاهوتييها" في كل هذه الأمور.

* إننا لابد أن نعترف أن دعوتنا إلى تبنِّي المنهج الأكاديمى الغربى في إدارة وأداء التعليم اللاهوتى في مدراسنا لا تعنى الانزلاق فيما انزلقت فيه الجامعات العلمية في الغرب من اختزال العلم اللاهوتى إلى إدراجه كعلم من بين العلوم التى تخضع للتطوير والتبديل والنقد الأعمى، فنحن لا ندعو إلى تبنى المضمون الغربى للعلم اللاهوتى، بل إلى المضمون الآبائى الكنسى وإنما بالروح والتقاليد الأكاديمية الجادة المنظمة التى يتميز بها الغرب والتى إذا أضيفت عليها الروح الشرقية المتأملة والمتعمقة في الإلهيات والمسنودة بالنسك والاختبار الحى للإنجيل، والتى ترى في معرفة الله ليس مفاهيم عقلية عن الله بل ثمرة شركة واتحاد معه تشمل ليس الجسد والنفس فقط بل والعقل أيضاً، فإننا نكون قد جمعنا جناحى المسيحية معاً في منظومة روحية فلسفية علمية رائعة: الشرق المتأمل والغرب المفكر المنظِّم. ألا تكون هذه أروع صورة للوحدة المسيحية يمكن أن تنطلق من كنيستنا العريقة في مجال المسكونية والوحدة المسيحية؟!

فهذا ما نرجو تحقيقه: توفير هذه الدراسة اللاهوتية على المستوى الأكاديمى العلمى وبالمضمون اللاهوتى الآبائى الليتورجى الكنسى، حتى يستعيد العلم اللاهوتى المسيحى الأرثوذكسى مكانه مرة أخرى في كنيسة الإسكندرية بعد أن غاب عنها طويلاً.

وفي هذا الباب نعرض بعض الملامح لسمات هذا المنهج اللاهوتي ولشخصية كلٍ من العالم والمعلِّم اللاهوتي والراعي اللاهوتي كما نتمنى أن يوجدوا في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.



العلم اللاهوتي

العلم اللاهوتي الأصيل والأصلي نتعلمه من الروح القدس. فهو الذي يفحص كل شئ..، حتى أعماق الله، وهو وحده الذى يدرك فكر الله (١كو ٢: ١٠-١١). إنه يأتمن الحق للذين يسكن فيهم (٢ تي ١: ١٤). ومن خلاله يتذوق الناس حلاوة كلمة الله وقوات الدهر الآتي (عب ٥: ٤ - ٥). إنه يشددهم ليكرزوا بالأخبار السارة (١بط ١: ١٢). ونحن نأتي إلى معرفة الله من خلال نعمة الروح القدس .

إنه يقودنا إلى كل الحق (يو ١٦: ١٣). ومن خلاله نعترف أن المسيح هو ابن الله وعن هذا الطريق فإنه يمكننا أن نرقى إلى معرفة الآب (متى ١١: ٢٧).

هناك ارتباط بين العقيدة (علم اللاهوت العقيدي) وبين الحياة الروحية (علم اللاهوت الميستيكي). وقد فهم آباء الكنيسة كلهم هذا الارتباط، فأفرزوا علماً لاهوتياً حياً فعالاً حمل كنائسهم ومسيحيتهم عالياً إلى أعلى مستويات الروح. ويقول في هذا الصدد القديس غريغوريوس النيصي متأثراً بما قاله معاصره القديس غريغوريوس اللاهوتي في مقالته اللاهوتية الثانية ضمن مجموعة الخمس العظات اللاهوتية المشهور بها:

[العلم اللاهوتي كمثل جبل شديد الانحدار صعبُ الصعود عليه جداً. معظم الناس يبلغون فقط سفح هذا الجبل، وهذا من النادر. ولكن إن كان أحد مثل موسى النبي، فإنه بتسلقه الجبل سيصير قادراً على سماع أصوات، أصوات تظل تعلو وتعلو كلما أمعن موسى في الصعود إلى أعلى. هذه الأصوات التي كانت مرعبة تصمُّ الآذان هي بلا شك رمز لاستعلان الطبيعة الإلهية. وهى تبدو عالية في البداية ثم تعلو وتصم الآذان أكثر فاكثر كلما قربت المسافة.. فلأن الجمع لم يستطع أن يحتمل هذا الصوت الآتي من فوق فقد أوكل إلى موسى أن يكون هو الذى يتلقى المعرفة بالأمور غير الممكن إدراكها، حتى يمكن للشعب أن يتعلم فيما بعد مما تعلمه موسى على الجبل.

وهذا عين ما يحدث في الكنيسة في كل زمان: فليس من مهمة كل إنسان أن يسبر غور الأسرار الإلهية. لكن الشعب يختار من وسطه الإنسان الذى يقدر على مواجهة اللاهوت الذى أعاره مواطنوه كل انتباههم، حتى يستوعبوا بحق كل ما يأتي به هذا

الإنسان إلى أسماعهم من أسرار الله]- **القديس غريغوريوس النيصي** (كتاب حياة موسى ١: ٣٧٣ - ٧٥٦).

١- معنى علم اللاهوت ومهمته:

العلم اللاهوتي يعنى كل ما يمكن أن يُقال عن الله الواحد المثلث الأقانيم سواء في ذاته، أو في تدبيره الخلاصي الذى به يستعلن نفسه في خلقة العالم وفي تجسده. وفي مقدمة البند الأول أي ذلك "المختص بالله" تقف عقيدة الثالوث الأقدس (الآب والابن والروح القدس). وفي مقدمة تدبيره الخلاصي، فهذا هو يسوع المسيح ابن الله وكلمة الله المتجسد . علم اللاهوت إذن يشمل كل ما يمكن أن يُقال عن الله وتدبيره الإلهى، بما فيه مجاوبة البشرية على حضور الله المجدِّد والمقدِّس وسط العالم.

مضمون سر التدبير الإلهي:

نحن لا يمكننا أن نقتحم سر الله الحي بمعزل عن التدبير الذى أعلن الله به ذاته. هذا التدبير يتضمن: خلقة الكون، تأسيس العهدين القديم والجديد، التجسد أي حياته وموته وقيامته وظهور مجد ربنا يسوع المسيح ثم حلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة ومجيئه الثاني المخوف والمملوء مجداً، ثم ملكوت الله في الدهر الآتي، وهو الذى يجمع ما بين حضوره السري الآن في العالم، وتحقيقه الكامل العلني في الدهر الآتي.

ضرورة العامل البشرى في التدبير:

ويدخل في هذا التدبير الإلهى العامل البشرى أيضاً، من حيث أن الخلاص بالرغم من أن الله قد أكمله إلا أنه لابد من مشاركة الإنسان ليتمتع ببركاته. لذلك فعلم اللاهوت يهتم بحالة الإنسان، وبمجاوبة البشرية على أعمال الله الخلاصية التي تمت في الزمن، وباحتفال البشرية بهذه الأعمال.

أداة علم اللاهوت: اللغة البشرية :

إذن فالله في علاقته بالعالم يعمل من خلال الوجود الإنساني المحدود.

فالإعلان الإلهى، مثلاً، يُترجم ويُنقل للبشر من خلال أداة اللغة البشرية. وبالرغم من أن هذه اللغة محدودة، إلا أنها بالرغم من ذلك هي المركبة الوحيدة التي تحمل إعلان الله إلينا، وكرازة الكنيسة إلى الآخرين.

لذلك فاللغة هي أحد المكونات الأساسية في العلم اللاهوتي.

وهى تحتاج إلى جهد دائم من جانب الذين يمارسون العلم اللاهوتي في الكنيسة، سواء كانوا معلمين لاهوتيين أو رعاة أو مجامع كنسية، فهو جهاد ومجاهدة من أجل الوصول إلى ألفاظ ومصطلحات دقيقة ومحددة وصحيحة للحقائق الإلهية، خالية من الأخطاء والتشويه. وبهذا، فإن الهدف الأساسي للعلم اللاهوتي الأرثوذكسي كان دائماً الفحص والفهم الصحيح للحقائق الإلهية، حقائق الإعلان الإلهى، وتشكيل صياغة هذه الحقائق صياغة صحيحة من خلال التحديدات والتعبيرات المناسبة واللائقة بحيث أن هذه التعبيرات تقود إلى تمجيد الله في النهاية.

لذلك فلغة العلم اللاهوتي الأصيل هي دائماً لغة تمجيدية وسرائرية. انظر إلى قانون الإيمان الذي هو أساس ودستور المسيحية كيف أنه صِيغَ بعناية وبدقة إلهامية، حيث في نهايته يؤدي بالإنسان المسيحي الذى يتلوه إلى "السجود والتمجيد" بقوله: "نسجد له ونمجده مع الآب والابن".

الغاية النهائية لعلم اللاهوت :

وإذا أردنا تحديد الغاية المثالية لعلم اللاهوت فتكون هي "الإيمان والاعتراف بسرٍ الله الحي، والشهادة له بالكلام والأفعال".

أما مهمة علم اللاهوت الأساسية، فهي نشر ومعاصرة "الإيمان المسلَّم مرة للقديسين" (يهوذا ٣).

فإذا اتجهنا ببصرنا إلى مضمون إرسالية علم اللاهوت إلى العالم المحيط بنا، فهي تجديد العالم من خلال عرض الإيمان الأرثوذكسي والشهادة له.

وإذا اتجهنا ببصرنا إلى الداخل أي إلى الكنيسة، فمهمة العلم اللاهوتي الأرثوذكسي بنيان المؤمن وتحصين حياة الكنيسة لتكون دائماً متوافقة مع إرساليتها الحيوية وغاياتها الأساسية من خلال شرح مضمون الإيمان الأرثوذكسي. لذلك فإن:

٢- الاجتهاد اللاهوتي حيوي للكنيسة:

إن الحياة اليومية العملية للكنيسة لابد أن يكون لها أساس لاهوتي. بدون الشهادة اللاهوتية الجدية والتدقيق اللاهوتي لا يمكن للكنيسة أن تكون أهلاً أو قادرة على تكميل مهامها الكرازية

في العالم. الاجتهاد اللاهوتي الدائب والدقيق هو حيوي للكنيسة لأنه يساعد الكنيسة على أن تحفظ شخصيتها ومضمون إرساليتها بل ويدفعها إلى التقدم المستمر في سبر أغوار معاني سر الخلاص التي لا ينضب مَعينها.

دور الاجتهاد اللاهوتي في ضبط الحياة الكنسية :

زد على ذلك، فإن علم اللاهوت، باعتباره نتاجاً من طبيعة الروح القدس، يقيِّم ويحكم باستمرار على حياة وأفعال مؤسسات الكنيسة لتكون بحسب حقائق الإيمان، محرِّراً إياها من حقيقة الخطية وكل ضغوط خارجية وتأثيرات غريبة يمكن أن تجعلها تساوم على طبيعة الكنيسة وجوهر رسالتها وغاياتها وإرساليتها. علم اللاهوت يحفظ لنا دائماً الوعي بحقيقة الخطية التي تهاجم كل شئ يوجد على مسرح التاريخ، بما فيها المؤسسات الكنسية.

إن العمل اللاهوتي العلمي الجاد والمسئول، هو جزء حيوي لا يتجزأ من حياة الكنيسة. علم اللاهوت يخدم الكنيسة وهو المسئول عنها ليوفر لها الكفاءة واللياقة الدائمة والمناسبة في أداء رسالة الإنجيل. إنه يؤدى هذه المهمة من خلال:

١ - فهم نمط الوحي الإلهي للإنجيل والتفسير الصحيح لكرازة الرسل.

٢ - الدفاع عن الإيمان الحق وتحديدات العقائد.

٣ - التقييم الدقيق، وإعادة الصياغة المناسبة، والشرح المنهجي للتقليد المتوارث في كل جيل.

٤ - التجديد المستمر للحياة والفكر والعبادة والممارسة داخل الكنيسة، بما فيها فرز الانحرافات والأخطاء والخطايا التي يمكن أن تشوه وتفسد رسالة الكنيسة على المدى الطويل.

٥ - ضبط أي تعليم أو منهج لاهوتي دخيل متعارض ومُفسد للمنهج اللاهوتي الشرقي الأرثوذكسي. لأن البعض ممن لا خبرة لاهوتية لهم ولا دقة تمييز بين أنواع المناهج اللاهوتية في الغرب قد تستهويهم بعض أفكار أو مفاهيم قرأوها في كتب واردة من الغرب فيروِّجون لها غير مُدركين النتائج الحتمية والذيول المترتبة على ترويج هذه الأفكار والتعاليم وهي الهرطقات غير الأرثوذكسية، فكأنهم يجعلون هذه التعاليم غير الأرثوذكسية تتسرب إلى داخل الكنيسة مما يعطي حجة لأصحاب هذه الهرطقات يبرهنون بها على أن كنيستنا تؤمن بها! وأخطر هذه المناهج هو المنهج الغربي في فهم الخلاص والفداء، والإسخاتولوجي أي علم أحداث الأزمنة الأخيرة.

الاجتهاد اللاهوتي يجعل علم اللاهوت فعالاً وخلاقاً:

العلم اللاهوتي الأصيل حي فعّال. إنه "دائم الشباب" بحد تعبير القديس إيرينيئوس. إنه إدراك اللمسة السرية الخصبة للإيمان المسيحي وللتشابك غير المتناهي لمعانيه. إنه يعيد تفسير التحديدات العقيدية والتعبيرات الليتورجية والصيغ القانونية الكنسية بما تقتضيه احتياجات الكنيسة الحاضرة وتساؤلات البشر الدائمة. إنه يفعل كل ذلك وهو على ولاء وإخلاص لحياة الكنيسة اللاهوتية والتاريخية التي لا تهتز ولا تتوقف.

أما الإبداع اللاهوتي فهو لا يُحسب خروجاً على التقليد. فإنه يقوم على نفس الإعلان الإلهي للتقليد الحق. لأن التقليد هو استمرار حضور سكنى الروح القدس في الكنيسة، إنه استمرار الإرشاد الإلهي والاستنارة الروحية. لذلك يقول أحد اللاهوتيين:

"العلم اللاهوتي الأرثوذكسي لا يجعل من الاصطلاحات الكنسية القديمة شيئاً عبثاً حينما يحركها ويدفعها إلى الأمام بشرح جديد، بل يظل الجديد في استمرار مع القديم، فالجديد يكون شرحاً جديداً للقديم، خطوة جديدة للأمام في فهم السر الإلهي الذى فُهم صحيحاً أيضاً في القديم بالألفاظ القديمة".

أعماق الإيمان والعقيدة لا تنضب ولابد من مداومة اكتشافها:

والعلم اللاهوتي الأرثوذكسي يفهم أن العقائد تعلن وتصون الحقائق الأصيلة المختصة بالله والعالم والبشر، إلا أن شرح العقائد لا ينضب مَعينه أبداً من فض ختوم هذه الحقائق الإلهية. فهي، أي العقائد، هي المدخل والمرشد إلى أعماق لا حدود لها من سر الوحي الإلهي. "من خلال كل تحديد عقيدي ندخل في ارتباط بحقائق معينة ومعان محدودة التي يمكن أن تصير أعمق وأوضح إلى المدى الذى يمكن فيه لأرواحنا أن تختبره وتستوعبه، وتظل هناك أعماق وأعماق أخرى لهذه الحقائق يمكن لغيرنا ولمن يأتي بعدنا أن يسبروا أغوارها".

إن ممارسة علم اللاهوت هو محاولة معقدة ذات أبعاد عميقة ومتسعة. يصف أحد علماء اللاهوت هذا المشروع بالطريقة الآتية:

١- اللاهوت هو التعبير الغنى للإيمان الكنسي كما يعيشه الناس داخل شركة الكنيسة.

٢ - اللاهوت يعبّر عن الاستمرار التاريخي غير المنقطع للإيمان الرسولي كما سُجّل في الإنجيل أولاً ثم شُرح بانتظام وفُسّر وانتظم كمنهج كما سجّله الكُتّاب الكنسيون على مدى الأجيال.

٣- اللاهوت هو التفسير الواعي لخبرة العبادة الليتورجية للكنيسة المؤمنة العابدة، التي تقدم المجد لله الخالق وللكلمة المتجسد وللمخلص ومجدد كل الأشياء".

٣ - تناول علم اللاهوت من خلال المناهج الأكاديمية.

مدى لياقة تناول علم اللاهوت بأسس علمية :

إن كمال الوحي الإلهى تَمَثَّل في المسيح يسوع كلمة الله المتجسد وابن الله. والكنيسة التي هي جسده، اختيرت وتعينت أن تكون هي الحارس والحافظ لهذا الوحي والشاهد الدائم على كمال الحق. إن الرسالة الأولى للإنجيل تنعكس على حياة وبنيان الكنيسة. وهي تبقى حية وتتلخص في دستور الإيمان والعقيدة والقوانين الكنسية وطقوس العبادة، وهذا هو ما يسمى بالتقليد الرسولي والذي من خلاله يمكن فهم الكتاب المقدس نفسه واستيعابه.

ويذكِّرنا العالم اللاهوتي الأرثوذكسي جورج فلوروفسكى أن الكنيسة لكي تكون حقاً رسولية، يجب أن تكون أيضاً آبائية. فآباء الكنيسة يشهدون لرسولية التقليد.

وهناك مرحلتان أساسيتان في إعلان الإيمان المسيحي:

المرحلة الأولى: **الإيمان البسيط** بالكرازة بقيامة المسيح،

والمرحلة الثانية: الانتقال من الكرازة إلى العقيدة. حيث إيماننا البسيط يجب أن يكون له شكله وتكوينه الخارجي (وهو العقيدة). صحيح أن عقيدة الآباء كانت في حد ذاتها هي الكرازة البسيطة التي تسلمت مرة واحدة من الرسل وحفظتها الكنيسة. ولكن الآن هذه الكرازة البسيطة تشكلت وتطورت إلى مجموعة من الشهادات وإعترافات الإيمان المتماسكة. هذه الشهادات تمثلت في: قانون الإيمان، وطقس الصلوات، ومنهج الحياة الروحية النسكية.

إن مهمة علم اللاهوت هو أن يفحص بدقة هذه القواعد ليمكن فهمها ثم شرحها. هذه المهمة تكتمل على الأخص بواسطة المناهج الأكاديمية لعلم اللاهوت حيث تنتظم دراسة وتدريس علم اللاهوت من خلال ما يسمى بالعلوم اللاهوتية النظرية مثل: (علم اللاهوت التفسيري، والتاريخي، العقيدي، والأدبي، والليتورجي، والقانوني، والرعوي... وغيرها) والتي تطورت عبر السنين.

إن تناول علم اللاهوت من خلال المناهج اللاهوتية يخدم عالم اللاهوت ويمكِّنه من أن يحوز معرفة أوسع وفهماً أكثر لحقل دراساته، وبهذا يمكنه تكميل دراسته وتدريسه كما ينبغي.

محاذير لابد من أخذها في الحسبان ونحن ندرس علم اللاهوت من خلال المناهج الأكاديمية:

لكن قد يكون هناك تمادٍ في الانغماس في المنهج الأكاديمي. فالانشغال بالمناهج ومسائل المعرفة بحد ذاتها يمكن أن يؤدى إلى عقلانية مُجدبة، بينما التمسك بدقائق التفاصيل التاريخية بطريقة جازمة قد يثمر لنا منهجاً بلا حياة وبلا مناسبة للموضوع.

فممارسة علم اللاهوت بهذه الطريقة غير مُجدٍ. إذ هو في هذه الحالة يغلف رسالة الإنجيل بكثير من الغموض والتعقيد ويؤدى إلى صبغ الاختبار المسيحي بثقل العقلانية البعيدة عن الإيمان.

ولكن كما أن المشروع اللاهوتي له بُعده الأكاديمي؛ هكذا له البعد الروحي الاختباري أيضاً. فبدون بحث علمي وتدقيق، يصبح علم اللاهوت مشوهاً ويمكن أن يتحول إلى تعبيرات غير دقيقة أو مكررة، ويؤدي إلى تقوى عقيمة مُجدبة من الروح.

ومن جهة أخرى، فإن علم اللاهوت غير المؤسس روحياً لا يحمل أية رسالة أو شهادة لخلاص النفس البشرية.

ثم إن علم اللاهوت حينما لا ينبثق من حياة الكنيسة، فهو يصبح بلا فائدة أو يصير في خطر الترويج لموضوعات غير اختبارية، أو يخطئ في شرح الإيمان وفي التعبير عنه. لذلك، فإن عمل علم اللاهوت هو أولاً وأخيراً عمل الكنيسة من أجل خير الكنيسة الروحي. لذلك، فالراعي والعالم اللاهوتي مكمِّلان بعضهما للبعض وهما مسئولان بالتبادل وبالمساواة عن خير الكنيسة، كلاً في إطار مسئوليات وظيفته ودوره. وهذا ما سنعرض له في الفصلين القادمين.

الفصل الثاني

المعلم اللاهوتي

كما رأينا فإن العلم اللاهوتي البنَّاء يتطلب منهاجاً منظماً أكاديمياً، واعتناقاً أميناً لمعتقدين أساسيين:

الأول: أن الله هو المصدر والقوة والغاية من علم اللاهوت،

والثاني: أن علم اللاهوت يحمل السمة الكنسية التي لا تُمحى.

فعلم اللاهوت هو هبة الروح القدس للكنيسة. والروح القدس هو الذي يلهم المعلم اللاهوتي علماً لاهوتياً خلاقاً، ووعياً بالكنيسة التي هي نفسها من صُنع الروح القدس، هذا الوعي يفرز ويعطي الأصالة واللياقة في كل كلام عن اللاهوت.

١- ممارسة علم اللاهوت هو دعوة إلهية

الروح القدس يعدُّ شعب الله ليمارسوا التكلم عن اللاهوت:

التكلم عن اللاهوت هو دعوة من الله، وخدمة للكنيسة، حيث لا تُفهم ولا تُدرك نصوص الكتاب المقدس والتقليد بطريقة صحيحة إلا في إطار الإيمان الحي للكنيسة. والله في حكمته وعنايته اللانهائيتين يعلن مشيئته للأنبياء والرسل الذين يسميهم القديس أثناسيوس الرسولي "الرجال المتكلمين باللاهوت θεολόγοι ἄνδρες"[١]. إن رسالة الإنجيل إلهية، لكنها تُصاغ في التاريخ. إنها كلمة الله ولكن في لغة بشرية مميَّزة. ولأن الله تنازل ليتكلم للكائنات البشرية، فقد نالت الكلمة البشرية عمقاً جديداً.

لقد تجلت الكلمة البشرية، لقد ظهرت أنها أداة الوحي الإلهي. لذلك أصبح ممكناً للكائنات البشرية أن تتكلم عن الله، أي أن تمارس علم اللاهوت. فعلم اللاهوت هو التجاوب البشرى مع الله الذى سبق وتكلم أولاً معنا.

ولأن الوحي الإلهى محفوظ في الكنيسة، فالروح القدس يُقيم دائماً من شعب الله مَنْ يلهمهم

---

(١) تجسد الكلمة – ٥٦

ليدخلوا في أسرار الإيمان، حتى يفسروا كلمة الله ويعلّموها للآخرين (اكو ١٢: ٤ - ٢٧). ويأتي في مقدمة هؤلاء المعلمين عمالقة الروح والعقل، أولئك المفسرون للأسفار المقدسة المعروفون الذين تكلموا باسم الكنيسة ونيابة عنها وشهدوا لحضور الروح القدس الساكن في الكنيسة. القديس أثناسيوس يطلق على هؤلاء اسم "المعلمون أنفاس الله" أو المعلمون الموحى بهم من الله والأساتذة في التعليم المسيحي وهم كبار الكُتّاب المسيحيون، إنهم علماء لاهوتيون في المقام الأول، الذين نسميهم "آباء الكنيسة". فالآباء هم المعلمون اللاهوتيون المشهورون ذوو النفوذ، الذين يشهدون ويعكسون ذهن الكنيسة ويمدُّونها بالفكر التفسيري الحي والإيضاحات الأصيلة للإيمان والتقليد الرسوليين.

على أن الروح القدس يقيم أيضاً أناساً مخلصين، سواء من الإكليروس أو من أعضاء شعب الله، ليمارسوا عمل الكلام عن اللاهوت للكنيسة. هؤلاء هم العلماء اللاهوتيون: الذين يقرأون الأسفار، ويتعلمون من آباء الكنيسة، ويؤدون الدراسة والبحث اللاهوتيين. وأول هؤلاء هم: **الرعاة اللاهوتيون، والعلماء الأكاديميون اللاهوتيون.**

الراعي اللاهوتي:

والراعي اللاهوتي يمارس مهمة علم اللاهوت داخل جماعته الليتورجية أي رعيته وإيبارشيته. وأوضح مثال على ذلك هو الأسقف المعتبر أنه حارس الحق ومعلم كنيسته بالدرجة الأولى.

وهذه الحقيقة تشير إلى سؤال هام ودقيق: **ما هو فهمنا للحق؟** فالحق ليس معرفة عقلية للتقليد، كأنه شئ نتعلمه في المدارس والمعاهد. فعلم اللاهوت بالرغم من أنه متصل بالتعليم والعقيدة لكنه هو شركة الكنيسة الذى يدخل بعلم اللاهوت إلى الحق. والحق يتحقق حتماً ودائماً في الروح القدس. والكنيسة هي الواقع الذى يخلقه الروح القدس فهي عمود "الحق" وقاعدته (١ تى ٣: ١٥).

ومنذ البداية الأولى للكنيسة، أؤتمن الأسقف وكُلِّف بحراسة التقاليد الرسولية، والحفاظ على الرؤية الصحيحة للمسيح - الذى هو الحق، وحفظ وحدة الإيمان والطقس في كنيسته التي أُقيم عليها من خلال ممارسته الأسرار. والأسقف لا يمارس هذا العمل الخطير بمفرده - كأنه معصوم من الخطأ - لكنه يمارسه في تحسس للوعي العام للكنيسة التي تحتوى على الحق الدائم. أي أن موهبة حفظ الحق المعطاة للأسقف ليست موهبة فردية بل مرتبطة بالكنيسة التي اختير

بواسطة شعبها وأُقيم على رأسها لكي يحفظ هذا الحق الكنسي فيها، وهو يمارس هذه الموهبة من خلال القسوس خدام المذبح، والمستنيرين من شعب الله، فليست هناك أي خدمة في الكنيسة تؤدى عملها وهى في غنى عن الخدمات الأخرى أو المؤسسات الأخرى في الكنيسة أو وهى في غير شركة معها. لذلك فسلطان الأسقف يستمد ممارسته من الكنيسة التي قُسم عليها باختيار وائتمان شعبها له ليحفظ الحق المسلّم مرة للقديسين.

العالم اللاهوتي:

أما العالم اللاهوتي فهو أيضاً يقتنى خدمة هامة ومهمة متسعة. فمن خلال ممارسته لخدمته، فإن العملية اللاهوتية بأكملها تُصاغ دائماً وتتجدد. فهو - سواء كان من الإكليروس أو من أعضاء الشعب - يؤدى عمله في الكنيسة من خلال الدراسة المنهجية وشرح التقليد من كافة أوجهه المتعددة وبتعبيراته اللاهوتية، ويضع الأساس العلمي لشرح الحقائق الأبدية التي تعلنها الأسفار المقدسة.

وبهذا فإنه بخدمته يساهم في بنيان كل الكنيسة إكليروساً وشعباً، ويعمل من أجل إعلان أرثوذكسية التعليم ويساعد في جعل الكنيسة تتطبّع مع رسالتها وغاياتها التي أُقيمت من أجلها.

والعلم اللاهوتي الأرثوذكسي ليس رياضة عقلية مجدبة بل هو عمل رعوي واقعي. فالعالم اللاهوتي يهتم بأن يمارس العمل اللاهوتي على طريقة "آباء الكنيسة"، كما يشرحها القديس غريغوريوس اللاهوتي [على نمط الرسل وليس أرسطو].[٢] ويقصد أن تعليم الآباء مثل تعليم الرسل كان "كرازياً" أي بشارة بالإنجيل ومناداة بالخلاص، حتى وهم يصيغون تعليمهم في قالب دفاع عن الإيمان أو جدل مع الهراطقة. فالمرجع الدائم لهم ولتعليمهم هو "الإيمان" و"المعرفة الروحية". فالغرض النهائي وغاية كل علم لاهوتي هو أن يقود الناس إلى الشركة مع الحياة الإلهية.

٢- سمات شخصية العالم اللاهوتي :

مهما كانت مواهب وقدرات ووزنات العالم اللاهوتي، فليس هناك ما هو حيوي أكثر من حياته الشخصية المفعمة بالصلاة لله الحي، وبتكريسه وإخلاصه المتواضع للكنيسة. وكما يقول أحد كبار اللاهوتيين الأرثوذكس في عصرنا الحاضر: [لن ينتفع أحد من الأناجيل إن لم يكن

---

(2) Hom. 23. 12

أولاً في شركة محبة مع المسيح. لأن المسيح ليس "نصاً" من نصوص الإنجيل بل هو شخص حي، وهو يحل في جسده، أي الكنيسة][3]

وبحسب التقليد الروحي للكنيسة، فالعقل المستنير، والنفس اليقظة، والسكون في حضرة الله، ونقاوة القلب، كل هذا يكوِّن الشروط المسبقة للشخص الذى يحق له أن يمارس الكلام عن اللاهوت.

ويليق بنا أن نقرأ للقديس أثناسيوس الرسولي وهو يصف الصفات الشخصية للمتكلم باللاهوت:

[إن الفحص والفهم الصحيحين للأسفار يحتاج إلى الحياة البارة والنفس الطاهرة، والفضيلة المسيحية القادرة أن تقود الذهن ليستوعب، على قدر استيعاب الطبيعة البشرية، الحقَّ المختص بالله الكلمة. ولا يمكن لأحد أن يفهم تعليم القديسين إلا إذا كان له الذهن النقي والرغبة والهمة في الاقتداء بحياتهم ... وكل من يريد أن يفهم ذهن كَتَبة الأسفار المقدسة القديسين يجب عليه أولاً أن يطهر حياته ويتقرب من القديسين بمحاكاة أعمالهم][4].

٣ - العالم اللاهوتي في ميدان العمل

العمل اللاهوتي الأكاديمي عمل مشترك وليس فردياً:

العمل اللاهوتي الأكاديمي بجانب أنه مجهود شخصي فهو أيضاً سعيٍ مشتركٍ متعاون مع الآخرين. فالعالم اللاهوتي يحصل على إجازته العلمية بمفرده، ولكن أيضاً بالتعاون والاشتراك مع الآخرين. فهو عمل فردى مثله مثل الإيمان الذى هو التزام شخصي بلا شك. لكن ممارسة علمِ اللاهوت بالرغم من أنه مجهود شخصي إلا أنه لا يؤدَّى بروح فردية. فالعالم اللاهوتي هو أولاً مؤمن يعيش ويعمل في شركة الكنيسة ويستمد المعونة من الكنيسة ويسعى إلى خدمة الكنيسة أي خدمة الله الذى أحب العالم وبذل ابنه لخلاص العالم.

فالعمل اللاهوتي يكون بنَّاءاً حينما يكون مشتَركاً. وهذا يعنى أن العالم اللاهوتي الأكاديمي

---

(3) Florovsky, *The Lost Scriptural Mind*, in: *Bible, Church, Tradition* p.14.

(٤) القديس أثناسيوس الرسولي، *تجسد الكلمة* ٥٧

مُلزم أن يكون في حوار متواصل مع الزملاء الآخرين ومع الذين سبقوه ويعاصرونه وعلى الأخص الذين يشتركون معه في حقل المعرفة الذى تخصص فيه.

وعليه أن يأخذ في الاعتبار المناهج والأساليب الأخرى في الدراسة، وعلى الأخص من الآباء والمعلمين الذين تكلموا وكتبوا في اللاهوت قبله - حتى وإن لم يكونوا أكاديميين مثله. فظروف كنيستنا القبطية أفرزت في القرن الماضي متكلمين وكُتَّاباً في اللاهوت بمحض مجهوداتهم الشخصية في الدراسة، وكثير منهم تكلموا وكتبوا بإلهام حقيقي من الله.

فمثلاً ليس من الروح الجماعية والشركة في شئ تجاهل أو المعاداة للأعمال اللاهوتية لمثل هؤلاء لأي أسباب غير علمية، بل لابد من الاستفادة من أبحاثهم وإلهاماتهم، وتكميلها وتطويرها وتصحيحها إذا لزم الأمر.

الأسلوب الأكاديمي العلمي لا يعرف أسلوب المعاداة والمهاجمة للآخرين:

والعمل الأكاديمي العلمي لا يعرف أسلوب المهاجمة والمعاداة واتهام المعلمين واللاهوتيين الآخرين بالهرطقة بحسب الفكر الشخصي، بل يدخل ضمن العمل اللاهوتي الأكاديمي ما يسمى **بالحوار اللاهوتي**، أي مناقشة آراء وأفكار الآخرين وإظهار الصحيح الذي فيها أولاً، ثم بعد ذلك إعطاء الرأي فيما يراه العالم اللاهوتي دون **التسرع بإنزال الحكم** أنه خطأ أو **بالهرطقة على هذا الذي يراه أنه خطأ**. أما إعلان أخطاء المعلمين فيتم بطريقة جماعية وليس فردية، ومن خلال الحوار في المؤتمرات والندوات العلمية اللاهوتية. وأخيراً من خلال المجامع المقدسة، وبعد استنفاذ الدراسة الأكاديمية العلمية بكل وسائلها المنهجية بواسطة علماء اللاهوت، وليس بواسطة الإكليروس إذا كانوا طرفاً في صراعات شخصية مع الآخرين، وكذلك ليس بأسلوب المقارعة الشخصية والتشهير والتجريح الشخصي من على المنابر التي هي ليست وسيلة وطريقة العلماء ورجال الدين. وما أكثر الأمثلة المحزنة في التاريخ حينما نازل رجال الإكليروس بعضهم بعضاً وتراشقوا بتهم الهرطقة وتبادلوا الحرومات بعضهم على البعض **بينما أزاحوا علماء اللاهوت والقديسين** إلى ما وراء الصفوف. ونتيجة هذه الخبرات المحزنة التي تكررت على مدى التاريخ القديم للكنيسة حدثت مآسي انقسام الكنيسة ما فتح ثغرة في صف وحدة الكنيسة دخلت منها ويلات وحروب وتسلل من خلالها الغرباء، ما تعاني منه الأطراف المتنازعة كلها على حد سواء حتى الآن!

إن المنهج وأسلوب التعاون في العمل اللاهوتي يقوم على ثلاث حقائق بسيطة:

١ - **الحكمة هي من الله.** لذلك فالعالم اللاهوتي مُلزم بأن يعترف بأن الحكمة البشرية

الصحيحة هي من الله ويجب أن يتعلم كيف يستخدم ويميز بين كل نوع من الحكمة والعلم ما يساعد على الإسهام في معرفة الحق الإلهي.

٢ - كل مؤمن يشهد للحق وبقوة الإنجيل. لذلك فالعالم اللاهوتي مُلزم بأن يعترف بمجهودات البشارة بالإنجيل، ويجب أن يتعلم ويعمل مع المؤمنين الآخرين من أجل خير رسالة الكنيسة في كل جوانبها.

٣ - إن قوانين الكنيسة المختصة بالإيمان وبالصلاة وبالممارسات الليتورجية كلها مترابطة ومتساندة بعضها بالبعض. لذلك فالعالم اللاهوتي مطالَب بأن يعترف بكل المجالات اللاهوتية وبارتباطها بعضها بالبعض، فيجب أن تكون عنده الرغبة في التعلّم والعمل مع المعلمين والعلماء الآخرين كلاً في مجال معرفته وشرحه للحق.

٤ - ممارسة العلم اللاهوتي داخل كنيستنا اليوم :

خطورة الوضع التعليمي الروحي في الكنيسة الآن:

هناك حتمية عاجلة اليوم لتطوير العمل اللاهوتي القائم الآن داخل الكنيسة، حتى نواجه بقوة وبفاعلية محاولات الأيديولوجيات المناوئة للدين والمعاكسة للحياة المسيحية بين شعبنا وشبابنا ما تسبب في فقدان الكثير من الاحساسات الدينية الحقيقية في الشعب تجاه الله والكنيسة.

بل إن الكثير من الأفكار العشوائية والدعايات المتسترة وراء المعنى الديني قد تسللت إلى الكثير من الشعب من خرافات وجَرْى وراء سراب من المشاعر والممارسات الزائفة مما أبعد الشعب عن الإحساس والاختبار الحقيقي لحضور الله في حياتهم، وضياع المعاني اللاهوتية للإيمان المسيحي من أذهان الكثيرين، حتى اختلط الأمر واختزلت مبادئ الإيمان المسيحي واستبدلت ببعض الظواهر الغريبة المدَّعَى ظهورها وأخبار حدوث معجزات، وصاحب ذلك سرد رؤى ومعجزات مُدَّعى حدوثها للبعض الذين يعلنون ذلك بطريقة تمجد الذات حتى داخل الكنائس وبعض الأديرة للأسف، وهم بهذا يسلبون مجد الله من نفوس المؤمنين البسطاء، ويحجبون عنهم تعليم الإنجيل وعقيدة الآباء عن التجسد والفداء وعمل المسيح الخلاصي للنفس البشرية، ويستبدلونها بادعاءات لا مكان لها في تدبير الله الخلاصي، الأمر الذى أعطى الفرصة سانحة أمام الطوائف غير الأرثوذكسية للتلويح بالمبادئ المسيحية الإنجيلية (التي هي أصلاً جوهر تعليم الكنيسة) مما اجتذب إلى بيوت عبادتهم جموعاً كثيرة من الشعب والشباب

الأرثوذكسي. وكل هذا تزامن مع العادة الرديئة لبعض المعلمين الذين يهاجمون علانية عمالقة الإيمان والحياة المسيحية الحقيقية المعاصرين ما أعطى الفرصة سانحة لانتشار التعاليم الخاطئة أو غير الأصيلة بين الشعب وصارت مرتعاً خصباً لتداول الخرافات العجائزية بين الشعب.

دعوة لإيقاظ الغيرة الروحية من جديد:

لقد حان الوقت لكي نعود مرة أخرى إلى غيرة وحماس شباب مدارس الأحد في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي لإعلان الروحانية الأرثوذكسية للشعب بكل ما فيها من حق الإنجيل وقوته، حتى نحول البساطة الدينية في الشعب إلى وعى بالأرثوذكسية على مستوى العقيدة والتقوى والحياة العملية.

فعلى مستوى كل إيبارشية وكنيسة لابد من الرجوع إلى الوصايا الروحية والسلوكية للإنجيل حيث يجب أن نعيد مرة أخرى اكتشاف وإعلان حيوية الإنجيل وقوة الإيمان الأرثوذكسي بكل ما فيه من رؤية وروح وسلوك قويم قائم على الأسس الإنجيلية اللاهوتية الرعوية.

نحن مطالبون بأن نُعلي ونُظهر المعالم الرئيسية للتعاليم اللاهوتية الأرثوذكسية عن الله والمجتمع والوجود ما يجعل المسيحية والإنجيل واقعاً حياً مُعاشاً قادراً على مواجهة التحديات الشديدة التي يواجهها الإيمان المسيحي في هذا العصر، ويجعل من المؤمنين شهوداً حقيقيين للإنجيل مثل آبائنا الرسل والقديسين الأوائل.

ولا يصح أن نترك العمل اللاهوتي على مستوى الواقع محصوراً فقط في المدارس والمعاهد اللاهوتية والإكليريكية، بل ينبغي أن يتكون أولاً داخلها، ثم ينطلق إلى الخارج ليكون على فم وفي يد كل أب وأم ومدرس ومدرسة في مدارس الأحد وكل شاب وشابة مسيحية وكل كاهن وشماس وأسقف.

إن غاية كل علم لاهوتي هو تمجيد الله من خلال التطبيق الصحيح الملهم للوحي الإلهى على الحياة اليومية وكافة مواقف وفرص الحياة. وتجديد العالم يبدأ من حياة كل مؤمن وكل كنيسة وجماعة مسيحية.

٥ - تأملات وتطبيقات :

+ حينما نقول إن الكنيسة هي جسد المسيح، فلابد أن نعى علاقة "جسد المسيح" مع بقية "الأعضاء" البشرية المقهورة والمكسورة في المجتمع: الفقراء، والمسحوقين، والمرضى، والذين لا أحد يذكرهم. حقاً لدى كل كنيسة مشاريع لخدمة هؤلاء، ولكن كل هذه المشاريع لا تعالج

الأسباب المؤدية للبؤس الإنساني. إنهم يعالجون الأعراض فقط، ولا يتلامسون مع المرض الكامن، بل ربما يتغاضون عن الأسباب والأمراض. فعلى العالم اللاهوتي والراعي اللاهوتي أن يفحصا الأسباب ويغوصا إلى الجذور ويقدما صوت الله الحي الشافي والمحب القادر أن يعالج أمراض البشرية المختفية.

+ العلم اللاهوتي الحقيقي يخلق العمل الصالح الحقيقي فليس فقط تقديم بشارة الخلاص بإخلاص وإعلان محبة الله الفعّالة والفادية للبشرية المتألمة، بل وأيضاً لابد من مجابهة الأوضاع والظروف التاريخية المعاصرة بالحق الإنجيلي الذي يرى ما لا يراه عامة الناس، وهو بهذا يجعل الكنيسة تمارس خدمة النبوة وسط هذا العالم المضطرب، فتعكس المستقبل والأخرويات على الحاضر لترفع الرجاء في المسيح عالياً، الرجاء ليس في هذه الحياة الحاضرة فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً، لتحول الناس من الغرق والاستغراق في الأمور التي تُرى التي هي زمنية وقتية، إلى الأمور التي لا تُرى التي هي أبدية. والكنيسة بهذا أيضاً تداوم على أن تكون بحق هي وجه المسيح المنظور من العالم، إنها يجب أن تصير شفافة لتُظهر المسيح الذي فيها، دون أن تكون حجاباً تعطل رؤية العالم للمسيح. وهذا يظهر من سلوك خدامها وأعضاء شعبها الذين يكونون نوراً "يرى الناس أعمالهم الصالحة فيمجدوا الآب الذى في السماوات"



الفصل الثالث

الراعي اللاهوتي

بناءً على ما ذكرناه في الفصلين السابقين، فالعالم اللاهوتي الأرثوذكسي يجب أن يكون قادراً على أن يستخدم كل نوع من الأبحاث والاستقصاءات العلمية ويتعامل مع كل العلوم، إذا كان مرتشداً بوعي الكنيسة الذى يحوى الحق لكل جسد الكنيسة.

وقد اهتم الأخلاقيون الأرثوذكس في السنوات الخيرة بعديد من القضايا الاجتماعية والطبيعية. وفي هذا السياق طوَّروا علوماً لاهوتية مقترنة بالعلوم غير اللاهوتية مثل الأخلاقيات والحيويات الاجتماعية المسيحية، ومثل الكلام على الأخلاقيات الاجتماعية، ومثل الكلام على العلاقة بين الكنيسة والدولة، والعلاقات بين الأجناس، والحروب، والجريمة، والحكم بالإعدام، وما يختص بالمرأة، والفقر، وفي مجال الأخلاقيات الحياتية (علم الوراثة، وهندسة الوراثة، والتلقيح الصناعي، وما يسمى بالموت الرحيم). وهدف الكلام في هذه الموضوعات كما يحددها أحد أساطين اللاهوت في هذا المجال هو "**توفير شرح للموضوعات الأخلاقية من وجهة نظر أرثوذكسية شرقية متميزة**".

وهناك محاولات شائعة ظهرت في السنوات الأخيرة لاقتران علم اللاهوت بعلوم أخرى غير لاهوتية. مثل ربط علم اللاهوت بعلم السيكولوجي (علم النفس). ونتيجة الربط بين هذين المنهجين ظهر ما يسمى بـ "**علم اللاهوت الرعوي Pastoral Theology**"، الذي ظهر أول ما ظهر في المدارس اللاهوتية البروتستانتية، ثم بعد ذلك في الكليات اللاهوتية الكاثوليكية، وأخيراً جداً في الكليات اللاهوتية الأرثوذكسية.

ويعرِّف هذا العلم أحد الذين تقدموا في دراسته، وهو العالم اللاهوتي اليوناني الأرثوذكسي "يؤانس كورناراكيس" فهو يحدد "علم اللاهوت الرعوي" بأنه: "دراسة منهجية لعملية التحليل النفسي أو حقائق علم النفس على ضوء احتياجات ومتطلبات العمل الرعوي في الكنيسة". و"**علم اللاهوت الرعوي**" هو جانب من جوانب المجهود الإنساني المطلوب لتكميل متطلبات الخلاص كما هو محدد في التعليم الأرثوذكسي. بهذا المعنى، فإن غرض إدخال "علم النفس الرعوي" كفرع من فروع العلم اللاهوتي الأكاديمي هو، "استخدام طاقات هذا العلم الأخير في المجال المتخصص للدراسات الرعوية."

لذلك فـالراعي اللاهوتي المنوط به رعاية النفوس يجب أن يتلقى تعليماً أساسياً في العلوم الإنسانية والطبيعية والاجتماعية بما فيها علم النفس. مثل هذا التعليم يوسع ويعمق من مفاهيم الإنسان القائم بالرعاية ويساعده على زيادة إمكانية التعامل والتجاوب مع مختلف الظروف والمستويات التي يقابلها في الحياة. ولكن الكاهن القائم بالرعاية من المفترض أنه أصلاً مقود ومتعلم من الله من خلال اختباره الشخصي وإرشاد الروح القدس، لكنه بالإضافة إلى ذلك لابد أن يعرف أن الرعاية الصحيحة والمؤثرة تقوم أساساً على دخول الله في صميم أحوال الإنسان وآلامهم ومعاناتهم. هذا الدخول الإلهى كما هو معلن في الأسفار هو النموذج الأساسي لخدمة الرعاية. أما المفتاح الأساسي لممارسة التزامات الرعاية ذات الأثر هذه فإننا نجده في المعرفة وفي استخدام مصادر علم اللاهوت معاً.

وفي دراسته المليئة بالنظرات العميقة المسماة: "*Pastoral Counsel*" أي "*الإرشاد الرعوي*"، يقول العالم توماس أودن أن التقليد الرعوي الكنسي التقليدي:

١ – سَبَق علوم العلاج النفسي المعاصرة في وسائل تغيير الخُلُق الشخصي.

٢ – استوعب بطريقة تلقائية (في سر الاعتراف) العناصر التمهيدية لما يسمى في علم النفس بالتحليل النفسي.

٣ – أكّد على أولوية الجانب الشخصي في العلاج كشرط للتغيير النفسي.

هذه النتائج توضح بجلاء أن الدراسة العميقة والتحليل للتقليد الرعوي القديم بما فيه تعاليم الآباء النساك وعلى الأخص تعليمهم عن "حياة السكون"، هو أساس الممارسة الفعالة لخدمة الرعاية. لذلك فإن نوع الإعداد اللاهوتي للراعي وعمق اختباره الشخصي الروحي يجعل من الممكن له أن يفرق ويميز بين الادعاءات الحقة وتلك المزيفة للحق المختص بالشخصية الإنسانية.

تحذير من خلط المعرفة اللاهوتية مع علم النفس:

لكن الراعي لا يجب أن يفقد شخصيته اللاهوتية أو الكهنوتية ولا يخلطها مع وظائف المعالجة النفسية أو غيرها. إن خدمة الإرشاد الروحي هي شئ آخر غير ذلك. فإن مهمة وغايات الإرشاد الرعوي للنفس محدَّد ويعتمد على الحقائق اللاهوتية المختصة بالإنسان ومطاليب

الخلاص كما في علم اللاهوت الأرثوذكسي والحياة الروحية، وليس كما في علم النفس.[٥]

طبيعة ومهمة المرشد أو الأب الروحي:

وهناك بعض المبادئ المقترحة لوصف طبيعة ومهمة المرشد أو الأب الروحي. يقدم توماس أودن خمسة أوصاف :

الراعي يعمل كمرشد وطبيب ومشير ومحرر ومربي. وفي مقال مختصر على خدمة الأب الروحي، يعدد الأسقف كالليستوس وير خمسة أوصاف أو سمات رئيسية لمرشد النفوس: فهو طبيب ومرشد ومشير وشفيع ووسيط وكفيل[٦]. وبالإضافة إلى ذلك فهو يلاحظ أن "الشيخ الروحي" هو أب ومعلم بآن واحد ليس فقط بالتلقين بل بالقدوة وبالعلاقة الشخصية التي تملأ حياته.

وغاية وغرض رعاية النفس يتضمنان:

١. إعلان محبة الله ورحمته غير المشروطتين[٧]،

٢. النطق بالحِل والمغفرة،

٣. إعطاء المشورة المناسبة وتقديم العلاجات من وَهَن ومرض الخطية والخلل الخلقي،

٤. تنشيط وإنارة الذهن الروحي الذي غرق ودُفن عميقاً داخل إلحاحات الجسد والفكر والنفس،

٥. تطهير أفكار القلب وتبديد ألم الشهوات،

٦. إيقاظ وتجديد نعمة المعمودية الموجودة فعلاً ولكن غير النشطة داخل القلب،

٧. زرع وسقي الحياة الجديدة القائمة في المسيح.

---

(٥) راجع الفصل السادس (من الباب الرابع *"التعبير الكنسي")* من هذا الكتاب: *أب الاعتراف*، بند: *"المرشد الروحي، ومحاذير استخدامه مبادئ علم النفس دون وعي"*.

(٦) راجع الفصل الخامس من الباب الثالث من هذا الكتاب: *"الأب الروحي"*، وهو ملخص لمقال الأسقف كاليستوس.

(٧) لأن بعض المعلمين يحاولون وضع شروط لمحبة الله ورحمته، ناسين أن المحبة هي طبيعة الله: "الله محبة" (١يو ٤:٨) وأية قيود يضعها البشر على محبة الله تكون بمثابة قيود وكأنهم يضعونها على طبيعة الله نفسه وحاشا لله في ذلك.

من كل ما قيل سابقاً، واضح أن قوة وحيوية أي علم لاهوتي تكمن في أولئك الذين يمارسونه. إن المهمة هائلة لأنها تتطلب من اللاهوتي أن يكون دارساً جيداً لكلا العِلمين: العلم للاهوتي والعلوم القرينة (مثل علم النفس أو العلوم الاجتماعية وغيرها كما ذكرناها سابقاً)، بالإضافة إلى أن اللاهوتي يجب أن يتحاشى اختزال علم اللاهوت أو التفسيرات العالية والعميقة للتقليد الآبائي والإنجيلي في مجادلات عقيمة أو تعبيرات فلسفية أو ألفاظ غير مُعبِّرة عن سمو الإيمان المسيحي.



يسوع المسيح المنتصر الغالب – نقش قبطي قديم

وأخيراً – هذه تشوُّفات واشتياقات مستقبلية لتكوين صف من علماء اللاهوت الذين نرجو أن يملأوا كنائسنا ومعاهدنا الإكليريكية واللاهوتية بل ويكونوا في كل بيت وكل فصل في مدارس الأحد بل وفي قلب كل مسيحي وكل مسيحية. ويا ليت الجميع كل من يحب المسيح ويعشق الكنيسة أن ينضم إليهم ويحقق ذلك.

المراجع والوثائق لهذا الكتاب

أولاً – مصادر البحث:

١. *الكتاب المقدس* بعهديه القديم والجديد.

٢. كتاب ***EUCHOLOGION*** مطبوع بمدينة رومية عن مخطوطة ترجع إلى القرن الثالث عشر، رومية عام ١٧٦١ للميلاد عام ١٤٧٨ للشهداء، وتحوي الكثير من الصلوات الطقسية مثل الرسامات للرتب الكهنوتية، وتكريس الرهبان والراهبات، وصلوات طبخ الميرون وغيرها على نهرين قبطي وعربي. ويرجح أنه عن هذه المخطوطة أخذ ابن كبر صلوات الرسامات التي أوردها في كتابه "مصباح الظلمة" في القرن الرابع عشر وذلك بمضاهاة النصوص في كلتا المخطوطتين.

٣. *مخطوطة قوانين البيعة* (النوموكانون) رقم ٢٥١ عربي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس..

ثانياً–مراجع البحث:

١. وليم سليمان قلادة، دكتور، كتاب *تعاليم الرسل الدسقولية* ، الطبعة الثانية ١٩٨٩، دار الثقافة.

٢. مجموعة ***NICENE & POST-NICENE FATHERS*** ، المجموعة الثانية، المجلد ١٤ الخاص بقوانين المجامع.

٣. البيذاليون باللغة اليونانية وترجمته باللغة الإنجليزية بإسم ***THE RUDDER***، وقد طبع في شيكاغو عام ١٩٥٧، وهو المرجع الرسمي لقوانين الكنيسة لدى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية.

٤. حنانيا الياس كساب، *مجموعة الشرع الكنسي*، جمع وتعليق، ١٩٨٥ منشورات النور، بيروت – لبنان. وهو تجميع لمخطوطات ومراجع عدة لقوانين البيعة الأرثوذكسية.

٥. عوني برسوم، المستشار ، *التقنين الكنسي*، ١٩٩٤، بيت الشمامسة القبطي بالجيزة.

٦.القمص مرقس داود، *تاريخ الكنيسة* تأليف يوسابيوس القيصري، ترجمة، الطبعة الثانية ١٩٧٩، مكتبة المحبة.

٧.إيريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الأجزاء الثالث والسادس إلى الثامن.

٨.جرجس فيلوثاوس عوض، ناشر، *المجموع الصفوي* لإبن العسال، (مخطوطة من القرن ١٣)، ١٦٢٤ ش. (١٩٠٨ م.)

٩.يوحنا بن زكريا، *الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة*، مطبعة العلا، القاهرة.

١٠.الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، *ترتيب الكهنوت*، إعداد الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ١٩٩٩.

١١.*الطب الروحاني*، إعداد الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ١٩٩٩.

١٢.مجدي جرجس، *القضاء القبطي في مصر*، ميريت للنشر والمعلومات ١٩٩٩.

(بخلاف المراجع الأخرى المذكورة في هوامش الصفحات قيد كل نص أو رأي.)

ثالثاً: وثائق حديثة:

١.*قانون كنيسة أنطاكية للسريان الأرثوذكس*، عن *المجلة البطريركية* السنة ٣٨، الأعداد ١٧١- ١٧٣ كانون ثاني وشباط وآذار ١٩٩٨، دمشق.

٢.*القانون الأساسي لبطريركية أنطاكية للروم الأرثوذكس في سوريا ولبنان*، عن كتاب "*المفهوم الأرثوذكسي للحق القانوني*"، للأب سمير غلام، منشورات النور ١٩٨٦.

٣.*قانون الكنيسة الرومانية الكاثوليكية* عن الترجمة الإنجليزية:*Code of Canon Law annotated*, **Ed. By E. Caparros, M. Thériault, J. Thorn, Wilson & Lafleur Limitée, Montréal, 1993.**

٤.*قانون الرهبنة القبطية*، نقلاً عن كتيب بنفس العنوان مطبوع في **المطبعة المرقسية بالدرب الواسع نمرة ٣٠ بمصر، ١٩٢٨.**

٥. *قانون بيت التكريس لخدمة الكرازة بحلوان*، عن المخطوطة الأصلية بخط اليد، ١٩٥٩

رابعاً: أبحاث لاهوتية:

1. *Penitential Discipline In The Orthodox Canonical Tradition*, in: John H. Erickson, *The Challenge Of Our Past*, St. Vladimir's Seminary Press, Crestwood NY 1991, pp. 23-38.

2. St. Vladimir's Theological Quarterly, 21,4/1977, Vladimir Stakhy Borichevsky, *A Pastoral Perspective On Sin And The Sacrament Of Confession,* pp. 207-216.

3. V. Palachovsky, *SIN in the Orthodox Church,* Desclee Company, New York,1966

4. Bishop Kallistos (Ware) of Diokleia, *The Spritual Father in Saint John Climacus and Saint Symeon The New Theologian,* in: Irénée Hausherr, *Spiritual Direction In The Early Christian East*, Cistersian Publication, Kalamazoo, Michigan 1990, pp. vii-xxxiii.

5. *The Direction Of Nuns*, in: Irénée Hausherr, *Spiritual Direction In The Early Christian East*, Cistersian Publication, Kalamazoo, Michigan 1990, pp. 268-306.

6. *The Orthodox Canonical Tradition*, in: John H. Erickson, *The Challenge Of Our Past,* St. Vladimir's Seminary Press, Crestwood NY 1991, pp. 9-21.

7. *Orthodox Perspective On Divorce And Remarriage,* in: John H. Erickson, *The Challenge Of Our Past,* St. Vladimir's Seminary Press, Crestwood NY 1991, pp. 39-51.

8. Kevin E. McKenna, *A Concise Guide To Canon Law*, ave maria press Notre Dame, Indiana, 2000.

9. Laurence J. Spiteri, *The Code In The Hands Of The Laity*, Alba House, New York 1997.

10. The Greek Orthodox Theological Review, 37, 1992, Alkiviadis C. Calivas, *Orthodox Theology And Theologians*, pp. 275-308.

11. The Greek Orthodox Theological Review, 37, 1992, Helen Boosalis, *Christian Faith Facing Politics,* pp. 93-98.

12. The Greek Orthodox Theological Review, 37, 1992, Emmanuel Clapsis, *Politics and*

Christian Faith, pp. 99-103.

13. The Catholic Encyclopedia, 1909 by Robert Appleton Company, Online Edition 1999 by Kevin Knight.

14. Gibbon, E., *Decline and Fall of the Roman Empire*, Ch. 44: The Idea of Roman Jurisprudence.

15. Hoadly, George, *A Lecture upon Roman Law Procedure*, Cinncinati, 1877.

16. Watson (ed.), *The Digest of Justinian* [with Latin text edd. T. Mommsen and P. Krüger], Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1985), 4 vols.

17. H. L. Hart, *The concept of Law* (1961).

18. R. A. Wormser, *The Story of the Law and the Men Who Made It*, (rev. ed. 1962).

19. R. David, *Major Legal Systems in the World Today* (tr. 1968).



والحمد لله في كل شيء

يطلب من :

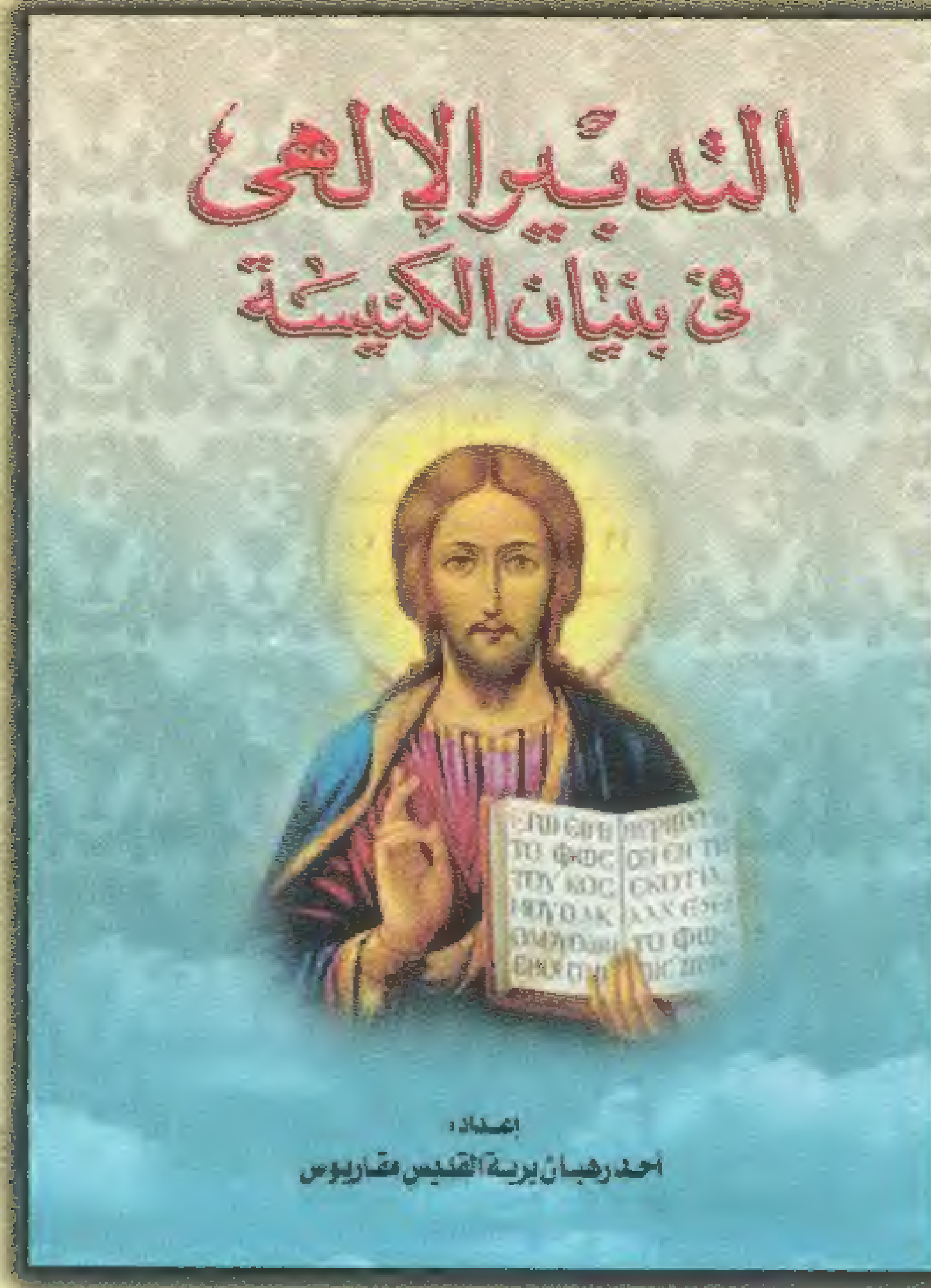
دار مجلة مرقس

القاهرة ٥٠ (أ) شارع شبرا - تليفون ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية ١٣ شارع الشهداء - المنشية تليفون ٤٨٤٠١١٠

وجميع المكتبات المسيحية

٣٨٤ - التدبير الإلهي في بنيان الكنيسة



هــذا الكتــاب

هو خلاصة دراسات وأبحاث حول الكنيسة والخدمة المسيحية نقدمها لكل قارىء يريد أن يعرف ما هى الكنيسة، وما هى الحياة المسيحية وأبعادها، وما هى الخدمة ومبادؤها وقوانينها، وكيف يصير عضواً حياً عاملاً فى كنيسة المسيح جسده المقدس.

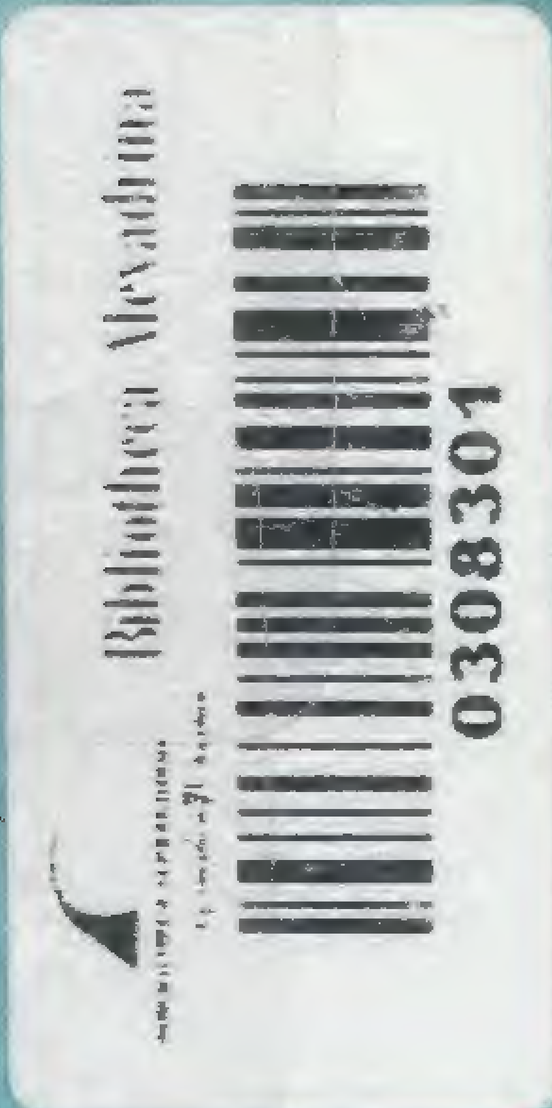
ويقدم لك هذا الكتاب الموضوعات التسعة التالية:

١- القضاء الكنسى (مشروع متكامل للتشريع الكنسى الحديث).
٢- شعب الله. ٣- الزواج المسيحى والأسرة ومواجهة الطلاق.
٤- الرهبنة القبطية (الراهب، الأب الروحى، الأم الروحية)
٥- تكريم الشهداء والقديسين وطريقة تقنينهم وإعلان قداستهم.
٦- تدبير الكنيسة (البابا، الأسقف، القس، الإيغومانس، أب الاعتراف، الشماس، الشماسة).
٧- مجلس الأراخنة ودوره في تدبير الكنيسة.
٨- الكنيسة والسياسة والوطن.
٩- العلم اللاهوتى والمعلم والراعى اللاهوتى.

إن هدف هذا الكتاب مزدوج:

لكل مؤمن، لكى يعرف كنيسته وموضعه منها كعضو فى جسد المسيح ويعرف حقوقه وواجباته، فيؤدى واجبات عضويته ويسعد بحقوقه فيها التى هى عينها حقوقه فى المسيح.

ولكل مسئول: إكليروساً وأراخنة ومقدَّمى الشعب، ليكون لهم حافزاً ومساعداً للتعرف على نواحى الحياة الكنسية كما رسمها وحددها التقليد الكنسى وسجلتها القوانين الكنسية، حتى إذا حلَّ الميعاد لتقنين هذه الحياة يكون هذا الكتاب أحد الإسهامات المساعدة. ونحن جميعاً أمناء على تسليم الأجيال الآتية بعدنا ما تسلَّمناه كما هو من الرسل الأطهار وآباء الكنيسة الأبرار غير منقوص وبلا تشويه أو تبديل.



الثمن ١٥ جنيه